١١- كتَاب الجِهَاد

٢٣٤- باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[التوبة: ٤١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[التوبة: ١١١]، وقال الله تَعَالَى: ﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا، دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ٩٥ - ٩٦]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف: ١٠-١٣]. والآيات في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أنْ تحصر، فمن ذلك:

الحديث رقم (١٢٨٧)

١٢٨٧- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفْضَلُ؟ قَالَ: ((إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ)) قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((الجهادُ في سَبيلِ اللهِ)) قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:

((حَجٌّ مَبْرُورٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مبرور: لم يأت فيه الحاج إثمًا، أو هو المقبول عند الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

هذه الاستفهامات الثلاثة التي جاءت في الحديث يراد منها التعلم، والتوجيه وتنبيء عن حب جم لدين الله؛ لأنه يتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما تنبيء برغبة في ارتقاء أعظم الدرجات في الجنة بتحصيل أعظم الأعمال، ولا يصدر مثل هذا إلا من نفس صموحة إلى المعالي، والتعبير بـ" العمل " لأنه يشمل الفعل، والقول جاءت بصيغة المفرد في قوله :" أي العمل أحب إلى الله " ليوضح أن المعتد به في العمل هو الإخلاص فيه، ليكون مقبولاً، وليس تعدد الأعمال دون إخلاص، ولأن السائل يريد أعلاها، فسؤاله عن قمتها، ولذلك بدأ بالصلاة في قوله: " الصلاة على وقتها " لأنها عمل واحد في طياته أعمال كثيرة تقوم على الإيمان، والخشية، والمراقبة، والخشوع والإخلاص، وجاء بحرف الجر " على " ليفيد الاستعلاء أي أن الوقت خادم للصلاة، والإضافة في وقتها تفيد الخصوصية، فللصلاة وقتها الذي يخصص لها، ثم جاء بعد ذلك ببر الوالدين، والجهاد فى سبيل الله؛ لأنهما فرع عن إتقان الصلاة التي تنهى عن الفحشاء، والمنكر، وقدم بر الوالدين؛ لأنه دائم لا ينقطع، ويحتاج إلى مجاهدة شديدة دائمة للنفس، والشيطان لاسيما حين تتعارض الرغبات، والجهاد يكون في وقت دون وقت.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦) واللفظ له، ومسلم (٨٣/١٣٥)، وتقدم برقم (١٢٧٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٣٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضل الجهاد: اتفق الفقهاء على أفضلية الجهاد وأنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض لأن في الجهاد بذلُ المُهَج والمال، ونفعه يعم المسلمين كلهم صغيرهم وكبيرهم قويهم وضعيفهم، ذكرهم وأنثاهم وغيره لا يساويه عمل في نفعه، ولا في فضله وأجره[١].

٢- حكم الجهاد: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأظهر والحنابلة إلى أن الجهاد فرض كفاية[٢] وأنه لا يتعين إلا في بعض الأحوال[٣]. واستدلوا

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٦/٥، حاشية رد المحتار ١١٩/٤-١٢٠٠، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٥٩/٣، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢١/٩، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٤/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤١/٣، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٤٧/٣، حاشية الصاوي على الصغير ٢٧٥/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٦/٤، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢/٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٤/١.

(٣) حالات تعين الجهاد هي:

١- إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام.

٢- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم، كما يتعين على من يقربهم إن عجزوا عن دفع العدو بأنفسهم.

٣- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير. =

على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾(١) حيث وعد الله عز وجل المجاهدين والقاعدين الحسنى، ولو كان الجهاد فرض عين في الأحوال كلها لما وعد الله القاعدين الحسنى لأن القعود حرام(٢). ولأن ما فرض له الجهاد وهو الدعوة إلى الإسلام، وإعلاء كلمة الدين الحق، ودفع شر الكفرة وقهرهم يحصل أيضًا بقيام البعض به(٣).

وذهب الشافعية في قول ضعيف، وسعيد بن المسيب إلى أنه فرض عين(٤). واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٦) حيث أمر الله تعالى بالنفير العام لجميع المسلمين وهدد تهديدًا شديدًا لمن يترك النفير مما يدل على أنه فرض عين على كل مكلف.

ويناقش هذا بأن الوعيد في الآيتين يتوجه لمن عينه النبي ﷺ لتعين الإجابة عليه.

= ٤- ويتعين أيضًا بالنذر. يراجع بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤١/٣، حاشية الصاوي ٢٧٥/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٩/٤، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢/٣ وما بعدها.

(١) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧.

(٣) المرجع السابق ٩٨/٧.

(٤) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٤/٧.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٣٩.

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل: بأن الجهاد فرض كفاية.

٣- حكم أداء الصلاة في أول الوقت: اتفق الفقهاء على استحباب أداء الصلاة في أول الوقت لكونه احتياطًا لها، ومبادرة إلى تحصيلها في وقتها[1].

٤- بيان فضل الانفراد عن خوف الفتنة لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٥/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠٣/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٤/١، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٩/٢، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٢٠/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٣/٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٢٧٥.

الحديث رقم (١٢٨٨)

١٢٨٨- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: ((الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا)) قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((بِرُّ الوَالِدَيْنِ)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧) واللفظ له، ومسلم (٨٥/١٣٩)، وتقدم برقم (٣١٢)، و (١٠٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٦٢).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٣١٢، ١٠٧٦.

الحديث رقم (١٢٨٩)

١٢٨٩- وعن أَبي ذرّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ العَمَلِ أفْضلُ؟ قَالَ: ((الإيمَانُ باللهِ، وَالجِهَادُ في سَبِيلهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

تعدد السؤال عن أفضل الأعمال كثيرا بتعدد السائلين، وبتعدد المواقف، وقد كان النبي ﷺ يجيب كل سائل بما هو أصلح لحاله، وحال المسلمين، فقد يصلح إنسان لعمل، ولا يصلح لآخر، كما أن العمل قد يكون فاضلا في وقت، ومفضولا في وقت، وفي هذا الحديث سئل الرسول الكريم ﷺ عن أفضل الأعمال على الإطلاق فقال: " الإيمان بالله " ومنه يتشعب الأمن، واليقين في قدرة الخالق الذي يؤمن به الإنسان المسلم، ومنه أيضاً يتشعب الإيمان بالملائكة والكتب والسماوية والقضاء والقدر، خيره وشره، والإيمان بالقبر، والجنة والنار، والعمل بمقتضى ذلك، وجاء " الجهاد في سبيله " بعد ذلك، لأنه فرع عن الإيمان القلبي، واليقين الراسخ فلن يجاهد المسلم بماله أو نفسه إلا إذا كان من أصحاب الإيمان القوى وكان مستعداً للبذل والتضحية نظراً لإيمانه بالعاقبة الحسنى للمتقين ولإيمانه بقول الحق جل جلاله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت٦٩].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨) واللفظ له، ومسلم (٨٤/١٣٦)، وتقدم برقم (١١٧).، وسيكرره المؤلف برقم ١٣٦١، أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥١).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٧.

الحديث رقم (١٢٩٠)

١٢٩٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الغدوة: الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه[٢].

الروحة: المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[٣].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري وفية بشارة للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وجاههم وبدأ " بالغدوة " لأنها تتصل بالغدو، والبكور الذي حث عليه النبي صلى الله علية وسلم – ودعا لامته بأن يبارك لها في بكورها، ولأن المسلمين إذا فاجأوا عدوهم في الصباح هزموهم بإذن الله، ولكن بشرط: أن تكون " الغدوة " أو " الروحة " في سبيل الله، ومن هنا لابد من نبل الهدف، وسموا الغاية التي تقوم على حسن النية، وسلامة الطوية، وكلمة " خير " معناها أكثر خيراً فهي أفعل تفضيل يدل على أن الخير كثير، ولكن الجهاد في سبيل الله أفضل أنواع الخير عند الله تعالى وقوله " خير من الدنيا، وما فيها " كناية ضآلة الدنيا بجوار أعمال الآخرة لأنها عرض زائل ومتاع فان، وما يتعلق بالآخرة يصطبغ بصبغتها في الخلود فالجهاد خير مما في الدنيا كلها لأنه في سبيل الله. والله أعلم

---

(١) اخرجه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (١٨٨٠/١١٢) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٠٦)

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧/٦.

(٣) المرجع السابق ١٧/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ. على الغدو والرواح في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الغدو والرواح في سبيل الله.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله والحرص على الفوز في الآخرة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ، على الغدو والرواح في سبيل الله:

جاء في صريح الحديث: حث النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله وبيان فضل الغُدُو والرواح في سبيل الله، فقال ﷺ: لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، والغدوة بالفتح من الغدو وهو الخروج في أى وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والرَوْحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أى وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[(١)]، وقد جاء الحث على الغدو والرواح في سبيل الله في كثير من نصوص القرآن والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"[(٣)]، وذلك لما للجهاد في سبيل الله من فضل، إذ هو وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه[(٤)].

لقد جعل النبي ﷺ الجهاد في سبيل الله بما فيه من غُدُوٍ ورواح سياحة الأمة، فروى عن أبي أمامة ((أَنَّ رجلاً قالَ: يا رسولَ الله ائْذَنْ لي في السياحةِ، فقالَ النبي ﷺ: إِنَّ سيَاحَةَ أُمَّتِي، الجهادُ في سبيلِ الله))[(٥)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧/٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢، ومسلم ١٨٨١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص١٣٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٤٨٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٧٢).

قال العلامة المناوي: (وإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله" أي هو مطلوب منهم كما أن السياحة مطلوبة في دين النصرانية فهو يعدلها في الثواب بل يزيد عليها، "وإن لكل أمة رهبانية" أي تبتلاً وانقطاعًا للعبادة، ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو" أي ملازمة الثغور، بقصد ملاقاة أعداء الدين، ومقابلتهم بالضرب على أعناقهم وصدورهم والرباط)[١].

إن الجهاد في سبيل الله من أقوى طرق التزكية، لأن أمراض النفس كلها بسبب الدنيا، والجهاد ترك للدنيا برمتها والتوجه نحو الآخرة.

كما أن في الجهاد تقوية لليقين بالله لما يراه المجاهد من الكرامات الكثيرة التي يجعلها الله مثبتة للمجاهد فتزول عنه كل الشبه التي يقذفها في قلبه الجن وشياطين الإنس.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الغدو والرواح في سبيل الله:

جاء في صريح الحديث بيان فضل الغدو والرواح في سبيل الله، وأنه خير من الدنيا وما فيها، فقال ﷺ: "لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها".

قال ابن حجر: (ويؤيد هذا الثاني ما رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد من مرسل الحسن قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا فيهم عبدالله بن رواحة، فتأخر ليشهد الصلاة مع النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ والذي نفسي بيده لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت فضل غدوتهم)[٢].

قال القاضي عياض: (ومعناه أن فضل ذلك وثوابه ونعيمه - على قلة هذا العمل خير من نعيم الدنيا كلّه لو ملكه مالك على اتساعه في التقدير، ومحل ذلك من العظم في النفوس لشاهديه، وذلك لأنه زائل ونعيم الآخرة باق.

وقال ابن حجر: (قال ابن دقيق وهذا الحديث يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من باب تنزيل الغيب منزلة المحسوس تحقيقًا له في النفس،

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٠٧/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤/٦.

لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع، فلذلك وقعت المفاضلة بها وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة.

ثانيهما: أن المراد بأن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة)[١].

قال النووي: "والظاهر أن ذلك لا يختص بالغدو والرواح من بلدته، بل يحصل هذا الثواب بكل غدوة أو روحة في طريقه إلى الغزو، وكذا غَدْوه ورَوْحه في موضع القتال، لأن الجميع يسمى غَدْوةً ورَوْحَةٍ في سبيل الله، ومعنى هذا الحديث أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها لأنه زائل ونعيم الآخرة باق[٢]. قال ابن علان: ويحتمل أن يكون المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن حصلت له الدنيا وأنفقها في طاعة الله غير الجهاد[٣].

وذلك أن البذل يشرف بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله[٤]، أضف إلى ما في الجهاد من كمال الإيمان وحسن الإسلام، وما فيه من إرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه[٥].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله والحرص على الفوز في الآخرة:

إن من أهداف الدعوة الحث على الجهاد في سبيل الله، وبيان أنه من أكبر السبل وأعظمها لنيل الفوز والثواب في الآخرة، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث فقال ﷺ: "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها"، وذلك ليس دعوة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٥.

(٤) أحكام الجهاد وفضائله، الإمام عزالدين بن عبدالسلام، تحقيق نزيه حماد، مكتبة دار الوفاء، ١٤٠٦هـ، ص ٥٤.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

للانتقام وحبًا في التشفي والاعتداء وإنما دفاعًا عن العقائد والأنفس، قال الشيخ محمد الراوي: "على أن الحرب في حقيقتها شِرْعَةٌ لابد منها لعلاج الفساد وصيانة الأمن والسلام، شرعة أخذت بها جميع الأمم تصون حماها وترد كيد العدو عنها، بيد أن الإسلام قد انفرد في الحرب بآدابه الخاصة وغايته الواضحة، فما شرعت الحرب عنده إلا لِحَق وبحَق.

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء

فرد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن أمرٌ تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة، ولولاه لعاد الضرر، لا على المسلمين وحدهم بل عليهم وعلى غيرهم"[1]، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[2].

والجهاد في سبيل الله لا يقتصر على ميادين المعارك فحسب بل هو أوسع من ذلك بكثير، ومن ألوان الجهاد التي تلزم كل مسلم الجهاد بالدعوة إلى الله عز وجل، فالجهاد بالدعوة إلى الله عز وجل وظيفة كل مؤمن.

(إن ما يعم الناس من البلاء في هذه الأيام، سواء كان على مستوى الأفراد، وما هم فيه من القلق والحيرة والتعاسة. وما يلاحظ عندهم من اختلال القيم واضطراب المقاييس، أو كان على مستوى الأمة، وما منيت به من ذل وهزيمة. إنما هو نتيجة حتمية لاجتماع عاملين اثنين هما:

الأول: اجتهاد أولياء الشيطان في تلبية ندائه، والصد عن سبيل الله عز وجل.

الثاني: تخلي المؤمنين عن مراكزهم التي وضعهم الله فيها. وعن وظيفتهم التي ناطها بهم، وهي الدعوة إلى دين الله. ومجاهدة الشيطان وأوليائه.

وناس اليوم في هذا الشقاء سواء: الذين يدعون الإيمان. والذين اتخذوا الشياطين أولياء.

---

(١) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٤٠.

والمؤمن لا يتساءل عن سبب ذلك بالنسبة للضالين. فإن ربه يقول ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾(١)، ولكن قد يتساءل المؤمنون لم لا يتميزون في ذلك عن الآخرين. وهم الذين اعترفوا بالخالق إلهًا. وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولاً، وصاموا وصلوا وحجوا. فلم لا يتنزل على قلوبهم السكينة، ولم لا يستثنون من العذاب الذي كلما نزل أصابهم كما يصيب الجاحدين؟!.

لعل أهم سبب في ذلك أنهم تركوا وظيفتهم التي قُلِّدوها. حين قيل لهم عرفتم الحق فادعوا إليه، وأدركتم الباطل فجاهدوه. فلم يحركوا ساكنًا، ووقفوا متفرجين فنسيهم ربهم من فضله. وعممهم بعقابه وأشركهم في ذلك مع المجرمين. مصداقًا لقول الله عز وجل من قائل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٢). نعم إن وظيفة المؤمنين التي جعلوها وراء ظهورهم في هذه الأيام هي الدعوة إلى دين الله الذي اعتنقوه. والحق الذي عرفوه.

إن الدعوة إلى الله ودينه فرض من فروض الإسلام. وليست تطوعًا ولا نفلاً. بل إن الجهاد بالدعوة يقع من الإيمان في خمسة مواقع:

فهو أولاً: مقتضى من مقتضيات الإيمان، والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

وهو ثانيًا: علامة الإيمان الصادق.

وهو ثالثًا: وقاية للإيمان من الضعف والضمور.

وهو رابعًا: غذاء للإيمان وتنمية له.

وهو خامسًا: شرط لتمام الإيمان وصدقه(٣).

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٥ .

(٣) الجهاد، ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم يس، ص٨٢، ٨٣.

الحديث رقم (١٢٩١)

١٢٩١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((مُؤْمنٌ[1] يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبيلِ اللهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ فِي شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الانشائى القائم على الاستفهام حيث يقول الرجل للرسول الكريم: " أي الناس أفضل ؟ " فنراه هنا لا يسأل عن الأعمال، إنما يسأل عمن يقومون بتلك الأعمال؛ لأن الناس معادن منها ما هو طيب، ومنها ما هو غير ذلك أما الطيب، فإنه يوصف بالفطرة النقية، ويعتنق الفضيلة من أول وهله وهذا من أفضل الناس الذين سئل عنهم المصطفى ﷺ فأجاب بقوله: " مؤمن – يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله "وفيه إيجاز بالحذف أي أفضل الناس مؤمن. لأن الإيمان هو المتصرف في الجوارح، وكأنه قال: الإيمان بالله هو الذي شكل المؤمن وجعله يجاهد بنفسه، وماله في سبيل الله، وللأفعال المضارعة في قوله: " يجاهد. . يعبد الله. . يدع الناس " دلالات مؤثرة في إيضاح هوية ذلك المؤمن الذي هو في جهاد مستمر لنفسه، وللشيطان، وعبادة متصلة، وبعد عن الشر، والأذى، و لا يتسبب في الحاقهما بأحد يؤكد ذلك الجناس بين شعب، والشعاب تأكيدا للعزلة التي تقتضي قلة المعاملة التي قد تحدث الظلم أو

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (رجل)، والمثبت لفظ البخاري، ولفظ مسلم برقم (١٢٣/١٨٨٨) وتبع المؤلف المنذري في ترغيبه وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٢٢/١٨٨٨) واللفظ له، وتقدم برقم (٥٩٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٢).

الأذى ثم إن اعتزاله ليس رغبة في العزلة بل رغبة في العبادة، وتفريغ القلب لله؛ لأنه محكوم بإيمانه في الحركة، والسكون.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٥٩٨.

الحديث رقم (١٢٩٢)

١٢٩٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

رباط يوم: الرباط: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم[2].

الرَّوْحَةُ: المرة الواحدة من الرَّوَاح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[3].

الغَدْوَة: بالفتح المرة الواحدة من الغُدُوّ، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه[4].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري، وهذا يتناسب مع مقام البشريات التي يبشر بها النبي أمته؛ لأن الله أطلعه على هذا الأجر العظيم لمن جاهد في سبيل الله، أو غدا أو راح، وكلمة " رباط " توحي بأن المؤمن يوقف نفسه على عمل الخير، وكأنه يربطها

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٨١/١١٣) اللفظ الأخير. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٢٨، ١٩٠٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٣) المرجع السابق ١٧/٦.

(٤) المرجع السابق ١٧/٦.

برباط لا تتزحزح عنه حتى، ولو كان ذلك الرباط في " يوم " واحد، بشرط أن يكون الله على باله، وفى قلبه، وفكره، ونيته، ولذلك قال " في سبيل الله " و " في " للسببية وقوله: " خير من الدنيا وما عليها " يشير إلى أن المرابطة في سبيل الله بفضل الدنيا، وما عليها، وقوله (وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ) كناية عن عظمة نعيم الجنة الخالد، والغدوة، والروحة في سبيل الله كل هذا. فوق الدنيا وما عليها؛ لأن (على) تفيد الاستعلاء، والعجيب أن هذه الجملة كررت ثلاث مرات في الحديث للتأكيد على هذه الحقيقة التي ينشغل الناس عنها بمتع الدنيا، وغفلتهم عن الآخرة، وهذا حق؛ لأن عمل الخير أبقى من الدنيا التي لا تعدل عند الله جناح بعوضه.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضل الرباط في سبيل الله: اتفق الفقهاء على أن الرباط في سبيل الله من أفضل الأعمال وأن المرابط يجري عليه عمله إلى يوم القيامة وأنه يؤمن من فتنة القبر[١].

٢- حكم الرباط بسد الثغور: اتفق الفقهاء على استحباب الرباط بسد الثغور خوفًا، وأنه من أفضل الرباط حتى لا يفاجئ العدُو المسلمين في عقر دارهم، لأن في مفاجأتهم إزلالهم[٢].

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٧/٥، حاشية رد المحتار ١٢٢/٤، المدخل لابن الحاج ١٩٠/٣، المنتقى شرح الموطأ، ابو الوليد سليمان الباجي ١٦١/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٧/٩-١٦٨، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٨/٢، ٥٠٩، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٤/٣.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٧/٥، حاشية رد المحتار ١٢٢/٤، المدخل ١٩٠/٣، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٦١/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٨/٩، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٨، ٥٠٩.

٣- تعظيم أمر الجهاد وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أعظم من جميع ما في الدنيا، فكيف لمن حصل على أعظم الدرجات[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل وثواب الرباط والجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله:

جاء في الحديث حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله، فقال ﷺ رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها، كما جاء الأمر بالرباط في كتاب الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، وذلك أمر من الله للمؤمنين بالمرابطة والإعداد لذلك، وذلك ليكونوا دائمًا على حذر من عدوهم[٣]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٤].

وفي ذلك: دعوةٌ من الله عز وجل وأمرٌ بالاستعداد الدائم، ولقد جاءت الأحاديث النبوية وآثار السلف تبين أهمية أخذ الحذر والحيطة والكون على أهبة الاستعداد لأي أمر يوجب عليهم النفرة في سبيل الله، وما يتبع ذلك من تدريب مستمر على وسائل الحرب وأساليب الجهاد.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩/٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ٢٠٨/٤/٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

روي عن عطاء بن أبي رباح قال: ((رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما يرتميان، فَمَلَّ أَحَدُهُمَا فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ الآخَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ لَهْوٌ، أَوْ سَهْوٌ إِلاَّ أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَشْيَ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلاَعَبَتَهُ أَهْلَهُ، وَتَعْلِيمَ السِّبَاحَةِ))[١].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢]؛ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[٣].

وعن عمر رضي الله عنه قال: « كانت أموالُ بني النَّضيرِ ممّا أفاءَ اللهُ على رسولهِ ﷺ ممّا لم يُوجِفِ المسلمون عليهِ بخَيلٍ ولا رِكاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصةً، وكان يُنفِقُ على أهلهِ نَفَقةَ سَنَتهِ، ثمَّ يجعلُ ما بقيَ في السلاحِ والكُراعِ عُدَّةً في سبيلِ الله»[٤].

وعن عبدالرحمن بن شماسة: «أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ. قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلاَ كَلاَمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لاِبْنِ شُمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى»[٥].

وعن علي رضي الله عنه قال: « ما رأيتُ النبي ﷺ يُفَدِّي رجُلاً بعد سعدٍ - وكان راميًا - سمعتهُ يقول: "ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي"»[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٧٨٥، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣١٥).

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠ .

(٣) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٠٤، ومسلم ١٧٥٧.

(٥) أخرجه مسلم ١٩١٩.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠٥، ومسلم ٢٤١١.

ولقد كان رسول الله ﷺ يغرس في نفس المسلمين المنافسة والإقبال على تعلم فنون القتال، ويثنى على ذلك.

فروى عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «مرَّ النبيُّ ﷺ على نفرٍ من أسْلَم ينتضلون، فقال النبيُّ ﷺ: ارْموا بني إسماعيلَ، فإنَّ أباكم كان راميًا، ارْموا وأنا معَ بني فلان. قال: فأمسَكَ أحدُ الفَريقينِ بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: مالَكم لا تَرْمون؟ قالوا: كيفَ نَرْمي وأنت معهم؟ فقال النبيُّ ﷺ: ارموا فأنا معكم كلِّكم»[١].

وقوله "ينتضلون" أي يترامون، والتناضل الترامي للسبق، وفي الحديث تنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله وتطييب قلوب من هم دونه، وفيه حسن خلق النبي ﷺ ومعرفته بأمور الحرب، وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها وفيه حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ[٢].

وذلك أمر من الله بالإعداد وأخذ الأهبة والاستعداد والحذر والحيطة قدر الطاقة والإمكان والاستطاعة[٣].

وذلك عملاً بعموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[٤]، قال ابن عطية احذروا واستعدوا بأنواع الاستعداد من أخذ السلاح وغيره[٥]، وذلك أن أخذ الحيطة والبقاء على أهبة الاستعداد يجنب الأمة الأخطار الكثيرة[٦].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: بيان فضل وثواب الرباط والجهاد في سبيل الله:

لقد تضافرت النصوص القرآنية والنبوية على بيان عظم ما أعد الله للمجاهدين

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦/١٠٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/ ٨٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١ .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٤/١٧٢.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥/١٨٢٢.

والمرابطين في سبيل الله، من عظيم الأجر وجزيل الثواب، ومن ذلك ما جاء في الحديث من قول رسول الله ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"، وجاء التعبير في الحديث بقوله: "وما عليها" للمبالغة[١]، وهذا الحديث من صرائح الأدلة في عظم أجر المرابطة والجهاد في سبيل الله[٢]، ففي الحديث أخبر النبي ﷺ أن صغير الزمان، وصغير المكان، في الآخرة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا، تزهيدًا فيها وتصغيرًا لها وترغيبًا في الجهاد إذ بهذا القليل يعطيه الله في الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها، فما ظنك بمن أتعب نفسه وأنفق ماله[٣]، وذلك لما للجهاد من أهمية، فهو الوسيلة لحماية العقيدة، وتأمين الدعوة، ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير[٤].

لذا جاءت النصوص التي تبين ما أعده الله للمجاهدين والمرابطين من ثواب وأجر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٥]، وعن فضال بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ الْمُرَابطَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَنْمو لَهُ عَمَلُهُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤمَّنُ مِنْ فتَّانِ الْقَبْرِ»[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٢) انظر : شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٦.

(٤) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ص ٨٤.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٦) أخرجه مسلم، ١٥٦.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في الرباط والجهاد في سبيل الله بثواب لا يعادله ثواب، ونعيم لا يدانيه نعيم الدنيا بأسرها لو تصور أنها كانت لإنسان، فقال ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها". وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا وأعظمها أثرًا، وذلك أن الإنسان إذا علم بما أعده الله له من ثواب تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من مستحقيه، وسعى له سعيه، فكان من المتقين ومن المحسنين، ومن الذاكرين، ومن الأوابين المنيبين الذين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]،[2]، وثمرة الترغيب تكمن وتتجلى في حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله، والرهبة من عقابه. وذلك يجعله تتوق نفسه إلى ما أعده الله لعباده الطائعين فيزداد طاعة وتقوى ويتولد عنه من الأمل ما يبعثه على النشاط والعمل للدار الآخرة.

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٢٩٣)

١٢٩٣- وعن سَلْمَانَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ فيه جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

غريب الألفاظ:

رباط يوم وليلة: الرِباطُ: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم[2].

وأمن الفتّان: أي فتّانَيْه وهما: منكر ونكير، من الفَتْن: الامتحان والاختبار[3].

الشرح الأدبي

هذه بشريات كثيرة جاءت على لسان الصادق الأمين ﷺ بأسلوب خبري يدل على أن الله تعالى قد أعلى منزلته، وأطلعه على هذا الجزاء السار للمجاهدين في سبيل الله تعالى " والرباط " جاء من المرابطة، وكأن المجاهد قد " ربط " نفسه للدفاع عن حرمات الأمة، وأعراضها، وأموالها، ولذا فإن ثواب المرابطة أفضل من صيام شهر، وقيامة كما جاء في الحديث؛ لأن الصائم هو المستفيد من صيامه وقيامه – أما " المرابط " فيفيد المجتمع بصفة كلية، ويستفيد هو ضمناً ويكافأ المرابط بثلاثة أشياء: أولها: إن مات جرى عليه ثواب عمله، وثانيها: وأجرى عليه رزقه - وثالثها: وأمن الفتان، وجاءت

---

(١) برقم (١٦٣/١٩١٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٢٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ت ن)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩.

الأفعال الماضية في هذه البشريات السارة لتدلل على أن هذه الأمور محققه بلا ريب، ولا شك فهو يجرى عليه ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا، وكذلك رزقه لزويه من، بعده، ويأمن من فتنة القبر، وسؤال الملكين؛ لأنه تسبب في جلب الأمن إلى المجتمع فأمنه الله تعالى من فزع القبر، وسؤاله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للأمور الغيبية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الرباط في سبيل الله وبيان فضل ذلك.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: ثواب رباط يوم وليلة في سبيل الله.

رابعًا: من أهداف الدعوة: استنهاض المدعوين للجهاد في سبيل الله.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للأمور الغيبية:

إن من معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلية وما أطلعه الله عليه من ثواب الأعمال وإخباره عنها[2]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيانه ﷺ لثواب الرباط في سبيل الله تعالى "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر" فكما جاءت الأدلة تدل على أن الله قد اختُصَّ بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه جاءت أدلة أخرى تفيد استثناء الله من خلقه من ارتضاه من رسله فأطلعه على بعض غيبه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[3]، وقال القاضي عياض: "وهذه المعجزة من

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٩٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٩٤.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر"[١].

فقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على المغيبات: فروى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ من نسيهِ»[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الرباط في سبيل الله وبيان فضل ذلك:

إن أخذ الأهبة والاحتياط ومرابطة الثغور وحراستها من الفضائل التي حث عليها الإسلام[٣]، ومن ذلك ما جاء في الحديث، "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأَمِن الفتّان". وذلك من إعداد العدة التي أوجبها الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

ففي هذه الآية يوصي الله عز وجل المسلمين ويحضهم على الصبر على الطاعات وعن الشهوات؛ فقال (وصابروا) ومعناه مصابرة الأعداء، وهو قول الجمهور وقيل على الصلوات وقيل إدامة مخالفة النفس عن شهواتها فهي تدعو وهو ينزع، وقوله (رابطوا) من المرابطة أي رابطوا أعداءكم، والرباط هو الملازمة في سبيل الله أصله من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطًا فارسًا كان أو راجلاً.

وعن فُضَالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ

---

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٣٢٩/١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣.

(٣) انظر: الجهاد، ميدانية وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين، مكتبة الأقصى، عمان، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٥٤.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

إلاَّ الْمُرَابطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤْمَّنُ مِنْ فِتَّانِ الْقَبْرِ»[١]، فبيان أجر الرباط في سبيل الله وعِظَمه، دلالةٌ على أهمية الجهاد في سبيل الله في إقرار الأمن وعموم السلام، فلولا الجهاد لاستفحل الشر ولفسدت الأرض[٢]، فالإسلام شرع الجهاد ضمانًا لرد الاعتداء، ودفعًا للظلم، لتتوافر للناس حرياتهم وتسلم لهم مقدساتهم، وإن تأمين الناس ورفع الفتنة التي يمتد لهيبها إلى الإنسانية دون تفرقة، قوة أمن ذاتية تقوم مع الإسلام بشكل طبيعي عادلة معتدلة، لتنحسر الفتنة وينكمش الفساد[٣]، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: ثواب رباط يوم وليلة في سبيل الله:

لقد جاءت النصوص مبينة فضل الرباط في سبيل الله تعالى والسهر لحماية البلاد من الأعداء، وقت السلم فضلاً عن الحرب، وأن نعيم الجنة لا يعادله نعيم، وبيان أن الرباط أفضل العبادات، لأن نفعه متعد إلى الغير، ونفع العبادة مقتصر على صاحبها، وبيان أنه سبب في النجاة من عذاب القبر واستمرار أجر العمل بعد الموت، كما لو كان حيًا إلى يوم القيامة والتمتع برزق الجنة بعد الموت[٥]. ولما كان للرباط في سبيل الله من منزلة اختص الله سبحانه وتعالى صاحبه ببعض الفضائل التي لا يشاركه فيها أحد[٦]، ومنها ما جاء في الحديثين من التصريح بعظم ثواب الرباط في سبيل الله، وبيان فضله، وذلك لما فيه من إعلاء كلمة الله وحفظ دين الله وحفظ المسلمين، فقال ﷺ: "رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٦.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

(٣) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي، ص ٥١٩.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٧٣.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٦٣٥.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٢٢٤.

يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان". وقال: ((كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ)).

قال القاضي عياض: وهذه فضيلة مختصة بالمرابط. أن عمله يجرى له أجره بعد موته[١]. وقال العظيم آبادي "في شرح الحديث" ينمي له عمله " أى أن ثوابه يجري له دائمًا ولا ينقطع بموته وقوله "يؤمن فتنة القبر" يحتمل أن يكون المراد أن الملكين لا يجيئان إليه، ولا يختبرانه بل يكفي موته مرابطًا في سبيل الله شاهدًا على صحة إيمانه، ويحتمل أنهما يجيئان إليه لكن لا يضرانه ولا يحصل بسبب مجيئهما فتنة[٢]، واستحق المرابط في سبيل الله هذا الثواب لما للجهاد والرباط في سبيل الله من منزلة جعلته أفضل الأعمال، إذ أنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه[٣]، فليس ثمة عمل يعدله[٤].

والمراد بالرباط في أحاديث الجهاد الإقامة في ثغر للحراسة وأصله من ارتباط الخيل في الثغر للحرس، وقال أبو عمر: "شرع الجهاد لسفك دماء المشركين وشرع الرباط لصون دماء المسلمين، وصون دماء المسلمين أحب إلى من سفك دماء المشركين"، وهذا يدل على أن الرباط أفضل عنده من الجهاد، وقد اختلف في ذلك، فقيل الجهاد أفضل، وقيل الرباط أفضل، وقوله "وإن مات جرى عليه عمله" قال الأبّى: "يعني أن الثواب المرتب على رباط اليوم والليلة يجرى له دائمًا... ولا يعارض هذا الحديث حديث "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث" إما بأنه لا مفهوم للعدد في الثلاث، وإما بأن يرجع هذا إلى إحدى الثلاث، وهو صدقة جارية[٥].

فإن الصدقة الجارية، والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه، ينقطع

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٦.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقى العثماني ٢٨١/٩.

ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد، والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة، لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يتمكن منها، إلا بالسلامة من العدو، والتحرز منه بحراسة بَيْضة الدين وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة[1].

قال النووي: هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد، وقد جاء ذلك صريحاً فيما روى عن فضالة بن عبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر"[2]، وقوله:"أجرى عليه رزقه" موافق لقوله تعالى: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]،[4]، وقوله "أمن الفتان" قال الشيخ ابن عثيمين: "أنه يأمن من فتنة القبر"[5].

رابعًا- من أهداف الدعوة: استنهاض المدعوين للجهاد في سبيل الله:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة استنهاض همم المدعوين للجهاد في سبيل الله، وذلك ببيان الثواب المترتب على الجهاد وبذل النفس والمال في سبيل الله تعالى، كما جاء في الحديث "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان" ، ولا يقف الإسلام في سبيل إعداد الأمة وتربيتها على القوة عند حد رفع الروح المعنوية، بالمفهوم الشائع الصغير، ولا يعتمد إلى استثارة حماسة العاطفة أو التعصب، بل يصل إلى غايته بالتربية العميقة الهادئة والإيمان الراسخ بالحق والتمسك الكامل بالمنهج والطاعة الواعية لأوامر الله، والجهاد الدائم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٣٢٢-٣٢٥.

(٢) أخرجه أبي داود، ٢٥٠٠، والترمذي، ١٦٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٢١٨٢).

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٦٩ .

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ١٢٢٤.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٤٠، ١٤٤١.

لخير بني الإنسان، وتحقيقًا لهذا الإيمان والتربية والتجرد الكامل لله تعالى عقد القرآن بين الله سبحانه وبين المؤمنين مبايعة اشترى الله فيها أنفسهم وأموالهم بالجنة[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

وهذا من بالغ فضله وعظيم إحسانه، بأن اشترى من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به[٣].

وجاءت النصوص النبوية الكثيرة في التحفيز على الجهاد في سبيل الله ومنها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حتى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»[٤].

إن المجتمع الذي يسعى لأن يكون مجتمعًا إسلاميًا وربانيًا لابد أن يجاهد في الله حق جهاده، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٥].

وحق الجهاد هو التصدي لكل عدو يقف أمام دعوة الله، وممارسة جميع الأنواع التي يتم بها صيانة دماء المسلمين، وتعبيد الطرق وإزالة العقبات من أمام الدعوة إلى الله تعالى.

إن ترك ثغرة من الثغور وفسح المجال لعدو من الأعداء ليس مقبولاً في الدين الإسلامي.

---

(١) الجهاد في الإسلام، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٩٧، ١١٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٧/٨/٤.

(٤) أخرجه الترمذي، ١٦٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٣٣٣).

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨ .

إن قيمة جهاد المؤمن عند الله تعالى هو مقدار التضحية التي يقدمها بجهاده في سبيل الله تعالى: فما كان أشد تضحية كان أفضل عند الله عز وجل، وأثقل في الميزان لدلالته على قوة الإيمان بالله وشدة الثقة بما عنده.

ولاشك في أن التضحية بالنفس هي أعلى أنواع التضحية وأكرمها عند الباري تبارك وتعالى، إذ أثمن ما يملك العبد نفسه، وهي أصل كل ثمين، ومرجع كل لذة في هذه الحياة الدنيا، فمن ضحى بها بذل كل ما يملك ولا يَسْتَبْق لنفسه شيئًا، وإنما قدمه في سبيل ربه.

فإن كانت نيته خالصة لله تعالى، كان أكرم الشهداء عند رب العباد.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢)، (٣).

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في الرباط في سبيل الله بما يترتب على ذلك من خصوصيات وأفضلية، منها: جريان ثواب العمل والأمن من فتنة سؤال مَلَكَيْ القبر، كما جاء في الحديث "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر"، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة المفيدة وهو وسيلة قوية للتأثير على المدعو

(١) سورة النساء، آية: ٩٥ .

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٩، ٢٠ .

(٣) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم يس، ص٢٢٥-٢٢٨.

وجذبه إلى الدعوة والطاعة رغبة فيما عند الله(١)، وكان الترغيب أكثر الأساليب استخدامًا في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٣)، إذ أن الترغيب يولد الأمل، ويبعث على النشاط والعمل للآخرة، ويحبب إلى المسلم الطاعات، وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان(٤).

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ص ٤٤١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٢٩٤)

١٢٩٤- وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ المُرَابِطَ**[1] **فِي سَبيلِ اللهِ، فَإنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُهُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥١٤).

غريب الألفاظ:

المرابط: هو الملازم للثغر [حدود البلاد][3].

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث على الأسلوب الخبري وتحمل كلماته أخباراً تدخل السرور على قلب كل مرابط وترغب في الرباط في سبيل الله لما له من قيمة في نشر الإسلام، وحماية الأمة، وحماية مقدَّراتها، وحماية أفرادها في سبيل الله تعالى - ولفظ "كل" في قوله: "كل ميت يختم على عمله" يفيد الشمول، والاستغراق، ولكن المصطفى علية الصلاة، والسلام يستثنى صنفان من الناس فيقول: "إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر " ونلاحظ أن الرسول الكريم يؤكد مضمون كلامه بأن، والضمير العائد على المرابط لتعظيم الخبر وصرف المخاطبين للعناية به، والفعلين المضارعين "ينمى" و"يؤمن" اللذين يدلان على الاستمرار، والتجدد

---

(١) لفظ الترمذي: (الذي مات مرابطًا)، والمثبت لفظ أبي داود، تبع المؤلف المنذري وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٢٤)، وقال الحاكم (١٤٤/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٣٠).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٨٩.

ولا شك أن نمو عمله، وتأمينه من فتنة القبر من أكبر المنح الربانية التي يهبها الله تعالى للمجاهد في سبيله، لأنه أدخل السرور على قلوب المحيطين به، وأمنهم من أعدائهم فأمنه الله تعالى من فتنة تعد من أعظم الفتن على الإطلاق، وهى فتنة القبر، نسأل الله عز وجل أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفى الآخرة. اللهم أمين

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٩٥)

١٢٩٥- وعن عثمان رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

غريب الألفاظ:

رباط يوم: الرباط: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منه[٢].

الشرح الأدبي

الرسول الكريم يرغب في الجهاد في سبيل الله تعالى بشتى الأساليب فنراه يذكر هنا أن المرابطة في سبيل الله "ليوم" واحد، خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل بالنسبة لبقية الأيام التي ليس فيها جهاد، وكلمة "رباط" كلمة موحية بأنه أوقف نفسه لله تعالى، وحبسها عليه مخاطرا بروحه، قائما على خوف دائم حسبة لله -تعالى- وتبين أن الذي يفعل ذلك جعل الله تعالى نصب عينية، ويقوم بذلك من أجله عز وجل - ولذلك تكررت عبارة: "في سبيل الله" في معظم أحاديث الجهاد، لاستحضار النية الصادقة، والهدف الأسمى، والتنكير في كلمة: "يوم" يوحى بأن المعتد به في العمل هو الكيفية، والإتقان، والإخلاص في ذلك العمل، ولو كان قليلاً فيوم واحد بنية صالحة، وعمل خالص خير من ألف يوم بلا نية، ولا إخلاص ،وذكر العدد (ألف) مبالغة في تعظيم الجزاء، لأنه قد يزيد، ولكن لن ينقص مما يشير إلى عظمة المرابطة لحماية ثغور المسلمين، وحماية الأمة، والله أعلم.

---

(١) برقم (١٦٦٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٠٩)، وقال الحاكم (٦٨/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرباط في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ثواب المرابطين في سبيل الله.

ثالثًا: من مهام الداعية: حض المدعوين على الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الرباط في سبيل الله:

إن الصراع بين الحق والباطل سنة كونية، ودائمًا تكون الغلبة في النهاية للحق، لأنه الثابت النافع، كما تكون الهزيمة للباطل لأنه هو الزهوق الضار، وهذه سنة الله التي أبان عنها في كتابه في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]، ومن سنن الله: ألا يقوم الحق وحده، وإنما ينهض بالرجال الكبار[2]، الذين وهبوا أنفسهم للحق والدفاع عنه والذود عن حياضه، لذا اختصهم الله بعظيم الأجر وجزيل الثواب، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيان فضل الرباط في سبيل الله تعالى، فقال ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، لما في الرباط من فضل في حفظ حوزة الإسلام، وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار في سائر الليالي والأيام[3]؛ إذ أن في الرباط حفظًا لثغور الإسلام وصيانتها، ودفعًا عن المسلمين، وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو ولذا قال بعضهم: الرباط هو أصل الجهاد وفرعه[4].

إن الرباط أحد الأمور الرئيسة التي أمرنا الله بإعدادها وملازمتها حماية للإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٢) انظر: عناصر القوة في الإسلام، الشيخ سيد سابق ص ٢٣ - ٢٤.

(٣) الاجتهاد في طلب الجهاد، ابن كثير ص ٦١ - ٦٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٧٧.

إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[١].

حيث الهدف من ذلك هو إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي. ومعنى القوة هنا يتسع ليشمل كل عناصر القوة ماديًا ومعنويًا كالقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية بالإضافة إلى القوة العسكرية[٢]، وذلك كله ما شملته غزوات الرسول ﷺ ضد أعداء الإسلام من كفار ويهود ومنافقين، وبهذا الأمر من الله للمسلمين سلط اللهُ النبيَّ والمسلمين على العدو، والمتربص بهم، والكائد لهم، وذلك من خلال ما أعدوه من القوة رجالاً وسلاحًا لإيجاد الرهبة والخوف والاضطراب في نفس العدو. "وهذا الإرهاب لمنع العدو وزجره حتى لا تحدثه نفسه بالحرب حين يرى القوة الراصدة له"[٣]، وذلك ما يُستشف من جميع الغزوات التي خاضها الرسول ﷺ سواء في أحد أو بدر أو غزوة الخندق وخيبر، وحنين، وبني المصطلق التي جميعها أظهرت لأعداء الإسلام الاستعداد التام من خلال مصاولتهم مما أوقع في نفوسهم الرعب[٤].

وذلك المراد من الإعداد والتيقظ، كما جاء في صريح الآية: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[٥].

قال القاسمي في تفسير هذه الآية: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، اتقاءً لبأس العدو وهجومه. ولَمّا عمل الأمراءُ بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزا عظيمًا، أَبيُّ الضيم، قوي القنا جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلكته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد وعاش بنوه أحقابًا

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) النظريات الإسلامية في الحرب النفسية، محمد جمال الدين محفوظ، القاهرة: ١٩٨١م، ص ٢٤.

(٣) المدرسة العسكرية الإسلامية، محمد فرج، المكتبة العصرية، بيروت: ١٩٩٧م، ص ١٣٢.

(٤) غزوة حنين، محمد أحمد باشميل ص ١١.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة وشعوب، وزمام الحول والطول وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر للحرب بل كلها مما يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به قبل أن يداهم ما بقي منها بخيله ورَجِلِهِ، فيقضي - والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار. وبالله الهداية.

وقوله تعالى: (آخرين) أي وترهبون قومًا آخرين (من دونهم) أي من دونَ مَنْ يُظْهِر عداوتكم، وهم المنافقون (لا تعلمونهم) أي أنهم يعادونكم (الله يعلمهم) أي أنهم أعداؤكم، يظهرون عداوتهم إذا رأوا ضعفكم. ثم شجعهم سبحانه على إنفاق المال في إعداد القوة، ورباط الخيل، مبشرًا لهم بتوفية جزائه كاملاً، بقوله تعالى: (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي الذي أوضحه الجهاد (يوف إليكم) أي في الدنيا من الفئ والغنيمة والجزية والخراج، وفي الآخرة بالثواب المقيم (وأنتم لا تظلمون) أي بترك الإثابة"[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: ثواب المرابطين في سبيل الله:

إن مما هو معلوم أنه لا بد للمجتمع من حماية ونظام دفاعي يرد عدوان الطامعين، ويدفع عادية المهاجمين، ويخيف المتربصين المتآمرين[2]، ومن هنا كان تشريع الإسلام للجهاد وبيان فضل وثواب الرباط في سبيل الله وإعداد الله لأهله ما لم يعده لغيرهم، ومن ذلك الثواب: ما جاء بيانه في الحديث، فيقول ﷺ: (ورباط يوم في سبيل الله خير

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨٥/٨/٥ - ٨٦.

(٢) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي ص ١٢٨.

من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، أي: خير من ألف يوم فيما سوى الرباط أو فيما سوى سبيل الله[١]، والقصد من ذلك الإخبار بتضعيف أجر المرابط في سبيل الله على غيره[٢].

إضافة إلى ما جاء في النصوص الأخرى من جريان ثواب عمله عليه إلى يوم القيامة وعدم انقطاعه، فعن فضالة بن عبيد ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ الْمُرَابِطُ فإنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمَّنُ مِنْ فُتَّانِ الْقَبْرِ))[٣].

ولذا جاءت الأحاديث عَادَّةً فَضْلَ الرباط في سبيل الله بأنه سبب للوقاية من فتنة القبر وغيره، وأنه ليس كغيره من الأعمال، وأن المرابط إذا مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله دونما انقطاع وإنما استحقه المرابط في سبيل الله هذا الأجر وأكرم بهذا الثواب؛ لأن المرابط في سبيل الله مُعرض للقتل إذا ما أغار عليه العدو، والرباط في سبيل الله نفعه متعد، حيث إن هذه الثغور إن لم تحرس أغار منها الأعداء على المسلمين، فيكون وجود هذا المرابط في هذه الثغور حاجزًا منيعًا أمام الأعداء، فيأمن الناس على نفوسهم وأموالهم، فحُقَّ لمن كان سببًا في أمان الناس واطمئنانهم وعدم ترويعهم أن يؤمنه الله ويطمئنه ولا يروّعه في قبره، والجزاء من جنس العمل.

وإن مات في رباطه هذا أجرى الله تعالى له عمله ونماه له إلى يوم القيامة. فيكون في قبره آمنًا من عذاب الله، ويجرى له ما كان يعمله من رباط وعمل إلى يوم بعثه، ويوم حشره. وفي ذلك ترغيب وتشجيع للمسلم للدفاع عن المسلمين وديارهم ودينهم من عدوهم وعدو ربهم. فمن كان كذلك آمن من فتنة القبر[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: حض المدعوين على الجهاد في سبيل الله:

من مهام الداعية الواجب عليه الاضطلاع بها تحفيزُ المدعوين على الجهاد والمرابطة

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ١٤٨١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٥٦.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٤٩.

في سبيل الله، وترغيبهم فيه ببيان الأجر المترتب عليه، ومنه ما جاء في قوله ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، وذلك تمشيًا مع توجيه الوحي وسياسة الواقع، وحفاظًا على حق الله تعالى، وحق الحياة[1]، قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[2]، أي: حرض المؤمنين على القتال ورغبّهم فيه وشجعهم عنده، فتتبعث هممهم على مناجزة الأعداء ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله ومقاومتهم ومصابرتهم[3]. وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين، وقوة قلوبهم من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم وبما أعد للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال[4].

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي ص ٢٠٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٦٧ - ٣٦٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٤.

الحديث رقم (١٢٩٦)

١٢٩٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلاَّ جِهَادٌ فِي سَبيلِي، وَإيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَيَّ أنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ[1] الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ[2] مِنْ أجْرٍ، أَوْ غَنيمَةٍ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبيلِ اللهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ[3] كُلِمَ؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ[4] مِسْكٍ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ أنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبيلِ اللهِ أبداً، وَلكِنْ لاَ أجِدُ سَعَةً فأحْمِلُهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أنْ[5] أغْزُوَ فِي سَبيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ)) رواه مسلم، وروى البخاري بعضه[6].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تضَمَّنَ: ضَمِنَ[7].

فهو عليّ ضامن: فيه وجهان، أحدهما: أنه بمعنى مضمون كماء دافق ومدفوق، وثانيهما: أنه بمعنى ذو ضمان[8].

---

(١) لفظهما: (مسكنه)، والمثبت لفظ المنذري.

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (نائلًا ما نال) والمثبت عنده برقم (١٨٧٦/١٠٤).

(٣) لفظ مسلم: (حين) والمثبت لفظ المنذري.

(٤) (ريح) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (١٨٧٦/١٠٥)، وكذا عند المنذري.

(٥) لفظ مسلم: (أني)، والمثبت لفظ المنذري.

(٦) أخرجه مسلم (١٨٧٦/١٠٣)، والذي عند البخاري برقم (٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩١١).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض م ن).

(٨) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

غنيمة: الغنمية: ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب[١].

الكَلْم: الجرح[٢].

مِسْك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[٣].

السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا[٤].

سَعَةً: طاقة وقوة[٥].

الشرح الأدبي

لقد بشر رسول الله ﷺ المجاهدين بالجنة، وذلك عن طريق الفعل الماضي " تضمن الله " أي ضمن الله الجنة، " لمن خرج في سبيله " وهو فعل يدل على تحقق وقوع ذلك الجزاء العظيم من وجوه: أولا: أنه في صورة الماضي المتحقق، ثانيا: من جهة دلالته على الكفالة، والضمان، ثالثا: من جهة نسبة الفعل لله، وما يضمنه الله محقق لا محالة، رابعا: من جهة صيغة (تضمن) وتشديد الفعل وصيغة التفعل التي تفيد مزيد عناية، ومبالغة في التحقق، ثم بيَّن شرط ذلك فقال: " لا يخرج إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي " وتصديق برسلي، فهو ضامن على أن أدخله الجنة " وهو يقرر ضرورة توفر الإخلاص في ذلك ، فالإيمان بالله، والتصديق بالرسل يؤديان إلى البذل، والتضحية بالنفس، والمال ابتغاء مرضاة الله جل في علاه، ونلاحظ أن المصطفى ﷺ أقسم – في هذا الحديث – ثلاث مرات وهو الصادق الذي لا يحتاج إلى قسم، (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) ولكنه يؤكد المعنى للمخاطب تعظيما للخبر في نفوس السامعين، وحملا على

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ن م).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٨، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ع).

العناية به، ودفعا لتوهم المبالغة لعظمة الثواب التي جعلت الرسول ﷺ، - وهو في مقام النبوة - يتمنى أن يقتل في سبيل الله ثلاث مرات كما أن القسم تكرر ثلاث مرات على إثبات ثلاث معان بلغت من الفضل مبلغا عظيما فيقسم في المرة الأولى أن أي مؤمن يجرح في الدنيا أثناء الجهاد يأتي يوم القيامة بجرحه لونه لون الدم وريحه ريح المسك وهذا التشبيه له بعد نفسي يجعل المجاهد يفرح، ويسر بالجرح بدلا من أن يحزن، ويتألم؛ لأنه يعلم أن هذا الجرح سيكون يوم القيامة نوط شرف في رقبته يوم القيامة عند الله، وفي المرة الثانية يقسم على أنه لا يريد أن يقعد خلف سرية أي لا يريد ترك سرية تخرج دون أن يكون فيها لولا خوفه أن يشق على الأمة بكثرة الخروج للجهاد ليشعرهم أن الجهاد عزهم في الدنيا، وعزهم في الآخرة بما ينالون من الفضائل، وفي المرة الأخيرة يقسم أنه يود أن يغزو ثم يقتل ثم يغزو ثم يقتل، ،وهو يقرر بهذه الأمنية ويصور بالأفعال المضارعة حياته عبارة عن جهاد متواصل متحقق فيه بذل الروح عدة مرات لبيان منزلة هذا العمل الجليل الذي فيه عز الأمة في الدارين.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان فضيلة من يقاتل في سبيل الله، وعلو درجته، ومَآلَهُ عند الله من الثواب الجزيل والنعيم المقيم[١].

٢- أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته، وبذل نفسه في طاعة الله عز وجل[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإخلاص في الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣/٢٠٥، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/٢٩٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣/٢١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٦.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على المجاهدين في سبيل الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأصحابه وأمته.

خامسًا: من أهداف الدعوة: حماية الدعوة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإخلاص في الجهاد في سبيل الله:

إن العامل الرئيس في استحقاق ثواب الجهاد في سبيل الله هو الإخلاص في سبيل الله، وذلك كسائر الأعمال، وقد أشير إلى هذا الشرط في الحديث في قوله ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي)، وفي ذلك، بيان فضل الخارج للجهاد، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله ويريد لتصديق كلماته الشهادتين وعداوة من أباهما، وقيل: يحتمل أن يريد الأمر بالجهاد وتصديق ما جاء في ثوابه[1].

وقال النووي: "أي: لا يخرجه المُخْرِج ويحركه المُحَرِّك إلا للجهاد والإيمان والتصديق، ومعناه: (لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى)[2]، فإن الله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجه الكريم، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3]: قال: أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، وقال: والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة، وقد دل على هذا الذي قاله الفضيل مثل قول الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[4][5].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون

(١) إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٩٣/٦ بتصرف.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٣) سورة الملك، آية: ٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٧٢/١.

خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ"[١].

وقال ابن القيم: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه"[٢]. إذ أن الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال[٣].

إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يُرد عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورًا، لذا كان على أرباب الأعمال أن يخلصوا فيها لله تعالى وأن يحسنوا فيها الإخلاص، قال ابن القيم: "أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهم أهل (إياك نعبد) حقيقة، فأعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله فمعاملتهم ظاهرا وباطنا لوجه الله وحده لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا، ولا ابتغاء الجاه عندهم ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هربا من ذمهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فالعمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون مِنْ عارفٍ بهم ألبتة بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه، وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٤]، وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٤/٥.

(٢) الفوائد ص ٦٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٤٠/٢.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ٧.

إن الله سبحانه وتعالى، قيد قبول العبادات والأعمال بالإخلاص التام لله رب العالمين، وهو قيد في التكليف الإلهي، أن تكون الأعمال في البدء والمنتهى، دينية ودنيوية، لا يقصد بها سوى وجه الله سبحانه وتعالى، وقد صرح القرآن بأن السابقين قد أمروا بذلك، قال تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(١).

وقد امتدح الله الرسل السابقين بهذا الخُلق، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام وبنيه: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾(٢).

وفي حق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٣).

وفي حق موسى عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾(٤)، وبحقه ورد في سورة طه: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾(٥).

وتمثل الإخلاص في أعلى درجاته في رسول الله ﷺ، وهو ﷺ الإمام لهذه الأمة، فقد خلد الحق لنا بعض أفعاله في القرآن لنتأسى بها، وهي تطبيق عملي للأوامر

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٥ - ٤٨.

(٣) سورة يوسف، آية: ٢٤.

(٤) سورة مريم، آية: ٥١.

(٥) سورة طه، الآيتان: ٨٣ - ٨٤.

الإلهية الصادرة إلينا فيما يتعلق بالربانية، فلقد أمرنا الله بالإخلاص في العبادة، بمعنى ألا نقصد بعملنا سوى وجهه، ولا نجعل من ورائها هدفًا إلا مرضاته، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1]، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

كما ذكر لنا بعض النعم التي أنعم بها علينا، وأمرنا بعدها بأن نعبده وحده، ولا نخضع لغيره ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

وقد أمر ﷺ أن يجاهر بذلك، وأن يُعلنها صراحة: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾[4]، [5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة:

ورد في الحديث بعض الإشارات إلى بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة.

أولاها بأنه التزام فضلٍ وإحسانٍ[6]، بإدخال الجنة، فقال ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادٌ في سبيلي وإيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي)، فهو ضامن أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر وغنيمة.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٢) سورة غافر، آية: ١٤.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٦٤ – ٦٥.

(٤) سورة الزمر، الآيات: ١١ – ١٤.

(٥) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي عوض، ١٥٥-١٥٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٨.

ومعناه: (تضمن الله...) أنه سبحانه وتعالى أوجبه له بفضله، وقوله أن يدخله الجنة له وجهان:

أحدهما: أن يدخله إياه كما جاء في الشهداء في كتاب الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وثانيهما: يحتمل أن يريد دخوله الجنة عند دخول السابقين، والمقربين لها دون حساب ولا عقاب ولا مؤاخذة بذنب، إذ الشهادة كفارة لما تقدم من ذنوبه، كما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ))[٢][٣].

وقال النووي: "أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤]"[٥].

"ففي هذه الآية أخبر سبحانه أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِل العوضَ عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له. ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) أي سواء قَتَلُوا أو قُتِلُوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة"[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ - ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٦.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض ٦/٢٩٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٢١٨.

قال القاسمي: "لما هدى الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان، والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس، استنزلهم لفرط عنايته بهم، عن مقام محبة الأموال والأنفس، بالتجارة المربحة، والمعاملة المرغوبة، بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم، فعوض لهم خيرا مما أخذ منهم. فالآية ترغيبُ في الجهاد وبيان فضيلته، إثر بيان حال المتخلفين عنه.

قال أبو السعود: ولقد بولغ في ذلك على وجهٍ لا مزيد عليه، حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى، وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة، بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية. ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد، أَنْفُسَ المؤمنين وأموالَهم، والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة، الجنة، ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال: (إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم) ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها، إيذانًا بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل (بالجنة) بل (بأن لهم الجنة) مبالغة في تقرر وصول الثمن إليهم، واختصاصه بهم. وكأنه قيل: (بالجنة الثابتة لهم، المختصة بهم).

وفي (الكشاف) و(العناية) ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية، لأنه أبرزه في صورة عَقْدٍ، عاقِدُه ربُ العزة وثمنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط، بل إذا كانوا قاتلين أيضًا لإعلاء كلمته، ونصر دينه، وجعله مسجلاً في الكتب السماوية، وناهيك به من صك. وجعل وعده حقًا، ولا أحد أوفى من وعده، فنسيئته أقوى من نقد غيره. وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم، وهو استعارة تمثيلية، صور جهاد المؤمنين، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه، وإثابة الله لهم على ذلك الجنة، بالبيع والشراء وأتى بقوله (يقاتلون... إلخ) بيانًا لمكان التسليم وهو المعركة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: ((الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ))[1]، ثم أمضاه بقوله: (وذلك هو الفوز العظيم). ولما في هذا من البلاغة واللطائف المناسبة للمقام، لم يلتفتوا إلى جعل (اشترى) وحده استعارة أو مجازًا

(١) أخرجه البخاري ١٣٤٦.

عن الاستبدال، وإن ذكروه في غير هذا الموضع، لأن قوله (فاستبشروا ببيعكم) يقتضي أنه شراء وبيع، وهذا لا يكون إلا بالتمثيل. ومنهم من جوز أن يكون معنى (اشترى من المؤمنين أنفسهم) بصرفها في العمل الصالح (وأموالهم) بالبذل فيها. وجعل قوله (يقاتلون) مستأنفًا لذكر بعض ما شمله الكلام اهتمامًا به"[١].

وثانيهما: ما جاء في إكرامه يوم القيامة بتطييب الجرح والدم، فقال ﷺ: (والذي نفسُ محمد بيده ما من كَلْم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم، لونُه لوْن دم وريحُه ريحُ مسك)، قال النووي: "والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى"[٢]. وجهاده في سبيل الله هو أفضل الأعمال، قال ابن حجر: قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على المجاهدين في سبيل الله:

جاء في الحديث: بيان فضل الله على المجاهدين في سبيله، بأنه يكرمهم بإحدى الحسنيين، إما الظفر بالشهادة، وإما السلامة والغنيمة، فقال ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاده في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة)، وذلك موافق لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[٤]، شهادةٌ أو ظَفَر"[٥]. فلا تنتظرون من حالنا إلا حسنة عاجلة أو حسنة آجلة[٦].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٢٢/٨/٥ - ٣٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠٧ - ١٢٠٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٢/٤.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٤/١٠/٥.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأصحابه وأمته:

إنه لمن المعلوم من الدين بالضرورة ما اتصف به ﷺ من رحمة خاصة بأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، ومن مظاهر رحمته ﷺ ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لولا أن يُشَقّ على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني)، قال القاضي عياض: "قد بيّن في الحديث صورة المشقة، من أنه يشق عليهم التخلف بعده، ولا تطيب أنفسهم بذلك، وأنه لا يقدر على حملهم كلهم، ولا يقدرون هم على ذلك لضيق الحال،وفيه رفقه ﷺ بأمته ورأفته بهم، وأنه يترك من أعمال البر لئلا يتكلفوه هم فيشق عليهم"[٢]، وذلك رحمة منه ﷺ ورعاية لشعور العاجزين عن الخروج للجهاد"[٣].

خامسًا- من أهداف الدعوة: حماية الدعوة الإسلامية:

إن الإسلام عندما شرّع الجهاد، لم يكن بهَدف البغي والعدوان، وإنما ردًا للعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين وهذا أمر تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة [٤]، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٥]، فالدين الإسلامي دين يسالم من يسالمه، ولا يقاتل إلا من يقاتله، أو يمنع نشر

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٦/٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٩.

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي ص ٤٩٥.

(٥) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

دعوته، ويقطع السبيل في منع إبلاغها للناس، فإنهم بمنع إبلاغها يعدّون معتدين على الدين، وعلى الخلق أجمعين [١]، لذا شرع الجهاد، حماية للدعوة وإزالةً للحجب والحواجز أمامها، وتأمينا لحرية الدعوة، والدعاة، والمدعوين، والدفاع عنهم ضد من يقف في طريقهم، حتى لا يخشى من يريد الدخول في الإسلام الفتنة عن دينه[٢].

ومن ثمّ صار الجهاد فريضة في الإسلام، بغية نشر الدين ورد المعتدين، والأهبة للأمرين على الدوام، فإن الحرب ضرورة واجهها الإسلام، وهو الدين الواقعي بالرأي، وقد أذن الله للمسلمين بالقتال متى ظُلموا أو سُدّت الطريق أمامهم لتبليغ دعوتهم، أو لردع المعتدي[٣].

(١) انظر: الجهاد المشروع في الإسلام، عبدالله بن زيد آل محمود، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٩٣.

(٢) غزوة أحد "دراسة دعوية"، محمد بن عيظة بن سعيد بامدحج ص ٦٠.

(٣) سماحة الإسلام، د. عمر بن عبدالعزيز قريشي ص ١٤٩ - ١٥٣.

الحديث رقم (١٢٩٧)

١٢٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَم في سَبيلِ الله إلاَّ جَاءَ يَومَ القِيَامةِ، وَكَلْمُهُ يدْمِي: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسكٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مكلوم: مجروح[2].

مسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[3].

الشرح الأدبي

إذا دخل النفي على النكرة أفاد التعميم في الحكم، وهذا ما جاء في هذه البشارة على لسان خاتم الرسل ﷺ عندما قال: " ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، وكلمة يدمى: اللون لون الدم والريح ريح مسك "، وقوله (مكلوم يكلم) جناس يؤكد أثر الجهاد المبارك في الله، وقوله: " في سبيل الله " قد حدد هوية هذا المجروح وأنه جرح في عمل مشروع يحبه الله، ورسوله، لأن حرف الجر " في " يفيد السببية، وربط ذلك بيوم القيامة للترغيب في الإقبال على الجهاد في سبيل الله بالبدن، والمال، والعلم، والجاه، والجملة الحالية: " وكلمة يدمى. .. " تبين هيئة ذلك المسلم الذي جرح، وأصيب في الدنيا، وترسم صورة لذلك المؤمن وأن الله عنده الخير الكثير الذي ينتظره فاللون لون دم، والريح ريح مسك " والتشبيه يشير إلى الاتفاق الموجد للصلة بين، وبين جرح الدنيا، والمفارقة في الأثر لأنه صار بريح المسك لا ألم فيه بل فخر، وسرور به ينبعث من كلمة مسك " تدخل السرور على قلب المتلقي، وتفرض عليه أن يوقن بكلام

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٦/١٠٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٨٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ل م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

الله، ورسوله، ولذلك صاغه في ثوب القصر الذي يقصر المكلوم على المجيء على هذه الهيئة الموصوفة بلون الدم، وريح المسك تشريفا له، وإشادة به على رؤوس الأشهاد، ثم إن سوق الخبر بهذا التوكيد بالقصر يرغب في الجهاد في سبيل الله، وتحمُّل تبعاته، وله بُعد نفسي يعالج في النفس خوفها من ألم الجراح، والتشويه، ويحوله إلى سبب للسرور، والفخر، كما عالج في أحاديث أخرى خوف الموت، وألمه، وأخبر بأن الشهيد لا يتألم، ولا يخاف أهوال القبر كغيره بل يؤمن منها، ويدخل الجنة، دون حساب، كما أنه عالج أصوات المعترضين من أهله التي تعترض المجاهد عند خروجه، فأوصى بأهل المجاهد غيره من القاعدين، وضمن له الشفاعة في سبعين منهم، حتى يخرج بنفس مطمئنة، ورضا الجميع.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الشهيد يوم القيامة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الجهاد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الشهيد يوم القيامة:

حيث جاء ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون دم والريح ريح مسك)، "وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، ولعل ترك الغسل والصلاة على الشهداء في سبيل الله، أن يلقوا الله عز وجل بكلومهم، واستغنوا بكرامة الله عز وجل عن الصلاة لهم مع التخفيف على مَنْ بقي من المسلمين، لما يكون فيمن قاتل بالزحف من المشركين من الجراح وخوف عودة العدو ورجاء طلبهم، وهممهم بأهليهم وهم أهليهم بهم، والحكمة في ذلك إبقاء أثر الشهادة عليهم والتعظيم لهم"[1]، قال النووي: "والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته، وبذله نفسه

---

(١) انظر: كتاب الأم، الإمام الشافعي ٢٣٧/١، ومغني المحتاج، الشربيني الخطيب ٣٤٩/١ - ٣٥٠.

في طاعة الله تعالى"[١]، ويُشهد له على ظالمه بفعله، وفائدة رائحته الطيبة أن ينشهر في أهل الموقف إظهارًا لفضله[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الجهاد:

إن مما يستنبط من الحديث بيان فضل الإخلاص لله في الجهاد وأنه سبب لقبول الله للجهاد، فقال ﷺ: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله)، فإن صدق النية وإخلاص العمل من أفضل الأعمال وعليه يتوقف قبولها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات)) [٣]، قال ابن رجب الحنبلي: "أي أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها، فإذا افتقر الجهاد إلى إخلاص النية وغلب عليه الرياء لم يكن له نصيب من القبول، وجاء هذا المعنى في مثل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[٤].

لذا كان أهمية الإخلاص، ويكون بتصفية العمل والقول والعبادة مما يشوبها من رياء ومراءاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي طرح العمل وعدم رؤيته فضلاً عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التوفيق في العمل المُخلص على أنه جود من الله تعالى، ثم إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصًا لوجه الله تعالى[٥].

إن الإخلاص في الطاعات واجب، وإن الرياء يفسدها في جميع الطاعات، ومنها باب الجهاد الذي جاءت الأحاديث فيه مصرحة بإبطال الرياء لثواب الجهاد، ومنها ما روي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٩.

(٣) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٤) صحيح مسلم، رقم ١٩٠٥.

(٥) انظر: روضة التعريف بالحب الشريف، الوزير لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: عبدالقادر عطا ٤٧٢/٢.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ : أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))(١).

قال القاضي عياض: "يفهم منه اشتراط الإخلاص في الجهاد، وكذلك هو شرط في جميع العبادات، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٢)".

والإخلاص: مصدر أخلصت العسل إذا صفيته من شوائب كدره. فالمخلص في عبادته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء، وذلك لا يتأتى له إلا بأن يكون الباعثُ له على عملها قصْدَ التقرب إلى الله تعالى وابتغاء ما عنده، فأما إذا كان الباعث عليها غير ذلك من أغراض الدنيا، فلا يكون عبادة بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها؛ فإما كفر وهو: الشرك الأكبر؛ وإما رياء وهو: الشرك الأصغر، ومصير صاحبه إلى النار، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ في الثلاثة المذكورين فيه. هذا إذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده، بحيث لو فقد ذلك الغرض لترك العمل، فأما لو انبعث لتلك العبادة لمجموع البَاعِثَين - باعث الدنيا وباعث الدين - فإن كان باعث الدنيا أقوى أو مساويًا، ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك عند أئمة هذا الشأن، وعليه يدل مثل ما روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: ((أنا خيرُ الشركاء، فمن عمل عملاً أشْرَك فيه غيري فأنا بريءٌ منه، وهو للذي أَشْرَك))(٣)، فأما لو كان باعثُ الدين أقوى، فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم، وبما معناه، وخالفه في ذلك الجمهور، وقالوا بصحة ذلك العمل، وهو الأقدم في فروع مالك. ويستدل على هذا بقوله ﷺ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))(٤)، فجعل الجهاد

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٧١.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) أخرجه أحمد ٣٠١/٢، رقم ٧٩٩٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٢٧٧/١٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

مما يصح أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودًا ، لكن لما كان باعث الدين على الجهاد هو الأقوى والأغلب، كان ذلك الغرض مُلغى، فيكون معفوًا عنه، كما إذا توضأ قاصدًا رفع الحدث والتبرد ، فأما لو تفرد باعثُ الدين بالعمل؛ ثم عرض باعثُ الدنيا في أثناء العمل فأولى بالصحة"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية:

إن للحبيب ﷺ خصائصُ اختصه الله تعالى بهاُ لكماله الذاتي والروحيُ لم تكن لغيره من أفراد أمته [2]، ومن ذلك ما اختصه الله من إطلاعه على بعض الغيبيات، وبيان الثواب والعقاب يوم القيامة، وهيئات وأصناف الناس يومئذ، كما جاء في الحديث من بيانه ﷺ للشهيد يوم القيامة: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي اللون لوم دم والريح ريح مسك)، والنصوص الدالة على ما اختص الله به رسوله ﷺ من إطلاعه على بعض الغيبيات كثيرة، دلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته [3]، وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على بعض المغيبات، روي عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[4].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[5]، وبيّن القاضي عياض أن ذلك من جملة معجزاته ﷺ فقال: "ما أُطلع عليه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧١٢ - ٧١٣.

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، ص ٣٨٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢/٥٤٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣.

من الغيوب وما يكون من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب"[(١)].

(١) كتاب الشفا بتعريف أحوال المصطفى ١/٣٢٩.

الحديث رقم (١٢٩٨)

١٢٩٨- وعن معاذ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ: لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُهَا كَالمِسْكِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

فُواق ناقة: الفُواقُ: ما بين الحلبتين من ضرع الناقة[2].

النكبة: الخدش والجرح من أثر الحجارة ونحوها[3].

الزعفران: نبتٌ أحمر اللون[4].

المسك: ضربٌ من الطيب يتخذ من نوع من الغزلان[5].

الشرح الأدبي

بني الحديث على أسلوب الشرط، وهو من أنسب الأساليب للترغيب؛ لأنه يشعر المخاطب بأنه طرف حر الاختيار، بعد أن يعرض عليه العمل مرتبطا بجزائه، وقد تكوَّن الحديث من جملتين شرطيتين، الأولى: " من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤١)، والترمذي (١٦٥٧) واللفظ له. وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦١٨)، وقال الحاكم (٢/٧٧): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٩).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٨.

(٣) الصحاح في (ن ك ب).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ز ع ف ر).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

فواق ناقة (أي ما بين الحلبتين) وجبت له الجنة، فربط قتال الوقت القليل في سبيل الله، باستحقاق الجنة، والثانية: " من جرح جرحاً في سبيل الله، أو نكب (أي أصيب) نكبة، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت: لونها الزعفران، وريحها المسك، حيث ربط المجروح في سبيل الله على المجيء بالهيئة المذكورة، والتنكير في كلمة " رجل " يفيد التعميم، ويشير إلى أن الرجال ملزمون بالدفاع عن أعراضهم، وحرماتهم؛ لأنهم أكثر تحملاً لمشقة الجهاد، والفعل الماضي في قوله: " وجبت له الجنة " يوحي بأن الله تعالى قد تكرم على هؤلاء بأن أوجب على نفسه الجنة لهم، والتنكير في " جرحا" و " نكبة " يوحى بأن المعتد به في العمل هو النية الصالحة وأن هذا الجرح سواء كان صغيراً، أو كبيراً له ثوابه، وكذلك النكبة، وهما يشملان الأشياء المادية الظاهرة، والجروح، والنكبات النفسية الباطنية بشرط أن يكون ذلك كله " في سبيل الله " أي يستحضر المسلم النية في تحمل تبعات الجهاد وما يطرأ عليه من جرح، أو ونكبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الجهاد في سبيل الله ولو مدة قليلة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً – من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الجهاد في سبيل الله ولو مدة قليلة:

لما كان الجهاد هو الوسيلة لحماية العقيدة وتأمين الدعوة ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير، رغّب الله ورسوله ﷺ فيه أيما ترغيب[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة)، وذلك كناية عن قليل الجهاد، (وجبت له الجنة) وفي ذلك بشارة لمن جاهد في سبيل الله طلبًا لمرضاة الله بالموت على الإسلام إذ لا تجب الجنة لغيره[2]، وقوله ﷺ:

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٢/٨٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٠.

(وجبت له الجنة)، ليس إيجابًا على الله وإنما تفضلاً من الله تبارك وتعالى ومنة، كما جاء ذلك في قوله ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن)، وذلك إيجاب من الله بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١][٢].

قال ابن كثير: "في هذه الآية يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين على أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم الله فأغلى ثمنهم"[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في ترغيب النبي ﷺ في الجهاد ببيان فضله وأثره فقال ﷺ: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها كالمسك)، والترغيب في الشيء يكون بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه"[٤].

وبيّن القرآن أن الترغيب والرغبة فيما عند الله أحد الأسباب التي تحمل الإنسان

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

على طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢).

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله وذلك ببيان الثواب والأجر المترتب عليه، كما جاء في الحديث: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة...)، وذلك لما كان للجهاد من أهمية في نشر الدعوة وحمايتها، فهو ذروة سنام الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة (٣)، فالجهاد لم يفرض بغيًا ولا عدوانًا، إذ أن الإسلام قد أسس علاقات المسلمين بغيرهم على المسالمة والأمان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾(٤)، وقال: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾(٥)، لا على الحرب والقتال؛ إلا إذا أريدوا بسوء لفتنتهم عن دينهم أو صدهم عن دعوتهم، فحينئذ يفرض عليهم الجهاد، دفعًا للشر وحماية للدعوة"(٦). ومنعًا لاستفحال الشر والفساد في الأرض(٧).

إن الله عز وجل لم يأذن بالقتال إلا حماية للدعوة وإزالة للعقبات التي يقيمها أعداؤها، حماية للضعفاء من المؤمنين الذين يتعرضون للفتنة في دينهم، ويُؤذون في

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥/٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٠٨.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦١.

(٦) السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، عبدالوهاب خلاف، دار الأنصار: ١٣٩٧هـ، ص ٧٦، ٧٧.

(٧) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

اعتقادهم؛ ولذلك شرع الله تعالى القتال فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1].

لهذا كان الإذن بالقتال، وفتح باب الجهاد، وفي هذا النص الكريم بيان الباعث عليه، والنتيجة التي ينتهي إليه، وإنها لخير، ووسائل الخير تكون خيرًا ولو كانت أمرًا كريهًا، ما دام قد تعين أنه الطريق، وأنه إذا تعين كان خيرًا ولذلك قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

والآيات التي كان فيها الإذن بالقتال فيها إشارات بيانية تليق بالقرآن أبلغ كلام في هذا الوجود الإنساني.

أولها: أن فيها الإذن بالقتال، ولكنه لم يصرح بها، إذ أنه صرح بأشد ما يبعث عليه، وهو أن القتال من جانب الأعداء قد وقع فعلاً، لأنه سبحانه وتعالى عبر بقوله (يقاتلون) بالبناء للمجهول، أي أن المشركين قاتلوا المؤمنين فعلاً، فقد آذوهم وحاولوا أن يفتنوهم عن دينهم، والفتنة أشد من القتل كما قال الله تعالى، وحاولوا قتل النبي ﷺ وحاولوا أن يقتلوا المبايعين في بيعة العقبة الثانية، فكان التعبير بالبناء للمفعول دليلاً على أن قتال المؤمنين في مقابل أنهم ابتدؤوا، وهو دفع للأذى، وللفساد في

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٣٨ - ٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

الأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(1).

الثانية: أن الله تعالى صرح بأن القتال دفع للظلم أو منع لاستمراره.

الثالثة: أن أهل الإيمان هم أهل الحق، فإن قاتلوا فهو دفاع عنه، وعن التوحيد، والإيمان به فهو قتال يحمل في باعثه، وفي ذات الدعوة إلى الله تعالى.

الرابعة: أن القتال الذي يكون جهادًا في سبيله هو دفع الباطل، وإلا كان الفساد في الأرض، وألا يعبد الله تعالى فتهدم بيع وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، فالقتال نصرة لله تعالى، وحماية للحق، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز.

الخامسة: أن القتال فيه تمكين للحقائق الإسلامية، فنتيجة القتال تمكين للذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، فالقتال من نتيجته أنه يمكن أهل الحق، من الدعوة إليه بالقول وبالعمل، وبذلك تقوم شريعة الله.

وفي هذا إشارة إلى أن غاية القتال: دفع الاعتداء ومنع الظلم، والتمكين للدعوة الإسلامية، وأن يدخل الناس في دين الله تعالى مختارين من غير فتنة، ومن غير إرهاق لهم في عقائدهم.

بهذا نأخذ من الآية الكريمة أن الباعث على الجهاد في الإسلام أمران:

أولهما: دفع الظلم ومنع الفتنة كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(2).

وأن الاعتداء يُرَدّ بمثله، فمحمد ﷺ الذي جاء بالحق لا يدفع إرادة الأذى بالسكوت عليه واستمراره، بل يدفع الاعتداء بمثله، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ

---

(1) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(2) سورة البقرة آية: ١٩٣.

ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1].

الأمر الثاني: هو التمكين للدعوة الإسلامية، بأن تزال المحاجزات التي يقيمها الملوك والحكام الظالمون بين دعوة الإسلام، والاستجابة لدين الحق أو أن يعوقوه، وليس معنى ذلك حمل الشعوب على الدخول في الإسلام كرهًا بقوة السيف بل إن مؤداه أن يعرفوا الإسلام، ويتمكنوا من تلقي الدعوة الإسلامية، فإذا عرفوها فقد تبين الرشد من الغي، والحق من الباطل فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولذلك قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2][3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، القسم الثاني للعهد المدني، الشيخ: محمد أبو زهرة، ص ٦٨٠ - ٦٨٢.

الحديث رقم (١٢٩٩)

١٢٩٩ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ بِشِعبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأَعْجَبَتْهُ[1]، فَقَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أفْعَلَ حَتَّى أسْتَأْذِنَ رسولَ اللهِ ﷺ، فذكَرَ ذلِكَ لرسول الله ﷺ، فَقَالَ: **((لاَ تَفعلْ؛ فَإنَّ مُقامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبيلِ اللهِ أفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، ألاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ اُغْزُوا فِي سَبيلِ اللهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ))** رواه الترمذي[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بشعب: الشعب: الطريق في الجبل[3].

عيينة من ماء عذبه: تصغير عين، وكأنه لقلة مائها[4].

فواق ناقة: الفُواقُ: ما بين الحلبتين من ضرع الناقة، بقدر ما يحلب الحلبة بيده، ثم يعود فيحلب مرةً أخرى[5].

الشرح الأدبي

يدل الحديث على الصراحة المطلقة بين النبي الكريم، وأتباعه، فهذا الرجل قد مر بشعب فيه ماء عذب، وأحب أن يقيم في هذا الشعب، ولكنه أبى حتى يستأذن رسول الله ﷺ فقال له، ولغيره: " لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من

---

(١) عند الترمذي زيادة: (لطيبها). ولم يوردها المنذري فتبعه عليها المؤلف.

(٢) برقم (١٦٥٠). وقال الحاكم (٦٨/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٦).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ش ع ب).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٠١.

(٥) رياض الصالحين ٤٥٨.

صلاته في بيته سبعين عاما " وقد جمع الرسول بين النهى في قوله: " لا تفعل " والتأكيد بأن واسمية الجملة في قوله: " فإن مقام أحدكم. .. " ولا شك أن أفعل التفضيل في قوله: " أفضل من صلاته " يبين منزله الجهاد، والمجاهدين في سبيل الله وأكد ذلك بقوله " سبعين عاما"، ويجب أن نتأمل ما في هذه الأعوام السبعين من آلاف الصلوات المفروضة، وغير المفروضة، وقوله: " لا تفعل يشير إلى أن رسول الله ﷺ هو الذي يملك أن يقول (أفعل، ولا تفعل)، لأنه مبلغ عن الله تعالى، وفعلة، ونهيه مستمدان من الله تعالى الذي أنزل الكتب، وقوله (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ ؟)وهو استفهام عرض، وتشويق تبعه بالأمر ترغيبا في الجهاد الذي يحقق عز الأمة، ونشر الدعوة في قوله: (أُغْزُوا فِي سَبِيلِ اللّه) وقد صعَّد هذا الأمر بالترغيب بأسلوب الشرط الذي يربط العمل بالجزاء(من قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أمورهم على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تفضيل النبي ﷺ للجهاد في سبيل الله على صلاة الرجل في بيته سبعين عامًا.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله سبب في مغفرة الذنوب ودخول الجنة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أمورهم على النبي ﷺ:

ورد في الحديث مشهد ومثل حي لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حرص على عرض أمورهم على النبي ﷺ واستئذانه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله ﷺ)، فكانوا دائمًا يرجعون إلى رسول الله ﷺ في أمورهم يسألوه ويستوضحوه حتى يكونوا على بينة من

أمر دينهم"[1].

إن في الحديث ما يدل على تفويض الأمر لرسول الله ﷺ والتقيد بأمره ونهيه لمعرفتهم وعلمهم أن في طاعته الهداية كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[2]، وفي مخالفته الفتنة والعذاب كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

إن المؤمن الصادق والكامل في إيمانه قد سلم نفسه لشرع الله المتمثل فيما جاء به رسول الله ﷺ.

سلّم نفسه عن رضا وطواعية واختيار، بكامل قناعته، أن ذلك هو محض الحق وعين الصواب وسبيل النجاة، شأنه وحاله كالمريض بين يدي الطبيب الماهر والمداوي المتمكن العارف بحقيقة الداء وبحقيقة الدواء، بحسبه أن أمر له مر المذاق أو أمر له بإجراء عملية جراحية فيها مخاطرة بحياته أو بقطع جزء من أجزائه يسلم ويرضى بذلك.

وكذلك لو منعه مما يشتهي من المأكولات والمشروبات، وحماه مما تتوق إليه نفسه من الحلال من الشهوات، فإنه يمتنع عن ذلك رغبة منه في حصول الشفاء ورهبة من استمرار المرض يفعل ما يأمره الطبيب، ولو كرهته نفسه، ثقة واعتقادًا بصحة خبر الطبيب وعلمه ولله المثل الأعلى فإن المؤمن يعرض نفسه في جميع أموره على شرع الله ويقبل ما يأمره وينهاه بكامل الرضا والقبول والتسليم.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستأذنون رسول الله ﷺ في أمور دينهم ودنياهم.

فأما ما يكون من أمور دينهم فالاستئذان فيه يكون بمعنى الاستفتاء أو السؤال عن الحكم الشرعي في تلك المسألة، كما مرّ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من استئذان

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

الصحابي في العزلة ولم يأذن له ﷺ يومها، لأن أمر الدين ظاهر يوم ذلك والجهاد في سبيل الله قائم، والمؤمنون يمثلون قوة واحدة تمضي بتوجيه رباني واحد وقائد رباني واحد يخضعون لإمرة واحدة، وحالهم في مواجهة أعدائهم كأنهم بنيان مرصوص، ولهذا قال له النبي ﷺ: (لا تفعل فإن مقامِ أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عامًا).

إن استئذان المؤمنين رسول الله ﷺ ورجُوعهم إليه في حياته وسنته بعد مماته ﷺ دليل على كمال إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

وهذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع أي من ضرورته أو مصلحته أن يكونوا فيه جميعًا، كالجهاد والمشاورة ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فجعل موجب الإيمان عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدَبَهم مع رسوله وولي الأمر منهم[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تفضيل النبي ﷺ للجهاد في سبيل الله على صلاة الرجل في بيته سبعين عامًا:

جاء في ذلك صريح قوله ﷺ: (فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما)، قال ابن علان: "هذا كان في ابتداء الأمر، ومثله ما إذا ألجأ الأمر للجهاد بأن هجم الكفار على بلاد المسلمين وخشي استيلاؤهم عليها، فالاشتغال بالجهاد حينئذ لما فيه من إنقاذ المسلمين أفضل من صلاة النافلة، وذلك لأنه متعد، وأما

---

(١) سورة النور، آية: ٦٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

إذا لم ينته الأمر لذلك فأفضل العبادات البدنية الصلاة كما قاله الجمهور"[١].

وفي الحديث: لزوم الأدب مع الرسول ﷺ باتباع سنته في كل عمل، وأن الجهاد أفضل من العزلة إذا تعين، وهو في كل حال سبيل المغفرة وطريق دخول الجنة ولو قل زمن الجهاد، ما دام نابعًا من إخلاص وقائمًا على أساس رضا الله تعالى لا غير[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد ببيان أنه أفضل من صلاة النافلة، وسبب لمغفرة الذنوب ودخول الجنة، فقال ﷺ: (فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟)، فإن أسلوب الترغيب وسياسته أحد ركني الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣]، التي تؤثر في المدعو تأثرًا إيجابيًا نافعًا، لإثارته وتهييجه حتى يقوم بتوجيه الإرادة لاختيار السلوك المناسب الذي يوصل إلى الجهة التي يكون فيها تحقيقه ما تعلقت به النفس راغبة في نيله أو الظفر به[٤].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله سبب في مغفرة الذنوب ودخول الجنة:

جاء ذلك في الحديث في صريح قوله ﷺ: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، أي: أن يغفر الله ذنوبكم مغفرة تامة، ويمن عليكم بإدخالكم الجنة[٥]، وقد جاءت آيات القرآن مبينة ذلك الفضل أيضًا وأن الجهاد سبب للمغفرة ودخول الجنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٣٨.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٦٣٣/١.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٧٤/٢.

سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات[2]، فالجهاد في سبيل الله فيه النجاة من النار ومغفرة الأوزار ودخول الجنة مع الأبرار[3].

وفي ذلك تشجيع المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، والثبات أمام أعدائهم والتحذير من الزيغ عن ذلك، والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال في سبيل الحق لإعلاء شأنه وإزهاق الباطل[4].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: (اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، وذلك أمر بالجهاد بعد أن حرض عليه بذكر ثوابه وعرض للعباد بالدعوة إليه، وعلل ذلك زيادة في الترغيب بقوله على سبيل الاستئناف النحوي والبياني: (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، فلا بد من موته على الإسلام ودخوله لها، إما مع الناجين ولو بعد حين والوعد بالمحبوب محبوب[5]، ووَعْدُ الله لا محالة محققه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[6]، أي: لا أحد أوفى بعهده من الله، فأظهروا

---

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٢/٨.

(٣) انظر: خطب مختارة، اختيار: وكالة شؤون المطبوعات والنشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية: ١٤١٩هـ، ص ٢٩٤.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٣/١٦/٩.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٢.

(٦) سورة التوبة، آية: ١١١.

السرور بذلك فإن دخول الجنة والظفر بها هو الفوز العظيم[١].

ومن الأحاديث التي جاء فيها الأمر والحث على الجهاد ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ. وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا))[٢].

إن الجهاد في سبيل الله لما كان هو الوسيلة لحماية العقيدة وتأمين الدعوة ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير رغّب الإسلام فيه أيما ترغيب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

وقال سبحانه مبينًا الفرق ما بين المجاهدين والقاعدين: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

وقال سبحانه مرشدًا إلى أعظم طرق الخير: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٦٩/٨/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٨٣، واللفظ له، ومسلم ١٨٦٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٥) سورة الصف، الآيتان: ١٠، ١١.

وقال سبحانه مبينًا أن القتال وإن كان مكروهًا للنفس بحسب الفطرة، لكنه قد يكون فيه الخير الكثير: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وإذا جاز لغير المسلم أن يخشى الجهاد أو يفرط فيه فلا يجوز ذلك للمسلم، إذ مآل الجهاد له إما نصر وغنيمة وإما أجر وشهادة، وكلا الأمرين غُنم وجميل، قال سبحانه آمرًا المسلمين أن يعلنوها صريحة لخصومهم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[2][3].

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥٢.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٨٤/٢، ٨٥.

الحديث رقم (١٣٠٠)

١٣٠٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قيل: يَا رسولَ اللهِ، مَا يَعْدلُ الجهادَ في سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: ((لاَ تَستَطِيعُونَهُ)) فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: ((**لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ!**)) ثُمَّ قَالَ: ((**مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانتِ بآياتِ اللهِ لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ في سَبِيلِ اللهِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية البخاري[2]: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رسول الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: ((**لاَ أجِدُهُ**)) ثُمَّ قَالَ: ((**هَلْ تَستَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتقومَ وَلاَ تَفتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟**)) فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القانت: الخاشع[3].

لا يفتر: لا يضعف[4].

الشرح الأدبي

ينقل هذا الحديث حواراً حدث بين رسول الله صلى الله علية وسلم، وبعض محبيه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧٨/١١٠) فقط بهذا اللفظ. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٩) بنحوه وعزاه إلى ابن حبان. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٩).

(٢) برقم (٢٧٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (١/١٩٥٩). **تنبيه:** الحديث أورده الحميدي في جمعه (٢٣٤/٣، رقم ٢٤٩١) في المتفق عليه، وعزا اللفظ الأول إلى مسلم، واللفظ الثاني إلى البخاري. وأظنُّ أن المؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه (٢٥١/٢): حيث قال: رواه البخاري ومسلم واللفظ له. ثمّ أورد اللفظ البخاري كما هنا.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ت).

(٤) المرجع السابق في (ف ت ر).

حيث سئل: " ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟، أي ماذا يساويه في الأجر، والثواب من العمل ؟ والاستفهام هنا حقيقي؛ لأنهم يريدون أن يتعلموا منه ﷺ فرد عليهم قائلاً " لا تستطيعونه " فنفي الاستطاعة فيه دلالة على عظمة العمل الذي يدل على عظمة الثواب، وكرر السؤال مرتين، أو ثلاثاً، وكرر الجواب معه: " لا تستطيعونه " ليؤكد بذلك عدم استطاعة الإنسان القيام بعمل صالح يساوى الجهاد في سبيل الله، ثم جاء النبي بتشبيه تمثيلي (مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ) والمثل:هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وإضافة الكاف لكلمة (مثل) تؤذن بتشبيه الهيئات، والأحوال حتى لا يتوهم أنه تشبيه الأفراد، والصورة التشبيهية ترسِّخ هذا المضمون فقوله: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله، ومعناه: أن المجاهد في كفه. .. وأن هذه الأعمال الصالحة كلها في كفه أخرى، وتغلب الكفة الأولى لأن الإتيان بتلك الأعمال صعب على المسلم إلا من رحم الله – والله اعلم.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يعدل الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ولأمته على الجهاد في سبيل الله.

رابعًا: من أهداف الدعوة: مشروعية الجهاد وأهميته في الدعوة إلى الله.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يعدل الجهاد في سبيل الله:

جاء ذلك واضحًا في قول أبي هريرة رضي الله عنه: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٣٠٠ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٠١.

سبيل الله؟ وذلك يعكس لنا ما كان عليه الصحابة ﷺ من حرص على معرفة أمور دينهم، يسألون عنها ويستوضحونها من رسول الله ﷺ حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم ودعوتهم [١]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢]. "أي على بصيرة من دعوته يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي"[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار:

ورد أسلوب التكرار في الحديث في إعادة الصحابة رضي الله عنهم السؤال لرسول الله ﷺ وإعادته الجواب عليهم: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول لا تستطيعونه، ولقد كان من هدي رسول الله ﷺ أنه كان يكرر القول أو الفعل في وقت واحد وفي أوقات متفرقة، حتى يُتعلم منه ويطبعه في أذهان أصحابه ويطبقونه، ومن هذا تكرار القصص في القرآن، وتكرار الأوامر والنواهي، حتى إن الأمر بالصلاة أو التوجيه إليها ليرد عشرات المرات[٤].

إن تكرار الكلام له أثر كبير في تأكيده في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله لما لذلك من أثر في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه[٥].

وقد استخدم الرسول ﷺ التكرار في كثير من الأحاديث النبوية، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٤٢٢.

(٤) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٢٥.

(٥) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغًا ومنهاجا، د. عبدالغني محمد سعيد ص ٣٤.

مدارك البشر وأمزجتهم[١].

ولقد كان من عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[٢].

ومن أمثلة التكرار والتأكيد عنده ﷺ:

١ - ما رواه البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أُنَبِّئُكم بأكبَر الكبائِر (ثلاثًا)؟)) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالِدَين - وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال -: ألا وقولُ الزُّورِ وشَهَادَةُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ))[٣].

٢ - وروى البخاري عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: ((واللّهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: مَن يا رسولَ الله؟ قال: الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه))[٤].

٣ - وما رواه عن أبي بكرة أيضًا قال: أثنى رجُل على رجل عندَ النبيِّ ﷺ فقال: ((وَيلكَ، قطعتَ عنُقَ أخيك. ثلاثًا. مَن كان منكم مادحًا لا محالةَ فلْيَقل: أحسِبُ فلانًا والله حَسيبهُ، ولا أُزكّي على الله أحدًا، إن كان يَعلم))[٥].

٤ - وما رواه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثم قال: اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثلاثًا حتى ظننا أنه يَنظرُ إليها. ثم قال: اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فمن لم يَجِدْ فبِكلمةٍ طيِّبة))[٦].

٥ - وروى البخاري أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((أنه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادَها ثلاثًا حتّى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسَلَّمَ عليهم سَلَّم

(١) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نقرة ص ١٢٨.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٥٠١/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٧٢، ومسلم ٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦٦٢، ومسلم ٣٠٠٠.

(٦) أخرجه البخاري ٥٠٤٠.

عليهم، ثلاثًا))[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ولأمته على الجهاد في سبيل الله:

ورد في قوله ﷺ: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله، وفي ذلك حث على الجهاد أيما حث، وبيان لعظم ثواب الجهاد وأنه لا تطاوله عبادة من العبادات، ففي الحديث سئل النبي ﷺ: (ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟) أي ما يعادله ويماثله في الثواب عند الله تعالى؟ فقال ﷺ: (لا تستطيعونه) أي لا تطيقون أن تفعلوا ما يساوي ثواب الجهاد، ووجهه أن كل ما يصدر عن المجاهد في حالتي نومه ويقظته وسكونه وحركته هو عمل صالح يكتب له ثوابه دائمًا بدوام أفعاله، إذ لا يتأتى لغيره فيه، لأنه على كل حال في الجهاد ومُلَابِسُ أَحْوالِه، وذلك: أن المجاهد إما أن ينال من العدو، أو يغيظه، أو يروعه، أو يكثر سواد المسلمين، أو يصيبه نصب أو مخمصة. وكل ذلك أعمال كثيرة لها أجور عظيمة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وعلى هذا نبه النبي ﷺ حيث قال: ((مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللّهِ. لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ. حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ))، فشبه المستغرق في أفضل العبادات التي هي الصوم والصلاة، الخاشع فيها؛ الذي لا يفتر بالمجاهد؛ لذلك المعنى الذي ذكرنا. و(القائم) يعني به: في الصلاة. و(القانت) الخاشع فيها"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٨ - ٧٩.

قال النووي: (وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد، لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مِثْل مَنْ لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يتأتى لأحد، ولهذا قال ﷺ: "لا تستطيعونه")[1].

وقد جاءت آيات القرآن الكريم زاخرة بالحث على الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

فرغّب الله تعالى في هذه الآية في النفقة في سبيله، وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله فقال: (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي: هذا خير لكم في الدنيا والآخرة، ولأنكم تغرمون في النفقة قليلاً فيغنيكم الله أموال عدوكم في الدنيا، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة[4]، كما قال النبي ﷺ: ((وتكفّلَ اللهُ للمجاهدِ في سبيله بأن يَتوَفّاهُ أن يدخلَهُ الجنَّةَ، أو يَرجِعَهُ سالمًا معَ أجرٍ أو غنيمة))[5].

رابعًا- من أهداف الدعوة: مشروعية الجهاد وأهميته في الدعوة إلى الله:

إن الجهاد في سبيل الله لم يشرعه الإسلام بغيًا ولا عدوانًا وإنما ردًا للعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين، وهذا أمر تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة[6]، قال الشيخ محمد أبو زهرة: القتال كان للدعوة وليس للإكراه على الإسلام، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر، ومنه الظلم والعدوان

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٦٣، ومسلم ١٨٧٦.

(٦) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي ص ٤٩٥.

وإرهاق الشعوب من أمرهم عسرًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[١].

ولم يكن القتال محبوبًا للنبي ﷺ إنما كان المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الحق والاستشهاد في سبيله، ولذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، كان المؤمنون كارهين للقتل وإزهاق الأرواح، ولكن كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد، وأن يخلو وجه الناس للحق والحرية والعدل، والإيمان بالله وحده لا شريك له[٣].

ولبيان مدى الحكمة من تشريع الجهاد في الإسلام وأنه لم يكن ألبتة للعدوان وظلم الناس، وإنما كان لرد العدوان ودفع الظلم وتعبيد الطرق وتذليلها أمام الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، نذكر مراحل التشريع للجهاد ليتراءى للقارئ الحكم العظيمة والمبررات المقبولة لتشريع الجهاد.

لقد مرّ تشريع الجهاد في سبيل الله بعدة أطوار نوجزها على النحو التالي:

الطور الأول: كان المؤمنون في ابتداء الإسلام - وهم بمكة - مأمورين بالصلاة والزكاة على سبيل التدريب لا التكليف، وبالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون شوقًا إلى قتال أعدائهم ليتشفوا منهم، ولكنهم كانوا قليلي العدد والعدة وهم في البلد الحرام ولذا لم يُشرع الجهاد ذلك الوقت[٤]، يقول تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٣) الدعوة إلى الإسلام "تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة"، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٦٩.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٢/١.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبدالرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، قال ﷺ: ((إنِّي أُمِرْتُ بالعفوِ، فلا تُقَاتِلُوا القومَ))[٢].

وكان الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله عز وجل ويصبرون على الأذى، قال الله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٣]، ولذلك نجد اتفاق العلماء أن الجهاد لم يُشرع إلا في المرحلة المدنية، قال القرطبي: "ولم يؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين"[٤]، قال ابن حجر: "فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقًا"[٥].

الطور الثاني: وهي طور الإذن بالقتال بعد الهجرة دون أن يفرض عليهم[٦]، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٧].

الطور الثالث: وهي مرحلة فرض القتال لمن يقاتلهم فقط، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾[٨]. قال ابن القيم: "ثم فرض عليهم

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) أخرجه النسائي ٣٠٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢٨٩١).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٨/٣/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/٦.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٧٠/٣.

(٧) سورة الحج، آية: ٣٩.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾"(١).

الطور الرابع: وهو الطور الأخير والمرحلة الأخيرة وهي قتال المشركين كافة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾(٣).

قال ابن القيم: "ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين إما فرض عينٍ على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور"(٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٧١/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٧١/٣.

الحديث رقم (١٣٠١)

١٣٠١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ وَالمَوْتَ مَظَانَّهُ أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذه الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِن[1] الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

العِنان: سَيْرُ اللِّجام تُمسك به الدابةُ[3].

يطير: يُسرع[4].

متنه: ظهره[5].

الهَيْعَةُ: الصوت للحرب[6].

الفزعة: الصوت للحرب[7].

مظانُّ الشيء: المواضع التي يُظنُّ وجوده فيها[8].

غُنَيْمَةَ: تصغير الغنم[9].

---

(١) عند مسلم زيادة: (هذه).

(٢) برقم (١٨٨٩/١٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ن ن).

(٤) رياض الصالحين ص ٢٧٠.

(٥) المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٦) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٧) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٨) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٩) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

الشَّعَفَة: أعلى الجبل[١].

الشرح الأدبي

لقد صدَّر الحديث ببيان الخيرية للناس في معاشهم، وأتى بلفظ " الناس " ليفيد العموم في هذا الخير من ناحية، ويفيد أن هناك هموماً مشتركة بين الناس جميعاً، ومن أهم هذه الهموم، والاحتياجات الإنسانية " نعمة الأمن " وإن هذا الرجل الذي يمسك بعنان فرسه مصدر أمن للأمة يتميز بأنه يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعه طار على متنه يبتغى القتل، أو الموت، وقول الرسول ﷺ (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رجل) ورجل بالابتداء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي معاش رجل هذا شأنه من خير معاش الناس وقوله (لهم) أي معاش الناس الكائن لهم لا عليهم أي هو من خير معاشهم النافع لهم، وقوله (مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله) كناية عن دوام الاستعداد للجهاد في سبيل الله في كل وقت، وذكر العنان يشير إلى تمام السيطرة، والفرس لتمام إعداد العدة، وآلة الحرب، والتعبير بالطيران يشير إلى الخفة في إجابة الداعي الأمر الذي يوحي بمحبته للجهاد، لأن النفس تخف إلى ما تحب وتثقل عندما تكره، وقوله (على متنه) يشير إلى التمكن، والتعبير بـ(كلما) يشير إلى العادة في الفعل وقوله (هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه) كناية عن شجاعته، ورغبته فيه، والهيعة والفزع صوت المنادي للحرب، والمستغيث، والتعبير بالماضي الدال على التحقق يؤكد السرعة في التلبية، وتمام الاستعداد رغبة في الشهادة، ومظان الموت أماكن غلب الظن على وقوعه فيها، (أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ) والشعفة أعلى الجبل، والإشارة (هذه) في هذه العبارة والتي تليها للتحقير؛ لأنه لا يبحث عن ترف، و تصغير غنيمة للتحقير الذي يوحي بأن الرجل لم يسع إلى طلب دنيا بل سعى إلى عزلة لتفريغ القلب للعبادة وهو ما صورته الأفعال في صورة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار (يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي

---

(١) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ) إلى الغاية المنتظرة (حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ) لا يؤذي الناس، ولا يؤذونه وهو ما أكده بالقصر البلاغي، وختم به الحديث في قوله: " ليس من الناس إلا في خير" للإشارة إلى الخير المحض في علاقته بالناس.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٠٢)

١٣٠٢- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**إنَّ فِي الجنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقوم الحديث على الأسلوب الخبري، ولا شك أن الرسول الكريم ﷺ قد أطلعه الله تعالى على بعض الأمور الغيبية التي ترغب المؤمنين في فضل الله الذي لا يحد بحدود ويوصف هذا الحديث ببراعة الاستهلال لأنه صدَّر الحديث بأسلوب التشويق بذكر درجات الجنة، وتقديم قوله (في الجنة) تخصيص يفيد قصرها على كونها في الجنة لا في غيرها، وهو ما يؤكد عظمة العطاء، وخلوده لأن كل ما في الجنة عظيم خالد، وقد أكد النبي ﷺ الخبر بإن، واسمية الجملة تنبيها على عظمة الجزاء، وضرورة اغتنامه في قوله: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض" وجاء بالعدد "مائة درجة" لتقريب المعنى إلى الإفهام، والفعل الماضي المسند إلى لفظ الجلالة: "أعدها الله" يفيد تحقق هذا الإعداد، وأن الذي أعد ذلك هو رب العالمين الذي لا يخلف وعده رسله، ويشبه الرسول الكريم المسافة بين كل درجة، وأخرى كما بين السماء والأرض، ويحتوي هذا التشبيه على كناية توضح سعه فضل الله تعالى؛ لأن ما بين السماء، والأرض يقدر بآلاف الكيلومترات، وهو دليل على عظم الثواب الذي أعده الله للمجاهدين ترغيبا للمؤمنين في الجهاد الذي يمثل مصدر العزة، والحماية، والكرامة للأمة والله أعلم.

---

(١) برقم (٢٧٩٠). تبع فيه المؤلفُ المنذريَّ في ترغيبه (١٩٦٠) حيث أورده مختصرًا هكذا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جزاء المجاهدين في سبيل الله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جزاء المجاهدين في سبيل الله:

جاء ذلك في قوله ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، وأصل الحديث في البخاري: ((من آمَنَ باللهِ وبرسولِه وأقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كانَ حَقًّا على الله أن يُدْخلَهُ الجنَّة، جاهدَ في سبيلِ اللهِ أو جلَسَ في أرضهِ التي وُلِدَ فيها. فقالوا: يا رسولَ اللهِ، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة - أَراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ - ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة)).

قال الطيبي: "قوله: (إن في الجنة...) قال الأشرف: لما سوى النبي ﷺ بين الجهاد في سبيل الله وبين عدمه وهو المراد بالجلوس في أرضه التي ولد فيها في دخول المؤمن بالله ورسوله، المقيم للصلاة الصائم لرمضان في الجنة، ورأى ﷺ استبشار الراوي بما سمعه لسقوط مشاق الجهاد عنهم وعدم امتيازه في نيل الجنة استدرك النبي ﷺ قوله بقوله الثاني "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله...".

أقول - الطيبي - الجواب من الأسلوب الحكيم، أي بشرهم بدخول الجنة بالإيمان والصوم والصلاة وإيجابها لهم بحسب الأجر على سبيل الوعد، ولا يكتف بذلك بل زاد على تلك البشارة الأخرى وهو الفوز بدرجات الشهداء فضلاً من الله تعالى ونعمة وزيادة على ذلك، ولا يقنع بهذا أيضًا فبشرهم بالفردوس الذي هو أعلاها وأوسطها، وفيه الحث على ما يحصل به أقصى درجات الجنان وهي الفردوس الأعلى، من المجاهدة مع العدو والنفس والشيطان، والإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1]، "[2].

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٦٢/٧ - ٢٦٣.

وقال ابن حجر: "وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها"(١).

قال ابن علان: "وفيه عظيم فضل المجاهد، وعظيم عناية الله به، وقوله: (ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، يراد به بيان علو منزلتهم في الجنة ورفعة مقامهم فيها"(٢)، وذلك لتلبسهم بأفضل الأعمال وأعلاها منزلة، قال ابن دقيق العيد: "الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك"(٣).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في الجهاد، ببيان ما أعده الله لأهله من درجات، فقال ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، وذلك لما يبذلونه من نفس ومال في سبيل الله، فلما بذلوا أشرف ما عندهم أسكنهم الله أفضل ما عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾(٤)، قال العز بن عبدالسلام: "يشرف البذل بشرف المبذول وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله، مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين"(٥).

ولقد حفلت آي الذكر الحكيم، ووردت الأحاديث الشريفة، بوصف الجنة وما أعده الله فيها ترغيبًا للمؤمنين وحثًا لهم على الطاعات والجهاد وتحمل المشاق، ذلك أن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦/٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٤، شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين ١٤٤٣/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) أحكام الجهاد وفضائله، العز بن عبدالسلام ص ٥٤.

الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾(١)، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها فكان من المتقين ومن المحسنين ومن الذاكرين ومن المخبتين ومن المجاهدين ومن المنفقين ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(٢)(٣).

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله:

إن الحث على الجهاد وترغيب الناس في إدراك ثواب المجاهدين من الأهداف الرئيسة للدعوة، وذلك واضح من خلال بيان رسول الله ﷺ في الحديث لمنازل المجاهدين: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، فالجهاد تجارة رابحة، عائدها النجاة من العذاب ومغفرة الذنوب ودخول الجنة والإقامة فيها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

فوعدهم الله بالدرجات العلى في الجنة والمساكن الطيبة، قال الطاهر بن عاشور: "وإنما خصت المساكن بالذكر، لأن في الجهاد مفارقة المجاهدين مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة المؤقتة بمساكن أبدية"(٥).

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٦/٢١٢٧.

(٤) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٣.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١١/٢٨/١٩٥.

وقال السعدي في تفسير الآية: "(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم...) هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة وأجلّ مطلوب وأعلى مرغوب يحصل بها النجاة من العذاب الأليم والفوز بالنعيم المقيم وأتى بأداة العرض (هل أدلكم) الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل معتبر ويسمو إليه كل لبيب فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال: (تؤمنون بالله ورسوله) ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به المستلزم لأعمال الجوارح التي من أجلّها الجهاد في سبيل الله، فلهذا قال: (وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصرة دين الله،وإعلاء كلمته.

وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك وإن كان كريهًا للنفوس شاقًا عليها، فإنه (خير لكم إن كنتم تعلمون)، فإن فيه الخير الدنيوي من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه.

والخير الأخروي بالفوز بثواب الله، والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة فقال: (يغفر لكم ذنوبكم) وهو شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله، والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب ولو كانت كبائر. (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي: من تحت مساكنها وقصورها وغرفها، أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات.

(ومساكن طيبة في جنات عدن) أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع وحسن بناء وزخرفة.

حتى إن أهل الغرف من أهل عليين، يتراءآهم أهل الجنة، كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي.

وحتى إن بناء الجنة بعضه من لَبِن ذهب، وبعضه من لَبِن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد، والجواهر الملونة بأحسن الألوان حتى إنها من

صفائها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقرّ به أعينهم.

ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة، لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه.

وتبارك الجليل الجميل الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق، ويأخذ بأفئدتهم.

وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها أنه لو رأى العباد الجنة، ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هنأهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بألمها، وفرحها بترحها.

وسميت جنة عدن؛ لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبدًا ولا يبغون عنها حولاً، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، هو الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي.

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة فذكره بقوله: (وأخرى تحبونها)، أي: يحصل لكم خصلة أخرى تحبونها، وهي: (نصر من الله) لكم على الأعداء، يحصل به العز والفرح.

(وفتح قريب) تتسع به دائرة الإسلام،ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين"[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٩٨.

الحديث رقم (١٣٠٣)

١٣٠٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قالَ[١]: ((مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وَبالإسْلامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ))، فَعَجِبَ لَهَا أبُو سَعيدٍ، فَقَالَ: أعِدْهَا عَلَيَّ يَا رسولَ اللهِ، فَأعَادَهَا عَلَيْهِ[٢]، ثُمَّ قَالَ: ((وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ[٣] بِهَا العَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ)) قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رسول اللهِ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ، الجهَادُ في سَبيلِ اللهِ)) رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

إن الحوار في البيان النبوي من وسائل تبليغ الدعوة وهو برهان على التفاعل والتجاوب بين الخطاب النبوي الراشد وكل من يتلقى هذا الخطاب وهو مشروح الصدر متفتح الذهن نابضاً قلبه بمحبة السراج المنير البشير النذير، وهذا الحديث الشريف نموذج للحوار المقنع الذي يشد المستمع ويؤثر في المتلقي، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف تطالعنا الظواهر الفنية التالية: أولها: التأكيد في بداية الحديث على لسان الراوي الأعلى "أبي سعيد الخدري: رواية عن الإمام مسلم" أن رسول الله ﷺ قال: ولم يقل: قال رسول الله.. دلالة على أن الخبر المؤكد له أهميته، وله آثاره الممتدة عبر الزمان، والمكان على مر العصور، واختلاف البيئات، وثانيها: صيغة الشرط، والجواب في قوله: من رضي بالله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد

(١) عند مسلم زيادة: (يا أبا سعيد) ولم يوردها المنذري في ترغيبه، فتبعه عليها المؤلف.

(٢) لفظ مسلم: (ففعل). والمثبت لفظ المنذري.

(٣) لفظ مسلم: (يرفع) فقط. والمثبت لفظ المنذري.

(٤) برقم (١٨٨٤/١١٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٦٢).

رسولا: وجبت له الجنة " إن هذه الصيغة ترشد إلي أن وعد الله نافذ فالمقدمات الصحيحة تؤدى إلي النتيجة الصحيحة والله لا يخلف الميعاد، والتعبير بقوله: رضي "يوحى" بإن الإيمان لابد أن يكون نابعاً من القلب متوجاً بصدق الشعور، محصناً بالأعمال الصالحة، والأقوال الصادقة: فالرضا ينبع من الإقتناع والسكينة والتسليم المطلق الرافض لكل شوائب الشك، والقلق، والاضطراب، وثالثها: حسن التقسيم. . وحلاوة الإيقاع في مكونات جمله الشرط. . فهي تتكون من ثلاث وحدات لغوية. . ويختم كل منها بالتمييز " رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً " وهذا التقسيم يحمل فى طياتة الترغيب والبشارة ويحدد أبعاد عقيدة المسلم، فربة الله، ودينه الإسلام، ورسوله ونبيه محمد ﷺ، ورابعها: دلالة " التنكير " في " التميز " رباً، وديناً، ورسولاً " تفيد التميز، والتحديد، التعظيم وتوحي بإنكار ما عداها. . فلا رب سوى الله، ولا دين سوى الإسلام، ولا رسول للإسلام سوى محمد ﷺ، وتقديم لفظ الجلالة، واسم رسول الله، ولفظ الإسلام يؤكد هذه الدلالة ويدعمها، وخامسها: طلب الإعادة: ليس للشك ولكنة كما قال العلماء: استلذاذً بذكر المحبوب " ولمزيد من البشارة والثواب، وسادسها: التكرار في نهاية الحديث: لتعظيم شأن الجهاد، والحض على قيمته: وحث المسلمين على نشر الإسلام، واستمرار الفتوحات التي تضيء الآفاق بنور الأيمان، وتبدد ليل الظلم والطغيان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبرسوله ﷺ في دخول الجنة.

ثانيًا: من حقوق المدعو: أن يستوعب كلام الداعية وأن يطلب إعادته.

ثالثًا: من واجبات الداعية: أن يعيد ما قاله على المدعو لأجل استيعابه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله وبيان درجات المجاهدين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الرضى بالله ربًا وبالإسلام دينا وبرسوله ﷺ في دخول الجنة:

قد جاء ذلك في صريح الحديث في قوله ﷺ: (من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة)، فالإيمان شرط قبول كل الأعمال وسبب لنيل الرضا والحب والإنعام من الله تعالى والحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة [1]، والرضا والتسليم لله بالربوبية والعبودية هو الغاية والهدف الذي خلق من أجله الإنسان[2]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[3].

إن الإيمان لا يقتصر ويقف عند مجرد التلفظ بالشهادتين فحسب بل إنه ليمتد ليشمل جميع جوانب الدين، فلقد أطلق رسول الله ﷺ لفظ الإيمان على جميع فروع الدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الأيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الأيمَانِ))[4].

وهذه الفروع والشعب منها ما يتعلق بالجنان، ومنها ما يتعلق باللسان، ومنها ما يتعلق بالأبدان.

فأما ما يتعلق بالقلب، فهي المعتقدات والنيات... وتنتظم الخصال الآتية:

الإيمان بالله، وتوحيده، وأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه.

والإيمان بملائكته، وكتبه ورسله.

والإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان باليوم الآخر. ويدخل فيه سؤال القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار.

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٧٤٩/٣.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٦١.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦ - ٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٥٧ واللفظ له.

ومحبة الله، والحب والبغض في الله.

ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته.

والإخلاص لله، وترك الرياء والنفاق. والتوبة، والخوف والرجاء، والشكر والوفاء، والصبر والرضا بالقضاء، والتوكل والرحمة والتواضع، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد والحقد والغضب.

وأما ما يتعلق باللسان فهي هذه الخصال:

التلفظ بالشهادتين، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر، واجتناب اللغو.

وأما الخصال التي تتعلق بالأبدان فهي:

التطهر حسًا وحكمًا، واجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً، والزكاة، والجود، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، وتحرير العبيد والصيام فرضًا ونفلاً. والحج والعمرة، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، والهجرة من دار الحرب، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

والتعفف بالزواج، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، واجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم.

والقيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، وقتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد والمرابطة في سبيل الله، وأداء الخمس مع الغنيمة، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وجمع المال من حلّه، وإنفاقه في حقه، وترك التبذير والإسراف، وردّ السلام وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

هذا هو الإيمان الحق وهو ينتظم العقائد، والعبادات، والأخلاق والآداب وسائر المعاملات وهذا ما اتفق عليه علماء السلف.

قال الإمام البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت

أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان: قول وعملٌ، ويزيد وينقص"[١][٢].

وجزاء ذلك الجنة تلك الدار التي هيأها الله لمثوبة المؤمنين الصالحين من عباده، وأعد لهم فيها من النعيم الروحي والمادي[٣]، ما يعجز البشر عن تصوره، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٤].

أي: لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم، فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسموعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ وغير ذلك فكل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين؛ لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر[٥].

ثانيًا - من حقوق المدعو: أن يستوعب كلام الداعية وأن يطلب إعادته:

إن ذلك ما يمكن أن ندركه من طلب أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعادة كلامه عليه: (من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة)، فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله فأعادها عليه، وطلبه الإعادة استلذاذًا بذكر المحبوب[٦]، إضافة إلى ما في الإعادة والتكرار من بيان للحق وتعميق مجراه في نفوس المؤمنين، فلا ريب أن الدعوة والتربية عملية شاقة ولا بد أن تكون متواصلة حتى تؤتي أكلها وكلنا يعلم إلى أي مدى تحتاج تربية النفوس والأفراد من جهد وتذكير دائم بالأمور المراد بناؤها في النفوس وتربية الأفراد عليها، والتكرار

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠/١.

(٢) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٧ - ٢٩.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٦.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٣٠/٢١/٨.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٠.

هو أنجع وأحسن الأساليب في تنمية هذا الأمر سواء كان التكرار قولاً يردد، أو عملاً يُقتدى به أو يدرب عليه"[١].

ثالثًا - من واجبات الداعية: أن يعيد ما قاله على المدعو لأجل استيعابه:

إن تأكيد الكلام من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، ولا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة[٢]، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التكرار كما هو واضح في الحديث: (فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله فأعادها عليه).

إنَّ التَّكْرار والإعادة مبدأ يؤثر في غرس الخير، وفي بناء الشخصية المسلمة، لذا كان من هدي رسول الله ﷺ أنه يكرر القول أو الفعل في وقت واحد أو في أوقات متفرقة - وهو ما يسمى بالتعليم الموزع - حتى يُتعلم منه ويطبق[٣].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله وبيان درجات المجاهدين:

ورد ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، قال: وما هي يا رسول الله؟، قال: الجهاد في سبيل الله)، قال النووي: "قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا على ظاهره وأن الدرجات هنا المنازل التي بعضها أرفع من بعض في الظاهر، وهذه صفة منازل الجنة كما جاء في أهل الغرف أنهم يتراءون كالكوكب الدري، قال: ويحتمل أن المراد الرفعة بالمعنى من كثرة النعيم وعظيم الإحسان مما لم يخطر على قلب بشر ولا يصفه مخلوق، وأن أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلاً كثيرًا، ويكون تباعده في الفضل كما بين السماء والأرض في البعد، قال القاضي: والاحتمال الأول أظهر، وهو كما قال"[٤]، وتضافرت آيات القرآن على رفعة منزلة الجهاد في سبيل

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٢٩٤.
(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٢٤.
(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٢٥.
(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٠.

الله وعلو درجة صاحبه، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وهذا إخبار من الله تعالى بما فضلهم به من الدرجات في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات وحلول الرحمة والبركات إحسانًا منه وتكريمًا[2]، ولهذا قال تعالى: ﴿دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

قال ابن حجر: "قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته فضيلة ذلك"[4].

وقال العز بن عبدالسلام: "يشرف البذل بشرف المبذول وأفضل ما يبذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين"[5]، وقال أيضًا: "إنما شرفت النفقة في سبيل الله؛ لأنها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبعمائة فما الظن بحسنة الجهاد في سبيل الله"[6].

وللجهاد فوائد كثيرة منها:

(أ) أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(ب) هو دليل على حسن الظن بالله وقوة اليقين.

(ج) فيه عز الإسلام والمسلمين وقمع الشرك وأعوانه.

(د) لولا الجهاد لاستفحل الشر ولفسدت الأرض.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٥ - ٩٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٨٨/٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٥) أحكام الجهاد وفضله: العز بن عبدالسلام ص ٥٤.

(٦) المرجع السابق ص ٦١.

(هـ) فيه تمحيص للقلوب واختبار للنفوس.

(و) الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

(ز) من أسباب التمكين في الأرض.

(ح) فيه إرضاء الله وإذلال ودحر الشيطان وأعوانه.

(ط) به ينال العبد أعلى الجنان ويقرب من عرش الرب الرحمن.

(ي) ليس ثمة عمل يعدل الجهاد في سبيل الله[1].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤ بتصرف.

الحديث رقم (١٣٠٤)

١٣٠٤ - وعن أَبي بكر بن أَبي موسى الأشعريِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبي رضي الله عنه، وَهُوَ بَحَضْرَةِ العَدُوِّ، يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ أبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)) فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أأنْتَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إِلَى أصْحَابِهِ، فَقَالَ: أقْرَأُ عَلَيْكُم السَّلاَمَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَألْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

بحضرة العدو: قربه، وعنده[٢].

رث الهيئة: خَلَقُ الثياب[٣].

جفن سيفه: غمده[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نستضيء بأول ومضة بدأت بها صيغته. . وهى أنه حكاية يرويها أبو بكر بن أبى موسى الأشعري وهو " ثقة في روايته " ومن أوساط التابعين، فهو يقول: سمعت من أبى، وقوله من أبي " تأكيد لصدق الرواية، وإيحاء بعدم التشكيك فيها، وقوله، وهو بحضرة العدو جمله حالية: تنبيء عن امتزاج الأقوال بالأفعال. . فالحديث ليس رواية قولية فقط، ولكنة قول،

---

(١) برقم (١٩٠٢/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ض ر).

(٣) المرجع السابق في (ر ث ث).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

وعمل، والعدو. . لفظ فيه عموم، وشمول، فكل من يهدد ديار الإسلام فهو عدو، وكل من يشوه الإسلام فهو عدو. . مهما تباينت الوسائل وتعددت الأشكال، واختلفت الطرق، والتأكيد من قوله إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف " لمزيد من الإيحاء بصدق الخبر، وصدق الوعد، والترغيب في الجهاد، وصيغة الجمع في أبواب تعطى شحنة ترغيبية دافعة للإقدام، والجهاد. . وللجنة سبعة أبواب. . فأبواب الجنة كلها مشرعة تستقبل الشهداء الفاتحين، وما أجمل الصورة الحركية الأدبية الناطقة بكل معالم الترغيب في قوله: تحت ظلال السيوف، وليس هناك، وصف لالتحام الصفوف، ورصد صور القتال، والجهاد أروع من هذا الوصف الدال الجامع المانع " ويقول القرطبي. . كما يروى صاحب – دليل الفاتحين – هذا الكلام النفيس البديع: فإنه استفيد من الحض على الجهاد، والاختبار بالثواب علية، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف، والاعتماد عليها، واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها تقع على العدو، وبعضها ترتفع عليهم حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها " فما أجمل، وما أروع هذه البلاغة النبوية السامقة " – وتكتمل صورة الخبر في الجزء الثاني حيث يحكى الراوي قائلاً: فقام رجل رث الهيئة وهذه الصفة ليست للتحقير، ولكنها تفيد المساواة ف الإسلام. . فالرجل ليس معروفاً، وليس من أهل اليسار، والشأن، ولكنه حريص على صحة الحديث، ولذلك يأتي استفهام وزراؤه في هيئة مواجهة علمية لأبي موسى: أأنت سمعت رسول الله يقول هذا ؟" وهذه المعالم الأسلوبية مع اسم الإشارة هذا، وضمير الخطاب: أنت لمزيد من الاطمئنان على صحة الحديث، وتوثيقه الدقيق، والنتيجة أن الرجل ينطلق ليفوز بالجنة، ولم يكتف بعلم الرؤية أو علم الدراية. . ولكنة ودع أصحابة، وكسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل، والعطف بالفاء له دلالة في سرعة الحركة أو بطئها حسب سياق الكلام، والرغبة في الفوز بدار السلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من آداب المدعو: سرعة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

جاء في الحديث بعض الإشارات إلى فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه منها:

أ - جهاده في سبيل الله كما جاء في قول ابنه أبي بكرة: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو.

لقد كان لأبو موسى الأشعري رضي الله عنه باع في الجهاد في سبيل الله ونشر دعوته، فمنذ غزوة خيبر بدأت مغازي أبي موسى في عرض البلاد وطولها وحظي بشرف الجهاد تحت الراية المحمدية واللواء المصطفوي المظفر.

وشهد ما بعد خيبر بمعية النبي ﷺ؛ وكان أبو موسى فارسًا مغوارًا لا يُشق له غبار، وقد حظي بشهادة الشجاعة ووسامها من رسول الله ﷺ حيث قال عنه: ((سَيدُ الْفَوَارِسِ أَبُو مُوسَى))[1]، وثبت أنه جندل في معركة واحدة تسعة إخوة من المشركين، وجعلهم كأمس الدابر.

وفي العهد البكري الميمون، والعهد العمري من العصر الراشدي فتح أبو موسى بلادًا شاسعة واسعة من أرض فارس، وشهد فتح الجزيرة وأرض الشام.

وأبو موسى هو الذي افتتح أصبهان في زمن عمر رضي الله عنه وفتح تُستر[2] كذلك.

قال ابن الأثير: "وكان أبو موسى عاملَ رَسُول الله ﷺ على زبيد وعَدَن، واستعمله عمر رضي الله عنه على البصرة، وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجَرَّاح بالشام"[3].

ولأبي موسى رضي الله عنه أخبار سارة في مجال الفتوحات كما كانت له أخبار كثيرة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخصوصًا في قصة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ١٠٧/٤.

(٢) تستر بالعراق مدينة معلومة، تنسب إليها الثياب التسترية، انظر: معجم ما استعجم، البكري ٣١٢/١.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٦٥/٣.

تكفلت المصادر المتنوعة بالحديث عنها وإيضاح إشكالها، كما كانت له بضعة أخبار مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ولا مجال لذكره الآن لأنها خارجة عن فكرة هذه الموسوعة.

كما كانت لأبي موسى رضي الله عنه آثار عديدة في ميادين المعارك تدل على فقهه وعلمه، وتأثره بالهدي النبوي في سلمه وحربه:

إن حاربوا ملؤوا البلاد مصارعا أو سالموا عمروا الديار مساجدا [1]

قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2][3].

ب - سماعه الحديث من رسول الله ﷺ. ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث "فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم.

إن أبا موسى الأشعري قد أصاب كثيرًا من الفضائل والمآثر، فهو صاحب رسول الله ﷺ، الإمام الكبير، الفقيه، المقرئ، من الولاة الفاتحين كان حسن الصوت، فاضلاً، عابدًا جمع بين العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، وحمل وروى عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ[4].

روى مسلم بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[5].

لقد حرص أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أشد الحرص على الاستفادة من المجالس النبوية، وأخذ يسعى لكي يكون قريبًا منها، يأنس برؤية النبي ﷺ، ويأخذ عنه ويتعلم ويتفقه؛ فلقد أوتي أبو موسى فهمًا وذكاء وحرصًا وحبا للعلم، ومنّ الله عليه

---

(١) الشاعر: عبدالله الخفاجي، قافية الدال، بحر الكامل.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٦٣١ - ٦٣٢.

(٤) موسوعة عظماء حول الرسول، عبدالرحمن العك ص ٢٠٨٩.

(٥) أخرجه البخاري، ٥٠٤٨، ومسلم ٧٩٣.

بحافظة واعية جعلته يدرك ما فاته من الفوائد المجموعة في تلكم المجالس النبوية العطرة في مكة والمدينة.

إن الأقلام تعجز عن وصف المحبة العظيمة التي كان يكنها الصحابة الأطهار رضي الله عنهم لمربيهم رسول الله ﷺ، فكانوا يعملون ما بوسعهم كي يحظوا بمرضاته، ويقضوا أوقاتًا مفيدة في صحبته الشريفة تدنيهم من جنة عرضها السماوات والأرض.

أحبّ أبو موسى أن يحقق هذا الهدف السامي، وأن يكون يومًا من الملازمين للنبي ﷺ، ينهل من المورد العذب ما راق ليكون من الأصفياء ويُكْتَب في زمرة السعداء.

تحدث أبو موسى رضي الله عنه عن تلك الأمنية المباركة التي تشرّف بها وهو يخدم رسول الله ﷺ حيث أحبّ ورَغِب أن يكون بوّاب رسول الله ﷺ وحاجبَه في ذلك.

أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: (أخبرَني أبو موسى الأشعريُّ أنه توضَّأ في بيتِه ثمَّ خرَجَ فقلتُ: لألزمنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ ولأكونن معَهُ يومي هذا. قال: فجاءَ المسجدَ فسأل عن النبيِّ ﷺ فقالوا: خرج ووَجَّهَ ها هنا، فخرجتُ على إثرِهِ أسألُ عنه حتى دخلَ بئرَ أريسٍ، فجلستُ عندَ الباب - وبابُها من جَريد - حتى قضى رسولُ اللّهِ ﷺ حاجَتَه فتوضأ، فقمتُ إليه، فإذا هوَ جالس على بئرِ أريسٍ وتَوسَّطَ قُفَّها وكشفَ عن ساقَيهِ ودَلاهما في البئر، فسلمتُ عليهِ ثمَّ انصرَفتُ فجلستُ عندَ الباب فقلت: لأكوننَّ بَوّابَ رسولِ اللّهِ ﷺ اليومَ، فجاء أبو بكرٍ رضي الله عنه فدفَعَ البابَ، فقلتُ من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلتُ: على رِسلِكَ، ثم ذهبت فقلت: يا رسولَ الله هذا أبو بكر يَستأذن، فقال: ائذَنْ له وبشِّرْهُ بالجنة. فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخُلْ ورسولُ الله ﷺ يبشِّرُكَ بالجنة. فدخلَ أبو بكرٍ فجلسَ عن يمين رسولِ الله ﷺ معَهُ في القُفِّ ودلَّى رِجلَيه في البئر كما صنعَ النبيّ ﷺ وكشفَ عن ساقَيهِ. ثم رجعت فجلست وقد تركتُ أخي يَتوضأُ ويَلحَقني، فقلت إن يُردِ اللّهُ بفلانٍ خيراً - يريدُ أخاهُ - يأتِ بهِ. فإذا إنسان يُحرِّكُ البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: عمرُ بن الخطّاب، فقلت على

رِسْلك ثم جئت إلى رسولِ اللّه ﷺ فسلمت عليه فقلتُ: هذا عمرُ بن الخطاب يَستأذِنُ. فقال: ائذَن لهُ وبشِّرْهُ بالجنة فجئت فقلت: ادخلْ وبشرَّكَ رسولُ اللّه ﷺ بالجنَّة. فدخلَ فجلسَ معَ رسولِ اللّهِ ﷺ في القُفِّ عن يَسارِهِ ودلَّى رِجليه في البئر. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يُردِ اللّهُ بفلانٍ خيرًا يأتِ به، فجاء إنسان يُحرِّكُ البابَ، فقلت: مَن هذا؟ فقال: عثمانُ بن عَفّانَ فقلت: على رِسلِكَ. فجئت إلى رسولِ اللّهِ ﷺ فأخبرتُه، فقال: ائذَن له وبشِّرْهُ بالجنةِ على بَلْوَى تُصيبهُ، فجئتهُ فقلت له: ادخل، وبشَّرَكَ رسولُ اللّه ﷺ بالجنةِ على بَلوَى تُصيبُك. فدخلَ فوجدَ القُفَّ قد ملِىءَ، فجلسَ وجاهَهُ منَ الشقِّ الآخر)[1].

وبهذا التصرف الموفق حظي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بالمعية النبوية الشريفة، وبخدمة رسول اللّه ﷺ وخدمة أصحابه الأعلام الكرام؛ أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وحشرنا معهم ونقل لهم البشرى والبشارة بالجنة، فهل فوق هذا من مطمح؟:

قُلْ لِبَنِي الدُّنْيَا ألاَ هَكَذَا ... فَلْيَفْعَلِ النَّاسُ مَعَ النَّاسِ[2]

ولعل من أبرز حصائل الصحبة النبوية وحصائدها التي جناها أبو موسى رضي الله عنه، تلكم الإشراقات الدافقة باليمن التي تشع بالبركة، وتمنح أبا موسى رضي الله عنه شهادة متميزة، وبشارة بالحسنى خصه بها النبي ﷺ.

فقد ثبت في الصحيح أن رسول اللّه ﷺ قد دعا لأبي موسى بصريح اسمه بالمغفرة والمدخل الكريم، حيث قال ﷺ: ((اللهمَّ اغفر لعبدِ اللّهِ بن قَيسٍ ذَنْبَه، وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريمًا))[3].

كما حظي هذا الموفق بدعاء كريم من النبي ﷺ، وكان من السابقين إلى اقتناص تلكم الدعوات المباركات من النبي ﷺ، ويغتنم تلكم الأوقات الملائمة لذلك، وهذا يدل على معرفته قدر النبي ﷺ، ويشير إلى علمه وفقهه لآداب الصحبة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٧٤.

(٢) بغية الطلب، قافية السين ٢٤٢٠/٥، الوافي بالوفيات ٥٤/١٢.

(٣) أخرجه البخاري من حديث طويل في المغازي ٤٣٢٣، ومسلم ٢٤٩٨.

النبوية في مختلف الظروف التي كان يعيشها مع معلمه وأستاذه رسول الله ﷺ[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

ورد ذلك في الحديث في قوله: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، قال القاضي عياض: "وقوله: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، وهذه استعارة، يعني أن الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب إليها"[٢].

قال النووي: "قال العلماء: معناه: إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها"[٣]، وقال ابن علان: "قال القرطبي: هذا من الكلام النفيس البديع فإنه استفيد منه الحض على الجهاد، والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف، والاعتماد عليها واجتماع المتقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها تقع على العدو وبعضها ترفع عليهم، حتى كأن السيوف قد أظلت الضاربين بها، والمراد أن الضارب بالسيف في سبيل الله يدخله الله الجنة بذلك[٤] في أعلى درجاتها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللّٰهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)) فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ. فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ. يَا رَسُولَ اللّٰهِ فَفَعَلَ. ثُمَّ قَالَ: ((وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ. مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)) قَالَ: وَمَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللّٰهِ قَالَ: ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ))[٥].

هذا عن فضل الجهاد في الآخرة، أما في الدنيا فإن الجهاد سبب للتمكين في الأرض لدين الله تبارك وتعالى، واجتثاث الفساد، والقضاء على روافده.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

---

(١) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٥٩٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٢٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٥ - ١٤٠٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٤.

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[٢].

فالفساد في الأرض قائم ما لم يكن الجهاد، والآية الثانية تفسر هذا الفساد، بأنه منع ذكر الله في الأرض، وهدم بيوت العبادة والطاعة لله في الأرض، واجتثاث هذه العقيدة من الناس، ليكون الحكم للطواغيت، فلا يعبد الله في الأرض، ((اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض))[٣]، هذا من الناحية السلبية، ولا يكفي أن يكون الجهاد فقط هو أن يسمح بذكر الله وأن يسمح بحرية العبادة، وأن يسمح بحرية القول.

هناك هدف أبعد هو إقامة شريعة الله في الأرض، وتنفيذ منهجه فيها بحيث تكون الحاكمية له وحده في هذا الوجود ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾[٤]، والتمكين في الأرض يرافقه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٥]، فلا بد من الاستخلاف في الأرض، والتمكين فيها للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا لا يتم إلا عن طريق الجهاد.

إن الجهاد في الإسلام من أدوات التمكين في الأرض ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٢) سورة الحج، الآيتين: ٤٠ – ٤١.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٨٤.

(٥) سورة النور، آية: ٥٥.

مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ...﴾ وحتى يتحقق هذا الهدف الذي من أجله أنزل الكتاب، ليحقق القسط والعدل بين الناس، لا بد من الوسيلة الرئيسية له ألا وهي السلاح والجهاد ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1] "[2].

ثالثًا - من آداب المدعو: سرعة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

جاء في الحديث بيان لسرعة امتثال الصحابة رضي الله عنهم لتوجيهات النبي ﷺ وما ينبغي أن يكون عليه المدعو من امتثال مطلق واستجابة سريعة لتوجيهات النبي ﷺ، فقال: (رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل)، والمعنى: ألقى عليهم السلام مودعًا وكسر غمد سيفه وألقاه قَطْعًا لطَمَع نفسه من الحياة وإيئاسًا لها من العَوْد"[3]، وذلك امتثال لمثل قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[4]، من معانيها ما قاله عروة بن الزبير: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، أي: للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم[5].

فبينت الآية أن في الاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ وإرشاداته الحياةَ، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) فقه السيرة النبوية، منير محمد غضبان من مطبوعات جامعة أم القرى ص ٣٨٩ - ٣٩١.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٠٦.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥/٤.

الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة، ولما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلو عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملاً من الأعمال[1].

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢١٣/٩/٤.

الحديث رقم (١٣٠٥)

١٣٠٥- وعن أَبي عبسٍ عبد الرحمن بن جَبْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

عبدُ الرَّحمن بن جَبْر: وهو عبدالرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد الأوسي الحارثي الأنصاريّ البدريّ، وكان اسمه في الجاهلية معبدًا أو عبد العزى فسمى في الإسلام عبدالرحمن، وكان يكنى بأبي عَبَس الأنصاري واشتهر بها، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيمن شهد بدرًا، وكان سنه إذ شهدها ثمانية وأربعين عامًا، أو نحوها وكان يخضب بالحناء.

ويقال: أنه كان يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكِتابة بالعربية قبل الإسلام قليلة، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف، وكان كعب بن الأشرف وأبو رافع بن أبي الحقيق اليهوديان يؤذيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك قبل نزول سورة براءة.

آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين خُنَيْس بن حُذَافة السهمي، وكان عبدالرحمن بن جبر وأبو بُرْدَة يكسران أصنام بني حارثة حين أسلما، وكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما يبعثانه يُصَدِّق الناس.

مات رضي الله عنه سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان بن عفان، وصلى عليه عثمان بن عفان، ونزل في قبره أبو بُرْدة بن نِيار ومحمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وَقش، وكلهم قد شهد بدرًا، ودفن بالبقيع، مات وهو ابن سبعين سنة[٢].

---

(١) برقم (٢٨١١). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٩، و١٩١٧).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٤٥٠، ٤٥١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٤٧، ٤٤٨)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٤٢٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٩١)، (١٥٣٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٣٦٠)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٥٥١).

غريب الألفاظ:

اغبرت قدما عبد: أصابهما الغبار وعلاهما[١].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز، والاختصار، وحذف فضول الكلام يعد من شروط الفصاحة، والبلاغة لأنه يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهذا الباب كما يقول ابن سنان الخفاجي في كتابة " سر الفصاحة " من أشهر دلائل الفصاحة، وبلاغة الكلام عند أكثر الناس "، وكلام رسول الله من جوامع الكلم. فهو كما يقول هند بن أبي هاله " يتكلم بجوامع الكلام فضلاً لا فضول فيه، ولا تقصير. وهذا الحديث برهان صدق على ذلك فهو يتكون من جمله واحدة، ولا يستطيع المتحدث إلا أن يكمل هذا الحديث حتى تتم الفائدة، وتقطف الثمرة، والحديث ينفى نفياً قاطعاً أن تمس النار قدمي عبد غبرتا في سبيل الله " والنفي الذي تصدر الحديث يفيد مع جوابه الترغيب في استمرار هذا الفعل المحبب في الإسلام وهو أن يغبر المؤمن قدميه في سبيل الله فذلك طريق النجاة من النار، والفوز بالجنة، والتنبيه في قوله: قدما عبد " يوحى بشمولية الحركة، والسعي الدءوب في إنجاز أعمال الخير، والاستهانة بالمشقة والتعب في ذلك، وهذا من قبيل الكناية، والرمز إلي الجهد المبذول، والعطاء المأمول، وتنكير قوله " عبد " ليس للتهوين من شأنه، ولا للتقليل منة، ولكن لإفادة العموم. فالمراد ليس عبداً بعينة، ولكنة كل عبد يعمل ذلك وفى ذلك لإشارة إلى أن هذا الصنيع يجب أن يتحلى به كل عبد مسلم صادق مخلص في أقواله وأفعاله واختيار مادة العبودية والعدول عن أي مادة أخرى يجعل لهذه الكلمة إشعاعا إيمانيا متوهجاً. حيث لا يكون الجهاد إلا من منطلق العبودية لله عز وجل، ومن شواهد الإيجاز المشع قوله: في سبيل الله فهنا تبرق دلالتان: إحداهما خاصة وهى " الجهاد " فالحديث في ظل هذه الدلالة يسوق البشرى للمجاهدين بالنجاة من النار، وثانيهما: عامة " وهى أن يحمل قوله: في سبيل الله

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ب ر).

على كل طاعة والحديث كما قال العلماء زيادة في البشرى ومما يؤازر صدق هاتين الدلالتين. . مع دلالات كثيرة أن " البخاري " روى هذا الحديث في كتاب الصلاة، وأن الترمذي رواه في باب " الجهاد ، وقوله: فتمسه النار يوحى بأن النار لن تقترب منه. . والتعبير بالمس يفيد ذلك ويفتح الباب لكل مسلم في ظل عبودية لربة أن يسعى في الخير وأن يغير قدميه في سبيل الله، جعل الله الجنة مثوانا. . ونجانا من النار، وبئس القرار.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - الترغيب في تشييع الغازي وإعانته على بعض ما يحتاج إلى القيام به لأن الجهاد من أفضل العبادات، والمشاركة في مقدماته من أفضل المشاركات[١].

٢ - بيان عظم قدر الجهاد في سبيل الله فإن مجرد مس الغبار للقدم إذا كان من موجبات السلامة من النار فكيف بمن بذل جهده واستفرغ وسعه[٢].

٣ - حكم الحراسة في سبيل الله: تستحب الحراسة في سبيل الله لما فيها من الفضل الكبير[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب ما يلاقيه المجاهد في سبيل الله.

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٦/٧، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٩/٣، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٩/٧.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩/٧.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٩/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣/٣.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ثواب ما يلاقيه المجاهد في سبيل الله:

جاء ذلك واضحًا في قوله ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، قال الطيبي: "قوله: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، فائدة النفي فيه (ما اغبرت) أن غير المذكور محال حصوله، فإذا كان مس الغبار قدميه دافعًا لمس النار إياه، فكيف إذا سعى فيها واستفرغ جهده، وألقى النفس عليها فقتَل وقُتل"[١].

قال ابن حجر: "والمعنى: أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟"[٢].

وقال ابن علان: "وفيه بشارة للمجاهد بالنجاة من النار وإن عمم سبيل الله فحمل على كل طاعة، كان زيادة في البشرى"[٣]، وفضل الجهاد في النجاة من النار نطقت به آيات القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٤].

فوعد الله المجاهدين في الآيات بمغفرة الذنوب ودخول الجنات ونزول مساكنها ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٥]، أي: "النجاءُ العظيم من نكال الآخرة وأهوالها، زد على ذلك ما يمن

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٦٨/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٦.

(٤) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٥) سورة الصف، آية: ١٢.

الله به على المؤمنين بالفوز والظفر على أعدائهم، والقصد من الآيات تشجيع المؤمنين على قتال محاربيهم والثبات أمامهم والتحذير من الزيغ عن ذلك والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال، في سبيل الحق لإعلاء شأنه وإزهاق الباطل" [١].

إن الجهاد أحد سلع تلك التجارة العظيمة التي لا تبور والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور [٢].

فإذا كانت مشقة الغبار عاصمة من عذاب النار فما الظن بمن بذل ماله وغرّر بنفسه في قتال الكفار [٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد بأنه منجاة من النار، فقال ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار).

حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد مبينًا أن مجرد اغبرار قدمه في سبيل الله سبب لزحزحته عن النار والنجاة منها ولا فوز أعظم من ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [٤]، أي: من نُجي وأزيل عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وظفر بالنجاة، ونجا من الخوف [٥]، فإن من نجا من النار فهو من أهل الجنان التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن لم يزحزح وينجو من النار فقد شقى وخسر [٦].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا لما فيه من حث المؤمن على

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٣/١٦/٩.

(٢) تفسير القرآن ١١٢/٨.

(٣) أحكام الجهاد وفضله، العز بن عبدالسلام ص ٦٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٥) معالم التنزيل، البغوي ١٥٤/٢.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٦.

الرغبة فيما عند الله تعالى، فإن المؤمن إذا علم فضل العمل في النجاة من النار واستحقاق الجنة، تولدت عنده الرغبة الصادقة في النجاة وتحمل المشاق في سبيلها"(١).

والترغيب أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بالدعوة بها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢)، قال ابن القيم رحمه الله: "والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"(٣).

ثالثًا - من مهام الداعية: الحث على الجهاد في سبيل الله:

جاء في الحديث فضل الجهاد في سبيل الله في تحريم صاحبه على النار، فقال ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، وهذا الحديث يغرس في نفوس المدعوين الحرص والتشوق إلى الجهاد في سبيل الله؛ فالجهاد نجاة من النار وفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾(٤)، وهو دليل كمال الإيمان وصدق صاحبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(٥)، إضافة إلى ما في الجهاد من فضائل في الدنيا فهو سبب للعزة والبقاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٦).

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٦) سورة المائدة، آية: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، أي: ويستبدل قومًا غيركم لنصرة نبيه وإقامة دينه[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[٣]، إضافة إلى ما في الجهاد من أسباب للتمكين في الأرض والتأمين لحدود الدولة الإسلامية[٤]، وإرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه"[٥].

(١) سورة التوبة، آية: ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/١٥٤.

(٣) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، الإمام القرافي، تقديم وتحقيق وتعليق د. بكر زكي عوض، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ١٩.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤/١٥٠٥.

الحديث رقم (١٣٠٦)

١٣٠٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ (عَلَى عَبْدٍ) [1] غُبَارٌ في سَبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أعظم البشارة التي يزفها المصطفى صلى الله عليه وسلم لجماعة المؤمنين الذين بكوا من خشية الله، واغبرت أقدامهم في سبيل الله وهذه البشارة تتوهج بها كلمات الحديث.. وطريقة نظمه العجيب وتأليفه البديع، فبناؤه اللغوي يتكون من جملتين يتصدرهما الفعل المضارع المنفى بلا، والنفي هنا يتكرر في بداية الجملتين ليطمئن المؤمن على مستقبلة في الآخرة. . ولنتأمل كيف جاءت صياغة هاتين البشارتين في ثوب من النظم المحكم وفى بناء جمالي يستبق فيه المبنى مع المعنى إن البشارة الأولى تبدأ بنفي دخول النار " لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى لا ينصرف الذهن إلى معنى آخر واختيار مادة الفعل يلج وعدم التعبير بالفعل يدخل مع أن الدلالة واحدة في ظاهرها. . يوحى بأن دخول النار ليس عادياً ولكنة مرتبط بالعذاب والإيذاء ودلالة هذه المادة اللغوية في بعض تعاريفها توحي بذلك ففي حديث ابن مسعود " إياكم والمناخ على ظهر الطريق فإنه منزل " الوالجة. . يعنى السباع والحيات "

وقال الفراء "الوليجة" البطانة: من المشركين ومن هنا يأتي سر جمال اختيار الفعل "يلج دون غيره لمواءمته للسياحة. . ومناسبة للنار ومتعلقاتها: فهي مأوى المشركين

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي.

(٢) برقم (١٦٣٣)، وتقدم برقم (٤٤٨). وقال الحاكم (٤/٢٦٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩١٦).

ومستقر الجاحدين الظالمين وتأمل دلالة التنكير في قوله: رجل " فذلك ليس للتقليل ولكنة للشيوع والتعميم. . فكل رجل بكى من خشية الله فهو لن يلج النار " وختام البشارة الأولى يجعل من ولوج النار أمرا مستحيلاً لهذا الصنف من المؤمنين الذين يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، ولأن عود اللبن في الضرع محال بحسب العادة والمرتب على المحال محال، وهذه الصورة المقنعة نابعة من البيئة المتاحة لكل إنسان على وجه الأرض في كل زمان ومكان، وأما البشارة الثانية فقد صيغت في قالب المضارعية – إشارة إلى عدم الانقطاع – فالمؤمنون يغبرون أقدامهم في سبيل الله و لا ينقطعون إلى يوم القيامة وكذلك يوم القيامة يظل هذا الغبار شاهداً على ما قدموا. . ولا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان جهنم، وتأمل السر وراء الاختيارات اللغوية فلفظ الرجل في البشارة الأولى يناسب السياق لأن البكاء من خشية الله يعنى التكليف. . والمسئولية واختيار مادة العبودية في البشارة التالية يومئ بقيمة الإخلاص في المعنى. . وامتزاج كل عمل بمشاعر الولاء لله والعبودية له وقوله: في سبيل الله في دلالته الخاصة يرتبط بالجهد وفى دلالته الأعم والأشمل يتفتح على كل طاعة وتسعى في سبيل الله، والله اعلم.

غريب الألفاظ:

يلج: يدخل [1].

المضامين الدعوية[2]

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ل ج).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٤٤٨.

الحديث رقم (١٣٠٧)

١٣٠٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: ((**عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

ما زالت البشارات تتوالى.. وتتصاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب هذه البشارات.. وهذا الحديث الشريف يسوق بشارتين، وابن عباس " حبر هذه الأمة " هو ناقل هاتين البشارتين لأن الحديث يبدأ بالفعل سمعت رسول الله.. وابن عباس: صادق صدوق، وهو من الذين يظلهم دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم: حيث يقول (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، وأداها كما سمعها، والحديث في صياغته يبدأ بالإجمال ثم التفصيل، وفى ذلك تشويق للسامع، وإثارة للعواطف، والمشاعر، وجمل الحديث كلها صيغت في قالب الجملة الاسمية، وفى هذا دلالة على ثبوت هذه البشارة، ودوامها؛ لأن الجملة الاسمية توحي بالثبات، وعدم التغيير، وكرر العين " ثلاث مرات " وفى ذلك تأكيد لهذه البشارة، ولمزيد من الاطمئنان الذي يجب أن يعمر به قلب مؤمن يبكى من خشية الله، ويسهر على مصالح الأمة، وفى قوله: عينان " مجاز مرسل.. حيث أطلق الجزء، وأراد الكل..، والمراد: شخصان أو صنفان من الناس: وليس المراد الاقتصار على شخصين أو عينين وإنما ذلك لكل من يكون على هاتين الصفتين من أمة الإسلام في كل زمان، وفى كل مكان، واختيار لفظ " الخشية " له دلالته العميقة في الباعث على البكاء.. فهو ليس للخوف فقط، ولكنه للخوف الناشئ عن تعظيم، ومعرفة: فالخشية مرحله

---

(١) برقم (١٦٣٩) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٨).

أعمق وأدق من الخوف، وفى ذلك توجيه إلى ضرورة التفقه في الدين، والتعمق فى مسائله، وفى جميع فروع العلم الأخرى. لأن الله وصف العلماء بالخشية من الله فقال " إنما يخشى الله من عبادة العلماء " والتعبير بالمضارع فى قوله: تحرس في سبيل الله يوحى باستمرار هذه الصفة ويحددها، والحراسة تأخذ طابع الشمول: فهي تشمل من يحرس الجيش من الأعداء المتربصين به، ومن يحرس الثغور، والمنشآت، والدواوين العامة. حماية لها من المغيرين، واللصوص ونشراً للأمن، والاستقرار في النفوس. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان كيفية الوقاية من النار.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله...)، وذلك بالتحريم على النار جملة، قال المباركفوري: "في قوله: (عينان لا تمسهما النار)، أي: لا تمس صاحبهما، فعبر بالجزء عن الجملة، وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى"[(١)]، والمراد بقوله: بكت من خشية الله، "أي: لخشيته، والخشية هي الخوف الناشئ عن تعظيم ومعرفة"[(٢)].

وقال الطيبي: "قوله: عين بكت من خشية الله، كناية عن العالم العابد المجاهد مع نفسه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[(٣)]، حيث حصر الخشية فيهم غير متجاوز عنهم، فحصلت النسبة بين العينين، عين مجاهدة مع النفس

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٦٥/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٧.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

والشيطان، وعين مجاهدة مع الكفار والخوف والخشية مترادفان"[١].

إن البكاء من خشية الله تعالى، وإراقة الدموع من أثر الخوف منه، أمر محمود مشروع، وذلك من دلائل الإيمان وأعمال المؤمنين، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[٣].

لقد كانت دموع رسول الله ﷺ أسرع ما تكون للإراقة إذا قرأ أو استمع لآية من كتاب الله عز وجل، روي عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: ((رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي وفي صَدْرِهِ أزيزٌ[٤] كأزيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ))[٥].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرآنَ)) قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: ((إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)) فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[٦] رَفَعْتُ رَأْسِي. أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَىٰ جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي. فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ[٧].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٩٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) سورة مريم، آية: ٥٨.

(٤) أزيز: صوت كصوت الرحى في التحرك والاضطراب.

(٥) أخرجه أبو داود ٩٠٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٧٩٩).

(٦) سورة النساء، آية: ٤١.

(٧) أخرجه البخاري ٤٥٨٢ ومسلم ٨٠٠ واللفظ له.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يؤثر فيهم سماع القرآن وكلام النبي ﷺ أيما تأثير، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، منها: ما روي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَبِمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رسُولَ الله؟ قالَ: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِياكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[1].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ. فَخَطَبَ فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ، غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ[2].

لقد جعل النبي ﷺ الباكين من خشية الله من أولئك النفر السعداء الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ. وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللّهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))[3].

ومما سبق يتبين منزلة الخوف من الله والبكاء من خشيته، فالبكاء من خشية الله، له من الفوائد الكثير نذكر منها:

أ/ أن البكاء دليل على خشية الله ومراقبته.

ب/ البكاء دليل على صلاح العبد واستقامته.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ٣٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٢١، ومسلم ٢٣٥٩ واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١ واللفظ له.

ج/ البكاء يورث الخوف من الله وهو علامة على صحة الإيمان.

د/ البكاء طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.

هـ/ البكاء دليل على رقة القلب واستجابته.

و/ البكاء سمة من سمات الخاشعين[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله:

ورد بيان ذلك في الحديث حيث بيّن النبي ﷺ أن الرباط وحراسة ثغور الإسلام والمسلمين سبب للنجاة من النيران، فقال ﷺ: عينان لا تمسهما النار... وعين باتت تحرس في سبيل الله"، يقول ابن النحاس: "واعلم أن الحراسة في سبيل الله تعالى من أعظم القربات وأعلى الطاعات، وهي أفضل أنواع الرباط، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو فهو مرابط في سبيل الله وله فضائل كثيرة والتي منها ما جاء في الحديث من بيان أن النار لا تمس عينًا حرست في سبيل الله أبدًا"[2].

إلى غير ذلك من النصوص التي تبين مدى فضل الله على المجاهدين المرابطين في سبيله، والتي منها ما روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رِباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها. ومَوضعُ سَوطِ أحدِكم من الجنةِ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها، والرَّوحةُ يَروحُها العبدُ في سبيلِ الله أوِ الغَدْوَةُ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها))[3]، ولأهمية الرباط في حماية ثغور المسلمين وحماية الأمة بسياج من الأمن والطمأنينة أمر الله بالرباط فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

فالآية حضت المؤمنين على المرابطة في سبيل الله وجعلت ذلك سببًا من أسباب

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٨٤٢/٣.

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ابن النحاس ٤١٣/١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

الفلاح والفوز بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي والنجاة من المكروه كذلك[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، في البكاء خشية لله، والحراسة في سبيل الله بامتناع العذاب بالنار، فقال ﷺ: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)، فإن النجاة من النار فوز لا يدانيه شيء، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢].

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة، فهو أحد ركني الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣]، والترغيب يكون ببيان العاقبة الحميدة التي ترغب فيها النفوس، والعاقبة الحميدة لإتباع سبيل الله هي الظفر بسعادة النفس في الحياة الدنيا،ونجاتها من كثير من الشرور والآلام المشقية المعذبة لها، والظفر بسعادة الآخرة في الخلود بجنات النعيم، على ما وصف الله عز وجل في كتابه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٤].

رابعًا - من مهام الداعية: بيان كيفية الوقاية من النار:

إن من المهام الواجبة التي ينبغي على الداعية الاضطلاع بها بيانه للمدعوين أسباب الوقاية والنجاة من النار، والتي منها ما ورد في الحديث: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)، فيجب على من جند نفسه للدعوة أن يكون هدفه ومرامه إنقاذ الناس من نار الجحيم، والفوز بدار النعيم،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/٦٣١ - ٦٣٢.

ومعذرة إلى الله خروجًا من العهدة، وبراءة للذمة"[١]، وإن دلالة الناس على أسباب النجاة من الأمور المقصودة بالدعوة، والتي يجب على الداعية أن يتخذها في الحسبان، وقد أشار إلى ذلك ابن رجب بوجوب النصيحة على الداعية للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة [٢]، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة في الحرص على إيصال الخير للمدعوين وإبعاد الشر عنهم، رحمة بهم وحرصًا عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وحريص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم[٤].

وقال القاسمي: "(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه شاق ـ لكونه بعضًا منكم ـ عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) أي: على هدايتكم كي لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والسعادة بدين الحق الذي جاء به، (بالمؤمنين رؤوف رحيم) إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب. بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته (رحيم) إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب منها برحمته"[٥].

---

(١) واجبات الداعي إلى الله، سعيد بن عوض الأسمري ص ١٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٠٣/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٥) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٦٥/٨/٥.

الحديث رقم (١٣٠٨)

١٣٠٨- وعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

غريب الألفاظ:

جَهَّز: حمّله وأعدَّه بما يحتاج إليه في غزوه [2]، من زاد ودابة وسلاح.

غازيًا: مجاهدًا [3].

خَلَف غازيًا في أهله: قام بعده فيهم بما كان يفعله [4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده يتكون من جملتين شرطيتين وهذه الصيغة اللغوية تتسق مع المقام، ومقتضى الحال. فالمقام فيه إثابة، ووعد بالمثلية في الجزاء، وحسب المقدمات تكون النتائج "من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا" وأداة الشرط من وهى للعاقل. وكأن هذه الأداة العاقلة صوره لهذا المسلم العاقل الرشيد الذي يقدم على توفير العدة، والعتاد. للمحارب المسلم والتضعيف في الفعل "جهز" يفيد التكثير. وإحكام الإعداد الشامل إتباعا لقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٣٦/١٨٩٦) واللفظ له، وتقدم برقم (١٧٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج هـ ز).

(٣) المرجع السابق في (غ ز و).

(٤) المرجع السابق في (خ ل ف).

وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٦٠]. والتنكير في قوله: غازياً لإفادة العموم. فالمراد ليس غازياً بعينة، ولكن كل من يتأهب ويستعد لمواجهه الأعداء. ومادة غزا في اللغة تفيد الإرادة، والطلب " فيقولون: غزا الشيء أي "أرادة وطلبه " والغزو في اللغة: القصد، والغزو في مصطلح الفقهاء " السير إلى قتال العدو " فالتعبير بقوله غازياً: يفيد الإرادة والطلب. والسير إلى القتال. والالتحام.. والنصر أو الشهادة وقوله في سبيل الله يؤطر الحركة بالإطار الإسلامي حيث لا تكون الدوافع شخصية أو قبلية أو بدافع الطمع وطلب الجاه والملك وغير ذلك من الدوافع والرغبات الدنيا وجواب الشرط يجيء ماضيا يدل على التأكيد والتحقيق تشجيعاً لكل من يشارك في تجهيز الجيش وإعانة الجنود والتبرع بما يستطيع لصالح: المجهود الحربي والجملة الثانية تتوهج بالشعور الاجتماعي والعاطفة الإنسانية والتعبير بقوله من خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا يشع بدلالات كثيرة فالتعبير بالفعل " خلف " يرشد إلى أن من يتولى أمر أهل الغازي " خليفة في أهله " علية أن يقوم برعايتهم رعاية كاملة: إنقاقاً وحماية وصوناً لأعراضهم وقوله: بخير " يموج بكل ألوان الرعاية والإنفاق والحماية والولاية.

ومن أسرار الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: التناسق في بناء العبارتين والتوازن في نظمهما فالجملتان شرطيتان وأداة الشرط فيهما متماثلة (من) وهى للعاقل، وجواب الشرط فيها متماثل في صيغته الزمنية: فهو فعل ماضٍ في كل منهما " جهز، وخلف " وجواب الشرط موحد فيها " فقد غزا " ويوحي هذا التناسق اللغوي والتوازن الأسلوبي والتوحد في النتيجة بضرورة التناسق بين المؤمنين في الإعداد للغزو وبالتكامل التام في وضع الخطط لمواجهه العدو المتربص بالأمة وبالتوازن التام في الحركة والقول والفعل والإعداد وضرورة حماية الجبهة الداخلية. مثل حماية الجيش والحرص على الفوز والغلبة في تنسيق تام وتخطيط واع وتفكير متوازن سديد.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - استحباب تجهيز الغازي في سبيل الله، وأن من جهز غازيًا أو خلفه في أهله

كان له مثل أجر الغازي[١].

٢ - يجوز للإمام بذل الأهبة والسلاح من بيت المال، ومن ماله، إعانة للغازي، وللإمام ثواب إعانته[٢].

٣ - فيه إشارة إلى أن الغازي إذا جهز نفسه وقام بكفاية من يخلفه بعده كان له الأجر مرتين[٣].

٤ - الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم[٤].

٥ - أن ما نوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة كان له بذله في جهة أخرى، ولا يلزمه ذلك، ما لم يلتزمه إلا بالنذر[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨/٦، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٩/٣.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨/٦.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٨/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠/١٣.

(٥) المرجع السابق ٣٩/١٣.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٧٧.

الحديث رقم (١٣٠٩)

١٣٠٩ - وعن أَبي أُمَامَة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ في سَبِيلِ اللهِ وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ في سَبِيلِ اللهِ، أَوْ طَرُوقَةُ فَحلٍ في سَبِيلِ اللهِ**)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر[٢].

منيحة: هبة أو إعارة [٣].

طروقة فحل: أي مركوبة للفحل، يعلو الفحل مثلها في سنها ويعني بذلك ناقة أو فرسًا يعطي المجاهد إياها ليركبها إعارة أو قرضًا أو هبة[٤].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الذي يرغب في فضائل الأعمال، ويفتح آفاق المؤازرة والتعضيد للمجاهدين في سبيل الله ولكل من يؤسس لأعمال الخير والبر هذا الحديث يبدأ بصيغة التفصيل: أفضل الصدقات وذلك للدلالة على قيمة هذه الأعمال وعلى عظيم ثوابها، والمادة اللغوية تبوح بالفضل " مبنى ومعنى " فلم يقل أحسن أو أعظم. . لأن الوصف بالأفضلية يتضمن كل معالم التميز قولاً وعملاً ونية، والإضافة للجمع حيث قال:

---

(١) برقم (١٦٢٧). وصحّحه الحاكم (٢/٩٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٧١).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف س ط ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ح).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ر ق)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٤٦٠.

أفضل الصدقات للترغيب في كثرة الصدقات فلم يقل ﷺ أفضل صدقة إشارة إلى الإكثار من هذه الصدقات وإيذانا بتعددها وتنوعها، والحديث في بنائه اللغوي تتنظمه جمله إخبارية واحدة مكونة من مبتدأ (أفضل الصدقات) وخبر وهو ما بعد ذلك حيث تفصيل القول في هذه الصدقات المفضلة على غيرها وهى ثلاث كما جاء في الحديث أولاها: ظل فسطاط في سبيل الله وهذه الصدقة تلزم المجاهد وغيره في الجو القائظ والصحراء المترامية وهى رمز لكل من يقيم بناءً في سبيل الله لإيواء المجاهدين أو غيرهم ممن يحتاجون لحماية أنفسهم من حرارة القيظ وأعاصير الشتاء وكلمة ظل توحي بالمنفعة أيا كان حجمها والصدقة الثانية ترمز إلى المعاونة والمؤازرة فكل مجاهد يحتاج إلى من يقوم على شئون بيته ويرعى مصالحة ولذلك عبر عن ذلك بقول منجية خادم فى سبيل الله وهى: دفع الخادم للغازي ليخدمه والصدقة الثالثة هي للمساعدة في المؤن، والحياة المادية وغير ذلك دل على ذلك بقوله أو طروقة فحل في سبيل الله وهى الناقة التي بلغت أن يطرقها الفحل، وصياغة الخبر متناسقة في الجمل الثلاث حيث النكرة المضافة لما بعدها وهى تكتسب التعريف بهذه الإضافة (ظل فسطاط) ومنيحة خادم أو طروقة فحل وقد تكرر قوله: في سبيل الله ثلاث مرات للتأكيد على أفضلية هذه الصدقة ومعيار قبولها وللترغيب في التصدق والتبرع الخالي من الرياء والنفاق والمنافع الدنيوية القاصرة والله اعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب الإكثار من الصدقة، عند الأمور المهمة، وعند الكسوف، والمسفر وبمكة والمدينة، وفي الغزو، والحج والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة، وأيام العيد ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي آكد من غيرها)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين لمساعدة المجاهدين في سبيل الله.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦/١٥١.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين لمساعدة المجاهدين في سبيل الله:

إن من أكثر الصدقات ثوابًا إعانة المجاهدين، خاصة إذا تعين الجهاد لما فيه من توفير المأوى والطعام، وتوفير حاجات المقاتل وتفريغه للجهاد، إضافة إلى ما في ذلك من اشتراك الجميع في ثواب الجهاد في سبيل الله، القادر يجاهد بنفسه والعاجز عن الجهاد بالنفس يجاهد بماله[1]، فلا يحرم أحد من الأجر.

وقد جاء بيان فضل الإنفاق في سبيل الله والحث عليه فقال ﷺ: (أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله)، وذلك موافق لقول الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، وذلك لتوجيه المسلمين إلى إمداد المجاهدين بما يحتاجون إليه من أموال وعدة وعتاد.

قال السعدي: "هذا حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريق للوصول إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة وفي الاستعداد للجهاد في سبيله وفي تجهيز المجاهدين وتجهيزهم وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة المسلمين"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في سبيل الله:

جاء في الحديث التصريح بأن الإنفاق في سبيل الله أفضل الصدقات فقال ﷺ: أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله - أي ظل خيمة يستظل بها المجاهد، أي نصب خيمة أو خباءة للغزاة يستظلون به - ومنيحة خادم في سبيل الله - أي: هبة عبد

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٤.

للمجاهد ليخدمه أو عاريته له - أو طروقة فحل في سبيل الله، يعني: ناقة أو نحو فرس بلغت أن يطرقها الفحل يعطيه إياها ليركبها إعارة أو قرضًا أو هبة[١].

إن الإنفاق في سبيل الله وتجهيز المجاهدين من أعظم الأعمال، وقد وعد الله بتضعيف الثواب عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

قال ابن كثير: "وهذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال سعيد بن جبير: يعني في طاعة الله، وقال مكحول: يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"[٤].

ولقد ضرب لنا صحابة رسول الله ﷺ أروع المثل في الإنفاق في سبيل الله وبذل الغالي والنفيس من أجل رفعة هذا الدين والدفاع عن حياضه، ومن أظهر تلك الأمثلة في مجال الجهاد تسابق الصحابة رضي الله عنهم ومسارعتهم في تجهيز جيش العسرة، فقد كانت هذه الغزوة في زمان عسرة من الناس، وجدب بالبلاد، وشدة الحر، كما كانت حين طابت الثمار، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، لذلك أمر الرسول ﷺ بالتجهز، واستنفر لذلك أهل المدينة وما حولها، وأهل مكة وما جاورها، واستنفر أيضًا

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٦٠/٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١.

الأعراب الضاربين في الجزيرة العربية ممن أسلموا، كي يتكون من ذلك أكبر جيش يمكن إعداده لمقاتلة الروم ذوي العدد والعدة، والدربة في الحروب.

وحثّ رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على البذل والإنفاق في سبيل الله وتسابق الخيّرون في هذا المضمار فتبرع عثمان بن عفان رضي الله عنه بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وتبرع بألف دينار جاء بها في ثوبه، فجعل الرسول ﷺ يقلبها وهو يقول: ((مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، يُرَدِّدُهَا مِرَارًا))[1].

وأراد عمر رضي الله عنه أن يسبق أبا بكر رضي الله عنه ولو مرة في فعل الخير والإنفاق في سبيل الله فجاء بنصف ماله، فقال رسول الله ﷺ: ((مَا أَبْقَيْتَ لأهْلِكَ؟ قَالَ مِثْلَهُ، وَأَتى أَبُو بَكْرٍ الصِدِّيق بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فقالَ رسول الله ﷺ: يا أبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأهْلِكَ؟ فقالَ أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ عمر: لاَ أسابِقُكَ إِلى شَيْءٍ أَبَدًا))[2]، وجاء عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بثمانية آلاف درهم[3]، وجاء غيرهم بمال كثير وأرسلت النساء ما استطعن من حليهن[4]، وهكذا ضرب المسلمون أروع ألوان التضحية والبذل، وتكاثر الراغبون في الجهاد على رسول الله ﷺ يبغون الظهر والنفقة حتى لم يبق لديه شيء[5].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث للحث على الإنفاق في سبيل الله وبيان أن ذلك أفضل الصدقات، فقال ﷺ: (أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله).

وفي ذلك حث ودليل على مشروعية الجهاد بالمال، وأن الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس بل إن الأمر والحث على الجهاد بالمال يأتي في القرآن مقدمًا على بذل النفس،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٧٠١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود ١٣٦٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٤٧٢).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٢/٨.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١٢٧/٤.

(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٤٩٥/٢ - ٤٩٦.

وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ﴾[١]، ولم يقدم بذل النفس على المال في القرآن الكريم إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٢].

وقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة بالترغيب كالترغيب في الجنة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣].

إن أسلوب الترغيب له فوائد عديدة منها:

أ. يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين فيزداد طاعة وتقوى.

ب. يولّد الأمل ويبعث على النشاط والعمل للآخرة.

جـ. يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان.

د. يورث الصبر على المكاره في الدنيا رجاء أن يعوض عنه بالنعيم المقيم في الآخرة[٤].

فالترغيب أبرز الأساليب الدعوية حملاً للإنسان على طاعة الله عز وجل، وذلك لما جبلت عليه نفسه من حب ورغبة فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) سورة غافر، آية: ٤٠.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٣١٠)

١٣١٠ - وعن أنس رضي الله عنه : أن فَتَىً مِنْ أسْلَمَ، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أتَجهَّزُ بِهِ[1]، قَالَ: ((ائْتِ فُلاَنًا فَإنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ)) فَأتَاهُ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، ويقول: أعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلاَنَةُ، أعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلاَ تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ لاَ تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قصة واقعية صور الحوار مشاهد الأحدث فيها والأشخاص هنا حقيقيون لهم دور في سيرة الإسلام. . وهم هذا الفتى المجاهد (اسلم به أقصى بن حارثه، وهذا المسلم " المريض " الذي منعه مرضه من المشاركة في ميدان الجهاد وهذه الخادمة التي قامت بتسليم عدة القتال للفتى بعد أن أذن لها وأمرها صاحب هذه العدة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو تاج هذه المشاهد، وهو الموجه. . والقدوة الحسنة، وهذه القصة الواقعية صيغت مشاهدها المتماسكة صياغة فنية أسلوبية معبرة عن المعنى أصدق تعبير فالتأكيد في بداية الحديث يجيء لترسيخ المعنى المراد في ذهن المتلقي ولبيان أفضلية السعي إلى الجهاد والبحث عن الوسائل والأسباب التي تؤهل المجاهد للمشاركة والدفاع عن الإسلام، وكلمة " فتى " توحي بالقوة والفتوة " حيث لم يقل " أن شاباً أو رجلاً ولكن – قال: فتى " للإيحاء بالعزيمة القوية، والإرادة الناقدة " ولنتأمل دلالة التأكيد مره ثانية في قول الفتى: إني أريد الغزو حيث يفصح هذا التأكيد عن

(١) (به) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (١٨٩٤/١٣٤)، وتقدم برقم (١٧٦).

التصميم والتحفز وليس لمجرد الإذن أو الاعتذار لعدم وجود ما يتجهز به، والتأكيد فى الحديث يأتي مرة ثالثة في قول رسول الله: فإنه كان قد تجهز فمرض للدلالة على أن هذا المسلم المريض لم يحبسه عن الغزو إلا المرض ولذلك أمر رسول الله هذا الفتى بأن يذهب إليه ليأخذ عدته ومما ينبيء عن سرعة الاستجابة وسرعة الحركة للحصول على عدة القتال هذا العطف المتوالي بالفاء. . وهى للترتيب والتعقيب في قوله: فمرض فأتاه. . فقال: ويتكرر التأكيد مرة رابعة فى الحديث في قول الفتى إن رسول الله يقرئك السلام، وذلك لإعطاء المستمع مزيداً من الاهتمام بهذا الأمر ولتأكيد محبة الرسول صلى الله علية وسلم لهذا المسلم الذي أقعده مرضه عن الجهاد، وتكرار جمله لا تحبس عنه شيئاً " يرشد إلى صدق النية والاستجابة الكاملة لأمر رسول الله صلى الله علية وسلم، والقسم في قوله: فوالله لا تحبس عنه شيئاً يفصح عن الإخلاص في العطاء، وحذف النون من الفعل في قوله: فوالله لا تحبس منه شيئاً مع أن لا للفتى وليست للنبي ﷺ يعطى لهذا النفي قوة النهى لأن المراد نهيها عن المنع، والمعنى: لا تمنع منه شيئاً، والله در خبيب الصحابي الجليل الذي أنشد:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً   عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ للهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإلَهِ وإنْ يَشَـأْ   يُبَارِكْ عَـلَى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

المضامين الدعوية [1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٧٦).

الحديث رقم (١٣١١)

١٣١١ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ[١] إِلَى بَنِي لَحْيَانَ، فَقَالَ: ((لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أحَدُهُمَا، وَالأجْرُ بَيْنَهُمَا)) رواه مسلم[٢].

وفي روايةٍ لَهُ[٣]: ((لِيَخْرُجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ)) ثُمَّ قَالَ للقاعد: ((أيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ في أهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أجْرِ الخَارِجِ)).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

لينبعث: ليخرج[٤].

خلف الخارج في أهله: قام فيهم بما كان يفعله[٥].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يبدأ بالتأكيد (أن رسول الله ﷺ... الخ) وذلك للإعلان عن أهمية الموضوع ولتأكيد صدق الخبر الذي يفيد بأن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان من المسلمين لغزوهم حين كانوا كفاراً. . حتى يهتدوا إلى الإسلام وتعاليمه المضيئة ولام الأمر في قوله: لينبعث من كل رجلين رجل، تضفى على صيغة المضارع دلالة الأمر الواجب تنفيذه والأمر هنا للتنظيم واقتسام المسؤولية حيث يذهب نصف الرجال للغزو ويبقى النصف الآخر لحراسة الجبهة الداخلية ورعاية أهل الغازين

---

(١) عند مسلم زيادة: (بعثًا).

(٢) برقم (١٨٩٦/١٣٧).

(٣) برقم (١٨٩٦/١٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

المجاهدين في سبيل الله، وقوله أحداهما يوحى بالاختيار والمشورة وللإيحاء بأن أجر المقيم الذي يخلف الغازي في أهله بخير مماثل لأجر الغازي في الثواب عند الله سبحانه وتعالى، وقوله: الأجر بينهما: فيه تصريح بذلك وتحديد له ويؤيد ذلك الحديث السابق الذي رواه "يزيد بن خالد" حيث يقول في ختامه "ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا"

وفي الرواية الأخرى عبر عن الغازي بلفظ " الخارج " وكرره مرتين في الحديث: وهذا اللفظ فيه إيحاء بالبعث ويوم الخروج من أسماء يوم القيامة: حيث يقول الحجاج:

أليس يوم سمي الخروجا   أعظم يوم رجة رجوجا ؟

ويوم الخروج عند العرب: أي يوم العيد، ويقال له يوم الزينة ويوم المشرق وكان الغازي في سبيل الله يخرج للقتال وهو مهيأ للاحتفال بعيد النصر أو عيد الشهادة وكلاهما عبر عنة رسول الله صلى الله علية وسلم بإحدى الحبيبين "النصر أو الشهادة"

* وما أصدق الصحابي الجليل "عمير بن الحمام" الذي انطلق في معركة بدر الكبرى وهو يردد في صدق وحماس وإيمان

"ركضاً إلى الله بغير زاد   إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد   وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

فقه الحديث

هذا الحديث يستدلّ به على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين[1]. شريطة أن لا يدهم العدو ديار المسلمين، فإن دخلها صار فرض عين على الرجال والنساء على قدم سواء، ويلحق بهذا الحر والعبد والكبير والصغير وكل قادر على المقاومة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/١٣٠.

(٢) سيأتي ذكرها في شرح الحديث التالي.

الحديث رقم (١٣١٢)

١٣١٢- وعن البَراءِ رضي الله عنه ، قَالَ: أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَديدِ، فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ، أُقَاتِلُ وأُسْلِمُ؟ قَالَ: ((اسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ)). فَأسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : ((عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١]. وهذا لفظ البخاريُّ.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

غريب الألفاظ:

مقنع بالحديد: متغط بالسلاح، وقيل: هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة، لأن الرأس موضع القناع[٢].

الشرح الأدبي

هذا مشهد من مشاهد الفداء والإباء والإخلاص والوفاء والترغيب في الشهادة والحكمة في التوجيه وهذا المشهد الحواري كان بين رسول الله وذلك الرجل المقنع بالحديد استعداد للقتال وهو كما قال الكرماني " أصيرم بن عبد الأشهل " وقد غير النبي ﷺ وسماه "زرعة" والنداء في قوله: يا رسول الله: يعطى البشارة بإسلام الرجل. . لأنه أقر بالرسالة وقال: يا رسول الله وفى سؤاله قدم: القتال على الإسلام حيث قال: أقاتل أو أسلم وحين أرشده رسول الله إلى الطريق الصحيح: قدم الإسلام على القتال فقال: اسلم ثم قال قاتل لأن قتال الأعداء لا يكون مجدياً إلا إذا كان نابعاً من عقيدة صحيحة في ظل تعاليم الإسلام المشرقة والعطف بثم في قوله "أسلم ثم قاتل" يفيد التأني في فهم تعاليم الإسلام ومعرفة مقاصده من القتال والدفاع عن ديار الإسلام وحرماته، والعطف بالفاء في قوله "فأسلم" يرشد إلى سرعة استجابة هذا الرجل لكلام رسول الله ﷺ وقوله: ثم قاتل فقتل " يجمع بين التأني والتروي في فهم مقاصد الإسلام وذلك في قوله: فأسلم ثم قاتل، وبين الإسراع والاندفاع نحو الشهادة في القتال وعدم النكوص

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٤٤/١٩٠٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ع).

أو الخوف – والعطف بالفاء في قوله – فقتل " يفصح عن ذلك الشوق للشهادة في سبيل الله والعطف بالفاء كذلك في قوله: فقال رسول الله – عمل قليلاً وأجر كثيراً " ينبئ عن إسراع رسول الله في الإشادة بما صنع ذلك الشهيد وتبشيره بالأجر الكثير، والطباق في قوله ﷺ عمل قليلاً وأجر كثيراً فيه مزيد من البشارة لهذا الشهيد وغيره

وفيه إشارة دقيقة ولطيفة من لطائف النبوة وهى أن الأجر الكثير قد يكون على العمل القليل. . كما قال رسول الله ﷺ " إنما الأعمال بالنيات " فقلة العمل مع الإخلاص وصدق النية لا تمنع من مضاعفة الثواب وكثرة الأجر، وكأني بهذا الشهيد يتمثل بقول عبد الله بن رواحه. . وهو في معركة مؤتة. . حيث أنشد في صدق وحماس وشوق للجنة وهو يقاتل الروم

أقسمت يا نفس لتنزلنه. ..طائعة أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة　　مالي أراك تكرهين الجنة

فقه الحديث

الاستعانة بغير المسلمين على قتال العدو:

اختلف الفقهاء في جواز الاستعانة بغير المسلمين على قتال العدو: فذهب الحنفية والحنابلة في الصحيح من المذهب والشافعية ما عدا ابن المنذر وابن حبيب من المالكية، وهو رواية عن الإمام مالك إلى جواز الاستعانة بغير المسلم عند الحاجة.

وصرّح الشافعية والحنابلة بأنه يشترط في أن يعرف الإمام حسن رأيهم في المسلمين ويأمن خيانتهم. وصرح الشافعية أن يكثر المسلمون بحيث لو خان المستعان بهم وانضموا إلى الذين يغزونهم أمكنهم مقاومتهم جميعًا.

وشرط الماوردي أن يخالفوا معتقد العدو.

وعند المالكية -ما عدا ابن حبيب- وجماعة من أهل العلم منهم ابن المنذر

والجوزجاني: لا تجوز الاستعانة بمشرك[١].

المضامين الدعوية [٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإسلام أساس قبول الأعمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل القليل مع النية الصالحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الإسلام هو أساس قبول الأعمال:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن قال له: يا رسول الله أُقاتِل أو أُسْلم؟ قال: (أسلم ثم قاتل).

قال ابن عثيمين: "أن الجهاد بدون إسلام لا ينفع صاحبه؛ لأن هذا الرجل عندما استأذن من النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أُجَاهد ثم أُسْلم، أم أُسْلم ثم أُجَاهد؟ قال: أَسْلم ثم جاهد، فأَسْلَم ثم جَاهَد، وهكذا جميع الأعمال الصالحة يشترط فيها الإسلام، لا يقبل الله من أحد صدقة ولا حجًا ولا صيامًا ولا أي شيء وهو غير مسلم.

ولذلك أمر الله عز وجل بعدم دخول المشركين المسجد الحرام فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[٣].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٣٥/٣، والمبسوط، السرخسي ٢٣/١٠، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٢/٥، ٢٤٣، والحطاب ٣٥٢/٣، والمدونة الكبرى رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٤٠/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/٤، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٩/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٦٦/١٢/٦-١٦٧، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩٨/١٣-٩٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨/٣ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٦/١٦).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٣١٢).

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٨.

فالإسلام شرط لكل عبادة، لا تقبل أي عبادة إلا بالإسلام، ولا تصح أي عبادة إلا بالإسلام"(١).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢)، قال ابن كثير: "أي: من سلك طريقًا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه (وهو في الآخرة من الخاسرين)، كما قال النبي ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))(٣)"(٤).

قال د. محمد محمود حجازي: "ومن يبتغ غير الإسلام الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام والدين الذي ارتضاه الله لعباده لأنه دين الفطرة السليمة، والدين الذي يؤمن بكل نبي ورسول، وهو الواضح الخالي من التعقيد صاحب المعجزة الباقية ألا وهي القرآن الكريم، ومن يبتغ غيره دينًا فلن يقبل منه قطعًا وهو في الآخرة من الخاسرين"(٥).

"فمن البديهي أن العمل المرضي عند الله تعالى يشترط لقبوله شرط ضمني هو اعتناق الإسلام، أي الإيمان به، ولهذا قرن الله العمل الصالح بالإيمان، والمقصود به اعتناق الإسلام بعد أن بعث الله محمدًا ﷺ رسولاً إلى العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٦)، وعلى هذا إذا قام الشخص بالعمل وفق الشرع الإسلامي من حيث الظاهر، أي من حيث توفر أشكال العمل الظاهرية المطلوبة في الشرع الإسلامي، وكان قصد صاحبه مرضاة الله، ولكنه لم يؤمن بالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، فإن عمله مردود عليه ولا أجر فيه ولا ثواب"(٧).

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٤٧/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠/٢.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٦/٣/١.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٧) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٠ – ٤١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل العمل القليل مع النية الصالحة:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن الرجل الذي أتى النبي ﷺ كانت نيته الجهاد ونصرة الله تعالى، ورسوله ﷺ فقتل ولم يسبق له عمل صالح في الإسلام غير ذلك، فنال الأجر الكثير وذلك لأن الأعمال واقعة أو حاصلة حسب النية، قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّما الأَعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى))[1].

قال ابن رجب: "أي: الأعمال صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة بالنيات فيكون خبرًا عن حكم شرعي، وهو أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها.

وقوله: (إنما لكل امرئ ما نوى)، إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرًا حصل له الخير، وإن نوى شرًا حصل له شر، فدلّ على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه بحسب نيته الفاسدة.

وعن ابن المبارك قال: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"[2].

وذلك؛ لأن "النية أصل الشريعة وعماد الأعمال، ومعيار التكليف"[3].

وقال الخطابي منوهًا بشأن حديث (إنما الأعمال بالنيات): "هذا الحديث أصل كبير في أصول الدين، ويدخل في أحكام كثيرة... ومعناه أن صحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنية، وأن النيات هي الفاصلة بين ما يصح منها وبين ما لا يصح"[4].

ومن نفيس كلام ابن القيم: "النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين كَفَتَا وشَفَتَا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى)، ثم بين في الجملة

---

(١) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٦٤، ٦٥، ٧١.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ١/١٦٥٢.

(٤) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري ١/١١٢.

الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه، وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[(١)(٢)].

فإن صلاح الأعمال وفسادها بالنيات، وأنه يحصل للعبد من الثمرات والنتائج بحسب نيته، ومعلوم أن جميع العبادات لا تصح إلا بالنية، بأن ينوي ذلك، ويميز بين العادة والعبادات، وبين مراتب العبادات، ثم لا بد مع ذلك أن يكون القصد منها والغرض وجه الله وثوابه، وينبغي للعبد أن يتعبد لله بإخلاص في كل جزء من أعماله، فيستحضر بقلبه وأن يعمله لله متقربًا به إليه، راجيًا ثوابه من الله وحده، لم يحمله على ذلك العمل غرض من الأغراض سوى قصد وجه الله وثوابه، ويسأل ربه تعالى أن يحقق له الإخلاص من كل ما يأتي وما يذر، وأن يقوي إيمانه ويخلصه من الشوائب المنقصة، وبهذه النية الصادقة يجعل الله البركة في أعمال العبد ويكون اليسير منها أفضل من الكثير مِنْ عملِ مَنْ خلا قلبه من هذه النية ثم إذا عرضت له العوارض المنقصات، كالرياء وإرادة تعظيم الخلق، فليبادر بالتوبة إلى الله ويصرف قلبه عن هذه العوارض المنقصة لحال العبد التي لا تغني عنه شيئًا ولا تنفعه نفعًا عاجلاً ولا آجلاً[(٣)]، فينبغي على المسلم الحرص على إخلاص النية في عمله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما..." وقوله ﷺ: "عمل قليلاً وأُجِرَ كثيرًا" لمن أسلم ثم قاتل وقتل، فالجهاد في سبيل الله فضله عظيم للمسلم ولدينه، لأن مآله إما النصر أو الشهادة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[(٤)]، والجهاد في سبيل الله لا يعدله

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٢) انظر: جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات، د. علي أحمد الندوي ١/١٢٩ - ١٣٠.

(٣) انظر: الرياض الناضرة، الشيخ السعدي ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥٢.

عمل في الإسلام وهذا ما بينه رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ يَعدلُ الجِهادَ. قال: لا أجدهُ. قال: ((هل تَستطيعُ إذا خرَجَ المجاهدُ أن تدخُلَ مَسجدَك فتقومَ ولا تَفتُرَ، وتَصومَ ولا تُفطِرَ؟)) قال: ومن يَستطيعُ ذلك؟ قال أبو هريرةَ: إنَّ فرَسَ المجاهدِ ليَستَنُّ في طِوَلِهِ، فيُكتبُ لهُ حسَناتٍ[1].

"إن مكانة الجهاد سامقة، ذلك أنه ماضٍ إلى يوم القيامة وهو مفروض على أمة محمد ﷺ يرتفع من خلاله المسلم عن بقية إخوانه المسلمين مكانًا عليًّا"[2].

"فالجهاد من أنواع العبادة، التي خلق الحق - تبارك وتعالى - الناس من أجلها، نعْم الجهاد الذي هو محاربة الأعداء، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

لقد فرض الله تبارك وتعالى على هذه الأمة الجهاد، وجعله من أعلى مراتب العبادة واعدًا لمن قام به أعلى الدرجات في جنات عدن، جزاء ما بذل في سبيل الله من نفس ومال وجهد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول الكريم ﷺ عندما سئل عن أفضل الأعمال قال: ((إيمان بالله). قال ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)[5] فعلينا أن نخلص فيه طاعة لله رب العالمين، الذي شرفنا بهذه العبادة، ومنحنا الرضا والجنة لقاء قيامنا بها بصدق وإخلاص: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٨٥، ومسلم ١٨٧٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦، ١٥١٩، ومسلم ٨٣.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

لقد امتلأت صفحات القرآن المجيد بذكر فضائل الجهاد: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2].

إن الاعتداءات الظالمة، والمفاسد الآثمة التي يقوم بها الإنسان على أرض الله، وبين عباد الله، تنتشر بسببها الفتن، وتعم المفاسد، وتموج المجتمعات البشرية بألوان الشرور والآثام، وأنواع الظلم والطغيان، وتسود بينهم شريعة الغاب، القوي يأكل الضعيف ويسيطر على الناس فئة طاغية ظالمة، فيسود الفساد في الأرض، ويحصل للناس المشقة والعذاب، ويعم الأرض الخوف والرعب، والدمار، ويحل بالناس البلاء.

ورب العزة والجلال لا يقبل لعباده ذلك، ولا يرضى لهم هذا الهوان، ولا يجيز للقوي أن يأكل الضعيف، أو أن يعتدي عليه بأي نوع من أنواع الاعتداء، أو أن يسلب القوي أمن الضعيف وطمأنينته، كما لا يقبل سبحانه وتعالى أن يُصاب عباده في حياتهم الأخلاقية أو حياتهم المادية أو النفسية بأي نوع من أنواع الإصابات والعدوان، كما لا يرضى سبحانه وتعالى بانتشار الظلم والقتل بين عباده، أو أن يصبح عباده عبادًا لمخلوقيه من بقية العباد، فيلطخوا شرفهم الإنساني بجراح الذلة والصغار والهوان، فيخضعوا لغير الذي خلقهم وصورهم سبحانه وتعالى أيا كان هذا.

لذا؛ فإن الجماعة التي تهب وتنهض لتطهير الأرض، بل البشرية من هذه الفتن وتنقذها من الظلم والعدوان، وتقيم العدل والإحسان، وترفع راية الحق والدين، دون طمع في ثروة أو وصولاً إلى مغنم، وتُضحي في سبيل تحقيق ذلك الخير، بمالها وراحتها، بل بأرواحها، جديرة حقًا بحب الله ومرضاته عنها، أولئك هم المجاهدون.

---

(١) سورة الصف، آية: ٤.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

فالجهاد عبادة ينبغي إخلاصها لله، لأن الحق تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، لا رياء فيه ولا سمعة، والجهاد في سبيل الله يحتل الدرجة العليا بين جميع الأعمال الإنسانية بعد الإيمان بالله رب العالمين، قال رسول الله ﷺ: ((لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[1]"[2].

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٠.

(٢) أنواع العبادة في إفراد الله بالعبادة، د. الشريف حمدان الهجاري ص ١٩١ - ١٩٢.

الحديث رقم (١٣١٣)

١٣١٣- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأرْضِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى انْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ))[1].

وفي رواية[2]: ((لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الكرامة: الكَرَمُ والجود[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي ينوه بفضل الشهيد ويقدم نموذجاً فريداً لكل متشوق للجهاد راغب في الدفاع عن عقيدته وأمته نجد الراوي يبدأ رواية الحديث بالتأكيد فيقول " عن أنس رضي الله عنه أن النبي قال) والتأكيد هنا للتنبيه على عظمة هذا السلوك الذي يقوم به الشهيد رغبة في تشويق الناس إلى أن يحذو حذوه في الشهادة والتعبير بقول " ما أحد " للاستقصاء والعموم ليشمل كل إنسان أنعم الله عليه بدخول الجنة وجمله " يدخل الجنة صفة لهذا الذي أنعم الله علية لتحديد نوع النعمة ولبيان قيمتها ودخول الجنة أقصى ما يرجوه المسلم ويرغب فيه والتعبير بالمضارع في قوله "يدخل الجنة" يفيد تجدد هذه الحالة بتجدد الزمان والمكان والمقابلة بين قوله "يدخل الجنة ، ويرجع إلى الدنيا... لإظهار الفرق الشاسع بين نعيم الجنة وضآلة قيمة الدنيا ومع ذلك يحب الشهيد أن يرجع لا حباً في الدنيا ولكن لشوقه إلى الجهاد في سبيل الله وأسلوب القصر هنا عن طريق النفي والاستثناء يفيد الحصر وقصر هذا السلوك البطولي على الشهيد وتأخير لفظ: الشهيد ليس لعدم أهميته ولكن للتشويق. .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٧/١٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٧٧/١٠٨).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر م).

والرغبة في معرفة صاحب هذه الأمنية التي يعجز عنها الكثيرون والتعبير بقوله " يتمنى " يفيد استحالة وقوع ذلك لأن التمني هو تمنى الأمر البعيد الحصول وقال العلماء وعبر عنه بالتمني لأنه محال لتعلق القدرة الإلهية بعدم وجوده، والتعبير بقوله " فيقتل عشر مرات " لإظهار شوق الشهيد إلى الاستزادة من سبب الفضل والكرامة بنيل الشهادة دفاعاً عن الإسلام والمسلمين وصوناً للحرمات والأعراض ويقول الشاعر في تحية الشهيد:

نلت الشهادة فاهنأ أيها البطل ... بمثل عزمك تبنى مجدها الدول
أمامك الجنة الخضراء تفتحها ... لك السيوف التي حطمت والأسل
وليس أشرف من موت حظيت به ... والنصر دان إلى عينيك مقتبل

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - بيان فضل الشهادة والجهاد، وأنه ليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب[١].

٢ - أن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين وإنما يكفر حقوق الله تعالى[٢].

٣ - حكم جهاد من عليه دَيْن بغير إذن غريمه: اتفق الفقهاء على من تعين عليه الجهاد جاز له الخروج سواء أذن له صاحب الدين أم لم يأذن لأن تعلق الجهاد بعينه مقدم على تعلق الدَيْن بذمته[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٦.

(٢) حاشية رد المحتار ١٢١/٤، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٩/١٣، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٢٢/٧.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.
قال ابن قدامة: ولكن يستحب له أن لا يتعرض لمظان القتل من المبارزة والوقوف في أول المقاتلة، لأن فيه تغريرًا بتفويت الحق. راجع المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧/٩، ١٨.

اتفق الفقهاء على أن من عليه دين حال وكان موسرًا لا يجوز له الخروج إلى الجهاد إلا إذا أذن له الدائن أو ترك وفاءً أو أقام كفيلاً فحينئذ يجوز له الاشتراك في الغزو[١].

أما إذا كان الدين مؤجلاً فقد اختلف الفقهاء في ذلك. فذهب المالكية والشافعية[٢] إلى جواز خروج المدين إلى الجهاد بغير إذن غريمه لأن الدين لم يحل بعد فلم تجب المطالبة به[٣].

وذهب الحنفية والحنابلة[٤] إلى عدم جواز ذلك، لأنه يعرض نفسه للقتل طلبًا للشهادة، وإذا قتل فقد فات الحق على صاحبه[٥]. وهذا هو الراجح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة)، وفي رواية: (لما يرى من فضل الشهادة).

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.

(٢) القوانين الفقهية ١٥٠/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦.

(٤) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧٢/٩.

قال النووي: "هذا من صريح الأدلة في عظيم فضل الشهادة"[١].

وقال ابن بطال: "هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة، قال: وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب"[٢].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

قال السعدي: "هذه الآيات الكريمات فيها فضل الشهداء، وكرامتهم وما منّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة. فقال: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)، أي: لا يخطر ببالك وحسبانك، أنهم ماتوا وفقدوا لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال وزهد في الشهادة، (بل) قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم (أحياء عند ربهم)، في دار كرامته.

ولفظ (عند ربهم)، يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، (ويرزقون)، من أنوع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا صاروا (فرحين بما آتاهم الله من فضله)، أي مغتبطون بذلك، وقرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه وعدم المنغص"[٤].

عن مسروق قال: سألنا عبدالله عن هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٤٠/٦.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٤.

اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] قَالَ: (أَمَا إِنَّا سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ في جوف طير خضر لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)[2].

قال القرطبي: "قول مسروق: سألنا عبدالله عن هذه الآية، هو عبدالله بن مسعود، وهكذا في رواية أبي بحر: سألنا عبدالله بن مسعود. ومن قال فيه: عبدالله بن عمرو فقد أخطأ.

وقول عبدالله: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: كذا صحت الرواية، ولم يذكر فيها (رسول الله ﷺ) وهو المراد منها قطعًا. ألا ترى قوله: فقال؟ وأسند الفعل إلى ضميره، وإنما سكت عنه للعلم به، فهو مرفوع، وليس هذا المعنى الذي في هذا الحديث مما يتوصل إليه بعقل ولا قياس، وإنما يتوصل إليه بالوحي، فلا يُقال: هو موقوف على عبدالله بن مسعود.

وقد تضمن هذا الحديث تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]، وأن معنى حياة الشهداء: أن لأرواحهم من خصوص الكرامة ما ليس لغيرهم، بأن جعلت في جوف طير، كما في الحديث، أو في حواصل طير خضر، كما في الحديث الآخر، صيانة لتلك الأرواح، ومبالغة في إكرامها، لإطلاعها على ما في الجنة من المحاسن والنعم كما يطلع الراكب المظلل عليه بالهودج الشفاف؛ الذي لا يحجب عما وراءه، ثم يدركون في تلك الحال التي يسرحون فيها من روائح الجنة وطيبها، ونعيمها، وسرورها ما يليق بالأرواح مما ترتزق وتنتعش به، وأما اللذات الجسمانية فإذا أعيدت تلك الأرواح

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

إلى أجسادها استوفت من النعيم جميع ما أعد الله تعالى لها، ثم إن أرواحهم بعد سرحها في الجنة ترجع تلك الطير بهم إلى مواضع مكرمة، مشرفة، منورة عبر عنها بالقناديل لكثرة أنوارها وشدتها. والله تعالى أعلم. وهذه الكرامات كلُّها مخصوصة بالشهداء كما دلّت عليه الآية وهذا الحديث.

و(قولهم) نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، دليل على أن مجرد الأرواح هي المتكلمة... وأنها أجواف، ليست أجسادًا لها، وإنما هي مودعة فيها على سبيل الحفظ والصيانة والإكرام، وهذا كله يدل على أن لمنزلة الشهادة من خصوص الإكرام ما ليس لغيرها من أعمال البر، كما قال في الحديث الآخر: (ليس لأحد له عند الله خير يتمنى أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة... الحديث)"[١].

وقال القاضي عياض: "وأما قوله لهم: (هل تشتهون شيئًا) فمبالغة في الإكرام والنعيم؛ إذ قد أعطاهم ما لا يخطر على قلب بشر ثم رغبهم في سؤال الزيادة، فلم يجد وراء ما أعطاهم من مزيد، لكن تلقوا ذلك بالشكر بأن سألوه بأن يرد أرواحهم إلى أجسادهم حتى يجاهدوا فيه، ويبذلوا أنفسهم، ويقتلوا في شكر إحسانه، ويستلذوا ألم القتل والموت لمكافأة بره، ويجودوا بذواتهم له، إذ لم يقدروا على غاية فوق ذلك والجود بالنفس أقصى غاية الجود"[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في إخباره ﷺ عن الشهيد ودخوله الجنة حيث قال: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع...)، فهذا من إخباره ﷺ بحال الشهيد وإكرام الله له وهذه المنازل التي اختصه الله بها وقد ورد عنه كثير من الأحاديث التي تخبر عن حال الشهداء عند الله.

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله فَقَالَ لِي: ((يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧١٥، ٧١٦، ٧١٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٠٩.

مُنْكَسِرًا؟)) قُلْتُ يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي قتل يوم أحد وَتَرَكَ عيَالاً وَدَيْنًا ، قالَ: قال: ((أَفلاَ أَبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟)) قلت: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ((مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ، قالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قالَ الرَّبُ عز وجل إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا﴾[1]))[2].

ومنها قوله ﷺ: ((لِلشَّهِيدِ عندَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ ويرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأكبَرِ، وَيُوضَعُ على رأسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أقَارِبِهِ))[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث رغب رسول الله ﷺ في الشهادة في سبيل الله، وبيّن أنها من أفضل الأعمال، ومن عظم فضلها يتمنى الشهيد الخروج من الجنة، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لعظم الشهادة وعظم ما يراه من إكرام من المولى عز وجل له. وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يقصد كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٤٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٦٣، وابن ماجة ٢٧٩٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٢٢٥٧).

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣١٤)

١٣١٤- وعن عبدِ اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قَالَ: ((يَغْفِرُ اللهُ لِلْشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إلاَّ الدَّيْنَ)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ له[2]: ((القَتْلُ في سبيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شيءٍ إلاَّ الدَّيْن)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

يكفِّر: يستر ويمحو[3].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز في الحديث الشريف منبع بلاغته ومصدر حكمته وسر تأثيره وقوته وهذا الحديث نموذج للإيجاز البليغ الدال فهو يتكون من جمله واحدة. . يسبقها التأكيد الذي يدل على أهمية المعنى المراد وقوة الدلالة المنبثقة من الحديث الشريف، وصيغة " المبنى للمجهول " في قوله – يغفر للشهيد كل ذنب – توحي بأن المغفرة تساق للشهيد من حيث لا يحتسب ولأن الشهيد مقابل ربه. . فإنه يوقن أنه لا يغفر الذنوب إلا الله فهو غافر الذنب، قابل التوب وذاكرة الشهيد تنفى أي احتمال غير ذلك وإدراكه يأبى أن يفكر في غير خالقه وبارئه ومصورة ولذلك لم يحدد الفاعل في الفعل لأن مصدر الغفران معلوم. . وهو الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب " والتعبير بقوله: كل ذنب " يفيد العموم " وغفران جميع الذنوب أيا كان نوعها ولذلك تؤيد الرواية الأخرى هذه الدلالة الترغيبية حيث يقول: يكفر كل شيء إلا الدين والاستثناء

---

(١) برقم (١٨٨٦/١١٩) بنحوه ولفظه: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٦) بلفظ مسلم.

(٢) برقم (١٨٨٦/١٢٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

بإلا يفيد تنبيه المسلم إلى أهمية قضاء الديون وإرجاع الحقوق لأصحابها وفى الحديث بلاغة الحذف في ختامه، والتقدير. . إلا الدين فلن يغفر للشهيد عدم أدائه، وذلك لمزيد من الترغيب في إرجاع الحقوق إلى ذويها حتى تظل الروابط بين المسلمين متماسكة، وتظل الأخوة الإيمانية راسخة بين طوائف الأمة وأفرادها، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من عدم أداء الدَّيْن.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن)، حيث بيّن ﷺ أن الدين من الأشياء التي لا يغفرها الله للشهيد رغم منزلته وفضله عند الله.

فعلى الداعية أن يلتزم ببيان الحقائق للمدعوين وقد أمر الله رسوله ﷺ ببيان الحق فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]، "أي: فتفصل لهم ما أجمل، وتبين ما أشكل (ولعلهم يتفكرون)، أي: ينظرون لأنفسهم فيهتدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين"[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[٣].

قال السعدي: "الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك،

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧٤/٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل. فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق وخوفًا من إثم الكتمان"[١]. فيجب على الداعية بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: التحذير من عدم أداء الدين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين)، ويؤيد ذلك ما ورد عن قتادة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: ((أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ)) فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: ((نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((كَيْفَ قُلْتَ؟)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ لِي ذَلِكَ))[٢].

قال القرطبي: "و(قول السائل: أرأيت إن قتلت في سبيل الله؛ أتكفر عني خطاياي؟) هذا بحكم عمومه يشمل جميع الخطايا، ما كان من حقوق الله تعالى، وما كان من حقوق الآدميين. فجوابه بـ (نعم) مطلقًا يقتضي تكفير جميع ذلك، لكن الاستثناء الوارد بعد هذا يبين أن هذا الخبر ليس على عمومه، وإنما يتناول حقوق الله تعالى خاصة لقوله ﷺ: ((إلا الدَّيْن)) وذِكْره الدَّيْن تنبيه على ما في معناه من تعلق حقوق الغير بالذمم، كالغصب، وأخذ المال بالباطل، وقتل العمد، وجراحه، وغير ذلك من التبعات، فإن كل هذا أولى بأن لا يغفر بالجهاد من الدَّيْن، لكن هذا كله إذا امتنع عن أداء الحقوق مع تمكنه منه، وأما إذا لم يجد للخروج من ذلك سبيلاً، فالمرجو من كرم الله تعالى إذا صدق في قصده، وصحت توبته أن يُرضيَ الله تعالى خصومه عنه،

(١) تيسر الكريم الرحمن ص ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

كما قد جاء نصًا في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المشهور في هذا، وقد دلّ على صحة ما ذكرناه قوله ﷺ: ((لَتُؤَدُّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...))(١) الحديث. ولا يلتفت إلى قول من قال: إن هذا الذي ذكره من الدين إنما كان قبل قوله ﷺ: ((مَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فعلى...))(٢) الحديث. يشير بذلك إلى أن ذلك المعنى منسوخ. فإنه قول باطل مفسوخ، فإن المقصود من هذا الحديث بيان أحكام الديون في الدنيا، وذلك: أنه كان من أحكامها دوام المطالبة وإن كان الإعسار. وقال بعض الرواة: إن الحر كان يباع في الدَيْن. وامتنع النبي ﷺ من الصلاة على من مات وعليه دينار ولم يجد وفاء له. فهذه الأحكام وأشباهها هي التي يمكن أن تنسخ، والحديث الأول لم يتعرض لهذه الأحكام. وإنما تعرض لمغفرة الذنوب فقط. هذا إذا قلنا: إن هذا ناسخ، فأما إذا حققنا النظر فيه فلا يكون ناسخًا، وإنما غايته: أن تحمل النبي ﷺ على مقتضى كرم خُلقه عن المعسر دينه، وسد ضيعة الضائع. وقد دلّ على ذلك قوله ﷺ في هذا الحديث بعينه: ((أنا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنَا أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ))(٣)، فعلى هذا يكون هذا التحمل خصوصًا به، أو من جملة تبرعاته لما وسع الله عليه، وعلى المسلمين. وقد قيل في معنى هذا الحديث: إن معنى ذلك: أن النبي ﷺ قام بذلك من مال الخمس والفيء ليبين أن للغارمين ولأهل الحاجة حقًا في بيت مال المسلمين، وإن الناظر لهم يجب عليه القيام بذلك لهم، والله تعالى أعلم"(٤).

قال النووي: "ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرها من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وفيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين"(٥).

---

(١) اخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٢) اخرجه البخاري ٥٣٧١، ومسلم ١٦١٩.

(٣) هو الحديث السابق.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧١٣-٧١٤.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١١.

وقال ابن عثيمين: "أن الشهادة تكفر كل شيء من الأعمال إلا الدَيْن، يعني: إلا دَيْن الآدمي، فإن الشهادة لا تكفره، وذلك لأن الآدمي لا بد من إيفائه إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وفي الحديث التحذير من التساهل في الدَيْن وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتساهل في الدَيْن ولا يستدين إلا عند الضرورة القصوى، وذلك لأن الدَيْن لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله"[(١)].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر هذا من عموم الحديث حيث رهّب رسولُ الله ﷺ من عدم سداد الدين وذلك بقوله: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين)، فالشهادة وما لها من فضل ومكانة عند الله لا تكفر الدين وفي ذلك ترهيب منه ومن التساهل فيه، (وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي يقصد به كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[(٢)].

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ١٤٤٦/٢ - ١٤٤٧.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣١٥)

١٣١٥- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهِم فَذَكَرَ[1]: ((أنَّ الجِهَادَ في سَبيلِ اللهِ، وَالإيمَانَ باللهِ، أفْضَلُ الأعْمَالِ))، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أرأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ الله وَأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ))، ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: ((كَيْفَ قُلْتَ؟)) قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((نَعَمْ، وَأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْنَ فَإنَّ جِبْريلَ عليه السلام قَالَ لِي ذَلِكَ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ابو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

تُكفَّر: تُستَر وتُمحى[3].

محتسب: مبادر إلى تحصيل الثواب بالتسليم والصبر[4].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قبس من خطابة النبي ﷺ، وإشعاع من بلاغة النبوة في الحوار والإقناع والهدى والإرشاد وتتسم خطابة المصطفى ﷺ بالدقة والوضوح وعدم المبالغة فالخطبة النبوية نسيج متلائم من الفكر التشريعي الواضح في ضوء التعاليم القرآنية ويأتي التأكيد في بداية الحديث ليبين أفضلية الجهاد والإيمان بالله وصيغة التفضيل في قوله " أفضل الأعمال " للإخبار عن الجهاد والإيمان " أي مجموعها ، وتقدم: الجهاد. .

---

(١) عند مسلم زيادة: (لهم)، وهي لا توجد عند المنذري، فتبعه عليها المؤلف.

(٢) برقم (١٨٨٥/١١٧)، وتقدم برقم (٢١٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ح و).

(٤) المرجع السابق في (ح س ب).

على الأيمان ليس لأفضليته المطلقة ولكن للاهتمام به والحض عليه في بدء الدعوة الإسلامية وفى كل عصر تتعرض فيه الأمة للأخطار من أعدائها، والمتربصين بها فالجهاد لا يقبل ولا تكون له عزة إلا في ظل الإيمان الذي تتسع دائرته لتشمل الصالح من كل الأعمال والحوار في الحديث الشريف بين رسول الله وهذا السائل يعد خير وسيلة للإقناع ولتوصيل المعرفة والترغيب في الجهاد ولبيان أهمية الدين، وتكرار الاستفهام في سؤال السائل: أرأيت إن قتلت " أتكفر عن خطاياي؟ يرشد إلى لهفة السائل لمعرفة الحقيقة ولرغبته في المغفرة ورغبته كذلك في الجهاد، وإجابة رسول الله تتضمن نوعين من البلاغة الأسلوبية: أسلوب الشرط وبلاغة الحذف فالشرط يفيد أن الجزاء من جنس العمل فالأمر ليس إهلاكاً للنفس، ولكن لا بد أن يكون القتل في سبيل الله وفيه صبر واحتساب، وأن يموت الشهيد مقبلاً غير مدبر والموقع اللغوي للجملة التي تتضمن هذه الصفات تصور حال حركة الشهيد ساعة القتال فهي جمله حالية وأنت صابر تحتسب مقبل غير مدير وصيغة اسم الفاعل في هذه الخصال الأربع تعلن عن صدق النية وقوة العزيمة لدى الشهيد وكأنة هو الذي يصنع الصبر والثبات والاحتساب بمضاء عزيمته وصدق نيته وهو يواجه الأعداء وينأى عن الفرار والتولي يوم الزحف ومراجعة رسول الله لهذا السائل وتكرار السؤال لتوضيح أهمية الدين والترغيب في أدائه على خير وجه – وقال صاحب دليل الفالحين نقلاً عن العاقولي " استعاد منه سؤاله لبعيد جوابه مقيداً بما يأتي مبالغة في عظم أمر الدين لأنه لما علم بأجر الشهيد مجرداً عن الدين إطمأنت نفسه وانشرح صدره وفرح بذلك غاية الفرح فلما أورد عليه حكم الدين وأنه مستثنى كان كالانباه بعد الرقدة والإزعاج بعد الغفلة وهو أبلغ من الإعلام أولاً. والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٢١٧.

الحديث رقم (١٣١٦)

١٣١٦ - وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ[١]: أيْنَ أنَا يَا رسول الله إنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: ((فِي الجَنَّةِ)) فَألْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الحواري بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة لم يتحدد زمانه ولم يتحدد مكانه واسم الرجل لم يهتم به الراوي الأعلى. لأن الغاية هنا ليست حكاية أو قصة لها أحداثها ووقائعها ولكن الغاية من هذا الحديث التنويه بفضل الاستشهاد وبيان حرص الصحابة على القتال في سبيل الله والظفر بإحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة، ولذلك نرى الاستفهام الحقيقي في بداية الحديث. يعلن عن صدق السائل في شوقه للجهاد والاستشهاد في سبيل الله وتخصيص السائل بضمير الرفع المنفصل " أنا " يؤكد صدق هذا السائل فهو لا يسأل للمعرفة فقط ولكن للإقدام والتنفيذ وقد استجاب ونفذ شوقاً للجنة، وبلاغة الإيجاز في هذا الحديث تتجلى في حذف جواب الشرط في قوله: " إن قتلت " والتقدير فأين أنا ؟ وهذا الحذف في حكم المذكور لأنه جواب الشرط وقد حذف لدلاله ما قبلة عليه وكأنه كرر السؤال مرتين إحداهما بالإظهار. والأخرى بالإضمار وإجابة رسول الله ﷺ وسلم تتضمن إيجازاً حيث اقتصر على قوله: في الجنة – والتقدير: أنت إن قتلت – تدخل الجنة ولأن السائل مشتاق إلى معرفة مصيره ومشوق للجهاد فقد بشرة رسول الله بما يدفعه إلى الإقدام والإسراع

---

(١) هو: عُمير بن الحُمام الأنصاري. تنبيه المعلم (٧٨٧).

(٢) برقم (١٨٩٩/١٤٣)، وتقدم برقم (٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٥٨) من رواية أنس بنحوه أخرجها الحاكم (٩٣/٢).

إلى القتال فقال "في الجنة"، والعطف بالفاء في قوله "فألقى: يجعل من الفعل مصور الحركة الرجل وسر استجابته لهذه البشرى والعطف بثم في قوله: ثم قاتل يرشد إلى كثرة القتال... واتساع المساحة الزمنية لذلك والتعبير، بـ"حتى" وهى للغاية ينبيء عن ذلك ويفيد بأن الرجل استمر يقاتل حتى نال شرف الشهادة وقتل في سبيل الله وهذا أعظم ما يناله المسلم من تكريم وثواب مضاعف فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكرمه وعفوه وهو أرحم الراحمين

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - ثبوت الجنة للشهيد(١).

٢ - المبادرة بالخير، وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس(٢).

٣ - جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء(٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من واجبات المدعو: المسارعة وعدم التردد في اغتنام الفرص.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤/١٣.

(٢) المرجع السابق ٤٤/١٣.

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١٨٣/٢، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢١٤/٣، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢٨٣/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٣٦٠/١، أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٦/١، أحكام القرآن للقرطبي ٨٤٦/١-٨٤٩، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩١/٤، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٢/٧.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على السؤال عما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه : قال رجل: (أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال: في الجنة)، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه إمارة الجيش في فتح خيبر يصرخ ويقول: يَا رَسُولَ اللّهِ عَلَىٰ مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم : ((قَاتِلْهُمْ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. إِلاَّ بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللّهِ))[(١)]، وهذا صحابي آخر عندما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالإِيمَانَ بِاللّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ))، قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟[(٢)]، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ما يعن لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا، حتى أن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه[(٣)].

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))[(٤)].

فعلى المدعو أن يسأل عما يشغله من أمور دينه.

ثانيًا – من واجبات المدعو: المسارعة وعدم التردد في اغتنام الفرص:

إن الفرص ثمينة، وإن فواتها لا يعوض، وإن انتهازها لدليل الحزم، وعنوان العقل والجد. "ومهما حفظ الإنسان من الحكم، وكانت رغباته صالحة، فلن تتحسن أخلاقه وتقوى إلا إذا انتهز كل فرصة تسنح له"[(٥)]، قال البارودي:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٣) من أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

(٥) الأخلاق والسير، لابن حزم ص ٣٨.

بـــادر الفرصـــة واحـــذر فوتهـــا فبلـــوغ العـــز في نيـــل الفـــرص
فابتـــدر مـــسعاك واعلـــم أن مـــن بـــادر الـصيد مـع الفجـر قـنص [١][٢]

فينبغي على المسلم أن يبادر إلى اغتنام الفرص، يظهر ذلك في قول عمير بن الحمام رضي الله عنه: (فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل).

قال النووي: "وفيه المبادرة بالخير وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس"[٣].

إن المنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة السليمة، وذلك بحثه على فعل الخير والمسابقة إليه باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل، نرى ذلك من خلال دعوة الله المتكررة إلى فعل الخير، والتي من خلالها يتبين لنا أهميتها بالنسبة للإنسان. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

وقد جعل الله المبادرة إلى فعل الخير أحد العناصر الرئيسة للفوز برضاه والفلاح في الدنيا والآخرة حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

وقد جعل الله لنا نماذج هم خير قدوة لنا في حياتنا نقتبس منهم، وهؤلاء هم أنبياؤه ورسله عليهم السلام، فقد أوحى الله إليهم فعل الخيرات فامتثلوا لذلك. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[٦].

---

(١) ديوان البارودي قافية الصاد. البحر: رمل تام ص ٢٩٣.
(٢) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢٤١.
(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٧.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٤٨.
(٥) سورة الحج، آية: ٧٧.
(٦) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

ومن طرق الإسلام في الحث على المبادرة لفعل الخير أنه أثنى على الذين سارعوا إلى فعل الخير وكانوا حريصين على القيام به، ليكون ذلك حافزًا قويًا لمن يأتي بعدهم فيقتدي بهم[١]. قال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢].

وغاية المنهج الإسلامي - مما سبق - هو: تكوين الإنسان المسلم الحق من خلال إيداع طبيعته الإنسانية كل ذخائر الإسلام الجليلة وبذور الخير، وذلك ليتسنى للإنسان قهر نوازع الشر دون أن يكون هناك كبت لغرائزه ونشاطه الجسمي. فالإسلام يصادم الشر لكي تتجه قوى الإنسان إلى الخير والبناء.

فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل، ومدتها محدودة قليلة، والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية؛ فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زادًا تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

ونجده سبحانه في آية أخرى يذكر سمات الشخصية الإسلامية التي منها المبادرة لفعل الخير وما تتميز به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٤].

وقد ثبت في الإسلام أصل طلب المسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها[٥]، فالله

---

(١) إسلامنا، الشيخ السيد سابق ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٩٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ - ٦١.

(٥) انظر: الموافقات، للشاطبي ١/١٥٣.

سبحانه وتعالى ندب الإنسان إلى المسارعة في فعل الخيرات والمبادرة إليها حيث قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾(١). وهي: طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخًا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن، الذي هو آخر كتاب أنزله(٢).

وقد نبه الرسول ﷺ على أنه يحصل في هذه الدنيا فتن شاغلة وكثيرة، فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية أن يبادر إلى الأعمال الصالحة النافعة التي أمر بها الدين الإسلامي، من عبادة لله عز وجل وجهاد في سبيله، أي أنه يلتزم المنهج الإسلامي بكامله قبل حصول الفتن وكثرة المشاغل التي تصرفه عن الالتزام بهذا المنهج، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))(٣).

فقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تأصيل هذه الخصلة في نفوس المسلمين وجعلها سمة يتسابقون إلى التحلي بها والتنافس فيها.

والشخصية الإسلامية في مبادرتها لفعل الخير وتنافسها فيه؛ لا بد أن تلتزم بشرط ضروري يتعلق بقبول العمل عند الله سبحانه وتعالى وذلك بأن تكون عند مبادرتها لفعل الخير نظرها متجه إلى الله وحده لا إلى الناس؛ لأن من لم تكن هذه نيته يكون قد دخل في باب الرياء وهو كما سمي الشرك الخفي، فالشخصية الإسلامية عندما تبادر إلى فعل خير فإن نهاية قصدها هو نيل القرب من خالقها والوصول إلى أعظم الدرجات عنده(٤).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن سأله: أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٠/٣.

(٣) أخرجه مسلم ١١٨.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ٣٦١ - ٣٦٤.

فقال: (في الجنة).

حيث رغّبه في الشهادة في سبيل الله وبيّن له أن جزاء ذلك الجنة، وقد كان من هديه ﷺ أن يرغب الصحابة رضي الله عنهم في الشهادة، ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ))[1].

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يشوق بها المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، ونيل رضاء الله في الآخرة والفوز فيها بالجنة.

(١) أخرجه البخاري ٣٦، ٣١٣٢، ومسلم ١٨٧٦.

الحديث رقم (١٣١٧)

١٣١٧- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وأصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ يَقْدمَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أكُونَ أنَا دُونَهُ**)). فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ**)) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ رضي الله عنه: يَا رسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأرْضُ؟ قَالَ: ((**نَعَمْ**)) قَالَ: بَخٍ بَخٍ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟**)) قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إلاَّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أهْلِهَا، قَالَ: ((**فَإنَّكَ مِنْ أهْلِهَا**)) فَأخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إنَّهَا لَحَياةٌ طَويلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بدر: غزوة بدر هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[٢].

لا يقدمن أحد منكم إلى شيء: أي قدامه متقدمًا في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها[٣].

دونه: أقرب منه إليه[٤].

بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير[٥].

---

(١) برقم (١٤٥/١٩٠١). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٣).

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤١٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

قرنه: القَرَن: جعبة من جلد تُشقُّ ويُجعل فيها النبل[١].

الشرح الأدبي

ما أجل الوقائع الماجدة التي تحفل بها السيرة النبوية العطرة وهذا الحديث من المشاهد المضيئة بأشعة البطولة وتوهجات الصدق والفداء في معركة بدر الكبرى وكل مسلم في هذه المعركة كان قلبه ينبض بالكلمات التي أطلقها رسول الله ﷺ وهو يبشر أصحابه بالجنة والنصر حيث قال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة "وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجدها تموج بالظواهر الفنية والأسلوبية الآتية: الحوار بين رسول الله ﷺ وأصحابه يرسى قاعدة المشورة في الإسلام حتى في اللحظات الحرجة الخطرة ومنها التحفز والاستعداد للقتال ومواجهه الأعداء، ثم الجملة الخبرية في بداية الحديث وما بعدها: تفيد الإخبار بوقائع حقيقية ولها أثرها في إرساء قواعد الدعوة ومشروعية القتال والترغيب في الاستشهاد دفاعاً عن الإسلام، ثم التأكيد في قول رسول الله صلى الله علية وسلم: " لا يقدمن أحد منكم إلي شيء. .. الخ " يوضح موقف رسول الله وثباته في إقدامه وشجاعته والمراد. . النهى عن الاستبداد في شيء من ذلك دون أمره وإشارته، كما أن التعبير بقوله: انطلق رسول الله، وقوله: حتى سبقوا. . يجسد حركة المسلمين وقوتهم في التوجه إلى ميدان المعركة ولم يقل ذهب ولم يقل وصلوا لأن المراد رصد ما عليه المسلمون من قوة الإرادة وصدق العزيمة فجاءت الألفاظ مصورة لإيقاع الحركة المادية والمعنوية، والعطف بالفاء في قوله: فدنا المشركون، فقال رسول الله: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض – يوحى بسرعة التحركات بين الجانبين – المسلمين والمشركين – طمعاً في الفوز والغلبة، وفي قوله: فقوموا إلى جنه. . يفيد المسارعة ووصف الجنة بالعرض من باب المبالغة والترغيب وليدل على أن الطول أعظم وأعظم، وتكرار – جنه عرضها السماوات والأرض على لسان –

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ن).

عمير بن الحمام الأنصارى – يفيد التلذذ بذكر هذا النعيم والتثبت من ذلك والحرص على الفوز بالجنة بعد الشهادة، وقوله " بخ بخ " تعبير صوتى عن المراد وهذا مما تمتاز به اللغة العربية فهي كما قال ابن جني – أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " وكلمة: بخ " تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، ولنتأمل السر الذي يكمن في سؤال رسول الله حين قال لعمير: ما يحملك على بخ بخ؟ إنه يريد أن يظهر مراد عمير للناس وهو أن يكون من أهل الجنة وبشره قائلاً إنك من أهلها واستشهد عمير وفاز بالجنة وهذا كما يقول العلماء من جملة معجزاته صلى الله علية وسلم: لأنه أخبر عن أمر مغيب قبل كونه بأنه يكون فكان كما أخبر ونعم المسلمون جميعاً بالنصر في غزوة بدر الكبرى بعون الله ومشيئته قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾} [الحج آية ٣٨].

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل" فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: غزوة بدر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب والتفخيم.

رابعًا: من آداب الداعية: الاستفسار عن كلام المدعو وتبشيره بالخير.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في العمل.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد:

يظهر ذلك من قول أنس رضي الله عنه: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤١/١٣/٧ .

المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: (لا يُقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ... إلخ).

وهذا يدل على حرص صحابة رسول الله ﷺ على مرافقته في الجهاد وهذا من كل الصحابة رضي الله عنهم الكبير والصغير، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: ((أن رسولَ الله ﷺ عَرضَهُ يومَ أُحُدٍ وهو ابنُ أربعَ عشرةَ سنةً فلم يُجزني، ثم عَرضني يومَ الخَندَقِ وأنا ابنُ خمسَ عشرةَ فأجازني))[1].

قال ابن الجوزي في ترجمة سعد بن خيثمة: "يكنى أبا عبدالله، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر"[2].

وعن ثابت البناني، عن ابن أبي ليلى أن ابن أم مكتوم قال: (أَي ربٍّ أنزل عذري. فأنزلت ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾[3] فكان بعدُ يغزو ويقولُ: ادفعوا إلَيَّ اللواءَ، فإني أعمى لا أَستطيع أَن أَفِرَّ، وأَقيموني بين الصفين)[4].

ومن ترجمة واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: عن محمد بن سعد قال: أتى واثلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح. وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه. فلما دنا من واثلة قال: من أنت؟ فأخبره فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت أبايع. فقال رسول الله ﷺ: فيما أحببت وكرهت؟ قال: نعم. قال: فيما أطقت؟ قال: نعم. فأسلم وبايعه.

وكان رسول الله ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٦٤، ومسلم ١٨٦٨.

(٢) صفة الصفوة ٢١١/١.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٦٤/١.

الأسقع فلما رأى حاله قال: لقد فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه: والله لا أكلمك أبدًا. فأتى عمه فسلم عليه فقال: قد فعلتها؟ قال: نعم. قال: فلامه أيسر من ملامة أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر.

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام. فقال واثلة: أنى لك هذا يا أخيَّة؟ قالت: سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت. فقال: جهزي أخاك جهاز غاز فإن رسول الله ﷺ على جناح سفر. فجهزته فلحق برسول الله ﷺ قد تحمل إلى تبوك وبقي غُبرات من الناس وهم على الشخوص فجعل ينادي بسوق بني قينقاع: من يحملني وله سهمي؟ قال: وكنت رجلاً لا رُحلة بي قال: فدعاني كعب بن عجرة فقال: أنا أحملك عقبة بالليل وعقبة بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي. قال واثلة: نعم. قال واثلة: جزاه الله خيرًا لقد كان يحملني ويزيدني وآكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبدالملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئًا كثيرًا فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص [١] فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت: اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها فخرج وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك فيها ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئًا"[٢][٣].

فهذه القصص وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن الله اختار لنبيه ﷺ أفضل الخلق لصحبته وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[٤].

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: غزوة بدر:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا

---

(١) القلوص: هي الإبل الفتية المجتمعة الخلق، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ل ص).

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي ٢٩٩/١.

(٣) انظر: أين نحن من أخلاق السلف، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، بهاء الدين بن فاتح عقيل، ط٩ دار طيبة للنشر والتوزيع: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٧٣ - ٧٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٠٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٤)..

المشركين إلى بدر. وغزوة بدر كانت في صبيحة يوم الجمعة لسنتين خلتا من بدء الهجرة النبوية إلى المدينة[1].

وهذا التاريخ كان من أهم تواريخ الدعوة إلى الله، وحول هذه المعركة نزلت سورة الأنفال بيان إلهي عن هذه المعركة.

ولقد وجه الله تعالى أنظار المسلمين - أولاً - إلى التقصيرات والتقاريظ الأخلاقية التي كانت قد بقيت فيهم، وصدرت بعضًا منهم ليسعوا في تكميل نفوسهم وتزكيتها عن هذه التقاريظ.

وقد حملت هذه الغزوة الكثير من الدروس الدعوية التي يمكن الاستفادة منها، ومنها: الهدف النبيل الذي خاض النبي ﷺ من أجله هذه المعركة... وهو نصرة الحق ونشره والكفاح ضد الشرك وأهله.

ثم خطاب المشركين والمنافقين واليهود وأسارى المعركة ووعظهم، وتدعوهم إلى الاستسلام للحق والتقيد به.

ثم خطاب المسلمين حول الغنائم، وتقنين مبادئ وأسس هذه المسألة، ثم بيان ومشروعية قوانين الحرب والسلم للمسلمين ما كانت الحاجة تمس إليها بعد دخول الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة، حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية، ويقوم لهم التفوق الأخلاقي والقيم والمثل، ويتأكد للدنيا أن الإسلام يثقف أهله عمليًا على القيم والمبادئ التي يدعو إليها.

ثم إقرار بنود قوانين الدولة الإسلامية التي تُقَيِّم الفَرْق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها، والذين يسكنون خارجها"[2].

إن بدر من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة وأهم المواقع التي أيد الله فيها المسلمين

---

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٣٥.

(٢) انظر: الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص ٢٣١.

ونصرهم وهم قلة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب والتفخيم:

يظهر ذلك في قول رسول لله ﷺ: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)، حيث استخدم أسلوب الأمر بقوله ﷺ (قوموا)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يحث بها الداعية المدعوين إلى امتثال دعوته لأنه يأمر بما أمر به دين الإسلام من حقائق، ويظهر الترغيب في قوله ﷺ: (جنة عرضها السماوات والأرض)، حيث رغّب في الشهادة بدخول جنة عرضها السماوات والأرض، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة للدعوة وقبولها. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2].

ويظهر أسلوب التفخيم في قول عمير بن الحمام رضي الله عنه: (بَخٍ بَخٍ)، قال النووي: "كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير"[3]، وذلك أنه ﷺ لما قال: (قوموا إلى جنة)، أي: سارعوا إليها وابذلوا مهجكم وأرواحكم في سبيل الله، ولا تقاعسوا عنها. عظم عمير ذلك وفخمه بقوله: (بخ بخ) فقال ﷺ: (ما حملك على هذا التعظيم؟ أخوفًا قلت هذا؟ فقال: لا، بل رجاء)، والفاء في قوله: (فإنك) جزاء شرط، أي: إذا كان الأمر على ما قلت؛ فإن الله تعالى يجيبك إلى ما تروحه وترجوه"[4]. وأسلوب التفخيم يقصد تعظيم الأمر والرغبة فيه.

رابعًا - من آداب الداعية: الاستفسار عن كلام المدعو وتبشيره بالخير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قول: بخ بخ؟)، وقوله ﷺ: (فإنك من أهلها).

---

(١) سورة الأنفال آية: ٢٦.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/ ٢٨٠.

واستفسار الداعية عن كلام المدعو حتى يعلم حقيق قوله وما يقصد به،وقد كان رسول الله ﷺ يسأل ويستفسر عن أفعال أصحابه وأقوالهم حتى يعلم حقيقتها ويوضح لهم الحقيقة، ويبشرهم بالخير، ومن ذلك ما ورد عن أبي قتادة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: ((أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ)) فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كَيْفَ قُلْتَ؟)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ لِي ذَلِكَ))[1].

من ذلك أيضًا ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ. فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُمْ: ((إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ)) قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: ((يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ))، فَقَالُوا: مَا كَانَ يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا[2].

ويظهر تبشيره ﷺ في قوله: (فإنك من أهلها)، فبشره بالجنة، وكان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بالجنة وكل خير ويأمر أصحابه أن يبشروا ولا ينفروا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا))[3].

خامسًا – من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في العمل:

إن الجهاد في سبيل الله وثيق الصلة بالإيمان بالله تعالى، ولا بد أن ينقى من جميع الشوائب وأن يخلص من جميع العوائق وأن يتجرد فيه حظوظ النفوس والأهواء، وإلا

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ٦٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

فهي الخسارة يوم الدين لكل من لم يخلص عبادته لله، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[١]، وقد وردت الإشارة إلى فضل الإخلاص في العمل في هذا الحديث حيث إن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كانوا مخلصين في جهادهم، ويتجلى هذا الإخلاص في قصة عُمير بن الحمام رضي الله عنه ورجاءه أن يكون من أهل الجنة. وإلقاؤه ما معه من تمر وقتاله حتى قُتل، وكان وعده رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة، وذلك بفضل الإخلاص، والإخلاص أمر في أعماق القلب، لا يطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى، والإخلاص من صفات المسلمين، قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ))[٢].

وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[٣].

ولو تحقق الإخلاص في واقع المسلمين لما كان هذا الشتات وتلك الفرقة بين أبناء الإسلام[٤].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ – ١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٢٣٠ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧).

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٤) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٣٦.

الحديث رقم (١٣١٨)

١٣١٨- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أن ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ، فِيهِم خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ القُرآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبيُّ ﷺ[1]، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أنْ يَبْلُغُوا المَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأتَى رَجُلٌ حَرامًا خَالَ أنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أنْفَذَه، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: **((إنَّ إخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا))** متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أهل الصفة: الصفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، إبَّان العصر النبوي بعد الهجرة يأوي إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[3].

فعرضوا لهم: اعترضوا طريقهم[4].

أنفذه: أخرجه من الجهة الأخرى[5].

الشرح الأدبي

إن الحديث كما يقول أبو البقاء: اسم من التحديث وهو – الإخبار – ثم سمي به

---

(١) عند مسلم زيادة: (إليهم).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٠، ٤٠٩١)، ومسلم (٦٧٧/٢٩٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٦٣).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٠٥.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف ذ).

قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي ﷺ وكيفما نقلت مادة الحديث اللغوية نجد معنى الإخبار واضحاً فيها ويقول ابن حجر في شرح البخاري: المراد الحديث في عرف الشرع ما أضيف إلى النبي ﷺ وكأنه أريد به مقابله القرآن لأنه قديم.

وحين نتأمل هذا الحديث الشريف نجده يتألق ببعض مشاهد التاريخ الإسلامي ومشاهد السيرة النبوية وهذه المشاهد ممزوجة بالقدوة الحسنة التي تشع بها ملامح هذه الشخصيات التي يروى هذا الحديث ما حدث لهم من مكر الأعداء وتربصهم بهم وهم يقابلون ذلك بالرضا والدعاء ومن أسرار الجمال الأسلوبي في هذا الحديث ومن أسرار تراكيبه وبلاغته: النزعة القصصية التي ترغب السامع وتؤثر في المتلقي طلباً للهداية وتلمساً للقدوة الصالحة والأمر في أول الحديث – أن ابعث معنا رجالاً ويحمل معنى الرجاء وليس على حقيقته للتأدب مع رسول الله ﷺ، وحذفت نون الرفع من الفعل " يعلمونا " مراعاة للغة هذا الوفد فحذف النون في مثل هذه المواضع لغة معروفه عند العرب وليست قاعدة مضطردة وقوله: الأنصار " علم بالغلبة " على أولاد الأوس والخزرج – كما يقول صاحب دليل الفالحين وسموا بذلك لأنهم نصروا الإسلام، وتقدم ما يفيد الظرفية في قوله: فيهم خالي حرام " للاهتمام. . حيث يوضح " أنس " إن ابن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصاري " خاله كان مع الوفد وليس منفصلاً عنهم، ولنتأمل سر التعبير بالمضارع في وصف هؤلاء القراء فهم " يقرءون القرآن ويتدارسونه بالليل – يتعلمون " وسر الجمال التعبيري هنا ينبع من دلاله تجدد هذا الحدث واستمراره: فهم رهبان الليل وفرسان النهار في العمل والسعي على الرزق والمقابلة بين عملهم بالليل وعملهم بالنهار توحي بأن المسلم لا ينقطع للعبادة ولا يركن إلى العزلة وإنما المسلم يقتدي بالسلف الصالح من هذه الأمة فهم بالنهار يجتلبون بالماء ويضعونه بالمسجد ويحتطبون ويبيعون ويشترون الطعام للفقراء وهذه الأعمال جاءت في صيغة المضارع للدلالة على استمراريتها وتجددها في كل يوم، وتتوالى مشاهد هذه القصة، والعطف بالفاء يصور سرعة الحركة، وسرعة توالى الأحداث حيث يقول فبعثهم النبي ﷺ فعرضوا لهم فقتلوهم. فقالوا ،(اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا) وصيغة الدعاء الجمعي مع

التأكيد: في قولهم: اللهم بلغ نبينا.. الخ " توحي بأنهم حريصون على إبلاغ النبي ﷺ بحقيقة الموقف وأنهم فرحون مستبشرون بالشهادة في سبيل الله.

فقه الحديث

قال النووي: (١ - قوله "وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد" معناه يضعونه في المسجد مسبلاً لمن أراد استعماله لطهارة أو شرب أو غيرهما، وفيه جواز وضعه في المسجد وقد كانوا يضعون أيضًا أعذاق التمر لمن أرادها في المسجد في زمن النبي ﷺ، ولا خلاف في جواز هذا وفضله.

٢ - قوله "يحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة" أصحاب الصفة هم الفقراء والغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي ﷺ وكانت لهم في آخره صفة، وهو مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه ... وفيه جواز الصفة في المسجد وجواز المبيت فيه بلا كراهة وهو مذهبنا ومذهب الجمهور)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل تعليم القرآن والسنة والسمع والطاعة لرسول الله ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى للعلماء المخلصين الذين يقتلون في سبيله.

خامسًا: من واجبات الداعية: السعي في تعليم الناس والصبر على المتاعب والأذى في سبيل الدعوة إلى الله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤١/١٣/٧-٤٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٣٧/١-٦٣٨، شرح الحديثين ٤٤٠، ٤٤١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٢٨.

أولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: (جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء... الحديث).

"ولا شك أن الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير.

وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء. ذاك ما يفرضه العلم على أصحابه، ألا يجعلوه عليهم حكر وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه.

فإن فتك الجهل بالناس ذريع، وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج، وتخيل إليهم أنهم على صواب، والواقع أنهم موغلون في الضلال والسر هو الجهل.

والعالم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها لتمتلئ صدورهم بأنفاس الحقيقة الرحبة"[1].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ))[2]، إن هذا الظلام الحالك بالأمة، لن يزول إلا بتعليم الناس أمور دينهم، حتى يؤدوها على الوجه الذي يرضي الله تعالى، فترشيد الناس تجاه الطريق المستقيم، هو الحل الوحيد لإخراج المسلمين من هذا الليل الطويل، فمستنقع الجهل والخرافات قد ظهر ظله، وموجات الباطل والإلحاد بشتى دروبها بدأت تشتد إن لم تكن اشتدت والخلاص من هذا المعترك الرهيب، هو الأخذ بقلوب المسلمين وعقولهم وأفئدتهم وإرجاعهم إلى دينهم رجوعًا حميدًا يفك القيد، ويصيرهم من هذه التبعية الذليلة الحقيرة الذليلة، إلى سُلم الصدارة

---

(١) انظر: مع الله، الشيخ محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٦١).

والريادة كما كانوا وطريقهم إلى ذلك هو العلم"[١].

فالتعليم من الوسائل الدعوية التي تحقق النفع والخير للعالم بأسره.

ثانيًا - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم والسنة النبوية :

يظهر ذلك في قول الناس الذين جاءوا إلى النبي ﷺ: "أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة"، والقرآن الكريم هو مصدر الشريعة الأول وهو كتاب الأمة الحي ورائدها الناصح، لأنه هو مدرستها التي تتلقى فيه دروس حياتها، وأن الله هو المربي، ولقد أراد الله سبحانه أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ لقيادة أجيال هذه الأمة وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة الذي وعدها به كلما اهتدت بهديه، واستمسكت بعهدها معه، واستمدت منهج حياتها كله من هذا القرآن، واستعزت به، واستعلت على جميع المناهج الأرضية الجاهلية[٢].

فالقرآن هو كتاب الدعوة ودستورها ووسيلتها وضياؤها، الهادي إلى الحق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٣].

والسنة النبوية مصدر من مصادر الدعوة تلي في ترتبها ومنزلتها كتاب الله عز وجل عند اجتماعهما، أما عند الانفراد فكل مصدر من المصادر التشريعية هو الأول في الرجوع إليه والمصدر الذي لا محيد عنه[٤].

وقد ثبت حجية السنة واعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع بشكل قاطع، من ذلك ما جاء صريحًا من قرن طاعة الله بطاعة رسوله ﷺ واعتبار طاعة رسول الله من طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿مَّن

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٢..

(٢) انظر: طريق الدعوة في ظلال القرآن، أحمد فائز ١١٩/١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

﴿يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[١].

ومع هذا القدر من الاهتمام نجد الأمر صريحًا بالأخذ بما جاء به والانتهاء عما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ. وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللّهَ))[٣].

فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان للدعوة الإسلامية يستقي منهما الداعية دعوته، ويهتدي بهما في كل عمل يأتيه.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل تعليم القرآن والسنة والسمع والطاعة لرسول الله ﷺ:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء، فيهم خالي حرام، يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون.. إلخ الحديث.

وفضل تعليم القرآن والسنة عظيم وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ في كثير من أحاديثه منها:

قوله ﷺ: ((ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهمُ السكينةُ، وغشيَتهُمُ الرحمةُ، وحفَّتهمُ الملائكةُ، وذكَرهم اللّهُ فيمن عنده. ومَن بَطَّأَ به عملُه لم يُسْرِعْ به نسبُه))[٤].

وقال ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ. وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))[٥].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٥٧، ٧١٣٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٥) أخرجه ابن ماجة ٢٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٩٨)..

وقال رسول الله ﷺ: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))(١).

فالقرآن الكريم يحمل العلم الإلهي والحكمة الربانية والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال والمنعوتة بالتوفيق والهداية والمنزهة عن كل قصور ونقص، وصدق الله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٢).

إذا قال القرآن فقوله الصدق الذي لا برهان بعده، وإذا حكم فحكمه العدل الذي لا صواب غيره وصدق الله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣).

وإذا قص فقصصه الحق الهادف والعبرة المؤثرة، والموعظة الحسنة، والمثل المعبر والتوجيه الحي، وصدق الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٤).

وإذا خاطب فخطابه ميسر وحديثه واضح ولفظه مضيء، ميسر على العقل وعلى البصيرة وعلى الفطرة وعلى العمل، فليس ضد الطبيعة، أو متنافرًا مع الفطرة، أو متعارضًا مع الحياة، بل إن كل هذه الملكات مشوقة إليه ومتعطشة وكل ما في الحياة متجاذب مع تعاليمه وأحكامه ومتناسق مع أوامره ونواهيه وصدق الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٥)(٦).

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٥.

(٤) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٥) سورة القمر، آية: ١٧.

(٦) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ص ١١٥ - ١١٦.

والسنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم وهي شارحة القرآن ومبينة له ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها قصة كفاح وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود، كما أنها نفحات قدسية وتوجيهات ربانية وتجليات إلهية لفهم القرآن الكريم وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله في آلاء الكون وسنن الاجتماع وعلل النفوس ومشكلات الحياة وضروب الإصلاح وسياسة الأمم ورسم الطريق المستقيم.

كما أنها ينبوع من ينابيع الخُلُق والمثل ومكارم الأخلاق التي تتزود منها الإنسانية طول فترة بقائها على وجه هذه المعمورة وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي كذلك مواقف للبطولة والإقدام والشجاعة والتضحية والاحتساب في سبيل الله سبحانه ولأجل إعلاء كلمته وتبليغ رسالته.

وهي كذلك أساليب للتربية وخطوات للتوجيه وخطة لخلق الكفاءات وتنشئة الكوادر والرجال كما نرى هذا في ذلك الجيل الذي أخرجه وعلمه رسول الله ﷺ وأشاد به القرآن الكريم في غير موضع من ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1]، فتعليم القرآن والسنة فضلهما عظيم ونفعهما كبير لعامة المسلمين[2].

ويظهر السمع والطاعة لرسول الله ﷺ في ذهاب من بعثهم ﷺ لتعليم من طلبوا منه ذلك؛ وذلك لحرصهم على الاستجابة لأمره وطاعته ولأنهم مأمورون بذلك من الله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[3]. وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى للعلماء المخلصين الذين يقتلون في سبيله:

يظهر ذلك في قول رسول ﷺ: (إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا).

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

قال النووي: "فيه فضيلة للشهداء وثبوت الرضا منهم ولهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[(١)]، قال العلماء: رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه من الخيرات والرضا من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة فيكون من صفات الأفعال وهو أيضًا بمعنى إرادته فيكون من صفات الذات"[(٢)]، ومن إكرام القتلى من العلماء ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه جمع بينَ الرجُلينِ من قَتلى أُحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ ثم يقول: ((أيُّهما أكثرُ أخذًا للقرآنِ؟ فإذا أُشيرَ لهُ إلى أحدِهما قَدَّمَهُ في اللّحد وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاءِ يومَ القيامةِ))[(٣)].

خامسًا – من واجبات الداعية: السعي في تعليم الناس والصبر على المتاعب والأذى في سبيل الدعوة إلى الله:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفة، وللفقراء فبعثهم النبي ﷺ، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان.

إن المؤمن لا يعيش في هذه الحياة وحده، بل يشاركه فيها أفراد آخرون، ويجب على الداعية أن يحرص على هداية الناس، ودعوتهم للإيمان، ويعرف أنهم تتنازعهم الأهواء والشهوات، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[(٤)].

فعلى الداعية أن يستصحب في دعوته الصبر وأن يتحمل ما يناله من أذى وقت البلاغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[(٦)].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٢٢..

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٤٣، ١٣٤٧.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٠٦.

وإزاء هذا الوضع المتردي تفرض تعاليم الإسلام على المنتمين إليها ضرورة القيام بواجب دعوة الآخرين إلى الله، لتخليصهم من ربقة الجهل والكفر، ونقلهم إلى نور العلم والإيمان، وفي هذا يقول عز من قائل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)، وتتبوأ هذه الصفة في حياة الداعية المكانة السامقة باعتبارها رسالته التي من أجلها وُجد، وفي سبيلها يتحرك، ولولاها لم تكن دعوة ولا داعية(٢). فينبغي على الداعية أن يحرص على تعليم الناس وأن يصبر على أذاهم.

ولقد أوذي النبي الكريم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أشد الأذى في سبيل الدعوة إلى الله ونصرة دين الله، وامتحنوا بأبلغ المحن فثبتوا في وجه الفتن ثبوت الجبال الشم الرواسي بفضل الله عليهم ثم بقوة إيمانهم العميق وصدق عزيمتهم وثقتهم بالله القائل وقوله الحق، ووعده الصدق: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٣).

وتاريخ الدعوة المحمدية حافل بالدعاة الذين تحملوا الأذى وأنواع العذاب والألم في سبيل دعوتهم(٤).

ومن أروع الأمثلة على ذلك في حياة السلف حينما اشتد الوطيس يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ((... قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ)) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١.

(٣) سورة غافر، آية: ٥١.

(٤) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٩ - ٢٠.

مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَـٰذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ»[(١)].

فهذا شاهد في سيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لتزرع الهمة في نفس الداعية وتجعله يضحي بأغلى ما يملك، ولا يبخل على دعوته في سبيل تقديم خطوة نافعة في استصلاح الآخرين[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٢) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٣ - ٦٤.

الحديث رقم (١٣١٩)

١٣١٩ -عن أنس ﷺ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ ﷺ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي اعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاء - يعني: أصْحَابَهُ - وَأبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - يَعنِي: المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعَدَ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إنِّي أجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ! فَقَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رسولَ اللهِ مَا صَنَعَ! قَالَ أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضعًا[1] وَثَمَانِينَ: ضَربَةً بالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً برُمحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أحَدٌ إلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أنسٌ: كُنَّا نَرَى - أَوْ نَظُنُّ - أنَّ هذِهِ الآية نَزَلتْ فِيهِ وَفي أشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ المُؤمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾[الأحزاب: ٢٣] إلَى آخرها. متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وَقَدْ سبق في باب المجاهدة.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مثّل به المشركون: شوَّهوا جُثته بعد قتله؛ بأن جدعوا أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئًا من أطرافه[3].

بنانُه: أطراف أصابعه، واحدها بنانة[4].

---

(١) بفتح الباء، وكسرها أفصحُ، وهو: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى أربعة، وقيل: من أربعة إلى تسعة، وقيل: هو سبعة. الترغيب (٢/٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) واللفظ له، ومسلم (١٤٨/١٩٠٣)، وتقدم برقم (١٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ث ل).

(٤) المرجع السابق في (ب ن ن).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الثالث الذي يروى: انس بن مالك " في باب فضل الجهاد " وهو حديث أشبة بالوثيقة والمذكرات لأنه يتحدث فيه عن عمه. . انس بن النضر ويحكى قصة اعتذاره عن عدم المشاركة في غزوة بدر الكبرى ولذلك يبدأ الحديث بالجملة الخبرية: غاب عمى أنس عن قتال بدر " بصيغة الغائب " ثم يغير الأسلوب فيأتي بصيغة المتكلم على لسان " أنس " حيث يقر بهذا الغياب ممتزجاً بالنداء الموحى بطلب العفو. . والمقرون بالعزم على المشاركة في أول لقاء ومواجهة مع المشركين وأسلوب الشرط يغلف هذا القرار وذلك الوعد بالالتزام بما قال، وأسلوب الشرط مصدر باللام المؤذنة بالقسم " لئن أشهدني الله فقال المشركين ليرين الله ما أصنع " وهذا القسم لتأكيد الفعل الذي عزم علية " أنس بن النضر " وما أسمى هذا الإحساس وما أجمل هذا التأدب في هذا المقام حيث قال مؤكداً في جواب القسم والشرط: ليرين الله ما أصنع، ولم يقل: لأرين الله ما أصنع " وإنما الله هو الذي يعلم، ويرى، وكأنه يشهد الله على صدق نيته ومضاء عزيمته وصيغة الدعاء التي قدمها في سياق إنفاذ وعده وتحقيق أمنيته تعلن عن صدقه وعن من مخالفة المسلمين " الرماة " لأوامر رسول الله وعن رفضه لما صنع المشركون من إيذاء المسلمين وساق هذا الموقف مصدراً بالتأكيد والدعاء (اللهم إنى) ولنتأمل دقة التعبير واختيار المادة اللغوية المناسبة للسياق والمشعة بالدلالة المتسقة مع الشعور والموقف حيث عبر بقوله " إني اعتذر " في مقام حديثة عن أصحاب رسول الله الذين خالفوا أوامره وتركوا مواقعهم وعبر بقوله " إني أبرأ إليك " في سياق حديثة عن صنع المشركين وعذرهم وإيذائهم لرسول الله ﷺ وأصحابه والنداء في قوله: يا سعد بن معاذ يوحى بخطورة الأمر وشدته ولم يقل سأقاتل ولكن قال وهو يتطلع للشهادة ويرغب في تحقيق ما وعد به رسول الله من قبل حيث قال: ليرين الله ما أصنع والآن حانت الفرصة ولذلك قال: (الجنة ورب النضر إني أجد ريحها) من دون أحد وصياغة الجملة تمثل البداية والنهاية: فالجنة: المبتدأ والخبر: إني أجد ريحها والتركيز في الخبر يرشد إلى يقين أنس من الشهادة وتثبته من ذلك وقوله ورب النصر قسم معترض بين

ركني الجملة ومجيئه في هذا السياق يؤكد صدق النية وقوة الإرادة، والعزم على الشهادة وتحقق له ما أراد ويروى ابن هشام في السيرة النبوية عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا يا أنس بن النضر يومئذ "أى يوم أحد" سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته عرفته ببنانه والعطف بأو في قوله أو طعنه برمح أو رمية بسهم: ليس للاختيار أو لمطلق الجمع وإنما للتقسيم، والتنويع فهو تلقى صابراً محتسباً ضربات السيف وطعنات الرماح ورمى السهام وتحققت أمنية هذا الشهيد الفارس وحقاً كان صادقاً حينما قال " لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع " والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٠٩.

الحديث رقم (١٣٢٠)

١٣٢٠- وعن سَمُرَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجرةَ فَأدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أحْسَنُ وَأفضَلُ، لَمْ أرَ قَطُّ أحْسَنَ مِنْهَا، قالا: أمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ)). رواه البخاريُّ[١]، وَهُوَ بعض من حديث طويل فِيهِ أنواع العلم سيأتي في باب تحريم الكذب[٢] إنْ شاء اللّه تَعَالَى.

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

الشَّجرة: معراج الصعود[٣].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث جزء من حديث مطول " صيغ في قالب رمزي. . من خلال رؤيا رآها رسول الله ﷺ ورؤيا الأنبياء حق، والحديث يصاغ في جمل " خبرية " وتسيطر على الأفعال صيغة الماضي إيحاء بأن هذه الأخبار وقعت وهى صادقة لا مجال فيها للشك لأنها صادرة من الصادق الأمين محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ. . والرجلان في هذا الحديث هما جبريل وميكائيل وجاءوا على صورتهما والحديث رقم (١٥٥٤) فيه تصريح بأسمائهم. . حيث قال في نهاية الحديث الذي يتفق مع الحديث الذي نحن بصداه وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل والشجرة رمز للنعيم الذي ينتظر الشهداء في الجنة وهى الدوحة التي وردت في الحديث المطول والدوحة في اللغة: الشجرة الكبيرة ولم يحدد نوع الشجرة ولا اسمها ولا ثمرها ليعطى لكل مسلم مساحة كبيرة من التصور والشوق لهذا النعيم المقيم الذي ينتظر الشهداء.

---

(١) برقم (٢٧٩١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٤٨) مطولًا. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣٠).

(٢) برقم (١٥٤٨).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي ٣٧٥/٨.

وقوله: فصعدا أي يرمز إلى علو المكانة ومضاعفة الثواب الذي يمنحه الله للشهداء في الجنة وبلاغة الحذف تتجلى في هذا الحديث حيث حذف المفضل علية بعد أفعل التفضيل في قوله أحسن وأفضل للإيحاء بتفخيم الدار وشرفها ولفضل نعيمها فهي أحسن من كل دار وأفضل من كل مكان ولذلك جاءت الجملة التالية مبنية وموضحة لهذا التميز في الحسن والفضل، حيث قال رسول الله ﷺ: لم أر قط أحسن منها وقوله " قط " يفيد تأكيد هذه الأفضلية المطلقة وأما للتفصيل وقد أتى بها للاهتمام بما بعدها واسم الإشارة (هذه) يدل على التعظيم والدار بدل أو عطف بيان وتخصيصها بدار الشهداء فيه بيان لفضل الشهيد والنعيم المقيم الذي ينتظره ولذلك أتى الإمام النووي بهذا الحديث في باب فضل الجهاد وقال وهو بعض من حديث مطول فيه أنواع من العلم، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ حق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ حق:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، ثم لم أر قط أحسن منها... الحديث)، فقد رأى رسول الله ﷺ ذلك في المنام ورؤيا الأنبياء حق، ففي الحديث قال عمرو: ((سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: رُؤْيَا الأَنْبِيَاء حق))[1]، وقال رسول الله ﷺ: ((رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))[2].

قال النووي: " قال الخطابي: هذا الحديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨، ٨٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٣.

وقال: وإنما كانت جزءًا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم، وكان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة. قال الخطابي: وقال بعض العلماء: معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لأنها جزء باق من النبوة"[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان أوَّلُ ما بُدىء به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصَّادقة في النوم، فكان لا يرَى رُؤْيا إلا جاءَت مثلَ فَلَقِ الصبْح))[٢].

قال ابن حجر: "أي في أول المبتدآت من إيجاد الوحي الرؤيا... وقوله: (من الوحي) يعني إليه وهو إخباره عما رآه من دلائل نبوته من غير أن يوحى بذلك إليه"[٣].

وقد رأى ﷺ في حياته كثيرًا من الرؤى المنامية التي جعلها الله حقًا، وتحققت كما رآها ﷺ منها: رؤيا الهجرة إلى المدينة المنورة، عن أبي موسى رضي الله عنه - أُراه - عن النبي ﷺ قال: ((رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخلُ، فذهبَ وَهلي إلى أنها اليمامةُ أو هَجَرٌ، فإذا هيَ المدينةُ يَثرب))[٤].

كذلك رؤياه ﷺ فتح مكة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٥].

قال القرطبي: "قال قتادة: كان رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يدخل مكة على هذه الصفة؛ فلما صالح قريشًا بالحديبية ارتاب المنافقون، حتى قال رسول الله ﷺ إنه يدخل مكة، فأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)، فأعلمهم أنهم سيدخلون في غير ذلك العام، وأن رؤياه ﷺ حق، وقيل: إن أبا بكر هو الذي قال: إن

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٥٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٨٧/٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٣٥، ومسلم ٢٢٧٢.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٧.

المنام لم يكن مؤقتًا بوقت، وأنه سيدخل، وروي أن الرؤيا كانت بالحديبية ورؤيا الأنبياء حق، والرؤيا أحد وجوه الوحي إلى الأنبياء"(١).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، قالا: أما هذه الدار فدار الشهداء.

وهذا يدل على فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى، وهي منزلة عظيمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

ومما يدل على منزلة وفضل الشهداء عند الله أنهم يريدون أن يرجعوا إلى الدنيا فيقتلوا لما رأوا منزلتهم عن الله وإكرامه لهم على شهادتهم في سبيله، قال رسول الله ﷺ: ((ما أحدٌ يَدخلُ الجنةَ، يُحبُّ أن يَرجعَ إلى الدُّنيا، وله ما على الأرضِ مِن شيءٍ إلا الشهيدُ، يتمنَّى أن يرجعَ إلى الدُّنيا فيُقتَلَ عشرَ مراتٍ، لما يَرى من الكرامةِ))(٣).

والشهادة والجراح في سبيل الله لها فضل عظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله -والله أعلمُ بمن يُكلَمُ في سبيلهِ- إلا جاءَ يومَ القيامةِ واللَّونُ لونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))(٤).

فهذا شرف لأهل الشهادة ما بعده شرف، وليس أدل على ذلك من أنه - صاحب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨٨/١٦/٨.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٧، ومسلم ١٨٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٥٣٣.

الجرح والشهيد "ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران"[١].

قال ابن القيم: (إن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصِّدِّيقيَّة إلا الشهادة، وهو سبحانه يُحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث رغّب في الشهادة في سبيل الله وبيّن أن الله أعدّ لهم دارًا أحسن ما يكون وهذا عند الله عز وجل.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يقصد به تشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣]، والحرص على طلبه ونوله.

وهذه صورة من كلام النبوة مما أخرجه البخاري ومسلم قال ﷺ: ((تَضَمَّنَ اللّٰهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيق بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللّهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ أَبَدًا. وَلَـٰكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[٤].

هذه الكلمات المحمدية النبوية النورانية يجد فيها المسلم قوة هائلة تدفعه إلى أن

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ص ٥٠٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢١/٣، ٢٢٢.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦، ٢٧٨٧، ٢٧٩٧، ٧٢٢٦، ومسلم ١٨٧٦.

يسرع لينال هذا الأجر العظيم الذي يرغب رسول الله ﷺ أن يقتل فيه مرات ومرات لما يعلمه مما أعده المولى جل وعلا للشهيد في سبيله من أجر عظيم ومقام كريم، إنها أعظم المرغبات وأقوى المشوقات بعد كلام المولى جل وعلا، الوارد في فضل الشهادة والشهداء ومنزلتهم عنده تعالى، لقد كان رسول الله ﷺ مرغبًا ولم يكن يومًا من الأيام منفرًا؛ لأنه بشير ونذير ﷺ يحب الترغيب ويؤكد عليه ويدعو أمته إليه ﷺ؛ لأنه رفق وخير وبركة[1].

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥١٢.

الحديث رقم (١٣٢١)

١٣٢١- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ أمَّ الرُّبيعِ بنتَ البَراء وهي أُمُّ حَارِثة بن سُرَاقَةَ، أتَتِ النبي ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رسولَ اللهِ، ألاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ[١] - فَإنْ كَانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ في البُكَاءِ، فَقَالَ: ((يَا أُمَّ حَارِثَةَ إنَّهَا جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى)) رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بدر: غزوة بدر هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[٣].

اجتهدت عليه في البكاء: من الاجتهاد وهو بذل الوُسع في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد: الطاقة[٤]، والمعنى أن تكثر البكاء عليه. وفي رواية عند البخاري ٦٤٦٧: "فإن كان في الجنة لم أبك عليه".

الفردوس: قال ﷺ: ((إذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة))[٥].

الشرح الأدبي

ما أصدق هذه المحاورة بين رسول الله وأم حارثة هذه الأم الثكلى التي قتل ابنها يوم بدر وكان من أوائل الشهداء في هذه الغزوة وهذه المحاورة تتكون في مبناها اللغوي من سؤال وجواب والسؤال نابع من قلب أم حارثة حيث توجه للنبي ﷺ استفسارا في صيغة

---

(١) عند البخاري زيادة: (أصابه سهمٌ غربٌ)، ولم يوردها المنذري، فتبعه المؤلف عليها.

(٢) برقم (٢٨٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٦٠).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٥.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٢٣.

النداء والاستعطاف (يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة)، والحديث هنا ليس إخباراً عنه وعن أحواله وإنما تريد أن تطمئن على فوزه بمرتبة الشهادة ودخوله الجنة ولم تقل أخبرني وقالت ألا تحدثني لكي يطمئن قلبها على ابنها الذي قتل يوم بدر وهو يشرب من الحوض حيث قتله أحد بنى عدى بن النجار كما يروى ابن هشام في السيرة النبوية، والحديث فيه أُنس واستبشار وسؤالها صيغ في قالب الشرط والجزاء " فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء " فجواب الشرط في الجملة الأولى هو الصبر والاحتساب والفرح والبشرى لأن هذا الجواب ثمرة جزاء لفعل الشرط وهو الفوز بالجنة والتعبير بقولها " كان " يوحى بأنها تقر بموته ولكنها تريد أن تطمئن عليه. أما الجملة التالية فهي شرطية أيضاً وفعل الشرط غير محدد حيث قالت وإن كان غير ذلك لأنها لم ترد أن تصرح بما يأباه قلبها وبما يتصادم مع رجائها وبما لا تحبه من مصير لابنها ولذلك لم تقل وإن كان في النار وجواب الشرط يعلن عن فزعها من هذا المصير الذي لا ترجوه لابنها والبكاء ليس على فراقه ولكن خوفا من المصير المظلم حيث النار وبئس القرار، وتأتى إجابة رسول الله مغلفة بالبشرى والاطمئنان وصيغة النداء تتصدر هذه البشارة ويناديها بالكنية المحببة إليها فيقول: يا أم حارثة وفى هذه الكنية تقدير لحارثة وتمهيد للبشرى وإعلان عن فوز حارثة بالجنة ويتكرر التأكيد مرتين في إجابة رسول الله. . لمزيد من الاطمئنان حيث قال: إنها جنان في الجنة ثم يؤكد مرة ثانية ويقول وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والتعبير بقوله: ابنك بدلاً من حارثة للإشعار بعاطفة الأمومة، وللإيحاء بأن هذا الابن مفخرة لأمه ويحق لها أن تزهو وتفاخر بابنها الشهيد الذي أصاب الفردوس الأعلى.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قوله: "اجتهدت عليه في البكاء، قال الخطابي: أقرّها النبي ﷺ على هذا فيؤخذ منه الجواز، قلت [القائل ابن حجر]: كان ذلك قبل تحريم النوح فلا دلالة فيه، فإن تحريمه كان عقب غزوة أحد. وهذه القصة كانت عقب غزوة بدر)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/٦.

ولم يرد في النص الإعلام بالنواح بل بالبكاء وهو مأذون به شرعًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أم حارثة بن سراقة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن مصير ابنها حارثة رضي الله عنه الذي قتل في غزوة بدر.

ثانيًا: من صفات الداعية: التبشير والتلطف بمن أصيب بمصيبة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص أم حارثة بن سراقة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن مصير ابنها حارثة رضي الله عنه الذي قتل في غزوة بدر:

إن سؤال الأم عن ابنها جياش فياض بالمشاعر في أي حال فكيف إذا كان ابنها قتل برفقة ذلك المسؤول؟ ومع هذا كله كان خطاب أم الشهيد حارثة يفيض بالثبات والصبر والحلم والأناة، خطاب ليس فيه تبرم ولا جزع ولا هلع من هول المصيبة ومن جراء الواقعة المؤلمة الموجعة لقلبها، وليس فيه تكسر أو تملق أو تمدح أو مدخل للنفس والشيطان، والشاهد على ذلك: "فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صبرت..." وليس السؤال الذي وجهته سؤالاً عارضًا سطحيًا كلا بل إنه سؤال عميق معناه، بعيد مرماه إنه سؤال عن مصير هو عليها وعندها مجهول لكنه عند النبي ﷺ بمشيئة الله معلوم.

تسأل: هل ابنها في الجنة مع الشهداء فتصبر وتحتسب، ما دام قد نال المنى، وبلغ الذرى وحقق العلى، لأن الغبطة بالمكانة التي ينالها يفوق على المصيبة النازلة بها، وإن كان في غير الجنة اجتهدت عليه في البكاء لعل الله يرحم دموعها فيشفعها فيه.

إن كثيرًا من الأمهات بل ومن الآباء اليوم لا يستحضرون عند المصيبة جنة ولا نارًا فليكن لنا قدوة وأسوة بأم الشهيد أم حارثة رضي الله عنها.

يظهر ذلك من قول أنس رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة؟ - وكان قتل يوم بدر - فإن

كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء.

فأم حارثة رضي الله عنها أم حزينة على فقد ابنها وتريد أن تطمئن على مصير ابنها فلذلك كانت حريصة على سؤال رسول الله ﷺ عن مصيره، حتى تعلم أهو في الجنة أم لا؟

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال رسول الله ﷺ عن كل ما يشغلهم وذلك لعلمهم بأن ما يخبرهم به إنما هو حق ومن عند الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، قال ابن كثير: "ما يقول قولاً عن هوى وغرض (إن هو إلا وحي يوحى)، أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان[2]".

ثانيًا - من صفات الداعية: التبشير والتلطف بمن أصيب بمصيبة:

أي تواضع وأي مكانة وعز وشرف يداني ما أكرم الله به نبيه محمدًا ﷺ فمن شاء أن يسأله فليسأل أيًا كان السائل وأيًا كان السؤال وأيًا كان المكان في البيت أو المسجد أو الطريق. فهذه أم حارثة رضي الله عنها أتته وسألته عن مصير ابنها الذي قتل فيتلطف معها ويجيبها على سؤالها ببشرى تثلج صدرها وتطمئن نفسها وهي أن ابنها في الجنة بل إنه في الفردوس الأعلى.

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)، فرسول الله ﷺ يعلم مصيبتها في ابنها ومدى حزنها عليه فلذلك تلطف معها وبشرها بدخول ابنها جنة الفردوس الأعلى، ومن ذلك تبشير المسلمين بدخول قتلى أحد الجنة وتنعمهم فيها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُم، قالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ))[1].

فعلى الداعية أن يحرص على مواساة المدعوين في مصابهم ويتلطف بهم، "وإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرضه لما يُعكر صفوه، ولذا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجلّ أنواعها وقد كان ﷺ يواسي بالقليل والكثير، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب: ((إِنَّا وَاللَّهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ))[2]، وقد علمنا أن من أقال مسلمًا من عثرته أقال الله عثرته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ))[3]، وأن الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه.

"وإن حاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٥٢٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٩)، والآية رقم ١٦٩ من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن على شرط الشيخين ١/ ٥٣٢، وأحمد بمعناه برقم ٧٤٣١ وقال محققوه: صحيح على شرط الشيخين ونصه عند أحمد: "من أقال عثرة أقاله الله يوم القيامة".

(٣) أخرجه أبو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه"[١].

فينبغي على الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ وأن يتلطف مع من أصابته مصيبة ويكون له مبشرًا بالثواب والأجر من الله حتى يرفع ما به من حزن ويدخل على نفسه الراحة والقبول بقضاء الله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه:

يظهر ذلك في شهود حارثة رضي الله عنه عنه بدرًا واستشهاده فيها. وقول رسول الله ﷺ: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى).

قال ابن حجر: "وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم، أي: أهل بدر"[٢]، وقال رسول الله ﷺ في فضل من شهد بدر: ((لعلَّ اللَّهَ اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شِئتم فقد وَجَبَتْ لكُم الجنة))[٣].

وقال ﷺ: ((لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَّةَ))[٤]. كل ذلك يدل على فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه وأنه من أهل الجنة، وكذلك فضل وثواب كل من حضر بدرًا من المسلمين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (.. إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)، وإخبار النبي ﷺ عن الجنة وأنها جنان من الأمور الغيبية التي أطلعه الله عليها وخصه بها.

وقد رأى النبي ﷺ الجنة، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره قال: ((ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى. فَغَشِيَهَا

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٦٠/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩٨٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٦/٣، رقم ١٥٢٦٢، وقال محققو المسند: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن ٤١٠/٢٣.

أَلْـوَانٌ لاَ أَدْرِي مَـا هِـيَ. قَـالَ: ثُـمَّ أُدْخِلْـتُ الْجَنَّـةَ فَـإِذَا فِيهَـا جَنَابِـذُ اللُّؤْلُـؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَـا الْمِسْكُ))[1].

والحـديث يـدل علـى زيـارة الـنبي ﷺ الجنـة ورآهـا، ودخلـها، ووصـف جنابـذها وتربتها وقد بيّن الرسول ﷺ في موقف آخر أنه رأى كل شيء وعد الناس به في الدار الآخرة، ورأى قطفًا من الجنة، فقصرت يده عن تناوله، فدل على حقيقة وجود الجنـة[2]. وإطلاعه عليها، قال ﷺ: ((لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هـذَا كُلَّ شَـيْءٍ وُعِدْتُـهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَـأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَـا عَمْـرَو بْـنَ لُحَـيٍّ، وَهُـوَ الَّـذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٩، ومسلم ١٦٣.

(٢) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، الشيخ عبدالمجيد الزنداني ص ٣٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٢١٢، ومسلم ٩٠١.

الحديث رقم (١٣٢٢)

١٣٢٢- وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فَنَهَانِي قَوْمِي[١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَا زَالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مُثِّل به: جدع أنفه أو أذنه أو مذاكيره، أو شيء من أجزائه[٣].

الشرح الأدبي

ما أروع هذا المشهد الحقيقي من مشاهد البطولة الإسلامية في غزوة أحد " وهذا المشهد يسرد تفاصيله ابن الشهيد. . عبد الله الأنصاري السلمي وهو الصحابي " جابر بن عبد الله " الراوي الأعلى لهذا الحديث، حيث يصور ما لحق بأبية من أذى المشركين الذين مثلوا به ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف أنه يصاغ على لسان " المتكلم " وهو جابر بن عبد الله " لأنه يروى حدثاً شخصياً ولكنة يتجاوز هذه الخصوصية إلى دائرة العموم لأن الشهادة في سبيل الله غاية كل مسلم يدافع عن إسلامه وعقيدته ويبدأ الحديث بالفعل المبنى للمجهول "جيء بأبي" لأن معرفة الفاعل لا تضيف للحدث شيئاً. فالمجىء قد تحقق، ورسول الله يكرم الشهيد ويضعه بين يديه، وصيغة المبنى للمجهول في قوله: قد مثل به " تفيد تحقير الفاعل. . وهم المشركون فهم

---

(١) عند مسلم زيادة: (فسمعتُ صوت صائحة، فقيل: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، فقال: لمَ تبكي، أو: لا تبكي). أوردها المنذري، ولم يوردها المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧١/١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ث ل).

لا يستحقون أن يكون لهم مكان حتى في البنيان اللغوي و(قد) تفيد التحقيق والتأكيد، والتضعيف في الفعل " مثل به " يدل على المبالغة وقد نهى رسول الله عن " المثلة " ويقال: مثلت بالحيوان أمثل مثلاً إذا قطعت أطرافة وشوهت به، ويقال مثلت بالقتيل إذا جدعت أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافة، والاسم " المثلة " فأما " مثل " بالتشديد " فهو المبالغة " كما ورد في لسان العرب في مادة مثل، فقوله: قد مثل به " يدل على قسوة المشركين ومبالغتهم في تشويه وجه هذا الشهيد وجسده، وقوله فوضعه بين يديه " فيه تكريم من رسول الله لذلك الشهيد وفيه عزاء لابنه وكل ذريته والعطف بالفاء في الأفعال المتتالية ينبئ عن سرعة أحداث هذا المشهد وعن السرعة في الإعداد لدفن هذا الشهيد: (فوضعه – فذهبت أكشف عن وجهه – فنهاني قوم) فقال النبي ﷺ، والتعبير بقوله ما زالت يفيد الاستمرار وفى ذلك غاية التكريم ومضاعفة الثواب وإعلان الحماية الإلهية. . حيث يقول المصطفى صلى الله علية وسلم: ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها، ويصور كعب بن مالك بلاء المسلمين وشجاعتهم في غزوة أحد ضد المشركين.

شددنا بحول الله والنصر شدة ... عليكم وأطراف الأسنة شرع
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلع

فقه الحديث

بوب البخاري على ثلاثة أحاديث منها حديث الباب، بوّب عليها: باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه(1) وذلك في كتاب الجنائز. قال ابن حجر: "إذا أدرج في أكفانه" أي: لفّ فيها. قال ابن رشيد: موقع هذه الترجمة من الفقه أن الموت لما كان سبب تغيير محاسن الحي التي عهد عليها – ولذلك أمر بتغميضه وتغطيته – كان ذلك مظنة للمنع من كشفه حتى قال النخعي: ينبغي أن لا يطلع عليه إلا الغاسل له، ومن

(1) الأحاديث ١٢٤١-١٢٤٤.

يليه، فترجم البخاري على جواز ذلك، ثم أورد ثلاثة أحاديث[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله والد جابر رضي الله عنهما.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله والد جابر رضي الله عنهما:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها) قال القاضي: (يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة ازدحموا عليه إكرامًا له وفرحًا به وأظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه)[٢].

وعبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبدالله الصحابي المشهور معدود من أهل العقبة، وكان من النقباء واستشهد بأحد[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: ((لمّا حَضرَ أُحُدٌ دعاني أبي مِنَ الليلِ فقال: ما أُراني إلاّ مَقتولاً في أوَّلِ مَن يُقتل مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، وإني لا أتْرُكُ بَعدي أعَزَّ عليَّ مِنك، غيرَ نَفْسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وإنَّ عليَّ دَينًا، فاقضِ، واستوْصِ بأخَواتِكَ خَيرًا. فأصبَحْنا، فكان أوَّلَ قَتِيلٍ، ودُفِنَ مَعَهُ آخَرُ في قبرٍ، ثمَّ لم تَطِبْ نفسي أنْ أترُكَهُ معَ الآخَرِ فاستخرجتُه بعدَ ستةِ أشهر، فإذا هوَ كيوم وضَعْتُهُ هُنَيَّةً، غيرَ أُذُنِهِ))[٤].

وعن جابر رضي الله عنه: ((لما خرج لدفن شهداء أحد قال زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم)) وكفّن أبي في نمرة[٥].

قال ابن سعد: (وكان عبد الله أَولَ من قُتل يوم أحُد، وكان أَحمرَ أَصلع ليس

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٤/٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٠/٧-٥٠١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيني ص ٨١٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٥١.

(٥) أخرجه ابن سعد ١٠٥/٢/٣، وقال محققو سير أعلام النبلاء: إسناده صحيح ٣٢٦/١.

بالطويل، وكان عمرو بن الجموح طويلاً، فدفنا معًا عند السيل، فحفر السيل عنهما، وعليهما نمرة، وقد أصابَ عبدَ الله جرحٌ في وجهه فيده على جرحه، فأُميطَتْ يدُه، فانبعث الدم، فرُدَّت، فسكن الدم.

قال جابر: فرأيت أبي في حفرته، كأنه نائم، وما تغير من حاله شيء، وبين ذلك ست وأَربعون سنة، فحوِّلا إلى مكان آخر، وأُخْرِجُوا رِطابًا يَتَثَنَّون)[1].

أَبو الزبير: عن جابر قال: (صُرخ بنا إلى قتلانا، حين أَجرى معاوية العين، فأخرجناهم ليِّنةً أَجسادُهم، تَتَثَنَّى أَطرافُهم)[2].

وعن جابر قال: (دُفن رجلٌ مع أَبي، فلم تطب نفسي، حتى أَخرجتُه، ودفنتُه وحدَه)[3].

ومما يدل على فضله ما ورد عن ابنه جابر قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: ((يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟)) قُلْتُ يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي، قتل يوم أحد وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قالَ: قال: ((أَفلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟)) قالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ((مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَى أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ، قالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قالَ الرَّبُّ عز وجل إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا﴾[4][5].

قال القرطبي: (وقد تضمَّن هذا الحديث فضيلةً عظيمة لعبد الله لم يُسمع بمثلها لغيره، وهي: أن الله تعالى كلَّمه مشافهة بغير حجاب حجبه به. ولا واسطة قبل يوم

---

(١) أخرجه ابن سعد ٣/٢/١٠٦ من طريق الوليد في مسلم، حدثني الأوزاعي عن الزهري، عن جابر فذكره بأطول مما هنا، وقال محققو سير أعلام النبلاء: وهذا إسناد صحيح كما قال الحافظ في الفتح ١٧٣/٣، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٥٥/١).

(٢) أخرجه ابن سعد ٣/٢/١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٤٠٨).

القيامة، ولم يفعل الله تعالى ذلك مع غيره في هذه الدار، كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[1].

وكما قال رسول الله ﷺ في الحديث: "وما كلَّم الله أحدًا قدط إلا من وراء حجاب". في هذا الحديث: أن الله تعالى لم يفعل هذا في هذه الدار لحيٍّ ولا لميت، إلا لعبد الله هذا خاصَّةً، فيلزمُ على هذا العموم: أنه قد خصَّ من ذلك بما لم يخص به أحدٌ من الأنبياء. وهذا مشكلٌ بالمعلوم من ضرورة الشرع، ومن إجماع المسلمين على: أن درجة الأنبياء وفضيلتهم أعظمُ من درجة الشهداء والأولياء، فوجْهُ التوفيق أن قوله ﷺ: "وما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب" إنما يعني به -والله أعلم-: أنه ما كلَّم أحدًا من الشهداء، وممن ليس بنبي بعد موته، وقيل: يوم القيامة، إلا عبدالله، ولم يرد به الأنبياء، ولا أراد بعد يوم القيامة، لما قد علم أيضًا من الكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة من: أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة، ويكلمهم بغير حجاب، ولا واسطة. وأما الآية: فإنما مقصودها حصر أنواع الوحي الواصل إلى الأنبياء من الله تعالى، فمنه: ما يقذفه الله تعالى في قلب النبي، وورعه، ومنه ما يُسمعه الله تعالى للنبي مع كون ذلك النبي محجوبًا عن رؤية الله تعالى، ومنه: ما يبلِّغه له الملك، وحاصلها: الإعلامُ بأن الله تعالى لم يره أحدٌ من البشر في هذه الدار؛ نبيًا كان أو غير نبي، ويشهد لهذا قولُه ﷺ في الصحيح: ((تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ))[2][3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ عن والد جابر بن عبدالله عندما قتل في غزوة

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٣١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٢٨٦-٢٨٧.

أحد: (ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها). حيث بين رسول الله ﷺ إكرام الله لوالد جابر وتظليل الملائكة له حينما قتل في غزوة أحد، وفي ذلك ترغيب في الشهادة في سبيل الله، والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها[1].

فعلى الداعية أن يستخدم أسلوب الترغيب في دعوته، ومن أنفع وسائل الترغيب تنبيه الفرد والأمة إلى ماضي أسلافهم الصالحين الذين رفعوا منار العلم والدين. ونشروا لواء العدل والحرية وقهروا الظلم والبغي وأناروا العالمين وشرقوا وغربوا في أرجاء المعمورة فاتحين مكبرين، هادين وكانوا كما قال القائل:

كنا جبالاً كالجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارًا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم نخش طاغوتًا يحاربنا ... ولو نصب المنايا حولنا أسوارًا
ندعوا جهارًا لا إله سوى الذي ... خلق الوجود وقدر الأقدارا[2]

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥.

الحديث رقم (١٣٢٣)

١٣٢٣ - وعن سهل بن حنيف ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن حُنيف: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٧).

غريب الألفاظ:

بَلَّغه: أوصله وأدخله[2].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز هو منبع الجمال الأسلوبي في هذا الحديث الشريف فهو يتكون في بنائه اللغوي من جملتين شرطيتين ولكن هذا الإيجاز في المبنى يقابله اتساع في الدلالة وإعلان عن الأجر المضاعف الذي ينتظر كل من يتمنى الشهادة في سبيل الله ويسأل الله ذلك، والجملة الأولى تبدأ بأداة الشرط " من " وهى للعاقل وفى ذلك إشارة إلي إن كل من يتمنى الشهادة فهو صاحب عقل راجح يميز الطيب من الخبيث ويعرف قيمة الشهادة في سبيل الله عز وجل، وفعل الشرط (سأل الله تعالى الشهادة)، والسؤال فيه إخلاص. ورغبة حقيقية وقوله (بصدق) يؤكد ذلك: والباء للمصاحبة " فالصدق مصاحب، وممتزج بالسؤال وجواب الشرط: قوله (بلغة الله منازل الشهداء) والتعبير بقوله: بلغة الله يوحى بعلو مكانة هذه المنازل وبأن الوصول إليها يحتاج إلى المجاهدة، وإلى الاستعانة بالله عز وجل، ومجيء: منازل " في صيغة الجمع فيه تنبيه على كثرة منازل الشهداء وأعلاها " الفردوس الأعلى " والشهيد في الأصل " من قتل مجاهداً في سبيل الله ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي صلى الله علية وسلم من " المبطون،

---

(١) برقم (١٩٠٩/١٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٧)، وقد تقدم برقم (٥٧).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ل غ).

والغرق، والحرق، وغيرهم، وسمي شهيداً لأن الملائكة شهود له بالجنة وقيل لأنه حي لم يمت كأنة شاهد أي حاضر وقيل لأن ملائكة الرحمة تشهد له، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، وقيل لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، وقيل غير ذلك فهو فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول: أى شاهد ومشهود على اختلاف التأويل كما أشار ابن منظور في لسان العرب في مادة شهد. ، والجملة الثانية: (وإن مات فراشة) تتضمن إيجازاً بالحذف. لأن الجواب محذوف وتقديره فهو شهيد وقد حذف للتشويق ولدلالة ما قيل عليه وفى الحديث استحباب طلب الشهادة واستحباب ما فيه الخير وأن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب كما يقول صاحب دليل الفالحين، والله أعلم.

المضامين الدعوية(١)

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل إخلاص النية لله تعالى في طلب الشهادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المخلصين.

ثالثًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل إخلاص النية لله تعالى في طلب الشهادة:

يظهر ذلك من عموم الحديثين فقد قال ﷺ في الحديث الأول: (من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

وفي الحديث الثاني: (من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه).

قال النووي: "ومعناهما جميعًا: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء، وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير"(٢).

وإخلاص النية له فضل عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(٣)، فإسلام الوجه إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٣٢٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢١.

(٣) سورة النساء، آية: ١٢٥.

الله ﷺ وسنته.، فإخلاص النية في طلب الشهادة أساس قبول الجهاد، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل رياء، ويقاتل شجاعة، ويقاتل حمية: أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ عزَّ وجلَّ))[1][2].

قال القرطبي: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، يعني بـ (كلمة الله) دين الإسلام. وأصله: أن الإسلام ظهر بكلام الله تعالى؛ الذي أظهره على لسان نبيه ﷺ.

ويفهم من هذا الحديث: اشتراط الإخلاص في الجهاد، وكذلك هو شرط في جميع العبادات، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3]، والإخلاص مصدر من: أخلصت العسل وغيره: إذا صفيته، وأفردته من شوائب كدره أي: خلّصته منها. فالمخلص في عباداته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء. وذلك لا يتأتي له إلا بأن يكون الباعث له على عملها قصد التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده. فأما إذا كان الباعث عليها غير ذلك من أعراض الدنيا؛ فلا يكون عبادة بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها؛ فإما كفر وهو الشرك الأكبر وإما رياء، وهو: الشرك الأصغر. ومصير صاحبه إلى النار. هذا إذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده، بحيث لو فُقد ذلك الغرض لترك العمل. فأما لو انبعث لتلك الحالة لمجموع الباعثين - باعث الدنيا وباعث الدين - فإن كان باعث الدنيا أقوى، أو مساويًا ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك عند أئمة هذا الشأن، وعليه يدل قوله ﷺ حكاية عن الله تبارك وتعالى: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[4].

فأما لو كان باعث الدين أقوى؛ فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم، وبما في معناه، وخالفه في ذلك الجمهور، وقالوا بصحة ذلك العمل

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢١٠ - ٢١١.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٥٨.

وهو الأقدمُ في فروع مالك. ويستدل على هذا بقوله ﷺ: ((خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[1]، فجعل الجهاد مما يصحُ أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودًا، لكن لما كان باعث الدين على الجهاد هو الأقوى والأغلب، كان ذلك الغرض مُلغى، فيكون معفوًا عنه، كما إذا توضأ قاصدًا رفع الحدث والتبرد، فأما لو تفرد باعث الدين بالعمل؛ ثم عرض باعث الدنيا في أثناء العمل فأولى بالصحة"[2].

فينبغي على المسلم أن يخلص النية في الجهاد وفي طلب الشهادة، وعن أبي أمامة الباهلي قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ شَيْءَ لَهُ)) فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ شَيْءَ لَهُ)) ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))[3].

قال ﷺ: ((الغَزْوُ غَزْوَانِ فَأَمَّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ الله وَأَطَاعَ الإِمَامَ وَأَنْفَقَ الكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ وَاجْتَنَبَ الفَسَادَ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنَبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً وَعَصَى الإِمَامَ وَأَفْسَدَ فِي الأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ))[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المخلصين:

ويظهر ذلك من عموم الحديثين حيث بيّن رسول الله ﷺ أن إخلاص النية في طلب الشهادة يكون سببًا في نوال درجة الشهادة وثوابها ولو مات الإنسان على فراشه.

وذلك؛ لأن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٤٢ - ٧٤٣.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٤٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن النسائي ٢٩٤٣).

(٤) أخرجه ابو داود ٢٥١٥، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٥).

والحق أن المرء ما دام قد أسلم وجهه وأخلص نيته، فإن حركاته وسكناته ونوماته ويقظاته، تحتسب خطوات إلى مرضاة الله وقد يعجز عن عمل الخير الذي يصبو إليه، لقلة ماله أو ضعف صحته، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين، والراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين لأن بعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم.

وحدث في غزوة العسرة أن تقدم إلى رسول الله ﷺ رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله، غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم فعادوا وفي حلوقهم غصة، لتخلفهم عن الميدان وفيهم نزل قوله عز وجل: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[1].

فقد أعطى الله هؤلاء المخلصين ثواب المجاهدين لصدق نيتهم، وقد نوّه النبى ﷺ بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم[2] فقال للجيش السائر: ((إنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إلاَّ وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ))[3].

ثالثًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة:

يستنبط هذا من عموم الحديثين فذكره ﷺ لإعطاء ثواب الشهادة لمن طلبها وأخلص النية في الطلب ولو مات على فراشه، حث للمسلمين على إخلاص النية والحرص على طلب الشهادة.

فعلى الداعية أن يحث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة وذلك لقول رسول الله ﷺ: ((إن اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩٢.

(٢) انظر: خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي ص ٦٨ - ٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٣٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[1].

والإخلاص من الأشياء التي ينبغي أن يحرص عليها المسلم قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ))[2].

وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصده من الرياء، وإظهار الشجاعة والعصبية، وغير ذلك: أي ذلك في سبيل الله؟ ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[3].

قال النووي: "أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا"[4].

فينبغي على الداعية حث المدعوين على إخلاص النية في طلب الشهادة، حتى يكون لهم كمال الأجر والثواب من الله وإن مات على فراشه. (وذلك لأن من أعظم مسؤوليات الدعاة إلى الله تعالى التربية على الإخلاص لله تعالى في كل عمل، وكذلك تربية الإخلاص في نفس الإنسان، وتعهده دائمًا، ليكون زادًا مغذيًا لروحه وكيانه، ووقودًا ممدًا له بالطاقة الفكرية، والحيويّة النفسية في كل وقت، وكيلاً تأتي عليه جوائح الدنيا المختلفة، ولا تغتاله فتن الشبهات والشهوات، فتلقي به على قارعة الطريق.

فإذا غرسوا الإخلاص وتعهدوه، فلن يكون بعد ذلك من صاحبه إلا أن يرقى في مدارج كماله، حتى يكون من أهل البر والاحتساب، والحرص على فعل المعروف والتنافس في أبواب الخير)[5].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٢٣٠ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ٣١٢٦، ومسلم ١٩٠٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٩.

(٥) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٦٩.

الحديث رقم (١٣٢٤)

١٣٢٤- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا ولو لَمْ تُصِبْهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

غريب الألفاظ:

أعطيها: أعطى ثوابها[٢].

الشرح الأدبي

إن حماية الدين والعرض والمال والنفس من الواجبات التي يقوم بأدائها كل مسلم وعلية أن يدافع ويجاهد.. والشهادة تعد تاج الدفاع والجهاد وإذا لم يقم القادرون من أبناء الأمة بأداء هذا الواجب فهم من الذين يظنون البذل في سبيل الله مغرماً يستحق الرثاء، والموت في سبيل الله تضحية تستحق العزاء، هم قوم ليسوا من الدين في شيء ولا من الدنيا في شيء كما يقول الشيخ محمد الغزالي وحق على هؤلاء أن يدفنوا وهم أحياء وأن يرقدوا في مهاد الذل لا ليستريحوا ولكن لتستجاب فيهم دعوة خالد بن الوليد " لا نامت أعين الجبناء "

وفي ضوء هذا الواقع الذي يحيط بالمتخاذلين عن نصرة دينهم وحماية أوطانهم يرغب المصطفى ﷺ كل مسلم فى طلب الشهادة: ليس حباً في الموت ولكن دفاعاً عن حرمات الإسلام وديار المسلمين وصوناً لأعراضهم والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين شرطيتين للدلالة على أن الجزاء من جنس العمل، وفعل الشرط يتوهج بدلالة السعي والحركة وهو الفعل " طلبه، والطلب هو السعي إلي تحقيق المقصد المراد

---

(١) برقم (١٥٦/١٩٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٠.

والغرض المنشود والمطلوب هنا هو الشهادة، وهذه الشهادة ليست ادعاءً ولا رياءً، ولكنها مؤطرة بالصدق "وقوله " صادقاً في موقع " الحال " فطالب الشهادة " صادق في طلبه " ابتغاء مرضاة الله ولذلك نجد جواب الشرط متضمناً مادة العطاء وجاء الفعل مبنياً للمجهول أعطيها لأن الفاعل معلوم وهو " الله عز وجل " ومن أعظم عطاء الله ولسوف يعطيك ربك فترضى، والجملة الثانية: (ولو لم تصبه) أى الشهادة " متعلقة بدلاله الجملة الأولى: وتتضمن إيجازاً بالحذف وتقدير الكلام ولو لم تصبه الشهادة فسيعطاها " أى يعطى ثوابها " فأي ترغيب أجمل من هذا الترغيب وأي نعيم ينتظر هذا المجاهد الصادق الجسور وهذا الشهيد الذي يشهد ما أعد الله له من الكرامة يوم البعث والنشور، ورزقنا الله منازل الشهداء ودرجات الأولياء.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٢٥)

١٣٢٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إلاَّ كَمَا يَجِدُ أحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ)) رواه الترمذي[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القَرْصَة: عَضَّة النَّملة، أو المرة من القَرص: وهو القبض بالإبهام والسبّابة على جزء من الجسم قبضًا مؤلمًا[٢].

الشرح الأدبي

إن الشهيد يستعذب الموت في سبيل الدفاع عن عقيدته وحريته ودم الشهادة يوم القيامة يضوع عبيره وينتشر أريجه فاللون لون الدم والرائحة رائحة المسك وجرح الشهيد وسام يتباهى به في ميدان القتال وهو يوم القيامة تاج فخار ولواء انتصار، ويصور هذا الحديث الشريف حقيقة شعور الشهيد وهو يتلقى ضربات السيوف وطعنات الرماح وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة تردداً أحد !. أحد ! فرد صمد ! ، وهو شعور الارتياح . . والاستبشار بدخول الجنة، ويصاغ الحديث كله في جمله واحدة. . من خلال أسلوب " القصر " عن طريق النفي والاستثناء وهذا الأسلوب الغرض منه " الحصر " دفعاً لما يتوهم أن ألم القتل في سبيل الله أعظم من ألم القرصة وبذلك يزيل أكبر مخاوف الإنسان من الموت، وهو ما فيه من الألم، وليس هناك إحساس في الوجود وشعور بالألم أخف من

---

(١) برقم (١٦٦٨) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي ٤١٠/٧، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ص).

هذا الإحساس وذلك الشعور وللألفاظ دورها في تصوير الشعور ونقل الإحساس إلى المتلقي وقوله "مس" مصدر مضاف إلى القتل والمس في اللغة هو أول ما يحس به المرء من التعب الذي لا يلبث أن يزول، وفى حديث موسى "على نبينا وعلية الصلاة والسلام" ولم يجد مساً من النصب "ويقولون" وجد مس الحمى "أي رسها وبدأها قبل أن تأخذه وتظهر"[1] والحديث يصور عن طريق هذه الموازنة الدقيقة: حال الشهيد ساعة استشهاده بأنة يشبه الذي شعر بالألم الخفيف من مس القرصة وقال الليث: القرص باللسان والأصبع والمراد فى الحديث: القرص بالإصبعين، ومنبع سر الجمال في هذا الحديث هو الإيجاز والترغيب فى الجهاد فالمسلمون- كما يقول الشيخ محمد الغزالي - في سبيل الله لا يبالون بالموت، كيف وهو هم الذين يطلبون وفيه يرغبون، فكان هذا الشعور الغامر هو الدعامة المكينة التي بنوا عليها تاريخهم وسجلوا فيه صحائف خلودهم فعاش من عاش سعيداً، ومات من مات شهيداً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان إكرام الله للشهيد وعدم إيلامه من القتل.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحصر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة).

قال المناوي: "القرصة: الأخذة بأطراف الأصابع وعبر بأداة الحصر؛ دفعًا لتوهم تصور أن ألمه يفضل على ألمها، وهذه تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم، والخطب الجسيم، وتهييج الصبر على وقع السيوف واقتحام الحتوف".

وقال أيضًا: يعني أنه تعالى يُهون عليه الموت، ويكفيه سكراته وكربه، بل رب راغب في الشهادة يتلذذ ببذل نفسه في سبيل الله طيبة بها نفسه، كقول خبيب

(١) انظر: تأملات في الحياة والدين – الشيخ محمد الغزالي.

الأنصاري حين قُتل:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا   عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ للَّهِ مَصْرَعِي[(١)]

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان إكرام الله للشهيد وعدم إيلامه من القتل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة)، فبيّن رسول الله ﷺ أن الذي يصيب الشهيد من ألم القتل مثل القرصة الأخذ بأطراف الأصابع مع أن الموت له سكرات وله آلام يعاني منها الإنسان، وقد ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[(٢)].

قال القرطبي: "أي: غمرته وشدته"[(٣)].

والشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين الله.

يا شهيدًا رفع الله به   جبهة الحق على طول المدى

سوف تبقى في الحنايا علمًا   حاديًا للركب رمزًا للفدى

ما نسينا أنت قد علمتنا   بسمة المؤمن في وجه الردى

إن الناس يعيشون ويموتون، لكن الشهداء يعيشون ويعيشون!!

إن الناس يعيشون؛ ليموتوا ولكن الشهداء يموتون ليعيشوا.

إنهم الذين يحسنون طريقة الموت.. الواحد منهم آنس بالموت من الطفل بثدي أمه!!

إنهم الذين يخطون تاريخ الأمم؛ لأن صروح المجد لا تبنى إلا بجماجمهم

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٨٢/٤. والأبيات في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٣/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٢٦/٢.

(٢) سورة ق، آية: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢/١٧/٩.

وأشلائهم،وهم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوى؛ لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء، وهم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء، وبذكرهم تحيا القلوب؛ لأنهم قُتلوا لتحيا أممهم، ويحيون هم أنفسهم، هؤلاء هم عشاق الموت الذين تُبنى بهم الحياة؛ فهم يبحثون عن الموت، ويبغونه في مظانه، ليبعثوا الحياة في أممهم وفي الأجيال التي تأتي من بعدهم؛ كما قال ﷺ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ. يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ. كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ. يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ....))(١).

فهم يبتغون الموت مظانه؛ أي: أنهم حيثما ظنوا مكان الموت أسرعوا إليه ومضوا مسرعين يطلبونه.

ما العيش إلا معهم، وقربهم حياة للأرواح، وبذكرهم تطيب المجالس وتحيا القلوب.

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا ... وتزهق بالأشواق أرواحنا منا

بعادكم موتٌ وقربكم حيا ... ولو غبتم عنا ولو نَفَسًا متنا

نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ... ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

الشهادة في سبيل الله مَرْتَبةٌ ساميةٌ ورتبة عظيمة، لا يُلقَّاها إلا ذو حظ عظيم، ولا ينالها إلا كفؤ ماجد نبيل كريم، سبقت له من ربه الحسنى والفوز العظيم"(٢).

ولقد منّ الله على الشهداء بنعم لا تحصى، وفضائل ومآثر لا تنسى، ومن أجل هذه النعم وأعظمها أن الله سبحانه جعلهم أحياء عنده يُرزقون من الجنة حيث يشاءون ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(٣).

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، قتلى أعزاء أحباء، قتلى كرامًا أزكياء، فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٢) فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسين العفاني ١/٥١٣ - ٥١٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٤.

بأرواحهم في معركة الحق هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس، هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتًا، إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتًا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم: أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه، فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين،ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررها هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.

وهؤلاء الذي يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نُصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد؛ فهم ما يزالون عنصرًا فعالاً دافعًا مؤثرًا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى، فهم أحياء بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس ثم هم أحياء عند ربهم، إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه، وحسبنا إخبار الله تعالى به: ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود، ولكنهم أحياء.

أحياء: ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها؛ فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر؛ لأنهم بعد أحياء.

أحياء: فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: يشاركون في حياة الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاظمها الأمر، ولا يهولنها عظم الفداء.

ثم هم بعد كونهم أحياء مكرمون عند الله، مأجورون أكرم الأجر وأوفاه"[1].

---

(١) فرسان من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسن العفاني ١/٥٢٥ - ٥٢٦.

عن مسروق قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: ((أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ. لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ. ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ . فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا))[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أحدٌ يَدخلُ الجنةَ، يُحبُّ أَن يَرجعَ إلى الدُّنيا، وله ما على الأرضِ مِن شيءٍ إلا الشهيدُ، يتمنّى أن يرجعَ إلى الدُّنيا فيُقتلَ عشرَ مرات، لما يَرى منَ الكرامةِ))[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ، بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ))[4].

فأعظِم بها ميتةً تمنّاها رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: ((للشَّهيدِ عندَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ ويرى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ على رأسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسبعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ))[5].

وقال ﷺ: ((والذي نفسي بيده، لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله - والله أعلمُ بمن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٥ ، ٢٨١٧ ، ومسلم ١٨٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦.

(٥) أخرجه الترمذي ١٦٦٣ ، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٣٥٨).

يُكلَمُ في سبيلهِ - إلا جاءَ يَومَ القيامةَ واللّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))[١].

فنِعم المولى تبارك وتعالى على الشهيد لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة تخفيف آلام الموت وسكراته، كما معنا في الحديث الذي نحن بصدده، وذلك لأن جهاد أعداء الله من الكفار والمشركين من أصول هذا التوحيد، وهذا شيء مقرر، والذي جعل نفسه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله، وتقرب إلى الله بدمائه قد وصل إلى أعلى مراتب الإيمان بالله، ومن كان هذا هو حاله لا يجد عند استشهاده عناء سكرات الموت، وذلك جزاء ما كان عليه من إيمان راسخ، وولاء وبراء وجهاد في سبيل الله وهذا من أجلّ مراتب التوحيد، فخفف الله عنه سكرات الموت بذلك، نسأل الله ذلك"[٢].

(١) أخرجه البخاري ٢٨٠٣، ٥٥٣٣، ومسلم ١٨٧٦.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ١٧٢ - ١٧٣.

الحديث رقم (١٣٢٦)

١٣٢٦ - وعن عبد الله بن أَبي أَوْفَى رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ في بَعْضِ أيَّامِهِ الَّتي لَقِيَ فِيهَا (العَدُوَّ)[1] انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ.

ثُمَّ قَامَ في النَّاسِ فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِروا؛ وَاعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)) ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

غريب الألفاظ:

تحت ظلال السيوف: يعني الجهاد في سبيل الله.

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الجليل من مشاهد السيرة النبوية العطرة يصور محبة النبي لأصحابه وحرصه على أن يظل المسلمون أقوياء أشداء ينشرون دين الله بين العالمين وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي نجدها متعددة ومتنوعة فالحديث يبدأ بالتأكيد "بأن" وذلك لترسيخ مفهوم الحديث في الأذهان لأنه واقعة تاريخية حقيقية وحتى يدفع الشك والارتياب من أي متوهم وظان في حقيقة الخير وقوله في بعض (أيامه)" إشارة إلى معارك رسول الله وغزواته: وأيام العرب في التراث العربي هي: حروبهم ومعاركهم التي يدافعون فيها عن حرياتهم وكرامتهم وأعراضهم، والنداء في بداية كلام رسول الله: أيها الناس " لأهمية الأمر ولضرورة الإصغاء والإتباع، وقوله: الناس ولم يقل " المسلمون " للترغيب في اعتناق الإسلام وللإيحاء بأن كل من يسمع هذا،

(١) قوله: (العدو) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٣٠٢٤)، وكذا عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦) واللفظ له، ومسلم (١٧٤٢/٢٠). وتقدم برقم (٥٣).

النداء أو يصل إليه عن طريق القراءة أو الرواية أو السماع بعد ذلك يجب أن يستظل بظل الإسلام، وأن يكون من المنافحين عنه الزائدين عن حياضه، وأسلوب النهى في قوله " لا تتمنوا لقاء العدو " ليس نهياً عن القتال وإنما نهى عن الغرور والاعتماد على قوة النفس والركون إليها وعدم التوكل على الله والاحتماء به وأسلوب الأمر فى قوله " وأسالوا الله العافية " فيه حث للمسلمين على عدم إلقاء أنفسهم في التهلكة والحرص على الفوز والانتصار بعد إعداد القوة في ظل الخطط المحكمة وأسلوب الشرط في قوله: فإذا لقيتموهم فاصبروا، يوحى بأن لقاء العدو لابد منه والتعبير بأداة الشرط " إذا " يفيد ذلك لأنها تدل على التحقق وجواب الشرط قوله: فاصبروا: يشع بدلالات متعددة وكلها توحي بالثبات وعدم الفرار من ميدان المعركة ولمزيد من الترغيب في الاستشهاد دفاعاً عن الإسلام علل الصبر بهذه البشرى التي لا تتحقق إلا عن طريق الجهاد وما أجمل هذه الصورة الأدبية البلاغية " إن الجنة تحت ظلال السيوف " وصيغة الدعاء جاءت في ختام الحديث الشريف على لسان النبي ﷺ لتزيد المسلمين اطمئناناً لأن الرسول مستجاب الدعوة وجمل الدعاء الثلاث متناسقة فى مبناها، ومتوازنة فى معناها ومغزاها، واسم الفاعل المضاف إلى ما بعده وما فيه من السجع الجميل الذي يحدث إيقاعا محبباً ومرغباً يستميل السامعين ويؤثر في المتلقين وينبئ عن الصدق في الدعاء والأمل في تحقيق الرجاء "اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب إهزمهم وانصرنا عليهم". . آمين آمين.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٥٣.

الحديث رقم (١٣٢٧)

١٣٢٧-وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**ثِنْتَانِ لاَ تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البَأسِ حِيْنَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضًا**)) رواه أَبُو داود[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٢].

البأس: الحرب[٣].

حين يلحم بعضهم بعضًا: أي يتقاربون فيصيرون كالذين يلتصق لحم بعضهم ببعض[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي نجد في مقدمتها "الإيجاز " وهذه سمة في البيان النبوي.. وفى هذا الحديث حيث تتجلى بلاغة الحذف من بدايته.. فقوله ثنتان " ورد في روايات أخرى: دعوتان: والتقدير في هذا الحديث: دعوتان اثنتان، ويتجلى الإيجاز في قوله - عند النداء، والمراد بالنداء الأذان والإقامة - وصيغة الأذان معروفة. . وكلها في مجملها نداء لجميع المسلمين في كل زمان ومكان، وللإقامة صيغة معروفة والأذان والإقامة يتكرران يومياً قبل كل صلاة في جميع بقاع الأرض مشارقها ومغاربها.

---

(١) برقم (٢٥٤٠). وصحّحه ابن خزيمة (٤١٩)، وابن حبان (الإحسان ١٧٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن د و).

(٣) المرجع السابق في (ب أ س).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢١.

فتأمل هذه الإشعاعات المنبثقة من هذه الكلمة المتوجة بما لا يتناهى من الرجاءات والدعوات في كل الأماكن والأوقات، وفي كل العصور والبيئات، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي: حسن التقسيم حيث العبارات المتساوية المتوازنة وجمال الإيقاع. . والتوازن الأسلوبي والسجع غير المتكلف الذي يحدث إيقاعاً محبباً يستميل المشاعر "ثنتان لا تردان. . أو قلما تردان: الدعاء عند النداء ومن مظاهر الجمال الأسلوبي اختيار الكلمات ذات الإشعاع الدلالي الذي يتفق مع سياق الحديث ومناخ الغرض والمقصد الأسنى من الحديث، وكلمة " البأس " لها إشعاعها وتأثيرها وليس هناك من الكلمات ما يصلح للإيحاء بجو الحرب والقتال والمجاهدة مثلها فالبأساء: اسم الحرب والمشقة والضرب واليأس والعذاب والبأس: الشدة في الحرب، ويقول ابن سيدة " البأس: الحرب: ثم كثر حتى قيل لا بأس عليك أي لا خوف ويقول على بن طالب: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ يريد الخوف و لا يكون إلا مع الشدة والصورة التعبيرية الموحية في قوله: حين يلحم بعضهم بعضاً " تصور شدة الحرب والتحام الصفوف وفي العبارة روايتان " وكل منهما تؤديان المعنى المراد: فإذا قلنا: يلتحم بعضهم بعضا بالحاء يكون المعنى ملتصقين حين يتقاربون كالذي يلتصق لحم بعضهم ببعض، وإذا كان الفعل بالجيم أي يلجم فيكون المعنى كأن كلا منهم يلجم صاحبة بالسلاح، " فاللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، آمين آمين).

فقه الحديث

بوّب ابن خزيمة على هذا الحديث: باب استحباب الدعاء عند الأذان ورجاء إجابة الدعوة عنده[1].

وقد بوّب النووي في الأذكار هذا الحديث والحديث الذي قبله والحديثين الذين بعده، بوّب باب الدعاء والتضرع والتكبير عند القتال واستنجاز الله ما وعد من نصر المؤمنين[2].

---

(١) الحديث ٤١٩.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٣٧-٢٤٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأوقات إجابة الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأوقات إجابة الدعاء:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: (ثنتان لا تردان، أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا).

حيث بيّن رسول الله ﷺ إجابة الدعاء وقت النداء ووقت الجهاد، وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين أوقات الإجابة، منها:

آخر الليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[1].

ودبر الصلوات المكتوبة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ))[2].

وفي ليلة القدر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة هي - ليلة القدر - ما أقول فيها؟ قال: ((قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي))[3].

والدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعف في نفسه بأن يكون الدعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان - وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وقت الدعاء - فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًا،

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٩).

فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا..، وإما لحصول المانع من الإجابة، من أكل الحرام والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليها.

ومن أنفع الأدوية في أي عقدة الإلحاح في الدعاء، وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر، وعند نزول الغيث، وشرب ماء زمزم، وفي السجود.

وصادف خشوعًا في القلب وإنكسارًا بين يدي الرب وذلة له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين يدي حاجته، التوبَة والاستغفَار، ثم دخل على الله وألح في المسألة وتملقّه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين دعائه صَدَقَة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم(١).

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين هذه الأوقات حتى يغتنموها في التوجه إلى الله بالدعاء والرغبات.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: الحرص على الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد:

ذلك لأن الدعاء في هذين الوقتين لا يرد، أو قلما يرد كما أخبر الصادق الأمين في الحديث، ولأنهما وقتان عظيمان أما الأذان فلأنه كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها وذلك بقول: الله أكبر، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد، المقدمة

---

(١) انظر: الداء والدواء، ابن القيم الجوزية ص ٩ – ١٥ بتصرف.

على كل وظائف الدين. ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعاهم إلى الصلاة وعقبها بعد إثبات النبوة، لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهي آخر تراجم عقائد الإسلام، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالمشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الإيمان وتكراره وذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي على بينة من أمره، وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه[1].

فالآذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء، في أطهر مكان، فهو عبادة تتقدم الصلاة، يتردد صداها في الكون، الله أكبر، فكل ما نتصور أنه كبير، فالله أكبر منه، فكل شيء دون الله حقير، التجارة، الأموال، المتاع الدنيا، يا له من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفي الشرك، ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، فيرتفع ذكره مع كل أذان مقترنًا بذكر الله تعالى يتردد عبر الأزمان.

يدعو النداء أمة الإسلام أن تقبل على الله لأداء الصلاة، والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وينتهي الآذان معلنًا لكل من شغلته الدنيا وألْهَتْه، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله حتى ينتبه، ويترك كل شيء، ويسعى إلى لقاء الله[2].

ومما يدل على فضل الأذان أن الشيطان إذا سمعه هرب فعن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ، ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٣٩، وهذا ملخص كلام القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤ - ٦٥.

الرَّوْحَاءِ)) قَالَ سُلَيْمَانُ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّوْحَاءِ؟ فَقَالَ: هِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةٌ وَثَلاثُونَ مِيلاً"[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ))[٢].

قال القاضي: "وهروب الشيطان عند النداء لعظيم أمْرِه عنده، وذلك - والله أعلم - لما اشتمل عليه من الدعاء بالتوحيد، وإظهار شعار الإسلام، وإعلان أمره كما فعل يوم عرفة، لما رأى من اجتماع عباد الله على إظهار الإيمان، وما ينزل عليهم من الرحمة"[٣][٤]. فهذه المعاني تدل على أن وقت الأذان وقت مفضل لإجابة الدعاء ينبغي الحرص على الدعاء فيه. أما الدعاء عند التقاء الجمعين فهو مجاب أيضًا فينبغي الحرص على الدعاء فيه، يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: ((الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ. دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ. وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ))[٥].

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذكره واللجوء إليه بالدعاء عند لقاء العدو في الجهاد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦].

قال ابن كثير: "فأمر الله تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه، بل

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٩.

(٣) يعني بذلك ما أخرجه مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال: ((ما رؤي إبليس في يوم أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزل الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله، وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة))، الحج باب: جامع الحج ٤٢٢/١، رقم ١٨٤١.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥٧/٢.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٨٩٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٣٩).

(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم"[١].

وقال د. محمد محمود حجازي: "المعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إذا حاربتم جماعة من الكفار، والتقيتم بهم في ميدان الحرب فالواجب عليكم أن تثبتوا في قتالهم وتصمدوا للقائهم، وإياكم والفرار من الزحف وتوليتهم الأدبار، فالثبات فضيلة. والفرار كبيرة؛ وعليكم بذكر الله في السراء والضراء وحين البأس، فبذكره تطمئن القلوب، وبدعائه تفك الكروب، فهو القريب، المجيب دعوة الداعي، لا سيما إذا كان دعاء بالنصر على عدو الله، اثبتوا عند اللقاء، واذكروا الله كثيرًا، رجاء أن تفوزوا بالأجر والثواب، والنصرة على الأعداء"[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ثنتان لا تردان أو قلما تردان، الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد وبين سبب ذلك بأن الدعاء فيهما لا يرد.

وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يحسن استخدامها في الدعوة إلى الله، "وذلك لأن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر سواء ما كان فيها من عاجل وما كان من آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن، وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان"[٣] لتستفيد به في كل زمان.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٢/٤.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧/١٠/١.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥٠٩.

الحديث رقم (١٣٢٨)

١٣٢٨- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ أنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عَضُدي: ناصري أتم نصر وأبلغه[2].

أَحَول: أصرف كيد العدو وأحتال لدفع مكرهم، من حال يحول حيلة وأصله حولة[3].

أَصُول: أحمل على العدو حتى أغلبه واستأصله، ومنه الصولة بمعنى الحملة[4].

الشرح الأدبي

إن التوكل على الله من سمات المنهج الإسلامي ومن معالم التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة وفى أيام الجهاد وأزمنة الصراع ومقاومة جحافل الشرك والغزاة يكون المسلم في أشد حالاته توكلاً على الله واحتماء به واحتياجاً لتأييده ونصره، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الذي يرصد موقف رسول الله وسلوكه الإيماني وهو يواجه أعداءه ويستعد لملاقاتهم نجد الحديث يضيء بكثير من الظواهر الفنية والأسلوبية ومن هذه الظواهر الفنية أسلوب الشرط في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٨٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٦١).

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ع ض د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح و ل).

(٤) المرجع السابق في (ص و ل).

بداية الحديث في قول الراوي الأعلى :انس بن مالك " إذا غزا قال " وهذا الأسلوب تتصدره أداة الشرط " إذا " وهى للتحقيق واليقين ولم يقل: إن غزا " لأن " إن " تفيد الشك وعدم التحقق، وانس يروى مشاهد حقيقية ويسرد دعاء رسول الله عندما يستعد للحرب وهو دعاء مأثور موثوق الخبر وصيغة الدعاء في قوله " اللهم " وما بعده " تعلن عن طبيعة المنهج الذي يتبعه المسلم في بداية كل عمل " وهو الدعاء " اتباعا لأمر الله عز وجل :ادعوني أستجب لكم " وصيغة " اللهم في الدعاء " مرتبطة بشدائد الأمور وقال الخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم اللهم بمعنى يا الله " وأن الميم المشددة عوض من يا " وضمير المخاطب " أنت " وهو في مخاطبة الله عز وجل واستحضار جلاله وسلطانة وإسناد العضد إلى الله عز وجل. . مع إضافته إلى ياء المتكلم وهو رسول الله ﷺ لأنه قوى بربه منصور به ومعنى " أنت عضدي " أي ناصري أتم نصر وأبلغه " ولنتأمل هذا الجمال الأسلوبي النابع من التكرار قوله: بك ثلاث مرات " وضمير الخطاب المتصل المقترن بباء الاستعانة. . والمقصود بك يا رب استعين وتتغير أحوالي من الضعف إلى القوة ومن الهوان إلي العزة ولا صولة إلا بك، ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل، ولا قتال ولا انتصار إلا به ومما يقوى من هذا التوجه أسلوب القصر " عن طريق التقديم في الخبر في الجمل الثلاث بك أحول وبك أصول وبك أقاتل " والتعبير بالمضارع في قوله: أحول وأصول وأقاتل " للدلالة على تجدد هذا المنهج الإسلامي في كل زمان وفى كل مكان ولدى أي مواجهة تحدث بين المسلمين وأعدائهم ويجب أن يكون هذا الدعاء على لسان كل مجاهد يدافع عن الإسلام، وكرامة المسلمين، ولا يخفى عنصر التأثير الصوتي الذي يحدثه هذا الإيقاع الجميل المؤثر الناشئ من توازن العبارات وتوافق الفواصل من خلال السجع الذي جاء من غير تكلف في قوله: بك أحول وبك أصول. وبلاغة رسول الله كما وصفت (لم تصنع وهى من الأحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهى على السهولة بعيدة ممنوعة) عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء والاستعانة بالله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: (اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل).

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة.

وهذا كان شأنه ﷺ، فهو دائم اللجوء إلى الله والاستعانة به تعالى في كل وقت وحين، وأما في أوقات الشدة فيكون أشد إلحاحًا في الدعاء وفي طلب الإعانة من الله تعالى، وفي ذلك تعليم لأمته باللجوء إلى الله وقت الشدة والكروب بالدعاء والإلحاح فيه وطلب عونه ونصره تعالى. ومما ورد عنه ﷺ في ذلك لجوؤه إلى الله بالدعاء، والإلحاء فيه قبيل غزوة بدر.

فقبيل غزوة بدر يدعو رسول الله ﷺ ربه ويستعين به ويكثر من الإلحاح في الدعاء، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه: ((اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إِنْ تَهْلِكْ هَـٰذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]. فَأَمَدَّهُ اللّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[2].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

وقال القرطبي: "قوله: (فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه)، هذا منه ﷺ قيام بوظيفة ذلك الوقت من الدعاء، والالتجاء إلى الله تعالى، وتعليم لأمته ما يلجؤون إليه عند الشدائد والكرب الواقعة بهم، فإن ذلك الوقت كان وقت اضطرار وشدة، وقد وعد الله المضطر بالإجابة، حيث قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾(١)، يعني: عن المضطر عند الدعاء، فقام بعبادة ذلك الوقت، ولا يلزم من اجتهاده في الدعاء في ذلك الوقت أن يكون ارتاب في أن الله سينجز له ما وعده به، كما ظهر مما وقع لأبي بكر رضي الله عنه حيث قال له: كفاك مناشدتك ربك! فإنه سينجز لك ما وعدك! كما لا يلزم من دعائه في أن يدخله الله الجنة، وينجيه من النار، ويغفر له ذنوبه أن يكون في شك من شيء من ذلك، فإن الله قد أعلمه قطعًا أنه يدخله الجنة وينجيه من النار ويغفر له، لكنه قام بحق العبودية من إظهار الفاقة، وامتثال العبادة؛ فإن الدعاء مخ العبادة، فقلبه ﷺ مستغرق بمعرفة الواعد، وإنجاز الموعود، ولسانه وجوارحه مستغرقة بالقيام بحق عبادة المعبود، فقام في كل جارحة بوظيفتها، ولكل عبادة بحقيقتها.

وسقوط ردائه ﷺ عن منكبيه أوجبه غيبته عن ظاهره بما وجده في باطنه، وَرَدُّ أبي بكر رضي الله عنه رداء رسول الله ﷺ على منكبيه بعد سقوطه، أوجبه مراعاة أبي بكر رضي الله عنه أحوال رسول الله ﷺ حتى يحفظ عليه محاسن آدابه. والتزامه إياه، وتثبيته له بما قاله له، أوجبه فَرَطُ محبته وشفقته وقصر نظره على ظاهره، مع ذهوله عما استغرقه من ذلك من الالتفات إلى ما ذكرناه من المعاني والأسرار التي لاحت للنبي ﷺ في باطنه.

ولا يظن أحد أن أبا بكر رضي الله عنه كان في تلك الحالة أقوى من النبي ﷺ، وأوثق بما وعده الله به من النصر، فإن ذلك ظن من لا يعرف محمدًا ﷺ حق معرفته، ولا قدّره حق قدره. وكيف يصير إلى غير هذا المعنى من سمع قوله في الغار يوم سراقة:

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٢.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]، وكيف يظن من يعلم أن رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، وأكملهم، وأقواهم ولو وزن بجميع أمته لرجحهم؟ وبلا شك: أن الأنبياء أفضل الناس، وأعلمهم بالله وبحدوده. ولا شك في أنه ﷺ أفضل الأنبياء وأكملهم. وإذا كانت هذه حاله مع الأنبياء، فحاله مع من ليس بنبي أعلى، وأكمل وهو فيها أقوى. وكيف لا يكون حاله في هذه القصة أتم، وأقوى من حال أبي بكر، وقبل ذلك الوقت بيسير كان قد أخبر أصحابه بأن الله ينصره على عدوه ذلك، حتى أراهم مصارعهم واحدًا واحدًا باسمه وعينه، فكان الأمر كما ذكر فثبت ما قلناه.

وقوله: (كفاك مناشدتك ربك) هكذا رواية العذري: كفاك - بالفاء - ورواية الكافة: كذاك مناشدتك ربك. ورواه البخاري: حسبك. وكلها متقاربة، إلا أن: كذاك، بابها الإغراء، كـ (إليك)، كما أنشدوا:

يَقُلْنَ وقد تَلاحَقَتِ المَطَايَا كذاكَ القَوْلُ إنَّ عَلَيْك عَيْنَا

والرواية (مناشدتك) بالرفع على أنه فاعل ما في كفاك وكذاك من معنى الفعل. وقد ضبط عن أبي بحر بالنصب على المفعول، ويكون الفاعل مضمرًا في الأمر المقدر الذي ناب (كذاك) عنه.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، أي: تطلبون منه الغوث وهو النصر: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[2]، أي: أجاب. (ممدكم) مقويكم ومعينكم، (مُرْدَفِين) -بفتح الدال- اسم مفعول، أي: أردف الله بهم المسلمين، وبكسر الدال: اسم فاعل. قال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: مردفين مثلهم. يقال: أردفت زيدًا دابتي. فيكون المفعول الثاني محذوفًا.

والثاني: أن يكون المعنى: جاؤوا بعدكم. تقول العرب: بنو فلان مردفونا، أي: يجيئون بعدنا.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(من فورهم): وجهتهم، وحينهم. و(مسوَّمين) -بفتح الواو-: اسم مفعول، أي: معلمين، من السيما، وهي العلامة أي: قد علموا بعلامة. وبكسر الواو: اسم فاعل، أي: علموا أذناب خيلهم بصوف أبيض، وقيل: أنفسهم بعمائم صفر"[(١)].

إن هذا الدعاء فيه كل مقومات الإيمان بالله والتوكل عليه وفيه يقين بأن الله الذي أرسله لن يخذله، وفيه حقيقة أنه استنفد جهده في الأخذ بالأسباب المادية لنصرة دعوته، فلا بد إذن أن تتدخل العناية الإلهية وتمده بأسباب النصر، تتولاه بعنايته[(٢)]، فلجأ إلى الله طالبًا عونه ونصره، ليعلم أمته أن تحرص على الأخذ بالأسباب ثم اللجوء إلى الله بالدعاء.

وقد كان رسول الله ﷺ دائم الحرص على اللجوء إلى الله والاستعانة به سبحانه وتعالى في وقت الشدة، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل: دعاؤه ﷺ على سادة قريش عندما اشتد إيذاءهم له، ودعاؤه بعد فشل رحلته إلى الطائف.. وغيرها الكثير من الوقائع التي وردت في ذلك.

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليم النبي ﷺ لأمته بأهمية اللجوء والاستعانة بالله في كل وقت وخاصة وقت الشدة، والتعليم من الأشياء التي حرص عليها رسولنا الكريم ﷺ، معلم الخير منذ بداية دعوته وفي فترتها السرية كان يجتمع مع من أسلم ليعلمهم أمور دينهم، واستمرت هذه المهمة حتى قبض - عليه الصلاة والسلام - يعلم أصحابه رضي الله عنهم أمر دينهم، وهكذا صحابته رضي الله عنهم من بعده، ومعلوم أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون حتى في الأمور الحياتية نلحظ هذا الفارق، والإسلام من خصائصه التي عرف بها الاهتمام بالعلم والتعليم، فلا بد أن تبدأ الدعوة في المجتمعات الإسلامية بالحث على الاهتمام بالعلم تعليمًا وتعلمًا حتى يتمكن الواحد منهم من العمل إذ لا عمل بدون علم،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٥٧٤ - ٥٧٧.

(٢) انظر: الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي ص ٢١٤ - ٢١٥.

وبالأخص العمل المتعلق بالعبادة أو العبادات المفروضة على المسلم(١).

ثالثًا - من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء والاستعانة بالله:

يستنبط هذا من عموم الحديث وذلك؛ لأن المسلم مأمور بالتأسي والاقتداء برسول الله ﷺ في الالتجاء إلى الله بالدعاء وطلب العون والمساعدة في كل الأشياء وذلك لأن الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن(٢).

قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ))(٣).

وقال ﷺ: ((الدُّعاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ الله بالدُّعَاءِ))(٤).

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن الدعاء هو العبادة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ وَقَرَأَ: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. إِلَى قَوْلِهِ. دَاخِرِينَ))(٥).

أي: "هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه"(٦).

فينبغي على المسلم الاقتداء بالنبي ﷺ في اللجوء إلى الله ودعوه وقت الشدة، لكن اللجوء يكون بعد استكمال الأسباب كاملة، وإعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٧).

فعلى الأمة المسلمة اتخاذ جميع أسباب القوة وتحصيل أسبابها وأن تأخذ بعوامل النصر كاملة من ثبات وتحمل وإخلاص وتكاتف بين أفرادها.

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٣٦ - ٤٣٩.

(٢) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقي من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٨٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٣٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٨)..

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٤٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٣)..

(٥) أخرجه الترمذي ٢٩٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٥).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١٩٣.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

بعد هذا كله يتوجه الداعي إلى الله تعالى يطلب منه النصر والغوث والحفظ والرعاية ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾(١)، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(٢)، ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣)، يدعوه بعد أن لم يترك ما في طاقته من قدرة واستعداد وتأهب وأخذ بالأسباب. لا أن يدعوه دعاء الكسالى، ويلجأ إليه لجوء المتواكلين والمغفلين، الذين يستحثون غارة الله أن تجد السير مسرعة لتنقض على الأعداء فتمزق جموعهم وتشتت شملهم وتحطم صناعتهم وتعطل تقدمهم وتطورهم، وإن كان هذا ليس على الله ببعيد ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤). لكنه مشروط بـ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٥)، ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾(٦)، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٧)، واللجوء إلى الله تعالى أسلوب من أساليب الأخذ بالأسباب، التي اعتمدها رسول الله ﷺ في مسيرته الدعوية الطويلة، لأن بالأخذ به استشعار بمعية الله تعالى، وهو الحصن الحصين الذي يعتصم به. والقوة القاهرة التي تقف وراء الداعية فتبث بداخله الطمأنينة، والثقة بنصر الله وعونه، وتمده بالشجاعة والإقدام، وتظهر أمامه قوى الأعداء مهما بلغت هزيلة ضعيفة ذليلة متداعية"(٨).

---

(١) سورة القمر، آية: ١٠.
(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.
(٣) سورة القصص، آية: ٢١.
(٤) سورة يس، آية: ٨٢.
(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٠.
(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٥.
(٧) سورة الرعد، آية: ١١.
(٨) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ١٢٢.

الحديث رقم (١٣٢٩)

١٣٢٩- وعن أَبي موسى رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذَا خَافَ قَومًا، قَالَ: ((اللَّهُمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

نحورهم: جمع نُحْر: أعلى الصَّدر، ويقال: جعلتَ فلانًا في نحر العدو: أي قبالته وحذاءه ليُقاتل عنك، ويحول بينك وبينه، والمعنى: نسألك أن تصد صدورهم وتدفع شررهم[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الموجز البليغ نجده مطعماً بكثير من الأسرار التعبيرية في ظل نظرية النظم التي تكشف عن أسرار التعبير وجماليات الأسلوب فالحديث يبدأ بالتأكيد بأن على لسان الراوي " أبو داود " رواية عن أبى موسى، وبداية الحديث بالتأكيد ينبئ عن أهمية الخبر ويوحي إلى ترسيخ الموقف من الأعداء الذين نخشى بأسهم وغدرهم وأسلوب الشرط في قوله: كان إذا خاف قوماً: يرشد الى تحقق الدعاء وهو ما تحقق بعد ذلك: لأن إذا تدل على التحقق فأعداء الإسلام في كل عصر موجودون = والتنكير في قوله: قوماً. للعموم والتنويع، فلم يحدد هؤلاء القوم لأن جبهات العداوة للإسلام تتعدد وتتلون حسب تلون البيئات وتغير العصور

---

(١) برقم (١٥٣٧)، وتقدم برقم (٩٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٦٥)، وقال الحاكم (١٤٢/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين وأكبر ظني أنهما لم يخرجاه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ح ر)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٩٢.

والدعاء في بيان الرسول ﷺ يجيء في صيغة الجمع ويبدأ بالتأكيد بعد قوله: اللهم، وصيغة الجمع توحي بأن الدعاء ليس فردياً وليس مناجاة وإنما الأمر أعم وأشمل فالخطر يهدد المسلمين جميعاً ولذلك لابد أن يقتدوا بالمصطفى ﷺ ويثقوا في قدرة الله عز وجل وحمايته لهم بعد الأخذ بالأسباب وإعداد القوة: (إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم) ولنتأمل هذا الإيقاع الصوتي النابع من السجع الجميل المؤثر وكذلك من الجناس الناقص في قوله " في نحورهم، ومن شرورهم " والتعبير بالمضارع في هذا الدعاء " نجعلك، ونعوذ بك " يعطى للدلالة هنا صبغة التجدد والحدوث والاستمرار والتوازن بين عبارتي الحديث يشير إلى ضرورة توازن شخصية المسلم في موقعة وعدم هلعه وبعده عن الفزع لأنه التجأ الى ربه وأوكل أمر أعدائه إلي حكم ربه وقدرته وإرادته، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٩٨٢.

الحديث رقم (١٣٣٠)

١٣٣٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((الخَيْلُ (مَعقُودٌ)[١] فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إلَى يَومِ القِيَامَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

معقود: ملوي مضفور[٣].

نواصيها: المراد بالناصية هنا: الشعر المسترسل على الجبهة، وكني بالناصية عن جميع ذات الفرس[٤].

الشرح الأدبي

إن للخيل في مسيرة الدعوة الإسلامية دوراً وأثر كبيراً فهي مقترنة بالجهاد والقوة والاستعداد " قال تعال {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠]. والحديث الشريف جاءت صياغته في قالب " الجملة الاسمية " وهى لها صفة الثبات وعدم التغيير وكأن هذه الإشارة الأسلوبية إعلان عن ثبات هذه القيمة المباركة التي أضفاها رسول الله ﷺ على الخيل، وسميت الخيل بذلك لأنها تختال في مشيتها وتزهو بنفسها وكذلك المسلم

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وإنما عند أحمد في المسند (٥٢٠٠)، وكذا عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليها المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٧١/٩٦) كلاهما بدون قوله: ((معقود))، وهذه الزيادة في رواية عروة التي ستأتي بعد هذا. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٥.

(٤) المرجع السابق ١٢٠٦.

أمام أعدائه يختال ويزهو بقوته وشجاعته وهو مرهوب قال أبو عبيدة: الخيل واحدها خائل " لأنه يختال في مشيته، وقال جمهور علماء اللغة " لا واحد له من لفظه وتركيب الجملة في الحديث يفصح عن مراد الحديث وغايته فالخيل في الجملة: مبتدأ وقوله: معقود في نواصيها في كل زمان ومكان ينتشر فيه الإسلام إلى يوم القيامة والجناس والتشابه اللفظي بين قوله: الخيل والخير له أثره الصوتي العميق وكذلك له دلالته الدقيقة في التقارب الشديد والاقتران الدائر بين الخيل والخير حتى في النطق والحروف والتقديم في قوله: معقود في نواصيها الخير: يدل على أن الخير لا يفارق الخيل الغازية في سبيل الله والتعبير بقوله: معقود يوحى بالشدة. . والرسوخ، وبأن هذه الصفة ليست طارئة وإنما هي من ملازمات الخيل وتخصيص النواصي بذلك وهى مقدمة جبهة الفرس والشعر المسترسل عليها لأن العرب تقول: فلان مبارك الناصية وفى ذلك إشارة إلى ضرورة الإقدام بها على العدو وعدم الإدبار وكلمة: الخير: تشع بكثير من الدلالات التي ترتبط بالقوة والنصر والشجاعة. . ورفع كلمة الحق ونشر راية الإسلام خفاقة في كل زمان، ومكان والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله)[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل خيل الجهاد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل خيل الجهاد:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث قال رسول الله ﷺ في الأول: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/١٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٣٣٠ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٣١.

وقال في الثاني: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم).

قال القاضي عياض: "وقوله: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة)، وهذا من كلامه البليغ ﷺ، وتحسينه الألفاظ العذبة السهلة بعضها ببعض، وفي الحديث الآخر: ((الْخَيْرُ مَعْقُوصٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ))[١] وهو بمعنى معقود، أي ملوي بها ومضفور فيها والعقصة: الضفيرة. وفي الحديث الآخر: ((الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ))[٢]، الناصية: هذا الشعر المسترسل على الجبهة. قاله الخطابي[٣]: وكنى بها عن الذات نفسها. يقال: فلان مبارك الناصية، أي الذات والنفس، وهذا كله دليل على تفضيل الخيل وارتباطها في سبيل الله، واتخاذها عدة لجهاد أعدائه، وأن خيرها وبركتها ما فسر في الحديث من الغنيمة. وفيه أن الجهاد باق ثابت إلى يوم القيامة، واستدل بعض العلماء باستمراره تحت راية كل بر وفاجر بهذا الحديث وفيه بقاء الإسلام والمجاهدين الذابين إلى يوم القيامة"[٤].

قال النووي: "وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل، واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلى يوم القيامة"[٥].

قال ابن حجر: (قال الخطابي: وفيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأطيبها).

وقال ابن عبدالبر: "فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب لأنه لم يأت عنه ﷺ في شيء غيرها مثل هذا القول"[٦].

قال الشيخ محمد تقي العثماني: "قوله: (إلى يوم القيامة)، فيه إشارة إلى أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن الخيل لا يستغنى عنها في الجهاد إلى يوم القيامة، كما هو

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٧٣ عن عروة البارقي برواية أخرى.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٥١، ومسلم ١٨٧٤.

(٣) معالم السنن ٣/٢٩٨ وما بعدها.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٢٨٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٦.

مشاهد في عصرنا، حيث إن الخيل يحتاج إليها في الجبال والفلوات على الرغم من توفر الطائرات والدبابات وسائر آلات الحرب المعاصرة"(١).

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾(٢)، قال ابن زيد: "ورباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة، وكان لعروة البارقي سبعون فرسًا معدة للجهاد".

قال القرطبي: "فإن قيل: إن قوله: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، كان يكفي فلم خص الرمي والخيل بالذكر؟ قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير على نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة، وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان خصها بالذكر تشريفًا، وأقسم بغبارها تكريمًا فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾(٣)"(٤).

والأحاديث في فضل حبس الخيل للجهاد كثيرة، منها:

قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ احتبسَ فَرَسًا في سَبيلِ اللهِ، إيمانًا باللهِ، وتَصديقًا بوَعْدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وروثَهُ وبَوْلَهُ في ميزَانِهِ يَوْمَ القيامَةِ))(٥).

وقال ﷺ: ((مَنِ ارْتَبَطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ عَالَجَ عَلَفَهُ بِيَدِهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَبَّةٍ حَسَنَةٌ))(٦).

ثانيًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير)، قال الطيبي: "فيه الترغيب في اتخاذ الخيل للجهاد، وأن الجهاد لا ينقطع أبدًا"(٧).

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٢٨/٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) سورة العاديات، آية: ١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧/٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٥٣.

(٦) أخرجه ابن ماجة ٢٧٩١ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٢٢٥٠).

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

فرغّب رسول الله ﷺ في الخيل وبيّن أن الخير معقود في نواصيها ، ومن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها[١].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ على هذا المنوال الترغيب في الخير، يقول ﷺ: ((مَنِ اسْتَنَّ خَيْرًا فاسْتُنَّ بِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجورِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مُنْتَقصٍ مِنْ أُجورِهِمْ شَيْئًا))[٢].

(١) الدعوة إلى الله ، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥١٦/٢ ، رقم ٣٩٦١ ، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ.

الحديث رقم (١٣٣١)

١٣٣١ - وعن عروة البارِقِيِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: ((الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ)) متفقٌ عَلَيْهِ(١).

ترجمة الراوي:

عروة البارقي: هو عروة بن الجعد وقيل: ابن أبي الجعد وقيل: ابن عياض بن أبي الجعد البارقي الأزدي.

كان ماهرًا في أمور البيع والشراء ودعا له النبي ﷺ بالبركة في بيعه، فصار من أغنى الناس، فقد أعطاه ﷺ دينارًا يشتري به شاة فاشترى له شاتين، فباع إحداهما بدينار فجاء بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه(٢).

وفي رواية: قال: لقد رأيتني أقف بكُناسة الكوفة [اسم مكان] فأربح أربعين ألفًا قبل أن أصل إلى أهلي. فكان أكثر أهل الكوفة مالاً(٣).

وكان من المجاهدين بنفسه وماله في سبيل الله، أعدّ في بيته خيلاً للجهاد، لما عرف من فضل ذلك من النبي ﷺ كما في الحديث المذكور. قال شبيب بن غرقدة [أحد الرواة عنه]: رأيت في دار عروة سبعين فرسًا مربوطة للجهاد في سبيل الله عز وجل وشارك في الفتوحات فشهد فتوح الشام وكان مرابطًا في إحدى ثغورها ومعه عدة أفراس منها فرس اشتراه لعشرة آلاف درهم.

وظلّ هناك حتى استعمله عمر على قضاء الكوفة، فكان أول من قضى بها وهناك نشر علمه وحدّث بأحاديث رسول الله ﷺ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣/٩٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٢).

(٣) أخرجه أحمد ٢٧٦/٤، رقم ١٩٣٦٢، وقال محققو المسند: هذا إسناد حسن ١٠٦/٣٢، ١٠٧.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣٤/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٠٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٥) والتهذيب (٩١/٣).

غريب الألفاظ:

الـمَغْنَم: هـو مـا أصيب مـن أمـوال أهـل الحـرب، وأوْجـف عليـه المـسلمون بالخيـل والركاب[١].

الشرح الأدبي

هذه رواية أخرى للحديث السابق وهى عن عروة البارقي. . وفيها زيادة وهى قوله "الأجر والمغنم" وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ولراوي الحديث الأعلى صلة قوية بموضوع الحديث فهو خبير بالخيل. . ويعرف فضلها. . ومواطن الخير فيها، فقد كان مرابطاً معه عده أفراس مربوطة للجهاد في سبيل الله منها فرس اشتراه بعشرة آلاف درهم، وقال شبيب بن عرقد: قد رأيت في دار عروة سبعين فرساً مربوطة للجهاد في سبيل الله تعالى " وقوله: الأجر والمغنم: تفصيل لبعض دلالات الخير وتوضيح للمراد والثواب في الآجل والعاجل، فالأجر: أي الثواب المرتب على ربطها: وهو خير آجل، والمغنم الذي يكتسبه المجاهد من مال الأعداء وهو خير عاجل والموقع الإعرابي لكلمتي: الأجر والمغنم، يفصح عن دلالة هاتين الكلمتين وعلاقتهما بالخير فهما اشعاعان يصدران عن فضاء الخير المتوهج بشموس العطاء الإلهي وأنوار التأييد الرباني، والكلمتان بدل من الخير أو عطف بيان وفى الحديث صورة بيانية ذات أثر بالغ في الترغيب والتشويق فقول الحبيب كما يقول صاحب دليل الفالحين يحتمل أن يكون الخير المبشر بالأجر والغنيمة استعاره لظهوره وملازمته وخص الناصية لرفعة قدرها: فكأنه شبهه لظهوره بشيء محسوس معقود على مكان مرتفع فنسب الخير إلى لازم المشبه به وذكر الناصية تجريد للاستعارة ومما يؤكد بركة الخيل رواية جابر التي رواها: أحمد حيث يقول ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار))[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ن م).

(٢) مسند الإمام أحمد الحديث رقم (١٤٧٩١).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٣٢)

١٣٣٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إيمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ وروْثَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتبس فرسًا: وقفه على الغزاة يركبونه في الجهاد[2].

شِبعه: قدر ما يشبع به[3].

رِيَّه: شُربه وشَبَعه[4].

وروثه وبوله: يريد ثواب ذلك لا الأرواث بعينها[5]، والرَّوث: رجيع ذات الحافِر[6]. أي: ما خرج من دبرها.

الشرح الأدبي

هذا وعد نبوي صادق لكل من يستعد لملاقاة العدو، ويعد العدة والعتاد.. من سلاح وخيل وزاد والحديث كله يصاغ في جمله شرطيه واحدة مكونة من أداة الشرط وجمله فعل الشرط وجمله جواب الشرط وهذه الصياغة تتفق مع مضمون الحديث الذي يتضمن الوعد بالجنة... مكافأة لكل من اقتنى الخيل وغذاها وتعهدها بالرعاية

---

(١) برقم (٢٨٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ب ع).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر و ي).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ث).

استعداداً للدفاع عن ثغور الإسلام. ،وأداة الشرط " من " وهى للعاقل. . وفى ذلك إيحاء بأن كل من يقدم على هذا الصنيع ينعم بالرشاد والهداية في ثوب التفكير المتزن والتوازن في كل خطواته، وجمله الشرط تتضمن " الفعل "احتبس" ومتعلقاته وصيغة "افتعل" تدل على المعاناة وبذل الجهد في تربية الخيل وإعدادها "والمراد" احتبسه على نفسه لسد ما عسى أن تحدث ثلمة في ثغر من الثغور ولذلك قيد الاحتباس بقوله في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقاً بوعده وقوله: إيمانا وتصديقاً: في موقع المفعول لأجله: فغاية الاحتباس من أجل الإيمان والتصديق بوعد الله ووعده صادق والله لا يخلف الميعاد، وجمله جواب الشرط: فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة: وهذه الجملة اسمية. . وهى تدل على الثبات وفى ذلك إشارة عن طريق الأسلوب إلى أن وعد الله ثابت ودائم ولا يتغير والتأكيد في بداية الجملة يقوى ذلك التفسير فالله لا يخلف الميعاد. . وقال العيني " وروثه يدل: أرد به ذلك الثواب لا أن الأرواث توزن بعينها فأي ترغيب في الجهاد أعظم وأجمل من هذا الترغيب النبوي الصادق البشارة والجميل.

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١- قال المهلب وغيره: في هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب الأولى[١].

٢- وقوله: "وروثه" فيه أن المرء يؤجر بنية كما يؤجر العامل، وأنه لا بأس بذكر الشيء المستقذر بلفظه للحاجة)[٢].

---

(١) وقد خالف في ذلك أبو حنيفة: انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٠/٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٢٦٤/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٥/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦٣/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٤/٤٤-١٦٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على اقتناء الخيل وإعدادها في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في إعداد عدة الجهاد.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على البذل والإنفاق في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على اقتناء الخيل وإعدادها في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانً بالله، وتصديقا بوعده... إلخ الحديث)، قال الطيبي: "قال التوربشتي: والمعنى أنه يحبسه على نفسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور من ثلمة. قوله: (إيمانًا) مفعول له أي ربطه خالصًا لله تعالى امتثالاً لأمره. وقوله: (تصديقًا بوعده)، عبارة عن الثواب المرتب على الاحتباس فمن احتبس فكأنه قال: صدقت فيما وعدتني"[1].

وقد أمر المولى عز وجل بإعداد الخيل واقتنائها للجهاد في سبيل الله ولإرهاب أعداء الله، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[2].

وقد أكد رسول الله ﷺ على أهمية اقتناء الخيل وإعدادها للجهاد في سبيله في كثير من الأحاديث:

قال رسول الله ﷺ: ((الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ . وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ. ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا. فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ. فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ. فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذٰلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ. إِلاَّ كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ، حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ. وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا، حَسَنَاتٍ. وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ))(١).

وقال ﷺ: ((إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَغْزُوَ، فاشْتَرِ فَرَسًا أَدْهَمَ أَغَرَّ مُحَجَّلاً مُطْلَقَ اليُمْنَى، فإِنَّكَ تَغْنَمُ وتَسْلَمُ))(٢).

فالخيل كانت في الزمن القديم آلة الجهاد، وهي بمثابة أسرع المركبات العسكرية في عصرنا، ولذلك جاء الحث على اقتنائها بنحو قوله ﷺ: ((الخيلُ مَعْقُودٌ في نواصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ))(٣)، ولم تجب الزكاة فيها، تشجيعًا على اقتناءها، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((ليسَ على المسلمِ صدقةٌ في عبدِه ولا في فرَسِهِ))(٤)، وكره أكل لحمها، لأنها لو تسلط الناس عليها لأثر ذلك في كفاءة الجيوش، وجعل لها في الغنمية استحقاقًا هو ضعف استحقاق المقاتل وكره إنزاء الحمير على الخيل لإنتاج البغال؛ ولأن الخيل أجدى في الحرب من البغال، لأن البغال تصلح للحمل، أما الخيل فإنها للكر والفر، فقد أهديت لرسول الله ﷺ بغلة، فركبها، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو حملنا الحمير على الخيل لكانت لنا مثل هذه، فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ))(٥)"(٦).

أي لا يعلمون قيمة الخيل وفضلها أو الذين لا يعلمون أثر المزج بين الأنواع على انقراض الجميع في النهاية.

ثانيًا - فضل الإنفاق في إعداد عدة الجهاد:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث ذكر رسول الله ﷺ: (أن من احتبس

(١) أخرجه البخاري ٤٩٦٢، ٧٣٥٦، ومسلم ٩٨٧ واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٩٢/٢، رقم ٢٥٠٤، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٩، ٣٦٤٤، ومسلم ١٨٧١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٦٣، ١٤٦٤.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٥٦٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٣٦).

(٦) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي ٨٤٥/١.

فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة).

وفضل الله على المنفقين لأموالهم في سبيل الله كبير، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(١).

قال ابن كثير: "أي: مهما أنفقتم في الجهاد فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال"(٢).

وقال ﷺ: ((لِلْغَازِي أجْرُهُ، وَلِلْجَاعِلِ أجْرُهُ وَأجْرُ الْغَازِي))(٣).

أي: "له ثواب ما بذل من المال (وأجر الغازي)، أي: مثل أجره لإعانته على القتال"(٤).

فيكون المنفق حصل على الأجر مرتين: الإنفاق وعلى أجر الغزو، وهذا يدل على فضل الله على المنفقين في سبيله.

والجهاد بالمال يتحقق بإحدى حالتين في الغالب:

الحالة الأولى: أن يجاهد المؤمن بنفسه وماله في سبيل الله فيقوم بشراء السلاح وشراء ما يحتاجه من زاد وراحلة ونحوه ويخرج بنفسه معتمدًا على ماله في النفقة وإعداد العدة وهذا ما أكده القرآن وأمر به في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٥).

الحالة الثانية: أن يجاهد بماله دون نفسه في سبيل الله ويكون الجهاد بالمال

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٣/٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٢٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٠٣).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٧.

(٥) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

مسقطًا عن صاحبه لفريضة الجهاد بالنفس عند عدم القدرة على الجهاد بالنفس لمرض أو عذر مانع ولتحقيق مثل أجر المجاهد إذا قام المجهز بإعطاء المجاهد جميع التكاليف من نفقة وتجهيزات بل قد يكون الجهاد بالمال بتجهيز الغزاة في بعض الأماكن والأزمان في حق بعض الأشخاص أولى من الجهاد بالنفس، وذلك مثل أن يوجد شباب لهم خبرة وتدريب ومعرفة بالمسالك والدروب وليس معهم ما يتجهزون به للجهاد، ويكون صاحب المال له قدرة على الإنفاق في سبيل الله، وخبرة بطرق تنمية المال وليس له معرفة بأمور الجهاد في سبيل الله، فجهاده بالمال بتجهيز من ذكرنا أولى وأنفع للأمة من جهاده بنفسه بمفرده.

إن كثيرًا من البلدان الإسلامية في هذه الأيام أحوج ما يكون للمال لتجهيز المجاهدين للدفاع عن النفس والعرض والدين وما يجب الدفاع عنه عمومًا.

إنه يجب على أصحاب الأموال والقادرين على الإنفاق، تجهيز من يقدرون على تجهيزه، بما يستطيعون من عتاد وتأهيل وتدريب ووقف أرصدة مالية لمن يرونه أهلاً للجهاد في سبيل الله في أي بقعة من بقاع الأرض، ويكون الواجب أشد وجوبًا وأعظم أجرًا في الإنفاق لإعانة وتجهيز المدافعين عن أنفسهم ودينهم وأهليهم أمام قوات الاحتلال الغاصبين.

إن الفرض الواجب على القادرين على الجهاد في سبيل الله لا يسقط إلا على من قام بالجهاد بنفسه وماله أو بتجهيز غيره للجهاد تجهيزًا كاملاً من ماله الحلال ابتغاء مرضاة الله ودون أي مقابل أو عرض من عرض الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على البذل والإنفاق في سبيل الله:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن النبي الكريم ﷺ يحث على البذل والإنفاق على احتباس الخيل في سبيل الله ليكون ذلك سببًا في الحصول على ثواب الله

(١) سورة الليل، الآيتان: ١٩ - ٢٠.

ورضوانه.

قال ابن حجر: (قال المهلب وغيره: وفي الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب أولى.

وقال ابن أبي جمرة: "يستفاد من هذا الحديث أن هذه الحسنات تقبل من صاحبها لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه بخلاف غيرها فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان"[١].

والإنفاق والبذل في سبيل الله يترتب عليهما رضوان الله، لأن الجهاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدين، والدين الذي ليس فيه جهاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض، ولا أن تستوي شجرته على سوقها، وأصالة الجهاد - التي هي من صميم هذا الدين ولها وزنها في ميزان رب العالمين - ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة التي تنزل فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة التي يوجهها هذا الدين فينبغي البذل والإنفاق في سبيل الله لإقامة دين الله وحفظه من الأعداء واعتدائهم على أهله[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٨.

(٢) انظر: فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد العفاني ١/٢٣.

الحديث رقم (١٣٣٣)

١٣٣٣ - وعن أَبي مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ - (إِلَى النبيِّ ﷺ)[١] - بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ: هذِهِ في سَبيلِ اللهِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مَخْطَومة: من الخطام، وخطام البعير أن يؤخذ حبل فيجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يقاد به البعير. والمعنى ناقة مخطومة أي مربوطة مشدودة[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحوار بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة الذين أخلصوا النية وأعدوا العدة وهذا الرجل: احتبس ناقة في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقاً بوعده ووصف الناقة بأنها مخطومة: أي في رأسها الخطام فهي ناقة زوراء. يشارك بها في الدفاع عن دين الله عز وجل والخطم في الدابة: مقدم الأنف والفم واسم الإشارة في قول الرجل: هذه في سبيل الله يوحى بإخلاص النية واحتباسه الكامل لهذه الناقة في سبيل الله حيث لم يقل هذه ناقتي ولم يقل خذ ناقتي وإنما قال: هذه: ثم أكمل الجملة وتتم المعنى بقوله: في سبيل الله، وتجيء مقولة رسول الله له مبشرة واعدة بأوفى وعد وبالجزاء المضاعف إلى سبعمائة ضعف ولنتأمل التقديم والتأخير في قول رسول الله: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة حيث قدم خطابه للرجل، مقروناً بلام الملكية وهذا التقديم يفيد النصر وفى ذلك

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وليس عند مسلم.

(٢) برقم (١٣٢/١٨٩٢).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ط م).

اطمئنان للرجل. وترغيب في الإنفاق، وحث لغيرة على أن يحذو حذوه، والتقديم في قوله كلها مخطومة. يفيد الاستقصاء والتأكيد على الثواب والخطام: هو الحبل الذي يقاد به البعير، وهو ترغيب يفتح القلوب على مصراعيها للبذل والعطاء استثمارا عند الله في الباقيات الصالحات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على البذل في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى لأجر المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على البذل في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول أبي مسعود رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله.

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون في الإنفاق والبذل في سبيل الله. فعندما حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإنفاق في تبوك تصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله، وظنّ أنه سيسبق أبا بكر رضي الله عنه بذلك ولكن وجده أنفق كل ماله في سبيل الله.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك: أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟)) فَقُلْتُ مِثْلَهُ. قال: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بكلِّ ما عِنْدَهُ، فقال لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟)) قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا[1].

إن أجر البذل والإنفاق في سبيل الله عظيم عند الله. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

---

(١) اخرجه أبو داود ١٦٧٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ١٤٧٢).

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٤.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل)(١). وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى وعملوا بمقتضاه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلَتْ هَـٰذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢). قَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَرَى رَبَّنَا يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَأُشْهِدُكَ يَا رَسُولَ اللّهِ، أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ أَرْضِي، ببريحا لِلّهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: ((اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ قَالَ: فَجَعَلَهَا فِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ))(٣).

وكان أغنياء الصحابة رضي الله عنهم وفقراؤهم يشاركون في الإنفاق في سبيل الله بل إن إنفاق الفقراء أفضل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول اللهِ أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قال: ((أن تَصدَّقَ وأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ تَخشى الفَقْرَ وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمْهِلُ حتى إذا بلغت الحُلْقُومَ قلتَ: لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان))(٤).

وكما كان الصحابة رضي الله عنهم ينفقون في سبيل الله، كذلك كانت الصحابيات - رضي الله عنهن - أكثر من يتصدق في عصر النبوة، وكانت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها تعمل بيدها فتتصدق به، وكن يتصدقن من مال أزواجهن بعد استئذان الأزواج، وقد سجل التاريخ مواقف رائعة في الإنفاق في سبيل الله(٥).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى لأجر المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف:

يظهر ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن جعل الناقة في سبيل الله: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة)، ومضاعفة الأجر للمنفقين في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف واضح في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/٢١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) أخرجه مسلم ٩٩٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٤١٩.

(٥) انظر: التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣٠٨ - ٣١٠.

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، أن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف"(٢).

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أنْفَقَ نَفَقَةً في سبيلِ الله كُتِبَتْ لَهُ بسَبْعَمَائَةِ ضِعْفٍ))(٣).

أي: من صرف نفقة صغيرة أو كبيرة كتبت له سبعمائة ضعف، أي: مثل، وهذا أقل الموعود، والله يضاعف لمن يشاء، قال المناوي: (أخذ منهم بعضهم أن هذا نهاية التضعيف، ورُدَّ بآية: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾(٤))(٥).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الإنفاق والبذل في سبيل الله وبين ثواب ذلك مضاعف بسبعمائة ضعف يوم القيامة.

والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها (٦)، وهو ما فعله رسول الله ﷺ من الترغيب في النفقة في سبيل الله.

"ومعلوم أن الإنسان في هذه الحياة - دار الاختبار والامتحان - تحيط به صوارف

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٦٩١.

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٢٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٣٢٦).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦١

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٤٥٩.

(٦) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

كثيرة جدًا خاصة في هذا العصر، والتي تؤثر على قيامه بما كلف به من أمر الدين وفي نفس الوقت جبلت نفسه على حب الخير والسعي في الحصول عليه وكره الشر والرغبة في البعد عنه، فالإنسان يحب نفسه ويتوق إلى حمايتها من كل الشرور العاجلة والآجلة، لهذا فإن أسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده الذي أطاعه واتقاه محبب إلى النفس البشرية تهفو إليه وتسعد به وتنصت له"[1].

(١) قواعد الدعوة الإسلامية د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤٠.

الحديث رقم (١٣٣٤)

١٣٣٤- وعن أَبي حمادٍ -ويقال: أَبُو سعاد، ويقال: أَبُو أسدٍ، ويقال: أَبُو عامِرٍ، ويقال: أَبُو عمرو، ويقال: أَبُو الأسود، ويقال: أَبُو عبسٍ- عُقبة بن عامِرٍ الجُهَنيّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، يقول: ((﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، **ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس متوهج من خطبة نبوية كريمة يحث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابة على الجهاد.. والحديث فيه اقتباس من القرآن الكريم حيث تلا النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته هذه الآية من سورة الأنفال. وهى في سياق قصة غزوة بدر حيث قصد المسلمون الكفار بلا آلة و لا عدة فأمرهم الله أن لا يعودوا لمثل ذلك، وأن يعدوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة، وقوة، وفعل الأمر هنا للوجوب ويدل على الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة إلا أنه من فروض الكفايات والقوة لها عموميتها.. والمراد كل ما يتقوى به على وجوب العدو وكل ما هو آله للغزو والجهاد فهو من جمله القوة كما يقول: الرازي في مفاتيح الغيب، ولنتأمل القوة في هذا الجمل الثلاث.. وهى جمله واحدة متكررة لتأكد المعنى لترسيخ مفهوم ثقافة القوة في وجدان المسلمين في كل العصور، " ألا إن القوة الرمي " و الجملة تبدأ بألا " وهى للحض والاستعداد وتتكرر ثلاث مرات ثم يجيء التأكيد بأن متكرراً وهى للحض والاستعداد وتتكرر ثلاث مرات ثم يجيء التأكيد بإن متكرراً ثلاث مرات " إن القوة الرمي " والمراد أن الرمي أعظم أنواع القوة في العدد وأنفعها في الحرب ولا ينفى هذا

---

(١) برقم (١٩١٧/١٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٠).

كون غير الرمي لأن المسلم مطالب بأن يواكب كل تطور في صناعة آلات الدفاع، ووسائل الحرب في كل عصر وفى العصر الحديث على المسلمين أن يستكملوا معالم القوة المادية والمعنوية، وحتى الاقتصادية لأنها صارت في عصرنا من أسلحة السيطرة، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ".

فقه الحديث

١ - حثّ النبي ﷺ أصحابه على الرمي وحضّهم على مواصلة التدرب عليه وحذّر من تعلّم الرمي وتركه، كما في أحاديث الباب[١]، قال النووي: (في هذه الأحاديث فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى. وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح وكذا المسابقة بالخيل وغيرها. والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه ورياضة الأعداء بذلك[٢]).

وقال أبو عبدالله القرطبي: (فضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمة للمسلمين ونكايته شديدة على الكافرين، قال رسول الله ﷺ: "يا بني إسماعيل ارموا فإن أباكم كان راميًا" وتعلّم الفروسية واستعمال الأسلحة فرض كفاية وقد يتعين)[٣].

٢ - المناضلة: المناضلة هي المسابقة في الرمي بالسهام، وتصح المناضلة على الرمي بالسهام بالاتفاق[٤].

وأجاز الشافعية المناضلة - بجانب ما تقدم - على رماح وعلى رمي بأحجار بمقلاع

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٢٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٦/١٣/٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٧/١٠ .

(٤) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٥٧/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٠٦/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤١٦/١٣ وما بعدها ، والإقناع ٢٤٧/٢، وجواهر الإكليل ٢٧١/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٠/٢٣).

أو بيد ورمي بمنجنيق وكل نافع في الحرب بما يشبه ذلك كالرمي بالمسلات والإبر، والتردد بالسيوف والرماح.

وقد تجب المناضلة إذا تعينت طريقًا لقتال الكفار، وقد يكره أو يحرم - حسب اختلاف المذاهب - إذا كان سببًا في قتال قريب كافر لم يسبّ الله ورسوله. وبذلك تعتري المناضلة الأحكام التكليفية الخمسة[١].

٣ - قال النووي: (قوله ﷺ "من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى" هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر)[٢].

٤ - وقال ابن حجر عن حديث سلمة بن الأكواع رضي الله عنه مرفوعًا: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا" قال: (فيه أن الجد الأعلى يسمّى أبًا، وفيه التنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله، وتطييب قلوب من هم دونه ... وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من فقه الداعية: الاستدلال بالقرآن الكريم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار والتوكيد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استخدام القوة والإفادة من التقنيات الحديثة في الحرب مع الأعداء.

أولاً - من فقه الداعية: الاستدلال بالقرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول عقبة بن عامر الجُهني رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ("وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، ألا إن القوة الرمي...).

---

(١) الإقناع وحاشية الباجوري عليه ٢/٢٤٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/١٥٠، ٢٣/١٧٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٧/١٣/٥٦-٥ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٩٢.

إن الداعية إلى الله صديق لكتابه الكريم، يألف تلاوته وينتظم في أداء وِرْده، ويستوحش إذا حجزته عنه شواغل طارئة.

والأصل أن يستوعبه كله حفظًا وتجويدًا، فإن قصر عن تلك الدرجة فلن يقصر في المداومة على مطالعته، واستذكار موضع الاستشهاد منه.

إن المعاني العلمية للقرآن الكريم يجب أن تكون جزءًا كبيرًا من حياة الداعية العقلية.. تسبح في فكره كما تسبح الكواكب في أجواء الفضاء، ففي رأسه كل ما يحويه القرآن من معارف يستخدمها في الاستدلال في دعوته.

والداعية الذي يحيا في جو القرآن ينشد للمجتمع حوله أن يحيا هو الآخر فيه، وأن يقيم أوامره ويجتنب نواهيه، وينفذ أحكامه، ويرعى حدوده ويقبل عليه إقبال المعظم لرسالته الموقن بصدقها، الراجي سعادة الدارين من ورائها..

قال الهراوي تحت عنوان: "نحن نبغي القرآن:

إن هذا القرآن يهدي إلى الرشد	ويدعو لصالح الإنسان
نحن نبغي القرآن علمًا وفهمًا	يخلقان الكمال في الشبان
نحن نبغي القرآن لفظًا ومعنى	فهو صقل الحجا وصقل اللسان
نحن نبغي القرآن دينًا ودنيا	يتجلى هديه الحسنيان
نحن نبغي القرآن في مهد الدّر	س وفي كل منزل ومكان

والقرآن كله نماذج يتخير منها الداعية ما يناسب مقتضى الحال"[1].

قال د. القرضاوي: "ومما ينبغي للداعية أن يتحراه ويحرص عليه ويحكمه: حسن الاستدلال بالقرآن وآياته على ما يريد تقريره أو تثبيته من أحكام وتعاليم وأفكار. فإنه إذا أحسن الاستدلال بالنص القرآني، ووضعه في موضعه، أزاح كل شبهة، وقطع كل تعلة، وأخرس كل معارض، فلا دليل بعد القرآن، ولا حديث بعد كلام الله ﴿وَمَنْ

(١) انظر: مع الله، الشيخ محمد الغزالي ص ٤٣١ - ٤٣٣.

أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[١]! ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[٢]. ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٣].

ولهذا لا يملك المؤمنون أمام الدليل القرآني الصريح إلا أن يقولوا: آمنا وصدقنا. أو: سمعنا وأطعنا كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٤].

قد أدخل رجل على المأمون كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، دون أن يكون مأمورًا من قِبَل الخليفة، فقال له المأمون: لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا، ونحن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٥]، فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه - ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٦]، وقال رسول الله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا))[٧]. فأعجب المأمون بكلامه، وسر به وقال: "مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف، فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا.

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١٢٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٥٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٥) سورة الحج، آية: ٤١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٧) أخرجه البخاري ٤٨١ ٢٤٤٦، ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسنة، انقطعت حجة الخليفة، ولم يجد بدًا من إقرار الرجل على ما هو عليه.

وفي مقابل ذلك، دخل واعظ على المأمون فوعظه، وعنف له في القول. فقال المأمون: يا رجل، ارفق، فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق: بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى، لأن الدليل القرآني معه. ومما يجب على الداعية أن يراعيه في هذا المقام أن يستدل بالمتفق عليه. لا بالمحتمل والمختلف فيه. فإن الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال، يسقط الاستدلال به.

فعند الحديث عن شمول القرآن - مثلاً - يستدل بعض الناس بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2].

مع أن الكتاب في الآية يحتمل أن يكون هو القرآن، فيكون الاستدلال صحيحًا ويحتمل أن يكون المراد به (اللوح المحفوظ) الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[3]، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾[4]. وغيرها من الآيات.

والأولى هنا أن يستدل على شمول القرآن بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[5]، فهي صريحة في الدلالة على المراد.

كما أن على الداعية أن يتجنب الاستدلال بما ليس بدليل.

---

(١) سورة طه، آية: ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٣) سورة يس، آية: ١٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٥) سورة النحل، آية: ٨٩.

مثال ذلك: أن بعض الناس يستدلون على أن من ثمار تقوى الله أن يعلمه ما لم يكن يعلم - بقوله تعالى في ختام آية من سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

والحق أن الآية لا تدل على هذه الدعوى، لأنها ليست أمرًا وجوابًا فإنما كان يصح ذلك لو كان لفظها: (واتقوا الله يعلمكم الله)، أما الآية أو هذه الفقرة منها - فإنها تتضمن أمرًا بتقوى الله، كما هي سنة القرآن حين يقرن الأوامر والنواهي بالتقوى. ثم بعد ذلك قال: (ويعلمكم الله) أي هذه الأوامر والأحكام، كما قال في آية أخرى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾[2].

أما الاستدلال على الدعوى المذكورة فيمكن بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[3]. أي نورًا تفرقون به بين الحق والباطل.

ومثلها قوله في سورة الحديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾[4].

بل يمكن أن يستدل بعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[5]، لأنه يشمل المخرج من الشبهات والمتشابهات"[6].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار والتوكيد:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)، حيث كرر وأكد ﷺ أن القوة الرمي، والتأكيد من أهم الوسائل

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١٧٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٦) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠ - ٣٢.

في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به، لا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي، إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة"(١).

ولا شك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس. وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه"(٢).

والأمر إذا كرر لم يلبث في الحقيقة أن يستقر في مناطق اللاشعور العميقة، حيث تنضج عوامل سيرنا، ونحن إذا ننسى مصدر الزعم المكرر بعد انقضاء بعض الزمن، لا نلبث أن نؤمن به. وبهذا نفسر قوة الإعلام العجيبة(٣).

والقرآن الكريم سبق السنة النبوية في استخدام التكرار والتوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، علمًا منه بما لذلك من أثر في النفس(٤).

وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد والتكرار وسيلة تربوية، تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه.

فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم(٥).

ومن عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤، وروح الجماعات، لجوستاف ص ١١٥.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد بركة ص ٣٤.

(٣) روح الجماعات، لجوستاف ليبون ص ١١٥.

(٤) من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) أنظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، رسالة دكتوراه، الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧١م، ص ١٢٨ بتصرف.

على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[١].

ومن أمثلة التكرار والتأكيد عنده ﷺ:

١/ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أُنبِّكم بأكبرِ الكبائر؟)) قلنا: بلى يا رسولَ الله. قال ثلاثًا: ((الإشراك بالله، وعُقوق الوالِدَين. وكان متَّكِئًا فجلسَ فقال: ألا وقولُ الزُّور. وشهادةُ الزور. ألا وقولُ الزور. وشهادةُ الزور))، فما زال يقولها حتى قلنا: ليته سَكَتَ[٢].

٢/ وروى البخاري عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: ((واللّهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن)). قيل: ومَن يا رسولَ الله؟ قال: ((الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه))[٣].

٣/ وما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة أيضًا قال: أثنى رجلٌ على رجلٍ عند النبيِّ ﷺ، فقال: ((وَيلَكَ، قطعتَ عُنُقَ صاحِبِكَ مرارًا، قطعتَ عنقَ صاحبكَ)). ثم قال: ((من كان منكم مادحًا أخاهُ لا مَحالَةَ فليَقُلْ: أحسب فلانًا. واللهُ حَسيبُه. ولا أُزكي على اللهِ أحدًا. أحسِبهُ كذا وكذا. إن كان يَعلمُ ذلك منه))[٤].

٤/ وما رواه البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثم قال: اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثلاثًا حتى ظننا أنه يَنظرُ إليها. ثم قال: اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فمن لم يَجِدْ فبكلمةٍ طيِّبة))[٥][٦].

٥/ وما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: ((كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا))[٧].

فأسلوب التكرار من أساليب الدعوة التي توضح الدعوة وتجعل المدعوين يفهمونها

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠/٥٠١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٥٤، ٥٩٧٦، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٩١٩، ومسلم ٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٦٦٢، ٦١٦٢، ومسلم ٣٠٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٥٤٠.

(٦) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٧) أخرجه البخاري ٩٥.

وتزيل ما بأنفسهم من شك وعدم فهم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية استخدام القوة والإفادة من التقنيات الحديثة في الحرب مع الأعداء:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إلا إن القوة الرمي...).

قال القرطبي: "إنما فسر القوة بالرمي، وإن كانت تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب، لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤونة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فيهزم من خلفه"[١].

قال ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢]، "والإعداد التهيئة والإحضار، ودخل في (ما استطعتم) كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة.

والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم، لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها.

والقوة تطلق مجازًا على شدة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق أيضًا على سبب شدة التأثير، فقوة الجيش شدة وقعه على العدو وقوته أيضًا سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا، فهو مجاز مرسل بواسطتين فاتخاذ السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتخاذ الدبابات والمدافع والطائرات والصواريخ من القوة في جيوش عصرنا.

وبهذا الاعتبار يفسر ما روى مسلم والترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال: (ألا إن القوة الرمي، قالها ثلاثًا)، أي أكمل أفراد القوة آلة الرمي، أي: في ذلك العصر وليس المراد حصر القوة في آلة الرمي"[٣].

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٥/٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٥/١٠/٥.

وقال السعدي في تفسير هذه الآية: "أي: (وأعدوا) لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم، وإبطال دينكم (ما استطعتم من قوة)، أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية، وأنواع الأسلحة ونحو ذلك، مما يعين على قتالهم، فدخل من ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع، والرشاشات، والبنادق والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنه به شر أعدائهم وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: (ألا إن القوة الرمي)، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجودًا أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)"[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

الحديث رقم (١٣٣٥)

١٣٣٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

غريب الألفاظ:

يلهو بأسهمه: يلعب بأسهمه، والمعنى: الندب إلى الرمي والتمرن عليه[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من المبشرات التي تحققت والتي تؤكد سر تفرد الحديث النبوي بعد القرآن الكريم بكثير من أسرار الإعجاز العلمي والبياني والتاريخي ولنتأمل سر بناء الفعل (ستفتح) للمجهول وسر اقترانه بالسين، وتعلق حرف الجر ومجروره به، والسر التعبيري يتمثل في أن هذه الصيغة اللغوية تشير إلى كثرة الفتوحات وكثرة البلاد التي ستدين بالإسلام وتدخل في دين الله أفواجاً بدون قتال ولا حروب بقدرة الله عز وجل وقد حدث ذلك في العصور المتعاقبة وفى العصر الحديث بمشيئة الله عز وجل وإرادته والتعبير بقوله: عليكم " أولى وأنسب لسياق الحديث " لكم " لأن عليكم توحي بالخير والغنائم وكثرة الأرزاق والفتح: هو النتيجة الحتمية للنصر وهو في اللغة ضد الإغلاق ومن معاني الفتح التي توحي بالخير والخصب أن الفتح هو الماء المتحدر إلى الأرض لتسقى به أو هو الماء الجاري على سطح الأرض أو هو " النهر " وفى الحديث ما سقى فتحاً وما سقى بالفتح ففيه العشرة ومادة الفتح وما يشق منها " ذكرت فى ٣٨ " ثمانية

---

(١) برقم (١٩١٨/١٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل هـ و)، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٥.

وثلاثين آية في القرآن الكريم ودلالاتها متقاربة فالفتح ضد الإغلاق والفتح بمعنى " الحكم والفتح المراد هو انتشار الإسلام وظهوره بعد نصر الله لجنده في ميادين الجهاد.، والتفكير في قوله " أرضون " يوحى بكثرة الفتوحات التي لا تحدها جهة و لا يؤخرها زمان وإنما هذه الأرضون ستكون في كثير من جهات العالم وقاراته، وقوله: ويكفيكم الله إشارة إلى الراحة من عناء القتال ودخول الناس في الإسلام طواعية في أيام السلم وقال أحد المفشرين في شأن صلح الحديبية سمى ظفر المسلمين فتحاً تعظيماً لشأن المسلمين وأسلوب النفي في العبارة الأخيرة فيه تحذير للمسلمين من نسيان فنون القتال وفى مقدمتها " الرمي " وفيه دعوة للتدريب والاستعداد للدفاع عن الإسلام والتصدي للأعداء المتربصين بالمسلمين وعقيدتهم وديارهم [1] والله اعلم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بشارة النبي ﷺ بالفتوحات الإسلامية.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: حثّ المسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بالأسباب وإعداد العدة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بشارة النبي ﷺ بالفتوحات الإسلامية:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله..).

وفي ذلك بشارة من النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم بالفتوحات الإسلامية وهذا معجزات ودلائل نبوته ﷺ، وما أخبر به ﷺ من المغيبات زيادة على ما جاء في الكتاب العزيز فوقع بعد وفاته كما أخبر سواء بسواء والأحاديث في هذا كثيرة[3]، منها:

(١) أنظر : التطور الدلالى بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٣٦).

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

قوله ﷺ: ((تُفْتَحُ الشَّامُ. وَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبِسُّونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ. فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبِسُّونَ. وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبِسُّونَ. وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))(١).

قال النووي: "قال العلماء: في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ؛ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وأن الناس يتحملون بأهليهم إليها ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب، ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله"(٢).

وقال ابن عبدالبر وغيره: "افتتحت اليمن في أيام النبي ﷺ وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه، وافتتحت الشام بعدها، والعراق بعدها وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه، ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء"(٣).

ومن الأحاديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ. فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلكها مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ. وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ. وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))(٤).

وهكذا وقع فقد عمّ وظهر وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وذلت لهم سائر البلاد ودان

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٧٥، ومسلم ١٣٨٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤/ ١١٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٨٩.

لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله [١].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: حثّ المسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو:

يظهر ذلك من قوله ﷺ: (فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه)، وقوله ﷺ: (من علم الرمي، ثم تركه فليس منا أو فقد عصى)، وفي ذلك حث للمسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو.

وهو ما يعرف في الحروب الحديثة بالحرب النفسية، وهذا من أخطر الأسلحة التي يمكن أن يستخدمها كل فريق ضد الآخر، والقرآن الكريم أشار إلى أن إعداد العدة المادية والمعنوية فيه إرهاب لأعداء، تمكين للرعب في قلوبهم، وهو هدف من أهداف إزهاق الباطل وإذلاله [٢]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [٣].

قال القاسمي: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، إتقاء بأس العدو وهجومه، ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا عظيمًا...، وعاش بنوه أحقابًا متتالية وهم سادة الأمم، وقادة وشعوب، وزمام الحول والطول وقطب روحي العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة، وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة ومالوا إلى النعيم والترف وأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الغرض، ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني" [٤].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص ٣٧٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨٥/٨/٥.

فالأخذ بأسباب القوة فريضة على المسلمين على اختلاف صنوفها وألوانها، وأسبابها، مادية كانت أو معنوية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[(١)]، والخطاب لكافة المسلمين لأن المأمور به وظيفة كافتهم، وتشمل كل ما يطيقونه مما يفيد في الحرب من الوسائل ماديًا كان كالسلاح والإنفاق وتدريب المجاهدين في فنون الحرب، وإتقان استعمال أنواع السلاح المختلفة، لقوله: (ما استطعتم) أو معنويًا كالتصافي، واتفاق الكلمة والثقة بالله وعدم خوض الحرب بغير إذن الإمام، والاختيار لإمارة الجيش من كان ثقة في دينه، والتوصية بتقوى الله، وأخذ البيعة عليهم بالثبات على الجهاد وعدم الفرار، وغير ذلك مما يؤدي إلى القوة البدنية والمعنوية.

فأخذ أسباب القوة بقسميها فرض على المسلمين، بالأمر القرآني: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وقد ثبت أن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم مارسوا كل عمل مشروع متاح لهم في بيئتهم يدل على علو الهمة وكمال الرجولة، ويؤدي إلى قوة الجسم ودفع الكسل والميل إلى الدعة"[(٢)].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بالأسباب وإعداد العدة:

ويستنبط ذلك من عموم الحديثين حيث أن نهيه ﷺ عن ترك الرمي، بيان لأهمية إعداد العدة والحفاظ على أسباب النصر، وقد أمر الله تعالى في السعي في الأسباب وإعداد العدة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: "يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيله"[(٤)].

إن الأخذ بالأسباب وإعداد العدة من الأشياء المهمة في تحقيق النصر وإرهاب العدو؛

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٣٤، انظر: مراجعها ومصادرها.

(٣) سورة النساء، آية: ٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٧/٢.

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: ((نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَةَ شَهرٍ))(١).

فالعدة - أي الاستعداد للحرب - فريضة تلازم فريضة الجهاد، فالحرب بلا عدة إلقاء للنفس إلى التهلكة، والعدة للحرب في سبيل إعلاء كلمة الله بأنواعها فرض على المسلمين. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(٢)، والخطاب لكافة المسلمين، وقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(٣)، أي بترك الإنفاق في سبيل الله، والخطاب أيضًا لكافتهم، وعد سبحانه وتعالى: ترك الإنفاق في سبيل الله وعدم الاستعداد للحرب باتخاذ العدة اللازمة للنصر تهلكة للنفس، وتهلكة للجماعة، فالدعوة إلى الجهاد في التوجيهات القرآنية والنبوية تلازمها في الأغلب الأعم دعوة إلى الإنفاق.

جاء في تفسير الماوردي: "(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بأن تتركوا النفقة في سبيل الله فتهلكوا، ثم قال: هذا قول ابن عباس، قيل: لا تقحموا أنفسكم في الحرب بغير نكاية في العدو، وقال ابن كثير: التهلكة أن تمسك يدك عن النفقة في سبيل الله.

والعدة بما في الطوق من فروض الكفاية على المسلمين، فإن تركوها أثموا جميعًا، وهي من الأمور المنوطة بالإمام وتلزم عليه، قال الماوردي: من الأمور الواجبة على الإمام: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرمًا، أو يسفكون يها لمسلم أو معاهد دمًا، وعد القرآن ترك العدة للحرب إعلاء لكلمة الله من علامات النفاق، فقال تعالى في شأن المنافقين الذين استأذنوا النبي ﷺ لأعذار واهية في عدم الخروج معه في الجهاد: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا

(١) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢٣.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾[١]"[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى).

قال النووي: "هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر"[٣].

إن أسلوب الترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب، لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال بها العبد مرضاته[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٤ - ٤٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١/٩ - ٢٠٢، وانظر: مراجعها ومصادرها.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٥.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب بن لطف الديلمي، ط١ دار المجتمع، جدة: ١٤٠٦هـ، ٥٤٣/١.

الحديث رقم (١٣٣٦)

١٣٣٦ - وعنه: أنَّه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ: فَقَدْ عَصَى)) رواه مسلم(1).

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور معناه في فلك الحدثين السابقين ومن دلائل هذا الإتقان في المعنى أن الراوي واحد في الأحاديث الثلاثة والحديث التالي كذلك يتفق في معناه ومقصده. . وهو التأكيد على إتقان فن الرمي كما قال رسول الله صلى الله علية وسلم " ألا إن القوة الرمي " وصياغة الحديث اللغوية تكشف عن أسرار ودلالات كثيرة في سياق المراد من الحديث فالحديث كله جمله شرطية واحدة وهو بمثابة قاعدة إسلامية يرسيها رسول الله صلى الله علية وسلم في كل عصر وفى كل مكان وأداة الشرط " من " وهى للعاقل. . وفى ذلك إشارة إلى ما يجب أن يكون علية المسلم من الوعي والإدراك وفعل الشرط قوله: (علم): وبناؤه للمجهول يرشد إلى أن تعليم الرمي لا يكون اختياراً وليس مسؤولية فردية وإنما تعلمه مسؤولية جماعية وفرق بين (علم) (وتعلم): فالفعل تعلم يفيد التكلف الذي يوحي بمشقة والفعل (علم) يشير إلى المواتاة، والطواعية التي تشير إلى الميل الداعي للملازمة لمن يتعلمها فتتمكن من نفسه، ويتقنها فلا يجب عليه أن يضيع تلك الميزة لهذه المهارة التي تحقق التفوق القتالي مع حفظ قوة المسلمين لأن الرامي يصيب عدوه، دون أن يناله من أذى هذا العدو خطر لأنه ليس فيه مواجهة مباشرة كما في المبارزة بالسيف مثلا، أما الفعل تعلم فإنه يشير إلى تكلف فتفيد التكليف وهناك من ينتدب لتعليم الرمي بصورة منتظمة وعلمية وقس على ذلك كل

---

(١) برقم (١٦٩/١٩١٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٤٨).

فنون الاستعداد للدفاع عن النفس والأرض والعرض والعقيدة والعطف بثم في قوله: ثم تركة " يوحى بالتمهل وطول الخبرة في هذا الفن القتالي، وجواب الشرط فيه قسم للأمر وفية تنويه بأهمية تعلم الرمي: حيث قال: فليس منا ومعناه: ليس من أهل هدينا أو ليس على مثال المسلم الكامل وقوله: " منا " إشارة إلى وحدة التصور الإسلامي وتوحد الأمة الإسلامية فالأمة كلها كالبنيان المرصوص يشد بعضة بعضا " وقال العلماء (هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد تعلمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركة بلا عذر) والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٣٧)

١٣٣٧ - وعنه ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ ومُنْبِلَهُ. وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَانْ تَرْمُوا احَبُّ إليَّ مِنْ انْ تَرْكَبُوا[١]».

وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا)) أَوْ قَالَ: ((كَفَرَهَا)) رواه أَبُو داود[٢].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

غريب الألفاظ:

بالسهم الواحد: أي بسبب رميه على الكفار[٣].

نفر: اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه[٤].

يحتسب الخير: استعمل أنواع البر وقام بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجوِّ منها[٥].

منبله: مناول النبل، يقال: نبَّلت الرجل بالتشديد إذا ناولته النبل ليرمي به، قال الخطابي: "وقد يكون ذلك على وجهين، أحدهما: أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحدًا بعد واحد، والوجه الآخر: أن يرد عليه النبل المرمي به"[٦].

---

(١) عند أبي داود زيادة: (ليس من اللهو إلا ثلاث: تاديب الرجل فرسَه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونَبله)، تبع المؤلفُ فيه المنذريَّ في ترغيبه، حيث لم يوردها.

(٢) برقم (٢٥١٣). وقال الحاكم (٢/٩٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣١).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٩٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٥) المرجع السابق في (ح س ب).

(٦)المرجع السابق في (ن ب ل).

رغبة عنه: إعراضًا عنه(١).

كفرها: سترها ولم يشكرها(٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين فضل تعلم الرمي للدفاع عن دين الله وراويه هو " راوي الأحاديث الثلاثة السابقة " ويبدأ الحديث بالتأكيد بأن للدلالة على أفضلية الرمي وأهميته وفيه بشرى لكل من تعلم الرمي أو صنع السهام أو شارك في مساعدة الرماة والمؤكد في هذه الجملة هو " دخول الجنة " واسم إن " لفظ الجلالة " الله " والتصريح باسم الجلالة، ثم إعادته مرة ثانية عن طريق الإضمار في قوله: (يدخل): أي هو يضاعف من قيمة التأكيد على أهمية " الرمي " في الإسلام وصيغة اسم الفاعل في بيان هؤلاء الثلاثة الذين يدخلون الجنة بسبب صنع السهام واستعمالها في سبيل الله هذه الصيغة المتماثلة في قوله: صانعه، والرامي به، ومنبله " يرشد إلى عظمة الفعل ومهارة الفاعل، وإتقان العمل، وإخلاص النية وقوله: (الخير) لفظ جامع لكل استخدام للسهام في سبيل المصلحة العامة. . وحماية النفس: حيث يقصد الرامي بعمله التقرب إلى الله وإثابته وتكرار الأمر في قوله: وارموا واركبوا. . للدلالة على أهمية الأمر والاستعداد للقتال حتى الخيول لابد من تدريبها. . وإتقان فن الفروسية استعداداً للمواجهة والدفاع والنصر والفتح، وقدم الرمي على الركوب: لقوة نفعه بالنسبة لنفع الركوب لأن الرمي يصيب العدو عن بعد، فيضمن سلامة المجاهد، وإصابة عدوه، ولذلك يصرح رسول الله بذلك، ويستخدم المصدر المؤل مرتين في أسلوبه للإيحاء بالمكابدة والمعاناة والفعل المتجدد. . وتتضمن هذه الصيغة أمر بالرمي والركوب غير مباشر بعد وروده صريحاً في الجملة الأخيرة جاءت في صيغة الشرط لإرساء قاعدة الثواب والعقاب، حيث قال: ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها" .

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر غ ب).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

وجواب الشرط فيه إنذار غير مباشر. وجاء مؤكداً ولم يصرح بالعقاب وإنما اكتفى بقوله فإنها نعمة تركها أو كفرها وهل هناك ذنب أشد وأكبر من كفران النعمة وجحدها؟؟ والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية الخالصة في العمل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على المساهمة في دعم قوة المسلمين من خلال الصناعة وغيرها.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على الإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التعاون في دعم القوة الإسلامية.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة)، حيث أكد رسول الله ﷺ على دخول الجنة بالسهم الواحد ثلاثة نفر.

وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في التأكيد على الحقائق للمدعوين حتى يتيقنوا من صدقها.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل النية الخالصة في العمل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صانعه يحتسب في صنعته الخير)، أي:حال كونه يطلب في صنعة السهم الثواب من الله تعالى[1].

فلا يعتد بالعمل في أبواب الخير إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله، فتكون وجهة الإنسان في الحياة إرادة الخير لنفسه وللناس جميعًا[2].

وفي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٩٣.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص ٢٧٩.

يقول: ((إِنَّما الأَعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إلى دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إلى ما هاجَرَ إلَيه))[1].

قال ابن رجب: "لما ذكر رسول الله ﷺ أن الأعمال بحسب النيات وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شيء ذكر بعد ذلك مثالاً من الأمثال والأعمال التي صورتها واحدة ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات وكأنه يقول سائر الأعمال على حذو هذا المثال.

أي: سائر الأعمال كالهجرة في هذا المعني فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها كالجهاد والحج وغيرهما وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصد به من الرياء وإظهار الشجاعة والعصبية وغير ذلك أي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فخرج بهذا كل ما سألوه عنه من المقاصد الدنيوية.

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن قاتل في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ)).

وفي رواية لمسلم سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله؟ فذكر الحديث.

وفي رواية له أيضًا ((الرَّجُلُ يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً))[2].

وخرج النسائي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له فقال رسول الله ﷺ: لاشيء ثم قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))[3]"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١، واللفظ له، ومسلم ١٩٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨، ومسلم ١٩٠٤.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٤٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن النسائي ٢٩٤٣).

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٧٢/١ - ٧٥.

" فالنية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين كفتا وشفتا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: ((إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى)) فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية، ثم بين في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[(١)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على المساهمة في دعم قوة المسلمين من خلال الصناعة وغيرها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به ومنبله ...).

وقد كان رسول الله ﷺ يذكر الصحابة رضي الله عنهم بأن الأنبياء عليهم السلام وهم القدوة للناس كانوا يحترفون لأنفسهم ويقومون ببعض الحرف للكسب، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا))[(٣)].

وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان دائمًا يضرب الأمثال للصحابة رضي الله عنهم بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون لأنفسهم ويطلبون العيش عن طريق بعض الحرف أو الصناعات اليدوية دون أن يأنفوا من ذلك وكان لدى الصحابة رضي الله عنهم استجابة لهذه التوجيهات الكريمة[(٤)].

ويكاد علماء المسلمين يجمعون على أن القيام بالصناعات فرض كفاية على المسلمين كما أنهم جعلوا لولي الأمر إلزام أرباب الصناعات القيام بأعمالهم[(٥)].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٧٩، وابن ماجه ٢١٥٠.

(٤) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري ص ٤٦.

(٥) انظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ/ زكريا عميرات ص ١٩٢.

وهذه التوجيهات النبوية الكريمة كلها توجه الأمة نحو العمل والكسب والاحتراف والقيام بما يحتاج إليه الناس من صناعات[1].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على الإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا..). وفي ذلك حث على الرمي والإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة.

والإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية من الأشياء اللازمة للمحارب، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمرنون على الرمي باستمرار بناء على توجيه الرسول ﷺ لهم، وكان الرسول ﷺ يشهد ذلك معهم حتى إنهم في بعض الأيام كانوا يترامون عامة اليوم[2].

فمن أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسميًا، وتكوينهم صحيًا.. هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية، وتدريبات عسكرية، وتمرينات رياضية.. كلما سنحت لذلك فُرص، أو تهيأت ظروف..

ذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة، وتعاليمه السامية.. جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء، وَوَفّق بين مطالب الروح، وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء.

والولد من حين أن يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي، والتكوين الجسماني.. بل هو أولى بإملاء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة، وعلى أعضائه بالقوة، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط.. وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: للفراغ الكثير المتيسر له.

الثاني: لوقايته من الأمراض والأسقام.

---

(١) الحرف والصناعات، د. عبدالعزيز العمري ص ٤٦.

(٢) القول التام في فضل الرمي بالسهام، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، مخطوط مصور بقسم المخطوطات، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، رقم ١٧٤١، ميكروفيلم ص ٨١.

الثالث: لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة وأعمال الجهاد.

وهذه بعض من نصوص الشريعة في اهتمام الإسلام بالتربية الرياضية، والإعداد العسكري؛ ليعلم كل ذي عينين أن الإسلام هو دين الله الخالد في دعوته إلى وسائل العزة والقوة والجهاد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(١).

وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...))(٢).

وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللّه عز وجل فَهُوَ لغو ولَهْوٌ أوسهو إلا أَرْبَعْ خصال: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الغَرَضَيْنِ، وَتأْدِيبُه فَرَسَهُ، ومُلاعَبَتُه أهله، وَتَعَلُّمُ السِّبَاحَةَ))(٣).

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾(٤)، ثم قال: ((أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))(٥).

وروى الشيخان أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم، وبينما هم يلعبون دخل عمر فأهوى إلى الحصباء (الحصى الصغيرة) فحصبهم بها فقال عليه الصلاة والسلام: ((دَعْهُم يا عمرُ))(٦).

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٧٨٥، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٩/٥: رواه الطبراني في الأوسط ٢٢٩ مجمع البحرين، والكبير والبزار ١٧٠٤، ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبدالوهاب بن بحث وهو ثقة، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣١٥).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠١، ومسلم ٨٩٣.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ، فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إذا أَرْهَقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هذه بِتِلْكَ))(١).

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقةٌ لرسول الله ﷺ تسمى العَضْباء، وكانت لا تُسبَق، فجاء أعرابيٌّ على قَعودٍ له فسبَقها، فاشتد ذلك على المسلمينَ وقالوا: سُبِقتِ العَضباءُ، فقال رسول الله ﷺ: ((إن حقًّا على اللهِ أن لا يَرفَعَ شيئًا من الدنيا إلا وَضَعَه))(٢).

فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية، والتدريبات الجهادية من مصارعة، وَعَدْوٍ، وسباحة، ورماية، وفروسية.. من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة، وأن تتربى أفرادًا وجماعات على معاني القوة، والفتوة والجهاد، تنفيذًا لقوله تبارك وتعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، وتحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة الإسلام استعدت عسكريًا وحربيًا، وتكوّنت صحيًا وجسميًا، واكتملت إيمانيًا ونفسيًا، وعزمت على الجهاد حركيًا وإراديًا... فإنهم - لا شك - ينهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوّارة.. قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد، وهذا ما يعرف اليوم بالسلم المسلح، وهذا ما نوّه عنه عليه الصلاة والسلام حين قال: ((نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَةَ شَهرٍ))(٣)(٤).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التعاون في دعم القوة الإسلامية:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: والرامي به ومنبله..)، أي: مناول النبل للرامي ليرمي به.

وقال الخطابي: "وقد يكون ذلك على وجهين، أحدهما: أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحد بعد واحد، والوجه الآخر: أن يرد عليه النبل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩/٦ رقم ٢٤١١٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢٣.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، الشيخ عبدالله ناصح علوان، ٨٨٧/٢ - ٨٩٠.

المرمي به"[١].

والتعاون في دعم القوة الإسلامية أمر هام وقد ضرب لنا المثل في ذلك رسول الله ﷺ فقد عمل ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم يوم الخندق، فعن البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى بياض بطنه - وهو يقول:

((لولا أنتَ ما اهتدَينا ولا تَصدَّقْنا ولا صلَّينا
فأنزِلِ السَّكينةَ علينا وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا
إنَّ الأُلى قد بَغَوا علَينا إذا أرادوا فِتنةً أبَينا))[٢]

وقد كانت النسوة يقدمن خدماتهن في ميادين الجهاد، ومن ذلك موقف نساء بني غفار أردن الخروج مع رسول الله ﷺ فقلن له: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر فنداوي الجرحي، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله"[٣].

فإذا كان هذا شأن النساء في التعاون فهل يحجم الرجال؟! وأصحاب الأهداف العظيمة لا يصلون إلى أهدافهم بالجهود المتضادة المتنافرة، ولنا في ذي القرنين أسوة حين قال لقومه: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٤]، فلا بد من التعاون بقوة للخير وعلى الخير، ولنخرج من دائرة الأنانية والاهتمامات الفردية، ولنعش مشاعر الأمة ذات الجسد الواحد[٥].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٣٧، ومسلم ١٨٠٣.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٩٠/٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٣١٢/٦.

(٤) سورة الكهف، آية: ٩٥.

(٥) انظر: هذه أخلاقنا، الخزندار ص ٢١٧.

الحديث رقم (١٣٣٨)

١٣٣٨ - وعن سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ[١] يَنْتَضِلُون، فَقَالَ: ((ارْمُوا بَنِي إسمعِيلَ فَإنَّ أبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا)) رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

غريب الألفاظ:

ينتضلون: يترامون بالسهام للسبق[٣].

بني إسماعيل: أي: يا بني إسماعيل، يقصد بهم العرب[٤].

الشرح الأدبي

هذا مشهد من مشاهد السيرة النبوية وملمح من ملامح السنة العملية حيث أقر النبي ﷺ عمل هؤلاء النفر الذين ينتضلون. "والنفر" عدد من الأشخاص ما بين الثلاثة والتسعة وهم من قبيلة " أسلم، والفعل (ينتضلون) يوضح ما كان علية هؤلاء النفر من عمل محبب فيه قوة وبأس واستعداد وحركة جماعية إيجابية ومعنى ينتضلون أي: يترامون بالسهام للسبق، ومادة (نضل) في اللغة تعنى الرمي والقتال والزود والدفاع " فيقولون " ناضله مناضلة ونضالاً: إذا باراه في الرمي، وخرج القوم ينتضلون إذا استبقوا في رمى الأغراض ومن النضال: الدفاع: والنصح والمحاجة: وفى الحديث " بعدا لكن وسحقاً: فعنكن كنت أناضل،أي أجادل وأخاصم وأدافع. ومن معاني: المناضلة:

---

(١) عند البخاري زيادة: (من أسلم).

(٢) برقم (٢٨٩٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٢) بتمامه، واختصره المؤلف.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٧.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٦.

المفاخرة، وانتضل القوم إذا تفاخروا وقال ابن السكيت موضحاً دلالة أخرى لهذه الفعل وهى لا تخرج عن دائرة الفروسية والشجاعة: يقول انتضى السيف انتضله بمعنى واحد، وتنضلت الشيء إذا استخرجته وكل الدلالات السابقة يمكن أن يشع بها الوصف الحركي الدقيق لهؤلاء النفر من أسلم الذين رآهم النبي ﷺ (ينتضلون)، فقال وتأمل العطف بالفاء الدال على سرعة التعقيب والتأييد والإقرار من رسول الله ﷺ والأمر في قوله: ارموا بني إسماعيل للإعجاب بعملهم وكذلك لوجوب الإقتداء بهؤلاء النفر في ظل تعاليم رسول الله وحثه على تعلم الرمي. وقوله: بني إسماعيل: للمباهاة والافتخار لأن كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وفى ذلك إيحاء بأن الرمي يجب تعلمه على كل من تحدر من ذرية إسماعيل وكذلك غيرهم من المسلمين اقتداء بهم فالقوة الرمي، والفاء في قوله: فإن أباكم للتعليل والتأكيد لترسيخ المعنى في نفوس السامعين ولتذكيرهم بأن من حقهم أن يفاخروا وهم ينتضلون بأبيهم جميعاً إسماعيل.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرمي في سبيل الله والتدرب عليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في قول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: مر النبي ﷺ على نفر ينتضلون فقال: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا... الحديث).

وقد كان من هديه ﷺ أن يتعهد أصحابه رضي الله عنهم ويسألهم عن أحوالهم وعبادتهم، تنشيطًا لهم، ورفعًا لهمتهم في الطاعة والعبادة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: ((فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٣٩).

قَالَ: ((فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: ((فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[1].

فهذا أدب حسن للدعاة في تعهد من يقومون بدعوتهم، فيظهر لهم المقصر في الطاعة والعبادة، فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير[2].

فالداعية الناجح هو الذي يحرص على تفقد أحوال المدعوين ومخالطتهم ذلك لأن "الدعوة إلى الله تقتضي مخالطة الناس فتكون المخالطة واجبة لأن ما لا يؤدى الواجب إلا به فهو واجب، والواقع أن طبيعة الإسلام تقتضي المخالطة، فالإسلام ليس معنى خاصًا بالفرد بل هو أيضًا عمل المسلم خارج نفسه، ورسول الله ﷺ منذ أن أكرمه الله بالنبوة وأمره بالتبليغ عاش مع الناس وخالطهم وغشي مجالسهم يدعوهم إلى الله ويحذرهم مما هم فيه وكذلك فعل أصحابه الكرام رضي الله عنهم خالطوا الناس وبثوا فيهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ من الهدى والعلم والدين. وما روي عن بعض التابعين من استحباب العزلة وكراهية المخالطة فهو أمر يتعلق بأحوال طارئة وظروف استثنائية فليس ما ذكروه هو القاعدة التي يستهدي بها المسلمون من بعدهم لأن وجوب الدعوة إلى الله أمر ثابت في الشرع، والمخالطة هي المقدمة إلى الدعوة. فلا يمكن التخلي عنه، بل إن هذا الوجوب أصبح أشد في زماننا من أي زمان مضى، لما غشي البشر من غاشية رهيبة قاسية من المادية الصماء السوداء التي حجبت عنهم أنوار الحق وقطعت صلاتهم بالله عز وجل، مما جعل لزامًا على كل مسلم أن يسهم في الدعوة إلى الله بقدر طاقته وبأي نوع من أنواع القدرة يستطيعه وهذا يستلزم مخالطة الناس ليدعوهم إلى الله"[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٧٧.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٦٥.

فعلى الدعاة أن يفقهوا أحوال الناس وطبائعهم وأنواعهم ليتعاملوا معهم على ضوء تلك المعرفة بما يتناسب مع كلٍّ، ورحم الله الإمام ابن القيم فقد ذكر لنا أصناف الناس الذين نخالطهم وشخصّهم لنا تشخيصًا دقيقًا، فقال: ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بقدر الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر:

فأحدها: من مخالطته كالغذاء لا يُستغنى عنه في اليوم والليلة وهذا الصنف نادر، وهم العلماء العاملون الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه.

الثاني: من مخالطتهم كالدواء تحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك به، وهم من لا يُستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش من أنواع المعاملات.

الثالث: من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه.

الرابع: من مخالطتهم فيها الهلكة والموت المحقق إلا أن يشاء الله وهؤلاء هم أهل الضلالة والبدع الصادين عن الله وشرعه ودينه[1]، مع ملاحظة أن عمل الداعية مع الناس، فالمخالطة مع الناس من لوازم عمله الدعوي، ولكن عليه أن يخالطهم بقصد علاجهم كما يخالط الطبيب مرضاه، فلا يتخذ من غير الصالحين أصحابًا له يأوي إليهم ويطمئن بهم ويسمع منهم ويقضي أوقات فراغه معهم، أما غيرهم فيخاطبهم بقدر ما يستلزمه عمله الدعوي معهم، فإذا غشي مجالسهم غشيها من أجل الدعوة، وإذا زارهم في بيوتهم فمن أجل الدعوة، وإذا ابتعد عنهم وهجرهم إلى حين فمن أجل الدعوة، وهكذا يكون الداعية في دعوته للآخرين إلى الله[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرمي في سبيل الله والتدرب عليه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا).

وكذلك قوله في الحديث الثاني: "من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة" وتشجيع النبي ﷺ لرياضة الرمي لأنه جعل للقوس دورًا كبيرًا وركز على الاهتمام

---

(١) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٦٢٨.

(٢) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر أحمد الصافح ص ٩٦ - ٩٨.

به، فحين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[١]، فسّر الرسول ﷺ القوة فقال: ((أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[٢]، وتفسير الرسول ﷺ (القوة) بأنها الرمي لا يقتصر على أن القوة في الرمي أمر مختص بزمن الرسول ﷺ بل إن الرسول ﷺ بهذا الكلام قد أعطى إشارة بأن القوة في الرمي سواء في زمنه أم في الأزمان التي تأتي من بعده، فالرمي بالقوس أو بالمنجنيق أو غيره في تلك الأيام هو (القوة) ويمكننا أن نتأكد أن القوة هي (الرمي) في زماننا هذا حيث نرى أن معظم الأسلحة الحديثة تقوم على الرمي، فالرمي بالبندقية أو الرشاش أو الرمي بالمدفعية أو الرمي بالصواريخ أو الرمي بالطائرات كله لا تخرج عن كلام الرسول ﷺ في تحديد القوة بأنها الرمي[٣].

وإنما فسّر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو، وأسهل مؤنة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فينهزمُ مَنْ خلفه"[٤].

إن الرمي بالسهام من الوسائل المستخدمة في الحروب سابقًا وهو يشبه الرمي بالأعتدة الخفيفة (البنادق) عندنا اليوم، وله تأثير كبير في كسب المعركة، وإلحاق الخسائر والهزائم في الأعداء، لهذا شجع النبي ﷺ على تعلمه وممارسته، فقال رسول الله ﷺ: ((ارموا بني إِسْمَاعِيلَ، فإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا... الحديث)).

بل إن رسول الله ﷺ عدّ من ترك الرمي بعد تعلمه أنه ليس من هذه الأمة أو من العاصين، لذلك لم يترك الصحابة الكرام رضي الله عنهم تعلم الرمي وممارسته شبابًا وشيوخًا، روى مسلم في صحيحه أن فقيمًا اللخمي قال لعقبة بن عامر: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٣) انظر: النظم الإسلامية "نشأتها وتطورها"، د. صبحي الصالح ص ٥٠٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٥٩/٢.

الْغَرَضَيْنِ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ. قَالَ عُقْبَة: لَوْلاَ كَلاَمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لابْنِ شُمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إنَّهُ قَالَ: ((مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى))[١].

ولم ينس رسول الله ﷺ وهو يبشرهم بفتح الدول والمدن عليهم أن يوصيهم بالرمي فيقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ. وَيَكْفِيكُمُ اللّهُ. فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ))[٢].

يتبين لنا مما تقدم من أحاديث مدى اهتمام النبي ﷺ بتدريب أصحابه رضي الله عنهم على الرمي وإعدادهم وحثهم على تعلمه، كأسلوب من أساليب التربية الجسدية المكملة لبقية أنواع التربية[٣].

حتى إذا ما جاهد المسلم في سبيل الله ورمى صوب رميه وسددت خطاه ونال من الجزاء جزيله ومن الثواب عظيمه كما نرى ذلك في الحديث الثاني في قوله ﷺ: ((مَنْ رَمَى بِسَهمٍ فِي سَبيلِ الله فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ)) أي مثل ثواب مُعْتَق[٤]. وفي ذلك حث منه ﷺ على الرمي في سبيل الله وذلك لاهتمامه ﷺ بالرمي، ومما يدل على اهتمام رسول الله ﷺ بالرمي أنه في غزوة أحد خصص مكانًا عاليًا للرماة على جبل صغير قرب معسكر المسلمين، وأمر الرماة ألا يبرحوه لمعرفته ﷺ بقوة الرمي ودفعه الشر عن معسكر المسلمين، كما أمرهم بصد الخيل عن المسلمين بالنبال[٥].

كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان أبو طلحةَ يَتَتَرَّسُ معَ النبيِّ ﷺ بتُرْسٍ واحد، وكان أبو طلحةَ حسَنَ الرَّمْيِ، فكان إذا رَمى يُشرِفُ النبيُّ ﷺ فينظُرُ إلى مَوضع نبلِهِ))[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩١٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٩١٨.

(٣) أساليب الدعوة والترية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٦٤/٢.

(٥) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٩/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠٢.

فرسول الله ﷺ كان يحث الصحابة رضي الله عنهم على الرمي ويشجعهم عليه فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما رأيتُ النبي ﷺ يُفَدِّي رجُلاً بعد سعدٍ، سمعتهُ يقول: ((ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي))[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الرمي وبيّن أن إسماعيل عليه السلام كان راميًا.

كما رغب النبي ﷺ في قول في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: "من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة" أي رمى سهم في سبيل الله يعدل ثواب عتق رقبة، وفي ذلك ترغيب عظيم في الرمي في سبيل الله، فأسلوب الترغيب من لوازم الداعية في دعوته وإرشاده للناس بالعدول عن طريق الغواية والتزام طريق الرشد والهداية وعلى هذا الأساس كان للترغيب أهمية كبيرة في جنس الطاعات، وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد، والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها ويخدشها[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٠٥.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩٣ - ١٩٤.

الحديث رقم (١٣٣٩)

١٣٣٩- وعن عمرو بن عبسة ﵁، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ الله فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ[١])) رواه أبُو داود والترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمرو بن عَبَسة السلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٣٨).

غريب الألفاظ:

عدل: مثل[٣].

محررة: رقبة معتقة[٤].

الشرح الأدبي

إن الدفاع عن الإسلام والتصدي لأعدائه من ألزم الواجبات التي يتحملها المسلم ولا يليق به أن يتقاعس أو يفرط في هذا المضمار، ويرغب رسول الله كل مسلم في الإقدام وعدم الإدبار وللمواجهة والمجابهة والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جمله واحدة: صيغت في قالب الشرط والجواب وأسلوب الشرط يجيء في مقام الثواب والعقاب. .

---

(١) لفظ الترمذي وغيره: (محرر) بلفظ التذكير، تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه (٢/٢٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٨) بهذا اللفظ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦١٥)، وقال الحاكم (٢/١٢١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٨).

تنبيه: لفظ الحديث عند أبي داود (٣٩٦٥): (من بلغ بسهم في سبيل الله عزّ وجلّ، فله درجة) ولم يكمله. ولذا اعترض الناجيُّ على المنذريِّ في عجالة الإملاء بقوله: ليس هذا كما قاله المصنف، ، وإنما عند أبي داود، ثمّ ذكره. علمًا بأن المنذري ذكر برقم (١٩٤٢) حديثًا بلفظ أبي داود، وعزاه لابن حبان بتمامه. فتبين أن الحديث بهذا اللفظ ليس عند أبي داود، بل هذا اللفظ للترمذي فقط.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع د ل).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٧.

فالجزاء من جنس العمل والمقدمات الصحيحة تؤدى إلى النتائج الصحيحة الحاسمة ولذلك يقول الحبيب المصطفى ﷺ من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة " وأداة الشرط للعاقل أو فعل الشرط " رمى " وهو دال على المواجهة والمبادرة والإقدام، وقوله "بسهم" لا يدل على التقليل ولكن لتحديد النوعية وتحديد الفضل والعمل لا يقاس بالكثرة ولكن يقاس بالنية والقصد والحديث يرسخ هذا التصور في وجدان المسلمين فالعمل الصالح مهما قل فله جزاؤه المضاعف عند الله عز وجل، فالسهم الواحد.. الذي يرميه صاحبة في سبيل الله ثوابه مثل ثواب رقبة محررة أعتقها صاحبها عن طيب قصد وإخلاص نية. وقوله: عدل محررة: فيه بلاغة الحذف: أي مثل جزاء رقبة محررة: وقيل العدل والعديل والعدل سواء، أي: النظير والمثيل وفرق سيبويه بين " العديل والعدل " – فقال: العديل من عادلك من الناس، والعدل لا يكون إلا للمتاع خاصة، وقال ابن الأثير: " العدل " بالفتح ما عادله من جنسه والعدل بالكسر: ما ليس من جنسه " – وتحديد الضمير " هو" بعد الفاء في جواب الشرط. يرشد إلى مكانة الرامي بسهم في سبيل الله، حيث لم يقل: فله: وإنما قال: فهو له، وتكرار الضمير يؤكد هذه المكانة ويرمى إلى تخصيصه بالثواب الجزيل وهذا صاحب السهم فما بالنا بمن كانت حرفتهم الرماية وعملهم المتقن هو هذا الصنيع الماجد أنه مثل من يحرر آلاف الرقاب وهو يحرر النفوس من قيود الشرك ومن طواغيت الوثنية ومعاقل الطغيان وحبائل الشيطان ويقود الناس مع كل المجاهدين إلى منارات الهداية وسبل السلام وآفاق الرضوان.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٤٠)

١٣٤٠- وعن أبي يحيى خُرَيْم بن فاتِكٍ ﵁، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أنفَقَ نَفَقَةً في سَبيلِ اللهِ كُتِبَ[1] لَهُ سَبْعُمِئَةِ ضِعْفٍ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

خريم بن فاتك الأسدي: وهو خريم بن الأخرم بن خزيمة الأسدي.

له صُحبة ورواية، قال له النبي ﷺ: ((أيُّ رجلٍ أنتَ لولا خلَّتان فيك، قال: وما هما؟ قال: تُسْبِل إزارك، وترخي شعرك. قال خريم: لا جرم، فجزَّ شعره، ورفعَ إزاره[3].

وقد أخبر خريم عُمَرَ بن الخطاب ﵁ بإسلامه، وشهد بدرًا، وقال ابنه أيمن - وكان شاعرًا فارسًا شريفًا - إن أبي وعمي شهدا بدرًا ونهياني أن أقاتل مسلمًا، وقيل إنه أسلم حين أسلمت بنو أسد بعد فتح مكة وتحول إلى الكوفة فنزل بها بعد ذلك.

وروى عن النبي ﷺ، وعن كعب الأحبار.

وعداده في الكوفيين وقيل في الشاميين.

وتوفي بالرَّقة في عهد معاوية ﵁[4].

غريب الألفاظ:

ضعف: الضعف: المِثل فما زاد، وليس بمقصور على مثلين، فأقل الضعف محصور

---

(١) لفظ الترمذي: (كتبت)، وهذا لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٦٢٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٤٧)، وقال الحاكم (٨٧/٢): هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم (٤١٥٦).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣٨/٦-٣٩)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٠٧-٢٠٨)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٦٧/٢-١٦٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٨١/٢-٣٨٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٤١/١).

في واحد، وأكثره غير محصور[1].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتوهج ضوؤه في باب فضل الجهاد. وهو ذو دلالة عامة ترغب في الإنفاق بمعناه الشامل في سبيل الله والإنفاق في تجهيز الجيوش وتقويه شوكة المسلمين من أجلّ السبل وأشرفها في هذا الميدان وحين نتأمل صياغة هذا الحديث الموجز نجده يتكون من جملة واحدة تعد قاعدة شرعية تؤصل للإنفاق الصحيح الذي يتقوى به المسلمون. . وهو أن يكون في سبيل الله أي في كل ميدان من شأنه تقويه المسلمين وتقدمهم. . ورعاية مصالحهم وتعليمهم وعلاجهم وحماية أموالهم وأعراضهم وديارهم وثغورهم وأسلوب الشرط والجواب يتفق مع منطق الثواب والعقاب وجو الحديث فيه حث على الإنفاق وترغيب فيه ووعد بمضاعفة الثواب والفعل انفق: يدل على صرف المال في سبيل الطاعة: قال تعالى: وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي: أنفقوا في سبيل الله وأطعموا وتصدقوا، ومادة الإنفاق توحي بالزيادة لأن (نفق) " بدون الهمزة " تعني البوار. . والذهاب والقلة بلا ثواب – وتنكير قوله: نفقة لمزيد من الترغيب في الإنفاق في سبيل الله: فمهما قلت النفقة فالله يضاعفها إلى سبعمائة ضعف لأنها في سبيل الله، وبناء الفعل للمجهول في قوله: كتب له " وهو (جواب الشرط) يوحى بأن الثواب مؤكد ولا يحتاج الأمر إلى تحديد من يضاعف الثواب لأنه معلوم وهو الله وليس سواه من مكافىء والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، ومادة " كتب " تعطى دلالة صدق الوعد ويقينه، ومعناها: أثبت الله للمتقين في صحف الأعمال أو في عالم الملكوت في علم الله: سبعمائة ضعف: وضعف الشيء كما يقول اللغويين – مثلاه: وقال الزجاج ضعف الشيء: مثله الذي يضعفه وأضعافه: أمثاله. ومعنى: أضعف الشيء وضعفه وضاعفه: زاد على أصل الشيء وجعله مثيلة أو أكثر ومعنى: سبعمائة ضعف: أي سبعمائة من مثيلة وفى ذلك غاية الإكرام من الملك العزيز العلام.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض ع ف).

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحبّ الإكثار من الصدقة عند الأمور المهمة وعند الكسوف والسفر وبمكة والمدينة وفي الغزو الحج والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة وأيام العيد ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي آكد من غيرها).

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: ترغيب المدعوين في الجهاد والإنفاق في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى ثواب المنفقين في سبيل الله سبعمائة ضعف.

أولاً – من أهداف الدعوة: ترغيب المدعوين في الجهاد في سبيل الله:

لقد رغب الإسلام في الإنفاق في سبيل الله، وحثّ عليه وبيّن ما يعطي الله عز وجل عليه من زيادة كبيرة هائلة حيث تضعف النفقة فيه إلى سبعمائة ضعف[1]، فقال ﷺ: "من أنفق في سبيل الله كُتب له سبعمائة ضعف".

قال المباركفوري: "قوله: (من أنفق نفقة)، أي: صرف نفقة صغيرة أو كبيرة (كتبت له سبعمائة ضعف)"[2]، وفي ذلك ترغيب في الإنفاق في سبيل الله، فالترغيب للمدعوين في الجهاد والإنفاق في سبيل الله من أهداف الدعوة، فإن الجهاد في سبيل الله يكون بالنفس وبالمال وباللسان، وقد أعظم الله الثمن للمجاهدين بالأنفس والأموال، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٩/٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١١.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه عاوض المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، لهذ قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم"(١).

لقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حاضّة على الإنفاق في سبيل الله، فمن القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٥).

فنجد أن الله تعالى حثّ على النفقة في سبيله؛ لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه وبذل الأموال في التجهز له، فقال: "من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا" وهي النفقة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٩ - ٦٠.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٥) سورة الحديد، الآيتان: ١٠ - ١١.

الطيبة التي تكون خالصة لوجه الله تعالى، موافقة لمرضاة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى حيث سماه قرضًا، والمال ماله والعبيد عبيده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافًا كثيرة وهو الكريم الوهاب [(١)].

كما جاء الأحاديث الكثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ)) [(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن أنفقَ زَوجَينِ مِن شيءٍ مَن الأشياء في سبيل الله دُعِيَ من أبوابٍ - يعني الجنةَ - يا عبدَ الله هذا خيرٌ. فمن كان من أهلِ الصلاةِ دُعي من بابِ الصلاةِ ومن كان من أهل الجهادِ دُعِيَ من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدَقَةِ دُعيَ من بابِ الصدقة ومن كان من أهل الصيام دُعيَ من بابِ الصيام وبابِ الرَّيَّانِ. فقال أبو بكرٍ: ما على هذا الذي يُدعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورة. وقال: هل يُدعى منها كلِّها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر)) [(٣)].

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في التطبيق العملي لهذه النصوص وتجسيدها في حيز التنفيذ، فذلكم عثمان بن عفان رضي الله عنه من بارزي الصحابة في الإنفاق في سبيل الله، فعنه رضي الله عنه لما حوصر بعد أن أشرف عليهم: أنشُدُكُم اللهَ، ولا أنشُدُ إلا أصحابَ النبيِّ ﷺ: أَلستم تَعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مَن حَفرَ رُومةَ فلهُ الجنَّة، فحفَرتُها؟ أَلَستم تَعلَمونَ أنهُ قال: مَن جهَّزَ جيشَ العُسرةِ فلهُ الجنة، فجهَّزتُه؟ قال: فصدَّقوهُ بما قال)) [(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٩٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٦٦ واللفظ له، ومسلم ١٠٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٧٨.

ولم يكن التباري في الإنفاق في سبيل الله قاصرًا على كبر الصحابة رضي الله عنهم، وإنما كان ذلك سمة عامة لمجتمع الصحابة كل حسب قدرته، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَكَ بِهَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ. كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ))[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى ثواب المنفقين في سبيل الله سبعمائة ضعف:

ويظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف).

وقد أيد الله مضاعفة ثواب المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف في كتابه، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

قال ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية: (هذه الآية لفظها بيان مثال بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك، وهذه الآية في نفقة التطوع، وسبل الله كثيرة، وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين والملة وأشهرها غناءً الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

والجنة اسم جنس لكل ما يزرعه ابن آدم ويقتاته، وأشهر ذلك البر، وكثيرًا ما يراد بالحب، وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب فأكثر، ولكن المثال وقع بهذا القدر، وقد ورد في القرآن بأن الحسنة في جميع أعمال البر بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية أن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف[3]، وبين ذلك الحديث: "من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف".

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٢/٥٧.

قال الشيخ السعدي: "هذا حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريقه للوصول إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة، وفي الاستعداد للجهاد وتجهيز المجاهدين، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين. وهذه النفقات مضاعفة إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف أكثر من ذلك"(١).

إن الإنفاق في سبيل الله ركن أساسي من أسس الدين، ودعامة من دعائم الدولة، فما بخلت أمة بمالها إلا حاق بها الذل والاستعباد، وسلط الله عليها الأعداء من كل جانب يتكاثرون عليها كما تتكاثر الأكلة الجياع على المائدة.

والإنفاق في سبيل الله واجبًا كان أو مندوبًا، ما دام في وجوه الخير ومحاربة الجهل والفقر والمرض ونشر الدين وخدمة العلم فهو مما يطلبه الدين ويحث عليه الشرع (٢).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٤.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١٣/٣/١.

الحديث رقم (١٣٤١)

١٣٤١ - وعن أبي سعيد ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذلِكَ اليَوْمِ وَجهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث. .. نجد أن التركيب اللغوي يكشف عن أسرار تعبيرية متعددة لأن جمال المبني يؤدى إلى جمال المعنى، والحديث كله جملة واحدة صيغت في قالب، " القصر " عن طريق النفي والاستثناء " ما وإلا " وهذا الأسلوب يؤكد المضمون المراد من الحديث الشريف وهو ما ينعم به الله على من يصوم يوماً في سبيل الله بنجاته من النار وما فيها من عذاب وهلاك وسوء مصير، ولكل لفظ في الحديث إشعاع يتوهج بسر من أسرار البيان النبوي – فقوله: ما من عبد: يفيد الاستقصاء؛ لأن الحرف (من) ليس زائداً عن المعنى – وإنما هو زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى – والمراد أنه لن يحرم عبد من العباد قام بهذه الطاعة من نعم الله عز وجل الذي وعد به رسول الله في هذا الحديث، وصيغة " التفكير " في قوله " عبد " تؤكد هذا الاستقصاء الذي أفادته " من " فالنكرة هنا للتعميم، والشيوع، ومادة " العبودية " تفيد الخضوع وإسلام الوجه لله – ولفظ عبده له إشعاع وظلال غير لفظ " أحد " أو " فرد " لأنه يوحى بأن العبادة من شأن العباد، وقوله: في سبيل الله – فيه إطلاق وتشريع لأوجه كثيرة من الصوم نابعة من النية الخالصة لوجه الله عز وجل، واسم الإشارة " ذلك " المقترن بباء السببية يوحى بتعظيم ذلك اليوم وتمييزه أكمل تميز،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم واللفظ له (١١٥٣/١٦٧)، وتقدم برقم (١٢٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣، ١٨٩٥).

ولذلك لم يقل " بهذا " وإنما قال " بذلك "، وقوله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا: كناية عن النجاة من النار والفوز بنعيم الجنة، وقوله: وجهه: فيه مجاز مرسل: لأن المراد: أبعده الله عن النار، أو باعد ذاته، وقد أطلق الجزء وأراد الكل. من باب المجاز المرسل، وقوله: سبعين خريفا: كناية عن البعد الزمني والبعد المكاني، والبعد بكل أبعاده واحتمالاته عن النار، والنار لها في القرآن الكريم صفات وألقاب كثيرة ومنها جهنم، والجحيم، وسعير، وسقر، والحطمة، ولظى، والهاوية، والغاشية، أعاذنا الله من النار وعذابها، ووعدنا بالجنة وما فيها من نعيم مقيم، وهناء عميم آمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٢٠).

الحديث رقم (١٣٤٢)

١٣٤٢- وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السَّمَاء والأَرْضِ)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

خندقًا: الخندق: حفير حول المكان، وأخدود عميق مستطيل يحفر في ميدان القتال ليتقي به الجنود[٢].

الشرح الأدبي

إن الصيام يعد جهاداً للنفس، ومقاومة لرغباتها. .، ويعد من سمات الجهاد الأكبر.. لأنه جهاد للنفس، وانتصار على أهوائها، وكبح لجماح غرائزها، ويمكن أن يكون هذا التوجيه لدلالة الحديث الشريف من أسرار وورود هذا الحديث في باب فضل الجهاد، ويرى البعض العلماء أن دلالة: في سبيل الله " مرتبطة بالجهاد، والحديث يبشر كل من يصوم في سبيل الله يوماً بالنجاة من النار.. مثل الحديث السابق، ولكن تصوير المعنى وتقريبه يختلف من حديث إلى آخر. وهذا من أسرار جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي، " وقد صيغ الحديث في قالب الشرط والجواب " وهذه الصياغة اللغوية تتفق مع جو الحديث، وسياق المعنى وطبيعة الدلالة، فالجزاء من جنس العمل، والصائم ابتغاء مرضاة الله ثوابه مضاعف. . وهو يتمثل في هذه التعبير المجازى البليغ المبشر المطمئن " جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض ".

---

(١) برقم (١٦٢٤) وقال: حديثٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣، ١٨٩٨).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ن د ق).

والأصل اللغوي في الصيام " الإمساك عن الحركة، فكل شيء سكنت حركته فقد صام، والخيل الساكنة خيل صائمة، ولكن الصيام في المصطلح الإسلامي اتخذ دلالة جديدة، ومعالم محددة وهو " الامتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس " وله آداب وشروط ومتعلقات كثيرة، وقوله صلى الله عليه وسلم: جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض: كناية أو مجاز مرسل. . يصور البعد السامع الذي لا حد له بين الصائم وبين النار. .، وهذه الجملة الكنائية، أو المجازية جواب الشرط الذي يحدد الثواب الجزيل للصائمين في سبيل الله، وصورة " الخندق " الذي صوره الحديث بهذا الاتساع – كما بين السماء والأرض، توحي بأن البعد مطلق غير محدود، وبأن النجاة حتمية في ظل هذا التصوير الحسي، فهو خندق كبير عرضه يقدر بمسافة ما بين السماء والأرض، وهي مسافة تقدر بحيز يبدأ من الأعلى إلى الأسفل، وذلك مبدأ يوافق الحفر في الخندق، والخندق في هذا السياق التصويري والدلالي رمز لطيف إلى المعاصي التي هي دنو في النفس ونزول عن مرتبة الكمال بالهبوط في المستوى البهيمي المتدني، والمفهوم الذي يشع به هذا الحديث في سياق توهج هذه الصورة هو نعمة الله على الصائمين المخلصين الذين نجاهم الله من النار، وجعل بينهم وبينها خندقاً كما بين السماء والأرض.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله.

ثالثًا: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

أولاً – من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بيّن السماء والأرض)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة في جذب المدعوين إلى الطاعة، وتحبيبهم في فعل الخير.

قال د. عبدالكريم زيدان: "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول

الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهو من نهج الرسل عليهم الصلاة والسلام"[١].

"إن الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة.. والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة"[٢]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله:

حيث جاء في الحديث: (من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض) وهذا بلا شك يبين فضل الصيام في سبيل الله، قال المباركفوري: "قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد، وقال القرطبي: سبيل الله: طاعة الله، فالمراد: من صام قاصدًا وجه الله، قال الحافظ: ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك، وقال ابن دقيق العيد: العرف الأكثر استعماله في الجهاد؛ فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين، قال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف كانت والأول أقرب ولا تعارض في أن الفطر في الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عن اللقاء، لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفًا ولا سيما من اعتاد به فصار ذلك من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين"[٥].

---

(١) أصول الدعوة ص ٤٣٧.

(٢) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، الشيخ محمد الغزالي ص ٣١٢.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٨/٢.

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث دليل على فضيلة الصيام في الجهاد في سبيل الله وأن الإنسان إذا صام يومًا في سبيل الله باعد الله بينه وجهه وبين النار سبعين خريفًا، يعني: سبعين سنة"(١).

قال الشيخ أبو الحسن الندوي: "وإذا تغلبت الطبيعة الحيوانية، وملكت زمام الحياة، واستحوذت على مشاعر الإنسان وحواسه، وأصبحت (المعدة) هي القطب الذي تدور حوله الحياة، شقّ على الإنسان كل ما يحول بينه وبين رغبته، وما يشغله عن ارضاء نهمته، وكل ما يذكره بمبدئه ومصيره، وما يصور له الحساب، والاحتساب، والجزاء والعقاب فلا يجد في أعوامٍ طوالٍ وقتًا صافيًا، وقلبًا فارغًا، وعقلاً يقظًا، وضميرًا حيًّا، فتثقل عليه العبادة والذكر وما يتصل بهما، ولا يجد لذتهما بطبيعة الحال؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(٢)، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٣).

ولقد جاءت النبوة في أزمان مختلفة، وأمكنة مختلفة، تُغيث الإنسانية المهددة بالمادية الطاغية، وتُديل الروح والأخلاق، والمشاعر اللطيفة، والقلب المخنوق المفلوج من طغيان الشهوات، وقسوة المعدات، وتقيم الموازين القسط في الحياة، وتُعد الإنسان إعدادًا جديدًا لتحقيق الغاية التي خُلق لها، وهي (العبادة) والوصول إلى الكمال المطلوب، الذي هيئ له، وهي (الولاية) وإكمال المهمة التي أُهبط لها في الأرض وهي (الخلافة).

وذلك لا يتحقق بروحانية ملكية ولا بمادية بهيمية. فأمرت بالصوم ليُحد من شِرّة هذه المادية المعَديّة، ويعيد للنفس ما فقدته من حياة ونشاط، ومن جدّة وقوة وليشحنها

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٥٤/٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٢.

شحنًا روحانيًا إيمانيًا، تستطيع أن تحفظ به اعتدالها في الحياة، وتقاوم به مغريات الشهوة ومفاسد التخمة، وتتخلق ببعض أخلاق الله، وتنال منها نصيبًا، فتسعد به وتسمو. وتلتحق بالملائكة والملأ الأعلى، فترتع في رياض الروح والقلب، وتسرح في ملكوت السماوات والأرض، وتعرف لذة لا عهد لها بها في ألوان الطعام والشراب، وفي الشبع المُفرط والتخمة المُملة"(١).

وقال أبو حامد الغزالي: "المقصود من الصوم، التخلق بخُلق من أخلاق الله عز وجل، وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم منزهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه، وكونه مبتلى بمجاهدتها، فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين، والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة، والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القرب ثمَّ بالمكان بل بالصفات"(٢).

وقال ابن القيم: "المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرّها في معاشها ومعادها، ويسكّن كل عضوٍ منها وكل قوةٍ عن جماحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين"(٣).

ويمضي ابن القيم ببلاغته في شرح أسرار الصوم ومقاصده، فيقول: "وللصوم تأثيرٌ

(١) الأركان الأربعة ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢٣١/١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٨/٢.

عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها، أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد اليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(١). وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود: أن مصالح الصوم لما كانت مشهودةً بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وحميةً لهم وجُنةً"(٢).

ثالثًا – من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

يتضح هذا من سياق الحديث ولا شك أن من أهم صفات الداعية البيان والإيضاح لتصل الدعوة إلى الجميع، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)، قال القاسمي: "أي: تبين للناس ما أمروا ونهوا ووعدوا وأوعدوا فلعلهم ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين، أو يتأملون ما فيه من العبر فيحترزون عما أصاب الأولين"(٤).

قال د. عبدالكريم البكار: "إن الأنبياء عليهم السلام وخلفاءهم من الدعاة إذ يقومون بـ (البلاغ المبين) يكونون قد قاموا بالعمل الأساس الذي تبرأ به الذمة أمام الله سبحانه وتعالى، وهناك آيات كثيرة تدل على هذا من نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾(٥)، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾(٦)،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٢٩.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٦/١٠/١١٢.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٥.

(٦) سورة الشورى، آية: ٤٨.

وتحقيق البلاغ المبين يجعل حياة الأمة مشدودة نحو هدف واحد إذ إن تبليغ الرسالة يحول دون انسياق الأمة خلف أهداف مشتتة متناقضة ودنيوية، والبلاغ المبين يعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم، وما أصيبت الأمم بداء أخطر من فقد الشعور بالمسؤولية ومن خلال الدعوة يتمكن الناس من معرفة ما يجب عليهم أن يفعلوه، وفي الوقت نفسه الثمن الذي عليهم أن يدفعوه إذا هم لم يستجيبوا ومن خلال هذا وذاك تتولد الشخصية وفضيلة الشعور بالمسؤولية"[1].

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

الحديث رقم (١٣٤٣)

١٣٤٣ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَـنْ مَـاتَ وَلَـمْ يَغْـزُ، وَلَـمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الشعبة: الطائفة من كل شيء، والقطعة منه[2].

الشرح الأدبي

إن للمجد ثمنه الغالي الذي يتطوع الإنسان بدفعه وإن الشجاعة قد تكلف صاحبها فقدان حياته ولكن الهوان لا يعفى صاحبة من ضريبة يدفعها وهو كاره حقير ومن ثم كما يقول الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي – فالأمة التي لا تربي بنيها في ساحة الجهاد تفقدهم أيام السلم والتي لا تقدم للحرية أبطالا وشهداء يقتلون وهم سادة كرام تقدم للمذلة والاستعباد رجالاً يشنقون وهم سفلة لئام في ضوء هذا المعنى، وذلك التصور نقرأ هذا الحديث الشريف قراءة تتطلع إلى قيمة الشهيد ودوره في إحياء أمجاد الأمة وصون عقيدتها وكرامتها ومن ثم فالحديث الشريف ينعى على هؤلاء الذين يتناهون عن الجهاد فساد سلوكهم وينذرهم بسوء المصير وسوء العافية فهم يموتون على شعبة من النفاق. والحديث يصاغ في قالب يتواءم مع دلالته. . حيث صيغ في أسلوب الشرط، والجزاء وهو يحدد مصير الذين لم يشاركوا في الغزو ولم يسعوا إلي ذلك ولم يتمنوا ذلك والمصير هو الموت على سفينة من النفاق، فجمله فعل الشرط في الحديث مات ولم يغز ولم يحدث نفسة بغزو ونلاحظ أن جمله الشرط هنا ممتدة ولها متعلقاتها ومكونة

---

(١) برقم (١٥٨/١٩١٠) وزاد: قال عبد الله بن المبارك: فنُرى انَّ ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ع ب).

من ثلاثة مراحل: الموت: وهو النهاية – وعدم الغزو: وهو حال الرجل في حياته وساعة مماته – ولم يحدث نفسه بغزو: وهذا هو حال سريرته، وحقيقة نيته وطبيعة مشاعره وجواب الشرط: وهو (مات على شعبة من النفاق) وتكرار الفعل " مات " في بداية الشرط وبداية الجواب. . يوحي بعدم جدوى حياة هذا الصنف من الناس فحياته لا قيمة لها. . وموته كشف حقيقته وأبان عن طبيعته. . فهو ينتمي لشجرة المنافقين التي تتعدد شعبها وتمتد فروعها لتحجب ضوء الحقيقة وتغمي عيون الضعفاء والجبناء الذين لم يفقهوا أسرار مقولة أبي بكر الصديق: احرص على الموت توهب لك الحياة، قال تعالى :" قل لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلاً " الأحزاب آية ١٦) رزقنا الشهادة وحسن الخاتمة.

فقه الحديث

١ – ساق مسلم بعد هذا الحديث الشريف قول عبدالله بن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ. وعقّب النووي على ذلك فقال: (وهذا الذي قال ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره: إنه عام والمراد أن من فعل ذلك فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.

وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها. وقد اختلف أصحابنا فيمن تمكن من الصلاة في أول وقتها فأخرها بنية أن يفعلها في أثنائه، فمات قبل فعلها أو أخّر الحج بعد التمكن إلى سنة أخرى فمات قبل فعله، هل يأثم أم لا؟ والأصح عندهم أنه يأثم في الحج دون الصلاة، لأن مدة الصلاة قريبة فلا تنسب إلى تفريط بالتأخير بخلاف الحج، وقيل: يأثم فيهما، وقيل: لا يأثم فيهما، وقيل: يأثم في الحج الشيخ دون الشاب، والله أعلم)[1].

٢ – قال الأمير الصنعاني: (فيه دليل على وجوب العزم على الجهاد وألحقوا به فعل كل واجب، قالوا: فإن كان من الواجبات المطلقة كالجهاد وجب العزم على فعله عند

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٩/١٣/٧ .

إمكانه، وإن كان من الواجبات المؤقتة وجب العزم على فعله عند دخول وقته. وإلى هذا ذهب جماعة من أئمة الأصول، وفي المسألة خلاف معروف)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الغزو وأهمية النية والعزم عليه.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: تنمية روح الجهاد لنصرة الإسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الغزو وأهمية النية والعزم عليه:

وذلك حيث جاء في الحديث: (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق)، قال الإمام النووي: "والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق، وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها"[٢].

وقال القاضي عياض: "وقوله: (من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق): بيّن فيه أن من منعه مانع من أداء فرض أو مسارعة إلى ركن من أركان الشرع أو سننه المشهورة، أن يكون على نيته فيه متى أمكنه فعل ذلك، وأن العزم على الشيء بدل من فعله إذا لم يتعين وقت فعله.

قوله: (مات على شعبة من نفاق): فسره في الكتاب ابن المبارك: أنه مخصوص بزمن النبي ﷺ، حيث كان الجهاد واجبًا، وحمله على النفاق الحقيقي. وقد يحتمل أنه على العموم، ويكون معنى هذا: أنه تشبه بأخلاق المنافقين التي منها التخلف عن الجهاد وهو أحد شعب النفاق وأخلاق المنافقين"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "وقوله: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٣٥.

على شعبة من النفاق) فيه ما يدل على أن من لم يتمكن من عمل الخير فينبغي له أن يعزم على فعله إذا تمكن منه وأن ينويه، فيكون ذلك بدلاً من فعله في تلك الحال. فأما إذا أخلى نفسه عن ذلك العمل ظاهرًا وباطنًا عن نيته، فذلك حال المنافق الذي لا يعمل الخير، ولا ينويه. وخصوصًا: الجهاد الذي به أعزّ الله الإسلام، وأظهر به الدين حتى علا على كل الأديان؛ ولو كره الكافرون.

وقوله: (شعبة من نفاق) أي: على خلق من أخلاق المنافقين"[١].

ومن خلال هذا يتضح أهمية استحضار النية والتطلع للجهاد في سبيل الله، جاء في الموسوعة الفقهية: "إن النية هي محط نظر الله تعالى من العبد، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[٢]، وإنما نظر إلى القلوب لأنها مَظِنَّة النية، وهذا هو سر اهتمام الشارع بالنية فأناط قبول العمل ورده وترتيب الثواب والعقاب بالنية، ومن فضيلة النية أن الهم بفعل الحسنة حسنة في ذاته يدل على ذلك قول النبي ﷺ: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً))[٣]، فالنية في نفسها خير، وإن تعذر العمل بعائق، والنية تعظم العمل وتصغره فقد ورد عن بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية، وإن الله تعالى يعين العبد ويوفقه للعمل على قدر نيته، فقد كتب سالم بن عبدالله إلى عمر بن عبدالعزيز: اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فمن تمت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره"[٤].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: تنمية روح الجهاد لنصرة الإسلام:

يتضح هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن تنمية روح الجهاد هدف رئيس من

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٥٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٣٠.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٦٣ - ٦٤.

أهداف الدعوة الإسلامية، وقد حث الله عليه في مواضع متعددة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾(٢)، وبيّن الله سبحانه وتعالى أن الجهاد هو التجارة الرابحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

وحثّ الله على الوحدة في القتال والجهاد فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٤)، "ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة وأصبح من لوازم الحياة الكريمة حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأمره جلّ وعلا والجهاد يضمن بقاء أمة الإسلام قوية مهابة الجانب يحسب لها الطامعون ألف حساب، وهذا الأثر لو لم يكن إلا هو فقد كفى"(٥).

إن الإسلام يحث أتباعه على بذل النفس والوسع والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله "ولما كان الجهاد هو الحجة والبرهان على صدق الإيمان، كانت منازل الناس عن ربهم في الدنيا والآخرة، حسب ما يقومون به من جهاد، وما يقدمونه من تضحيات فمن حاز قصب السبق منه، وجب على المجتمع المسلم أن يرفعه ويكرمه، ومن فترت همته عنه لم يجز تسويته بالمجاهدين.

فالجهاد قيمة عليا من القيم التي يتعامل بها المجتمع المسلم، وإنما كان العلم والتقوى من تلك القيم أيضًا، لأنها أنواع من الجهاد، لما في العلم من دوافع للجهاد،

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٣.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٤) سورة الصف، آية: ٤.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٢٤١.

ومعرفة طريقه، والتثبيت عليه، ولما في التقوى من جهاد النفس وإلزامها بطاعة الله وترك نواهيه سبحانه، وكذلك فإن العلم والتقوى ثمرة من ثمار الجهاد في سبيل الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾(١).

ولهذا كان رسول الله ﷺ أكرم الخلق وأكملهم عند الله لأنه كمل مراتب الجهاد كلها، وجاهد في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله وجاهد بقلبه وجنانه، ودعوته وبيانه، وسيفه وسنانه، وكانت ساعاته وأيامه وعمره موقوفة جميعها على الجهاد.

وإذا كان المسلم لا يمكنه أن يصل إلى تلك الرتبة العليا فينبغي أن يسير نحوها، وأن يحاول أن يقترب منها، وأن يأخذ من تلك المراتب الجهادية قسطًا وافرًا حتى يكون ممتثلاً لقول الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾(٢)، وحق الجهاد أن يستعمل العبد جميع ما أوتي من طاقة في جهاد نفسه وشيطانه وأهل الكفر والنفاق والمنكر في الأرض"(٣).

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (مات على شعبة من النفاق) وهذا ترهيب من هذه النهاية ولا شك أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو وترهبه من الوقوع في محظور، قال الشيخ محمد الغزالي: "وكما تقاد النفس عن طريق الرغبة تقاد عن طريق الرهبة فتكف عن الرذيلة وجلاً مما يعقبها من منغصات، أو تندفع إلى الفضيلة خوفًا من مغبة التراخي والتفريط"(٤).

ومن استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾(٥).

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) الجهاد "ميادينه وأساليبه"، د. محمد نعيم ياسين ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٤) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣١٦.

(٥) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ – ٢٢.

الحديث رقم (١٣٤٤)

١٣٤٤ - وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: كنا مَعَ النبيِّ ﷺ ، في غَزاةٍ فقالَ: ((**إنَّ بالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ**)) [١].

وفي رواية[٢] : ((**حَبَسَهُمُ العُذْرُ**)).

وفي رواية[٣] : ((**إلاَّ شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**)) رواه البخاريُّ من رواية أنس.

ورواه مسلم من رواية جابر واللفظ لَهُ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس من أحداث غزوة تبوك وبشارة محمدية لهؤلاء الذين لم يتخلفوا عن الجهاد خوفاً وجبناً ونفاقاً وإنما حبسهم العذر أو حبسهم المرض فهم ليسوا هؤلاء المنافقين الذين قالوا حين دعا رسول الله ﷺ لغزو بلاد الروم - لا تنفروا في الحر. . ورد الله عليهم (قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) وقد نزلت فى هؤلاء آيات كثيرة من سورة التوبة. ويبدأ الحديث بالتأكيد بقوله: إن بالمدينة لرجالاً والتأكيد هنا لإثبات صدق الخبر فى مقابل المنافقين الذين تقاعسوا لأسباب واهية ، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] ويصور الحديث مشقة السفر وعناء المكابدة في قوله: ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً ، - والتحرك إلى تبوك كان في وقت لم ينته فيه الصيف بعد والقيظ في أوائل الخريف يصل إلى درجات تجعله أشد من قيظ الصيف في هذه الصحارى إرهاقاً وقتلاً - كما يقول د. محمد حسين هيكل في كتابة - حياة محمد

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١/١٥٩) من حديث جابر.

(٢) أخرجها البخاري (٢٨٣٩ ، ٤٤٢٣) من حديث أنس.

(٣) أخرجها مسلم بعد حديث (١٩١١/١٥٩ ، بدون رقم) من حديث جابر. وتقدم برقم (٤).

- ثم يقول إن المشقة من المدينة إلى بلاد الشام طويلة شاقة تحتاج إلى الجلد وتحتاج إلى المؤنة وإلى الماء، ولذلك يبشر الحديث هؤلاء الذين فاتهم حظ الجهاد وكانوا على استعداد لتحمل مشاق السفر وتبعات الطريق، وقد أقبلوا على رسول الله يريدون أن يحملهم النبي ﷺ معه فحمل منهم ما استطاع واعتذر إلى الباقين وهم الذين نُوه بهم في هذا الحديث الشريف وقال: لا أجد ما أحملكم عليه. . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، وأسلوب التعريف في هذا الحديث يؤكد المعنى ويرشد إلى صدق العزم عند هؤلاء الذين حبسهم العذر ولم يجدوا ما يتجهزون به للقتال ولا ما يحملهم إلى ملاقاة العدو. والروايات الثلاث لختام الحديث كلها تتكامل في تتميم المعنى وشمولية الغرض فهؤلاء منهم من حبسه المرض ومنهم من حبسه الفقر ومنهم من حبستهم أحداث أخرى غير مرفوضة وكلهم شركاء في أجر الغازين والمجاهدين والشهداء الأبرار والصالحين الأخيار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤).

الحديث رقم (١٣٤٥)

١٣٤٥ - وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًا أتى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ[1].

وفي رواية[2]: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً.

وفي رواية[3]: يُقَاتِلُ غَضَبًا، فَمَنْ في سبيل الله؟ فقالَ رسولُ اللهِ: ((**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[4].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث ونستشف ما وراء التراكيب من أسرار. نجده يبدأ بالتأكيد في التمهيد لمضمون الحديث يقول الراوي: أن أعرابياً. . أتى النبي ﷺ فقال: ولم يعرف من هذا الأعرابي. . ولذلك جاء "منكراً "لأن المراد هو معرفة إجابة هذه الأسئلة وصفة "الأعرابي "تطلق على كل من سكن البادية عربياً كان أو غيره وقيل هو "لاحق بن ضمرة الباهلي "والعطف بالفاء في قوله: فقال: يدل على التتابع واللهفة لمعرفة الإجابة والنداء في قوله: يا رسول الله يدل على اهتمام الأعرابي وعلى اقتناعه بالإسلام وحبة للنبي ﷺ وحرصه على معرفة حكم الإسلام الصحيح في القضايا التي أثارها لأنه ناداه بصفة الرسالة وليس باسمه المجرد ولا بكنيته ولا بلقبه وإنما قال: يا رسول الله، واللام في قوله: الرجل: للعهد الذهني وليس المقصود

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم واللفظ له (١٩٠٤/١٤٩).

(٢) أخرجها البخاري (٧٤٥٨) بلفظ: (يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة) بتقديم وتأخير.

(٣) أخرجها البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤/١٥١).

(٤) أورده المنذري في ترغيبه (١٩٨٧) بدون ذكر اختلاف الألفاظ، بلفظ مسلم (١٩٠٤/١٤٩) بتمامه، وتقدم برقم (٨).

شخصاً بعينة. . لأن المفهوم المراد أعم، وأشمل ولنتأمل تكرار قوله: الرجل يقاتل "ثلاث مرات "وذلك لتأكيد وقوع "فعل القتال "ولكنه تنوع من شخص لآخر حسب النوايا والمقاصد والتعبير بالمضارع في قوله: يقاتل مع التكرار ثلاث مرات يوحى بتجدد هذا الفعل وتكراره في كل عصر ولكن النوازع والدوافع تختلف فالقتال قد يكون لمزيد من المكاسب المادية وقد يكون للشهرة والتمجيد والتغني بالبطولة والقيادة في حياته وبعد مماته وقد يكون القتال للمنافسة وإثبات الذات وأخذ الريادة في حركات التحرر والقتال وقد يكون بدافع العصبية والدفاع عن القبيلة أو الحدود الجغرافية المصطنعة أو بدافع الانتقام للنفس، وسؤال الأعرابي يجيء في نهاية تفصيل هذه المواقف وذلك للتشويق وتطلع المسامع والقلوب لمعرفة من المقبول من هؤلاء هو عند الله وتأتى إجابة رسول الله على خلاف مقتضى الظاهر وعلى غير المتوقع. فهو لم يحدد أحد هؤلاء الثلاثة. . وإنما أرسى قاعدة كلية شامله ليست مرتبطة بمكان السؤال ولا زمانه و لا بشخصه وإنما تصلح لتقويم كل تحرك للقتال في كل زمان ومكان، وجاءت الإجابة في صيغة الشرط والجزاء لتحدد قيمة الفعل وهدفه ثم جزاءه وموقعه من الله عز وجل وتأمل هذا البيان النبوي الحكيم البليغ. "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "فإعلاء كلمة الله. . هو المقصد أي إعلاء شأن العقيدة وراية التوحيد ويمكن أن يكون هذا الإعلاء لكلمة التوحيد مصحوباً بالغنائم التي تقوى شوكة المسلمين وكذلك يكون مقروناً بتمجيد أبطال الإسلام وقادته ومازلنا نذكر كل أبطال الفتوحات الإسلامية في كل العصور وما زلنا نشيد بالقادة العظام والفرسان الأماجد في ساحات الوغى وميادين الجهاد، صلى الله عليك يا رسول الله يا من أوتيت جوامع الكلم ويا من نصرت بالرعب. . بفضل تأييد الله عز وجل فهو القاهر فوق عبادة وهو القوى العزيز.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨) مع اختلاف في الفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٣٤٦)

١٣٤٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((**مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلاَّ كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهُمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إلاَّ تَمَّ لَهُمْ**[١] **أجُورهُمْ**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

غازية: تأنيث الغازي وهي - هاهنا - صفة لجماعة غازية[٣].

السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السريّ النفيس، وقيل: سموا بذلك لأنهم ينفذون سرًا وخفية[٤].

فتغنم: فتصيب غنيمة وهي ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب[٥].

تخفق: الإخفاق أن يغزوا فلا يغنموا شيئًا[٦].

الشرح الأدبي

إن الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الله أسمى ما يتطلع إليه المسلم الشجاع الجواد والبطل الكمي الهصور وهذا الحديث يفتح الطريق أمام هؤلاء الفرسان ليفوزوا

---

(١) (لهم) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (١٥٤/١٩٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٩٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ز و).

(٤)المرجع السابق في (س ر ى).

(٥)المرجع السابق في (غ ن م).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٠.

بالفردوس الأعلى من الجنة وليتم لهم أجرهم وليخلد في العالمين ذكرهم والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين متقابلتين في الحركة. . ولكنهما تلتقيان في دائرة واحدة، هي دائر ة الجهاد الخالص لوجه الله عز وجل والجملتان بينهما تشابه في الصياغة وتشابه في بعض المقاصد فهما صيغا في أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، والقصر هنا يفيد الحصر. . والتأكيد على ثواب كل من الفريقين ولكن الفريق الثاني ثوابه أتم وأكمل من الفريق الأول ومن أسرار بلاغة النبوة هنا. . "الحذف "حيث قال: ما من غازية "والتقدير ما من طائفة غازية وقوله "أو "للتنويع أو للشك من الراوي ولكنها للتنويع أقرب، واختيار الألفاظ له دلالته في ترسيخ المعنى وتقويته في البيان النبوي فكلمة (سرية) تدل على قطعة من الجيش: وهى بمعنى فاعله: أي سارية: والسرى: هو المشي ليلاً وذلك (الجيش يسرى ليلاً في خفية. . والجمع سرايا وسريات وقد تحمل هذه الكلمة في دلالتها معنى: إحراز الغنائم فهي توحي بالحركة "السير ليلاً "وتوحي بثمرة الحركة وهى الغنائم: حيث تتسق من "السرى وهو الخفاء، والتعبير بالمضارع المتوالي في هذه الأفعال (تغزو فتغنم وتسلم) يوحى بتتابع الحركة وسرعة المقاتلة وسرعة الانتصار وقوة المقاتلين والعطف بالفاء في قوله: تغزو فتغنم: يقوى من هذا التفسير: والعطف بالواو في قوله: فتغنم وتسلم. . يوحى باقتران الغنيمة بالسلامة وعدم الإصابات لأن الواو لمطلق الجمع وليست للترتيب ولا للتعبير "وقد "تفيد التحقيق، وقوله: تعجلوا "فيه إشارة إلى أن هذا المغنم ليس هو نهاية المطاف. . ولكن لابد من المكابدة والاستعداد واستشهاد بعض المقاتلين (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا. ...الآية) واختيار الفعل "تحفق" بما له من دلاله خاصة، يعد سراً من أسرار بلاغة النبوة: فالإخفاق - كما قال أهل اللغة: أن يغزوا. . فلا يغنموا شيئاً، وكذا كل طالب حاجة إذا لم تحصل له فقد أخفق: ومنه قولهم: أخفق الصائد: إذا لم يقع له صيد فالحديث لا يشير إلى الهزيمة في الحرب ولكنة يشير إلي الجهاد في سبيل الله والاستشهاد ولكن لا توجد غنائم وغنائم الشهداء والمصابين هي تمام أجورهم، والله يضاعف لمن يشاء وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المشاركة والخروج للغزو في سبيل الله.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على بذل الجهد والحرص على الشهادة أو النصر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المشاركة والخروج للغزو في سبيل الله:

حيث جاء في الحديث: (ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم تسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم).

قال النووي: "والإخفاق أن يغزو فلا يغنموا شيئًا، وكذلك كل طالب حاجة إذا لم تحصل فقد أخفق أما معنى الحديث: أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، هذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة رضي الله عنهم كقوله: ومنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها أي يجتنيها"[1].

قال القاضي عياض: "ذهب غير واحد أن هذا الحديث يعارض الحديث الوارد في قوله ﷺ: ((تَكَفَّلَ اللّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ. لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ. بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ))[2]، قالوا: قال القاضي: ذهب غير واحد أن هذا الحديث يعارض الحديث المتقدم في قوم مع ما قال: (من أجر وغنيمة). قالوا: ولا يصح أن تنتقص الغنيمة من أجورهم كما لم تنقص من أجر أهل بدر، وكانوا أفضل المجاهدين، وأفضلهم غنيمة، حتى قال بعضهم: لا يصح الحديث. وأبو حميد بن هانئ راوية ليس بمشهور، ورجحوا الحديث المتقدم عليه لشهرته وشهرة رجاله، لكن إدخال مسلم له من طريق

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٧٦.

يضعف قوله، قد ذكره البخاري في التاريخ، فقال: أبو حميد الخولاني مصري، سمع بعدالرحمن الحبلى، وعمرو بن مالك سمع من حيوة وابن وهب.

وقيل في الجمع بينهما: إن هذه التي أخفقت تزداد من الأجر بالأسف على ما فاتها من المغنم، ويضاعف لها كما يضاعف لمن أصيب بماله وأهله. وقيل: بل لعل الذي تعجل من أجره بالغنيمة في غنيمة أخذت على غير وجهها، وهذا بعيد لا يحتمله الحديث، وأصح ما يجمع فيه بين الحديثين أن الأول قال فيه: "لا يخرجه إلا للجهاد في سبيله وتصديق كلماته)، فهذا الذي ضمن له الجنة، أو يرد إلى بيته مع ما نال من أجر أو غنيمة. وهذا الحديث الآخر لم يشترط فيه هذا الشرط، فيحتمل أنه فيمن خرج بنية الجهاد وطلب المغنم فهذا شرك بما يجوز له الشريك فيه، وانقسمت نيته بين الوجهين فنقص أجره، والأول أخلص فكمل أجره.

وأوجه من هذا عندي في استعمال الحديثين على وجههما أيضًا: أن أجر المغانم بما فتح عليه من الدنيا وحساب ذلك عليه وتمتعه به في الدنيا وذهاب شظف عيشه في غزوة وبعده إذا قوبل، فمن أخفق ولم يصب منها شيئًا، وبقى على شظف عيشه والصبر على حالته في غزوة وجد أجر هذا أبدًا في ذلك وافيًا مطردًا بخلاف الأول، ومثله قوله في الحديث الآخر: ((فمنّا من مات لم يأكُلْ مِن أجرِهِ شيئًا، ومنّا مَن أَيْنَعَتْ له ثمرَتُهُ فهوَ يَهدِبُها))[1]، فكان هذا إذا لم يهدب ثمرة الدنيا والاتساع فيما فتح عليه من مغانمها، وبقى على حالته الأولى، كان أجره في الصبر والتقلل على ما كان عليه، فلما خالف لم يكن له ذلك الأجر، فكأنه نقص بما كان له في التقدير وكذلك هذا -والله أعلم.

ويدل على صحة هذا التأويل قوله: (إلا تعجلوا ثلثي أجرهم)، أي أنهم نالوا من الدنيا ما هو حساب ما فاتهم منها بقدر ثلثي الأجر، ولو كان نقصًا من الأجر في الأصل كان على ثلث أجر من لم يغنم، كما قال في صلاة القاعد على النصف من

(١) أخرجه مسلم ٧٣٥.

صلاة القائم، لما كان حظ الأجر في أصل العمل - والله أعلم. وأما على ما جاء في الحديث فيخفق ويصاب الإثم أجورهم فبين؛ لأن لهم أجر الجهاد كاملاً، وأجر ما فاتهم من الغنيمة، وأجر ما أصابهم من العدو، ونال منهم واستشهدوا، بخلاف من لم يصب الذي له أجر الجهاد فقط، ولا شك أن المصائب كثيرة الأجور، فكيف إذا كانت في ذات الله؟ فهي مضاعفة على تقدير ما جاء في الحديث من الثلثين وأكثر، فيكون معنى قوله في التي غنمت ولم تصب: (إنها تعجلت ثلثي أجورها)، بالإضافة إلى الأخرى إلى تضاعف أجرها عليها مرتين ساوتها في أجر الجهاد، وفضلت عليها بأجر الإخفاق وأجر الإصابة، فجاء نقصها عن درجتين من درجات هذه، كأنه تعجيل بما حصل لها من الدنيا والأخرى بخلافها، كما قال في الحديث المذكور قبل: (فمنا من لم يأكل من أجره شيئًا) على ما قدمناه"[(١)].

وقال ابن حجر: "جاء عن بعض المتأخرين حكمة لطيفة بالغة وذلك أن الله أعد للمجاهدين ثلاث كرامات: دنيويتان وأخروية ، فالدنيويتان السلامة والغنيمة والأخروية دخول الجنة، فإذا رجع سالما غانما فقد حصل له ثلثا ما أعد الله له وبقي له عند الله الثلث، وإن رجع بغير غنيمة عوضه الله عن ذلك ثوابا في مقابلة ما فاته، وكأن معنى الحديث أنه يقال للمجاهد: إذا فات عليك شيء من أمر الدنيا عوضتك عنه ثوابا، وأما الثواب المختص بالجهاد فهو حاصل للفريقين معا، قال: وغاية ما فيه عد ما يتعلق بالنعمتين الدنيويتين أجرًا بطريق المجاز، والله أعلم"[(٢)].

وجاء في فتح الملهم: "قوله: (إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة) ظاهره أن من غنم من المجاهدين انتقص أجره بقدر الثلثين من المجاهد الذي لم يغنم شيئًا. واستشكله بعض العلماء بأن الغنيمة نعمة من الله تعالى أحلّت لهذه الأمة فكيف ينتقص بها أجر الجهاد؟ ولو كانت منقصة للأجر لما تناولها الصحابة والتابعون والذين كانوا يطمعون في زيادة الأجر أكثر مما يطمعون في التمتع بالغنائم ولو كانت الغنيمة ينقص بها الأجر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٣٠ - ٣٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٢ - ١٣.

لما فضل أصحاب بدر على أصحاب أحد.

والحق أنه لا إشكال في حديث الباب، لأن الأجر على قدر المشقة والمصيبة، ولا شك أن من لم يسلم أو لم يغنم مصيبته أكثر ممن سلم وغنم، فكان ثوابه أعظم.

وأما ما ذكروا من حل الغنيمة لهذه الأمة والتمدح بها، وتناول السلف لها برغبة، فإن ذلك لا إشكال فيه لأن الحرمان من الغنيمة لهذه الأمة يؤجر عليها الغازي، وكذلك حال كل مصيبة، ولكن لا يجوز أن يتمنى الرجل مصيبة لزيادة الأجر، وإنما أمر بأن يسأل الله العافية. ثم إن في الغنيمة مصالح عظيمة من كونها قوة للمسلمين، فلا مانع من أن يغتفر لها بعض النقص في الأجر.

وكذلك الاستدلال بفضيلة أهل بدر على أهل أحد استدلال في محله، إذ مفاد الحديث الباب أن أهل بدر لو لم يغنموا شيئًا كان أجرهم أكثر مما حصل لهم بعد الغنيمة فالتقابل بين كمال الأجر ونقصانه لمن يغزو بنفسه إذا لم يغنم، أو يغزو فيغنم، ولا ينفي ذلك أن يكون حالهم أفضل من حال غيرهم من جهة أخرى. فأفضل الله سبحانه وتعالى أهل بدر على من بعدهم بحيث يفضل الغانم منهم على غير الغانم بعدهم فإن ذلك فضله يؤتيه من يشاء، والله سبحانه أعلم"[1].

وقال ابن علان: "وقوله: تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم، معناه: يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم، وقال القرطبي: ويحتمل أن هذه التي أخفقت إنما يزاد في أجرها لشدة ابتلائها وأسفها على ما فاتها من الظفر الغنيمة، قلت: فيه بُعد لأن الكامل من قاتل لإعلاء كلمة الله فهو باذل نفسه لله غير ناظر لعرض ولا غرض"[2].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على بذل الجهد والحرص على الشهادة أو النصر:

ويتضح هذا من سياق الحديث ومما لا شك فيه أن من الأهداف الرئيسة للدعوة حث المدعوين على بذل الجهد والحرص على الشهادة والنصر، وقد دلت الكثير من

---

(١) فتح الملهم ٣٦٨/٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٠ - ١٤٣١.

آيات القرآن الكريم على فضل الجهاد وبذل النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[٢].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: "إن الجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال وتزكو الخصال، وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، به يحفظ الدين الإسلامي، ويتسع وينصر الحق، ويخذل الباطل. ولقد صرح الله تعالى بفضل النفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة والخروج بالنفس بأن ذلك أعظم درجة عند الله فلا يفوز بالمطلوب، ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم يبشرهم ربهم رحمة منه وكرمًا وبرًا بهم، واعتناء ومحبة لهم بجنات لهم فيها نعيم مقيم مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى الذي منه ما أعده الله للمجاهدين في سبيله مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم"[٣].

"إن الدعوة الإسلامية تقوم على بذل الجهد، وهو حصيلة جهود الأفراد، وهو مظهر تخطيط القيادة التي تستفيد من جميع الطاقات فالدعوة جهاد والجهاد دعوة"[٤].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٢٠ - ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٩٢.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٣١.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم)، وقوله: (إلا تم أجورهم)، (وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحث المدعو على الإقدام على الطاعات، والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهي ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تتحقق للملتزم)(١)، ومن آيات الترغيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾(٢).

وفي الحديث رغّب النبي ﷺ في الجهاد وحث عليه من خلال بيان الأجر الذي يناله المجاهد في سبيل الله.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٣.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

الحديث رقم (١٣٤٧)

١٣٤٧ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه: أنَّ رجلاً، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ عز وجل)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة[2].

الشرح الأدبي

هذا مشهد حقيقي من مشاهد تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وإقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والحديث يبدأ بتأكيد الخبر (أن رجلاً قال)؛ لأن الموقف حقيقي، ولم يسم السائل لأن العبرة بالمنهج المتبع المأخوذ عن رسول الله وليس العبرة بالأشخاص، ولذلك ورد السائل في صيغة النكرة أن رجلاً قال، ولم يقل سأل لأن الرجل لا يسأل وإنما يطلب الإذن في السياحة وفعل الأمر هنا ليس على حقيقته، ائذن لي "وإنما هو التماس بالإذن، ولفظ "السياحة "من الألفاظ ذات الدلالة المشعة فالمراد من الإذن هو "مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وأصل الاشتقاق اللغوي من "السبح وهو الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وفى حديث الزكاة: ما سقى بالسبح العشر "وقيل السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة والترهيب وفى الحديث "لا سياحة في الإسلام "أراد - كما يقول ابن الأثير "مفارقة الأمصار وسكنى البراري وترك شهود الجمعة الجماعات "وقيل

---

(١) برقم (٢٤٨٦). وقال الحاكم (٢/٧٣): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٦٥٩): إسناده جيدٌ.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (س ي ح).

المراد بالسياحة عند بعض العلماء: الذين يسعون في الأرض بالشر والنميمة والإفساد بين الناس، وهذا الرأي لا يتسق مع دلاله الحديث واستفسار الصحابي. وإجابة النبي ﷺ تأتى مدعمة بالتأكيد حتى يتعمق المفهوم الجديد للسياحة في ذهن الرجل وفى أذهان كل المسلمين. وحتى يصبح سلوكاً عملياً (وهو الجهاد) والمشاركة في الفتوحات الإسلامية ولذلك جاءت إجابة رسول الله ليس بالمنع ولا بالإذن وإنما بتوضيح التصور الإسلامي للسياحة حسب المفهوم الواقعي الجديد الذي تتحرك في ظلاله الأمة كلها، "إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل "وإضافة أمة إلى ياء المتكلم. تشريف لهذه الأمة لأنها أمة رسول الله وهى خير امة أخرجت للناس أكرمها الله بالإسلام وأنعم عليها بخير الأنام سيدنا محمد علية الصلاة والسلام.

فقه الحديث

قال البهوتي: (والجهاد من السياحة المرغوب فيها، وأما السياحة في الأرض لا لمقصود شرعي، ولا إلى مكان معروف فمكروهة لأنهامن العبث)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استئذان النبي ﷺ في أمورهم.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتوجيههم لما ينفعهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استئذان النبي ﷺ في أمورهم:

حيث جاء في الحديث: (أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة)، ومما لا شك فيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ عن كل كبيرة وصغيرة في أمورهم وحياتهم، ذلك لأنهم يعرفون أن رسول الله ﷺ هو المبلغ عن وحي الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٢]، وهم في ذلك يستجيبون لأمر

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٥٩/٤.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

الله ﷻ في رد كل أمورهم إلى الله والرسول، قال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾(١)، قال شرف الحق العظيم آبادي: "والسياحة من ساح في الأرض يسيح إذا ذهب فيها، والمراد مفارقة الأمصار وسكنى البراري وترك الجمعة والجماعات، قال في السراج المنير: كأن هذا السائل استأذن النبي ﷺ في الذهاب في الأرض قهرًا لنفسه بمفارقة المألوفات والمباحات واللذات، وترك الجمعة والجماعات وتعليم العلم ونحوه فرد عليه ذلك كما رد على عثمان بن مظعون في التبتل"(٢).

وقال ابن علان: "والسائل أراد مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وأصله من السيح وهو الماء الجاري على وجه الأرض منبسطًا وقد رده ﷺ كما ردّ من أراد التبتل وهو الانقطاع عن النساء وترك النكاح لعبادة الله تعالى، قان ابن رسلان: ولعله محمول على أن السؤال كان في زمن تعين فيه الجهاد وكان السائل شجاعًا، قال: أما السياحة في الفلوات والإنسلاخ عما في النفس من الرعونات فلمن علم من نفسه الصبر على ذلك من غير تضييع من يعوله من أولاد وزوجات ففيها فضيلة بل هي من المأمورات"(٣).

والرسول عندما وجهّه إلى الجهاد فإنما أراد أن يرشده إلى الأفضل له في دنياه وأخراه "والسياحة مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وما دام هناك جهاد وتحققت القدرة عليه فإن التفرغ للعبادة والابتعاد عن تحمل المسؤوليات لا قيمة له ولا اعتبار وفيه: حكمة الإسلام، وحسن مواجهته للحياة وحسمه في الحكم على الأمور"(٤).

ثانيًا – من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتوجيههم لما ينفعهم:

يتضح هذا من الحديث: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل)، ويعتبر بيان الحقائق للمدعوين من أولى مهام الداعية لأنه عليها تقوم مهمة الدعوة إلى الله، وقد

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٨٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣١.

(٤) شرح رياض الصالحين ص ٦٥٢.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[١]، والداعية دائمًا يرشد المدعوين إلى ما ينفعهم لأنه حريص عليهم كما كان ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على توجيه المدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم، واستقبال أسئلتهم واستفساراتهم، ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ((إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)) قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[٣].

"إن قصة هذا الشاب المتوقد شبابًا وغريزة، تقدّم لنا نموذجًا رائعًا من الهدي النبوي في الدعوة إلى الله تعالى، ومعالجة مشكلات الناس النفسية والسلوكية..

فإن تغيير السلوك الفردي أو الاجتماعي ليس كتغيير شيء من الجماد عن موضعه.. وإن فطم النفس عن المعصية إذا ألفتها واعتادت عليها من أشق الأمور وأصعبها.. إنه

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٥٧/٥، رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، ٥٤٥/٣٦.

يصطدم بعقبات كثيرة في النفس والمجتمع، تمنع من أن تجري دعوة الحق وموجة الإصلاح على طبيعتها الهادية البينة، الوادعة المرسلة. فما لم يكن الداعية حكيمًا، واعيًا لهذه العقبات والعراقيل، عارفًا بدوافع النفوس وكوابحها، قادرًا على حسن توظيفها واستغلالها.. فإنه سرعان ما تفل عزيمته، ويدب اليأس إلى قلبه، وينكص على عقبيه، ويلقى على قارعة الطريق. والحادثة التي بين أيدينا تعطينا صورة جلية من المنهج النبوي الحكيم، في الدعوة إلى الله تعالى ومعالجة المشكلات، وبالأخص المشكلات النفسية السلوكية.

لقد جاء هذا الشاب يطلب منه أن يأذن له بالزنى، والزنى فعل قبيح مستهجن، دنيء وضيع يدل على خسة مرتكبه، وتفاهة فاعله، وقد يأنف من التصريح به من يفعله، ويغرق في قاذوراته، فكيف تجرأ هذا الشاب على أن يطلب من النبي ﷺ أن يأذن له به؟ ولم تمنعه هيبة النبي ﷺ من ذلك؟ فهلا من غير النبي ﷺ؟ من بعض أصحابه، ولو من كبارهم؟!

إن هذا الطلب المباشر من النبي ﷺ يدل على شدة توقد الغريزة في نفس هذا الشاب، أو على أنه قد اعتاد في جاهليته عليه، فهو لا يستطيع عنه فكاكًا.. فكيف عالجه النبي ﷺ؟ وكيف حرره من أسره وفساده؟

لقد أدناه ﷺ منه دنوًا شديدًا، وهذا ما يحمل دلالات متنوعة من الشفقة والرحمة، إلى المودة وبث الطمأنينة، وإشعاره بالأنس بالنبي ﷺ، ليكون التلقي عنه على أكمل وجه، وأقوى تأثير. ثم افتتح معه النبي ﷺ حوارًا صريحًا، فماذا كانت سمة ذلك الحوار؟ لقد كان حوارًا فطريًا عاطفيًا، إنه يقوم على الاستجاد برصيد الفطرة.. التي فطر الله الناس عليها التي تأبى على صاحبها أن يتمرد عليها، أو يشقى بها..

ولا يزال هذا المبدأ النبوي الحكيم: (أتحبه لأمك؟)، وهو مبدأ من مبادئ الفطرة السوية، مبدأ مفيدًا في الدعوة حاسمًا، مؤثرًا في جل الناس وأكثرهم.. ولا عبرة بمن انحرفت فطرهم، أو حاولوا المعاندة والمكابرة للحق في بعض المواقف، وقد يفعلون

ذلك، بل ويتبجحون به إلى حين.. ولكنهم في قرارة أنفسهم، لا يحبون الفساد لأهليهم وذويهم. ولا يرتضونه، ولو قدّر لهم الداعية الحكيم لفاءوا إلى الحق، وثابوا إلى رشدهم.

ومن الفوائد الدعوية المهمة في هذه الحادثة: خطر الانفصام بين الدعوة والفتوى، ونزوع العالم إلى تحرير الفتوى، دون أن يتحلى بروح المعلم المربي.. إنه لا بد للعالم أن يكون داعيًا مربيًا حكيمًا، قبل أن يكون مفتيًا أو قاضيًا.. وما كثر ما أفسدت الفتوى المتجردة عن روح الدعوة والتربية ولم تصلح، ونفرّت ولم تقرّب"(١).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في فعل الخير، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف يأتي علاجًا وردعًا، ويأتي بشيرًا ونذيرًا فإن من النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور ذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها ومن الناس من يلهث وراء الشهوات ويجري وراء المادة فهذا يقرعه الترهيب ويوقفه الإنذار"(٢).

وفي الحديث يرغب النبي ﷺ في الجهاد في سبيل الله من خلال بيان أنه سياحة هذه الأمة وأن المسلم يجب أن يصرف همته إليه ويحرص عليه.

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١١٦ - ١٢٠.

(٢) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

الحديث رقم (١٣٤٨)

١٣٤٨ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ)) رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

قفْلة: القفلة: الرجوع، والمراد: الرجوع من الغزو بعد فراغه، ومعناه: أنه يثاب في رجوعه بعد فراغه من الغزو[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في غاية الإيجاز حيث يتكون من كلمتين "قفلة كغزوة "والإيقاع فيها سريع. . وهما متساويان في الحروف ومتشابهان في الحركات ومتشابهان في النوعية فهما: اسما مرة: أي قفلة واحدة، وغزوة واحدة، والمثلية بينهما ليست تشبيهاً بيانياً وليست صورة في الفعل، وإنما المثلية هنا في الأجر والمثوبة، والقفول: الرجوع من السفر وحدد بعض العلماء دلالة القفول وخصوها بالجهاد فقالوا (القفول): رجوع الجند بعد الغزو فالرجوع ليس عن ضعف وإنما بعد انتصار مبين وهذا القفول يعقبه عود للغزو بعد الاستعداد والراحة التي تهيىء للمجاهدين أسباب النصر وبواعث القوة والفوز وسميت: القافلة "قافلة "تفاؤلاً بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، ودلاله الحديث تفيد أن أجر المجاهد في انصرافه إلى أهله بعد غزوة كأجره في إقباله إلى الجهاد: لأن في قفوله إراحة للنفس واستعدادا بالقوة للعود وحفظاً لأهله برجوعه إليهم وللحديث دلاله أخرى يشع بها نصه الموجز: حيث قيل: يحتمل أن يكون رسول الله سئل عن قوم قفلوا لخوفهم

---

(١) برقم (٢٤٨٧). وقال الحاكم (٧٣/٢): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) رياض الصالحين ٤٦٩.

أن يدهمهم من عدوهم من هو أكثر عدداً منهم فقفلوا ليستضيفوا لهم عدداً أخر من أصحابهم، ثم يكروا على عدوهم (١) ودلاله لفظ: غزوه "يشع بالحركة وقصد القتال: فالعرب تقول غزا الشيء غزواً أراده وطلبه، والغزو: القصد، والغزو: السير إلى قتال العدو وانتهابه: وقال ثعلب: إذا قيل غزاة فهو عمل سنة وإذا قيل "غزوة "فهي المرة الواحدة من الغزو، إن هذا الحديث نموذج للبيان النبوي الذي وصفه الجاحظ قائلاً: هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانية، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وجمع بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد والحث عليه.

أولاً - من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

حيث جاء في الحديث: (قفلة كغزوة)، ومما لا شك فيه أنه ﷺ أوتي جوامع الكلم فكان يعبر عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[1].

ولا يستطيع أحد أن يمارئ في بلوغ النبي ﷺ الغاية من البلاغة والفصاحة، وأوتي جوامع الكلم في التعبير قال الماوردي: "وليس يصح اختيار الكلام، إلا لمن أخذ نفسه بالبلاغة، وكلفها لزوم الفصاحة، حتى يصير متدربًا بها، معتادًا لها. فلا يأتي بكلام مستكره اللفظ، ولا مختل المعنى، لأن البلاغة ليست على معان مفردة، ولا لألفاظها غاية، وإنما البلاغة أن تكون المعاني الصحيحة، مستودعة في ألفاظ فصيحة، فتكون فصاحة الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة.

---

(١) أخرجه مسلم ٥٢٣.

وقد قيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: اختيار الكلام، وتصحيح الأقسام. وقيل ذلك للرومي. فقال: حسن الاختصار عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي فقال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل للعربي، فقال: ما حسن إيجازه وقل مجازه وقيل للبدوي، فقال: ما دون السحر، وفوق الشعر، يفتُ الخردل، ويحط الجندل. وقيل للحضري، فقال: ما كثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه.

وقال ابن المقفع: البلاغة قلة الحصر، والجراءة على البشر. وسأل الحجاج ابن القرية عن الإيجاز؟ قال: أن تقول فلا تُبطئ، وأن تصيب فلا تخطئ. قال الشاعر:

خَيْرُ الكلامِ قَليلُ ... على كَثيرٍ دَليلُ

والعِيُّ مَعنى قَصيرُ ... يَحويه لفظٌ طَويلُ

وفي الكلام فضولٌ ... وفيه قال وقيل[1]

ولقد استجمع النبي ﷺ شروط البلاغة في الكلام، قال القاضي عياض: "وأما كلامه المعتاد ﷺ وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يباري بلاغة"[2]، لقد فضل الله عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم، "فلقد كان ﷺ يتكلم؛ بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني أعطاه مفاتيح الكلام وهو ما يسره له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه، قال العز بن عبدالسلام: "ومن خصائصه أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارًا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد والحث عليه:

حيث جاء في الحديث: (قفلة كغزوة)، قال ابن الأثير: "والمراد أن أجر المجاهد في

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٦١/١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٥٩/١.

انصرافه إلى أهله بعد غزوه كأجره في إقباله إلى الجهاد لأن في قفوله راحة للنفس، واستعدادًا بالقوة للعود، حفظًا لأهله برجوعه إليهم، وقيل: أراد بذلك التعقيب وهو رجوعه ثانيًا في الوجه الذي جاء منه منصرفًا، وإن لم يلق عدوًا ولم يشهد قتالاً، وقيل: يحتمل أن يكون سئل عن قوم قفلوا لخوفهم أن يدهمهم من عدوهم من هو أكثر عددًا منهم فقفلوا ليستضيفوا إليهم عددًا آخر من أصحابهم ثم يكروا على عدوهم"(١).

وقال ابن علان: "والقفول هو الرجوع والمراد: الرجوع من الغزو وبعد فراغه، ومعنى الحديث بجملته: أنه يثاب في رجوعه بعد فراغه من الغزو كما يثاب في ذهابه إليه لما في القفول من معاني داعية للإثابة من راحة النفس وحفظ الأهل والاستعداد للعود"(٢)، ومما لا شك فيه أن الله عز وجل فضل المجاهدين في سبيله ووعدهم بالأجر الجزيل والثواب العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾(٤).

وقال الفيروزآبادي: "والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو قال الشاعر:

يا من يجاهد غازيًا أعداء دين الله ... يرجو أن يعان ويُنصرا
هل غشيت النفس غزوًا إنها ... أعدى عدوك كي تفوز وتظفرا
مهما عنيت جهادها وعنادها ... فلقد تعاطيت الجهاد الأكبرا

وقال آخر في الجهد ومعنييه:

تعاليت عن قدر المدائح صاعدًا ... فسيّان عفو القول عندك والجهد
وإني لأدري أنّ وصفك زائد ... على منطقي لكن على الواصف الجُهْد
وإنّ قليل القول يكثر وَقْعُه ... إذا عُرفت فيه الموالاة والودّ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ف ل).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٢.
(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.
(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

وورد الجهاد في القرآن على معانٍ:

الأول: مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة قال تعالى: ﴿جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[2].

الثاني: جهاد أهل الضلالة بالسيف والقتال، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4].

الثالث: مجاهدة مع النفس قال تعالى: ﴿وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾[5].

الرابع: مجاهدة مع الشيطان بالمخالفة طمعًا في الهداية قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[6].

الخامس: جهاد مع القلب لنيل الوصل والقرب، قال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[7].

والحق أن يقال: المجاهدة ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. ويدخل الأضرب الثلاثة في ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، والمجاهدة تكون باليد وباللسان. قال ﷺ: ((قوله تعالى جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُم وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُم))[8]،[9].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٣، وسورة التحريم، آية: ٩.
(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٢.
(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٨.
(٥) سورة العنكبوت، آية: ٦.
(٦) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.
(٧) سورة الحج، آية: ٧٨.
(٨) أخرجه أبو داود ٢٥٠٤، وصححه اللباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٨٦).
(٩) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/٤٠٢-٤٠٣.

الحديث رقم (١٣٤٩)

١٣٤٩ - وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوك تَلَقَّاهُ النَّاسُ، فَتَلَقَّيتُهُ[1] مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ. رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ صحيح بهذا اللفظ.

ورواه البخاريُّ[3] قَالَ: ذَهَبنا نَتَلَقَّى رسولَ اللهِ ﷺ، مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢٣٨).

غريب الألفاظ:

تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، بين الحجر وأول الشام، تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كم، وقد توجه النبي ﷺ ٩هـ إليها وهي آخر غزواته [4].

ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة المنورة يطؤها من يريد مكة المكرمة، فهي موضع وداع المسافرين من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة[5].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهداً من مشاهد العودة.. بعد أن منَّ الله على رسول الله بالنصر في غزوة "تبوك "وهذه الغزوة كانت كما يقول ابن هشام في السيرة النبوية "في زمان من عسرة الناس وشدة الحر وجدب من البلاد "وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

---

(١) لفظ أبي داود: (فلقيته).

(٢) برقم (٢٧٧٩). قال المنذري في مختصره (٢٦٦٢): فيه تمرين الصبيان على مكارم الأخلاق، واستجلاب الدعاء لهم.

(٣) برقم (٣٠٨٣). قلتُ: وأقرب منه، لفظ البخاري برقم (٤٤٢٧): أذكر أني خرجتُ مع الصبيان نتلقى النبي ﷺ إلى ثنية الوداع، مقدمه من غزوة تبوك.

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ص ٨٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٨.

وهذا التصوير للأجواء المصاحبة لغزوة تبوك اقتضى أن يصرح رسول الله بما يريد من غزو الروم، وكان رسول الله "قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم (١) ولذلك حينما قفل رسول الله من الغزو "تلقاه الناس "كما يصف هذا الحديث الشريف بالبشر والفرح والسرور، وكلمة (الناس) كلمة جامعة تشمل كل الطوائف (الرجال - النساء - الشباب - الشيوخ - الأطفال) وصيغة الفعل (تلقاه الناس) توحي باللهفة والشوق: حيث لم يقل لقيه الناس "وإنما تلقاه الناس "فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والتلقي ينبيء عن الحرص والشوق والتضعيف في "القاف "يدل على الكثرة والمزاحمة. . والشوق إلى اللقاء، ويصف السائب بن يزيد فرحته ولهفته فيقول (فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع) وتحديد المكان: يفيد الخروج، والاستعداد للقاء وانتظار رسول الله مع الجيش العائد المنتصر ومن الذين استقبلوه أو تلقوه (البكاؤون) الذين لم يجدوا لهم ما يحملهم عليه ومنهم المعذرون من الأعراب "الذين تخلفوا وبعضهم اعتذروا لرسول الله ولم يعذرهم الله تعالى "وبغزوة تبوك "كما يقول د. محمد حسين هيكل "تمت كلمة ربك في الجزيرة كلها وأمن محمد كل عادية عليه وأقبل سائر أهلها وفوداً علية يقدمون الطاعة ويعلنون لله الإسلام ولقد كانت هذه الغزوة خاتمة غزوات النبي ﷺ ومن بعدها أقام محمد علية السلام بالمدينة مغتبطاً بما أفاء الله عليه.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (في الحديث دليل على مشروعية تلقي الغازي إلى خارج البلد لما في الاتصال به من البركة والتيمن بطلعته، فإنه في تلك الحال ممن حرّمه الله على النار، وما في ذلك من التأنيس له والتطييب لخاطره، والترغيب لمن كان قاعدًا في الغزو)[1].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٤٩٠، وانظر: المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٣/١٧-١٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استقبال النبي ﷺ في رجوعه من غزوة تبوك.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك:

جاء في الحديث: (لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك)، قال ابن عبدالبر: "وخرج ﷺ في رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم وهي آخر غزاة غزاها ﷺ بنفسه وكان خروجه إلى غزوته تلك في حر شديد وحين طاب أول الثمر وفي عام جدب وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يتجاوزها، ثم انصرف وبنى رسول الله ﷺ بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجدًا، ولقد نزل من القرآن من سورة براءة وسورة الأحزاب ما يفضح المنافقين الذين كانوا يخذلون المسلمين في هذه الغزوة"[1].

وقال د. أبو شهبة" وبعد أن أقام النبي ﷺ بتبوك مدة استشار أصحابه رضي الله عنهم في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال الفاروق عمر رضي الله عنه: (إن كنت أمرت بالسير فسر)، فقال ﷺ: (لو كنت أمرت بالسير لما استشرت)، فقال عمر رضي الله عنه: (يا رسول الله إن للروم جموعًا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الإسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمرًا، فاستجود النبي ﷺ رأيه واتبع مشورته بالرجوع إلى المدينة فعادوا حامدين شاكرين"[2].

ولا ريب أن غزوة تبوك تمثل تاريخًا هامًا للدعوة الإسلامية وتمثل طورًا من أطوار تبليغ هذا الدين للعالمين، ونشره في كل بقعة من بقاع الأرض، ويدلل على جهاد النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، وتحملهم المشاق في سبيل الدعوة الإسلامية لتظل

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبدالبر ص ٢٣٨.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ٥٠٤/٢.

حية في القلوب، شاخصة للناظرين، متحركة في الدماء والعروق "إن الدعوة الإسلامية تقوم على بذل الجهد، وهو حصيلة جهود الأفراد، وهو مظهر تخطيط القيادة التي تستفيد من جميع الطاقات فلا يوجد في قاموسها (طاقات معطلة) ولا يخطر ببالها أن فردًا مهما كان وأيًا كان لا يستطيع أن يقدم شيئًا؛ فكل إنسان قد يكون له دور، وقد يتقن شيئًا لا يتقنه غيره، إنها دعوة تجاهد نفسها لتحافظ على أفرادها وتنميتهم، وتضم عناصر جديدة إليها، وهي دعوة تجاهد لتبليغ دين الله الذي يحتاجه الناس وهم في ضلال، وهي دعوة تجاهد لتفنيد شبهات المناوئين من الكافرين والمشركين والمنافقين والفاسقين والزنادقة، فجوانب الجهاد لا تتوقف بل هي متعددة متحركة عبر الزمان والمكان، تجاهد للتجديد ولمواجهة مكر أعداء الله تخطط وتدعو الله تعالى أن يوفقها لما فيه خير البلاد والعباد"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استقبال النبي ﷺ في رجوعه من غزوة تبوك:

وذلك حيث جاء في الحديث: (لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس فتلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع)، قال شرف الحق العظيم آبادي: "وتبوك موضع من بادية الشام قريب من مدين الذين بعث الله إليهم شعيبًا والثنية العقبة أو طريقها أو الجبل وسميت ثنية الوداع بالمدينة لأن من سافر إلى مكة كان يودع ويشيع إليها"[2].

قال محمد الغزالي: "وقدم رسول الله ﷺ المدينة ولاحت له معالمها من بعيد فقال: هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتسامع الناس بمقدمه فخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٣١ - ٣٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٨٦.

لقد قوبل جيش العسرة في مرجعه هذا بحفاوة بالغة إنه أكبر جيش خرج مع رسول الله ﷺ، إذ وصل تعداده لثلاثين ألفًا"[١].

ولحرص الصحابة رضي الله عنهم على استقبال النبي ﷺ عنون الإمام البخاري بابًا سماه: باب استقبال الغزاة وأورد فيه حديث ابن أبي مليكة: قال ابنُ الزُّبير لابنِ جَعفرٍ رضي الله عنهم: ((أتذكُرُ إذ تَلقَّينا رسولَ اللهِ ﷺ أنا وأنتَ وابنُ عباسٍ؟ قال: نعم، فحملنا وتركَكَ))[٢]، وحديث السائب بن يزيد رضي الله عنه: ((ذهبْنا نَتلقَّى رسولَ اللهِ ﷺ معَ الصِّبيانِ إلى ثَنِيَّة الوَداعِ))[٣].

قال ابن حجر: "والمراد باستقبال الغزاة أي عند رجوعهم وفي الحديث جواز الفخر بما يقع من إكرام النبي ﷺ، وثبوت الصحبة لابن جعفر ولابن الزبير وهما متقاربان في السن"[٤].

وجاء في كتاب المغازي من صحيح البخاري من حديث السائب بن يزيد أيضًا: ((أذكرُ أني خرجتُ مع الصِّبيانِ نتلقى النبيَّ ﷺ إلى ثنيَّةِ الوداع، مَقْدَمَهُ من غزوةِ تبوك))[٥].

قال ابن حجر: "أنكر الداودي كون ذلك مقدمة من غزوة تبوك وتبعه ابن القيم وقال: ثنية الوداع من جهة مكة لا من جهة تبوك، بل هي مقابلها كالمشرق والمغرب، قال: إلا أن يكون هناك ثنية أخرى في تلك الجهة، والثنية ما ارتفع في الأرض، وقيل الطريق في الجبل، قلت: لا يمنع كونها من جهة الحجاز أن يكون خروج المسافر إلى الشام من جهتها، وهذا واضح كما في دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى، وينتهي كلاهما إلى طريق واحدة، وقد روينا بسند منقطع في (الحلبيات) قول النسوة لما قدم النبي ﷺ المدينة: (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع) فقيل: كان ذلك عند قدومه في الهجرة وقيل عند قدومه من غزوة تبوك"[٦].

---

(١) فقه السيرة ٤٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٨٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٢/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٤٢٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٣٥/٧.

الحديث رقم (١٣٥٠)

١٣٥٠ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أهْلِهِ بِخَيرٍ، أصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَة[1] قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ)) رواه أَبُو داود[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

يخلف غازيًا في أهله بخير: يقوم بما كان يفعله من قضاء مصالحهم[3].

بقارعة: بداهية تهلكه، يقال: قرعه أمر إذا أتاه فجأة[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي. نجده يتكون من جملة واحدة. وهي جملة شرطية. تتسق مع دلالة الحديث حيث يتوعد النبي ﷺ أولئك الذين يتقاعسون عن الجهاد مثل المنافقين في غزوة تبوك، وغيرها من المعارك التي خاضها المسلمون علي امتداد تاريخ الإسلام وسيرته الجهادية، ويتوعد الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله، ويتوعد الذين لا يحمون الأهل والأموال والديار في غياب المجاهدين والمرابطين علي الثغور، بأن يصيبهم الله بقارعة قبل يوم القيامة. وفعل الشرط يتضمن ثلاث طوائف من الناس: فمنهم من لم يغز، ولم يحدث نفسه يغزو فهو

---

(١) قال أبوداود: (قال يزيد بن عبد ربه في حديثه: قبل يوم القيامة). رواه ابن ماجه (٢٧٦٢) بتمامه من رواية هشام بن عمار. والمؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه، حيث أورده هكذا، وعزاه إلى أبي داود، وابن ماجه.

(٢) برقم (٢٥٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٧٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٤) المرجع السابق في (ق ر ع).

يتعمد القعود عن الجهاد، وإذا قصر في المشاركة والقتال فأمامه مجال آخر وهو الجهاد بالمال.. وتجهيز الغزاة. . ولكنه لم يقم بذلك، وحذف حرف النفي لم. . يدل عليه ما قبله في الجملة الأولى، ويمكن أن يكون الحذف هنا إشارة إلي أن التجهيز غير منفي لمزيد من الترغيب في هذا المجال، وهذه المرحلة التي تحتاج إلي ثراء وغني - قد يفتقدها بعض الناس، ولكن يبقي أمامه المجال مفتوحا وهو الحراسة والحماية، ورعاية أهل المجاهدين. . وهو إن قام بهذا الصنيع له مثل اجر المجاهد. فجملة الشرط تتضمن المراحل الثلاث التي يمكن أن يشارك بها المسلم في الجهاد كل حسب طاقته وقدرته وإمكاناته، ولذلك يأتي جواب الشرط منذرا وعاصفا. . إذا لم يقتحم المسلم أي مجال من المجالات السابقة. . حيث يقول رسول الله محددا عقاب هذا المتقاعس عن الجهاد بكل ألوانه فيقول: أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة، وفاعل أصاب: لفظ الجلالة الله: وهو ظاهر لمزيد من الرهبة والخشية. . والتوعد والإنذار. والمادة اللغوية للفعل: أصاب بجد الفجيعة والألم: فمعني أصابه بكذا: فجعه به، وأصابهم الدهر بنفوسهم وأموالهم أي: فجعهم فيها، واختيار لفظ القارعة. . دون غيره للإشعار بالخوف والعذاب حتى يرتدع المتقاعسون عن منهجهم. . ويعودوا إلي النهج الصحيح. فالقارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، والمراد بها في الحديث، أصابه الله بداهية تهلكه، وقالوا: القارعة هي المصيبة التي لا تدع مالا ولا غيره، وهذا عقاب من الله عز وجل حيث يفقد ماله الذي ضن به، ويفقد كل ما يملك من أعوان وجاه، وهذا في الدنيا قبل يوم القيامة. . وهو من أسمائه: القارعة، والطامة الكبرى، والطارق، والحاقة، ولينصرن الله من ينصره إن الله القوي العزيز.

فقه الحديث

١ - ساق مسلم بعد هذا الحديث الشريف قول عبدالله بن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ. وعقّب النووي على ذلك فقال: (وهذا الذي قال ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره: إنه عام والمراد أن من فعل ذلك فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.

وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها. وقد اختلف أصحابنا فيمن تمكن من الصلاة في أول وقتها فأخرها بنية أن يفعلها في أثنائه، فمات قيل فعلها أو أخّر الحج بعد التمكن إلى سنة أخرى فمات قبل فعله، هل يأثم أم لا؟ والأصح عندهم أنه يأثم في الحج دون الصلاة، لأن مدة الصلاة قريبة فلا تنسب إلى تفريط بالتأخير بخلاف الحج، وقيل: يأثم فيهما، وقيل: لا يأثم فيهما، وقيل: يأثم في الحج الشيخ دون الشاب، والله أعلم)[1].

٢ - قال الأمير الصنعاني: (فيه دليل على وجوب العزم على الجهاد وألحقوا به فعل كل واجب، قالوا: فإن كان من الواجبات المطلقة كالجهاد وجب العزم على فعله عند إمكانه، وإن كان من الواجبات المؤقتة وجب العزم على فعله عند دخول وقته. وإلى هذا ذهب جماعة من أئمة الأصول، وفي المسألة خلاف معروف)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المشاركة في الغزو أو تجهيز الغزاة.

ثانيًا: من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المشاركة في الغزو أو تجهيز الغزاة:

حيث جاء في الحديث: (من لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة)، ولا شك أن في هذه حث على الغزو والقتال في سبيل الله وإلا فالمشاركة بالمال والإعانة للمجاهدين، قال شرف الحق العظيم آبادي: "وأصابه الله بقارعة، أي: بداهية مهلكة، قرعه أمر إذا أتاه فجأة"[3].

وقال ابن علان: "والمعنى: من لم يخرج للغزو، أو يهيئ أسباب السفر لمن يغزو، أو

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٩/١٣/٧ .

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ض ١٠٩٠.

يكون قائمًا بمصالح من غزا في أهله بخير أصابه الله بداهية تقرعه وتقلقه وأشار إلى تعجيلها بقوله: قبل يوم القيامة"(١).

قال ابن عثيمين: "وفي الحديث الحث على الغزو، وأن الإنسان إذا لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ولم يخلف غازيًا في أهله وماله فإنه تصيبه قارعة قبل يوم القيامة"(٢).

إن في هذا الحديث تحذيرًا من النكوص عن الجهاد في سبيل الله "من لم يخرج للجهاد أو يساعد المجاهدين بعمله أو ماله أو ينفق على أهله وعياله أصابه الله بداهية تقلقه وتقرعه وإن ظن أن ذلك طريق السلامة والنجاة" (٣).

ولا أدلّ على فضل تجهيز الغزاة وإعانتهم مما وقع في صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: ((مَا عِنْدِي)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))(٤).

قال النووي: "وقوله: (أبدع بي)، معناه: هلكت دابتي وهي مركوبي وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله"(٥).

لم يكن تحريض النبي ﷺ وحثه على الجهاد والغزو رغبة منه في سفك الدماء، واحتلال البلاد ولكن "لما أصبح للمسلمين دولة بالمدينة، ورضي أهلها جميعًا بالنبي ﷺ رئيسًا لها مسؤولاً عن أمنها وسلامتها، كان لا بد من حماية هذا الوضع من العدوان.

وما كانت قريش لتدع هذا المجتمع آمنًا، وقد أعلنت الحرب على الإسلام منذ ثلاثة عشر عامًا، فقاومت رسوله وآذته وهمت بقتله، وأصابت المؤمنين في أنفسهم وأموالهم، فلما هاجر بعضهم إلى الحبشة عز عليها أن يفلتوا من قبضتها، فبعثت وفدًا

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٢٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٤٥٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١٢١٥.

يحمل الهدايا إلى النجاشي ورجاله لإعادتهم، واعتبرت الهجرة إلى المدينة خطرًا كبيرًا على تجارتها إلى الشام وسلطانها بالجزيرة، ففزعت حين علمت ببيعة العقبة الكبرى في موسم الحج، وحاولت أن تبطش بالذين بايعوا رسول الله ﷺ من أهل يثرب ثم وقفت في سبيل الهجرة مصرة على أن تحول دونها بأي ثمن، فأجمعت على قتل النبي ﷺ ليلة هجرته، وحبست عددًا من المؤمنين وقيدتهم بالأغلال وسامتهم سوء العذاب واستولت على أموال الذين تمكنوا من الخروج من مكة وممتلكاتهم، فلم يكن من المتوقع أن ترضى بوضع المسلمين بالمدينة أو تسكت عليه، بل كان المؤكد أنها سوف تلجأ إلى العدوان المسلح على المدينة، وبهذا كانت ظروف المسلمين تحتم عليهم الدفاع عن أنفسهم والإذن لهم بالقتال، وقد أذن الله لهم به بعد الهجرة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

ثم حضّ القرآن على القتال لمقاومة الظلم وتحرير المستضعفين الذين كانوا يعذبون في مكة إكراهًا على الكفر وترك الإسلام، والذين كانوا يجأرون إلى الله بالشكوى والدعاء: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[2].

والآيات تحدد أسباب الحرب في دفع الظلم ونصرة المظلوم ومنع الفتنة في الدين، والإخراج من الوطن بغير حق، وكفالة حرية العبادة، وتعديدها لأماكنها: من صوامع وبيع للنصارى، وصلوات لليهود، ومساجد للمسلمين، يعني كفالة هذه الحرية لجميع الناس.

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٧٥.

ثم بين القرآن واجب المسلمين بعد النصر، والتمكين لهم في الأرض، في تطهير المجتمعات من الظلم والإثم، وإقامتها على الحق والعدل والخير، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾(١).

وبهذا حصر الإسلام الحرب في أضيق نطاق، وجعلها إنسانية الأسباب والأهداف، ليس فيها مظنة عدوان ولا مطامع"(٢).

ثانيًا- من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق:

حيث جاء في الحديث: (أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)، ويعتبر الإخبار عن الحقائق من أولى مهام الداعية لأن على الإخبار والبيان تقوم الدعوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٣)، وبالإخبار عن الحقائق تقوم الحجة على المدعوين: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾(٤).

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن من لم يشارك في الغزو، أو يجهز غازيًا، أو يتعاون في إعانة أهل الغازي برعايتهم والنفقة عليهم فإن الله عز وجل يصيبه بداهية عظيمة وقارعة كبيرة يوم القيامة.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (من لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف في أهله بخير أصابه الله)، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة الجواب.

---

(١) سورة الحج، آية: ٤١.

(٢) الجهاد في الإسلام، الشيخ: محمد شديد ص ٩١ - ٩٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) سورة التغابن، آية: ١٢.

وفي الحديث بيّن النبي ﷺ أن الجزاء من جنس العمل، وأن الشرط مقرون بجوابه وأن من تقاعس عن الجهاد والغزو، وبخل بماله عن إعانة المجاهدين وتجهيزهم، أو النفقة على أهلهم فإن جزاءه قارعة تصيبه يوم القيامة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو وترهبه من المخالفات الشرعية، "والترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله والترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة"[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، الآيتين: ٧٤ - ٧٥.

الحديث رقم (١٣٥١)

١٣٥١ - وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأنْفُسِكُمْ وَألْسِنَتِكُمْ)) رواه أبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن الجهاد في سبيل الله منهج إسلامي لا يحيد عنه إلا من ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم، وجعل علي أبصارهم غشاوة، ولذلك نجد هذا الحديث الشريف يصاغ في قالب الأمر. فهو يتكون من جملة واحدة ومتعلقاتها.. ويبدأها بفعل الأمر - جاهدوا والأمر للجماعة.. لأن الدفاع عن العقيدة مسؤولية الأمة كلها والمادة اللغوية للفعل، جاهد "تتسق مع دلالة الجهاد في كثير من معطياتها ومعانيها فالجهد والجهد: الطاقة، وقيل: الجهد بالفتح: المشقة وقيل المبالغة والغاية، وبالضم الوسع والطاقة، والدلالتان يجمعهما الجهاد في سبيل الله: لأن الجهاد مشقة وبذل. والعطف بالواو في الحديث الشريف ليس للاختبار ولكن للتنويع.. فالجهاد بالأموال والأنفس، والإعلام والتوعية.. وكشف مؤامرات أعداء الإسلام، ولا يمييز أحد هذه الأنواع عن الآخر ولذلك جاء العطف بالواو وهي لمطلق الجمع، ولم يجئ بأو أو الفاء: لأن أو تفيد الاختيار، والفاء تفيد الترتيب، والبيان النبوي في غاية الدقة، والحروف لها وظيفتها، والكلمات لها دلالتها المتسقة الدالة، والجمع في الكلمات الثلاثة يرشد إلي حتمية الاستعداد ماليا وجسمانيا.. وعقليا.. فالمال يوفر العدة والعتاد.. والمجاهد لابد أن يكون ذا خبرة قتالية ومدربا علي فنون القتال.. كذلك لابد أن يكون في جماعة المسلمين من يقدرون علي مهاجاة المشركين والتصدي لأفكارهم الخبيثة، ومؤامراتهم وتشويههم لمباديء الإسلام ورموزه وشخصياته وتاريخه.

---

(١) برقم (٢٥٠٤). وقال الحاكم (٢/٨١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

فقه الحديث

قال الأمير الصنعاني: (الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وهذا هو المفاد من عدة آيات في القرآن: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[(١)].

والجهاد باللسان بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى، وبالأصوات عند اللقاء والزجر ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[(٢)] وقال ﷺ لحسان: ((إن هجو الكفار أشد عليهم من وقع النبل))[(٣)])[(٤)].

وقال الشوكاني: (فيه دليل على وجوب المجاهدة للكفار بالأموال والأيدي والألسن. وقد ثبت الأمر القرآني بالجهاد بالأنفس والأموال في مواضع، وظاهر الأمر الوجوب)[(٥)].

وقال ابن حجر: (والتحقيق أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده أو بلسانه وإما بماله وإما بقلبه، والله أعلم)[(٦)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أثر الجهاد في نشر الدعوة.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٩٠.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٤٧٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٦.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر :

حيث جاء في الحديث: (جاهدوا المشركين)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤكد للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة تنفيذه والاستجابة له، خاصة إذا كان من الأعلى للأدنى، وأما إذا كان من المساوي للمساوي فهو التماس، وإذا كان من الأدنى للأعلى فهو دعاء.

ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2].

وقوله جلّ شأنه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[4].

والداعية الناجح هو الذي يستخدم أسلوب الأمر في وقته المناسب ويراعي أصناف المدعوين، ومن يوجه لهم الأمر حتى يضمن الاستجابة لدعوته وتوجيهه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان:

يتضح هذا من الحديث: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)، قال شرف الحق العظيم آبادي: "الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وباللسان بإقامة الحجة عليهم ودعاؤهم إلى الله تعالى والزجر ونحوه من كل ما فيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

نكاية للعدو، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[1]"[2].

وقال السيوطي: "قال المنذري: يحتمل أن يريد بقوله: (وألسنتكم، الهجاء ويؤيده قوله فهو أسرع فيهم من نضح النبل ويحتمل أن يريد به حض الناس على الجهاد وترغيبهم فيه وبيان فضائله لهم"[3].

وقال السندي: "وقوله: (وألسنتكم)، أي: بإقامة الحجج وبالذم وبالشعر وبالنهي والزجر"[4].

جاء في موسوعة فقه القلوب: "والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس، وكلاهما مطلوب من العبد، والجهاد باللسان مقدم على الجهاد بالسيف، وكلاهما مطلوب من العبد.

فمن كان له مال وهو يقدر على الجهاد بنفسه وجب عليه الجميع، وإن كان لا يقدر بنفسه وله مال وجب عليه الجهاد بماله.

فإن كان لا يقدر بالمال ولا بالنفس فالحرج عنه مرفوع كما قال سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، والجهاد فريضة من فرائض الله إذا قامت أسبابه، فإذا تركته الأمة وأقبلت على الدنيا هلكت كما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6].

ويجب على المسلمين أن يقوموا بما أمرهم الله به من جهاد أعدائهم بحسب

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٩٠.

(٣) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٦/٣١٤.

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي ٦/٣١٤.

(٥) سورة التوبة، آية: ٩١.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

استطاعتهم، وأن يتوكلوا على الله وحده ولا ينظروا إلى قوتهم وكثرتهم ولا يركنوا إليها، فإن ذلك من الشرك الخفي، ومن أسباب إدالة العدو عليهم، ووهنهم عن لقاء العدو، لأن الله أمرنا بفل الأسباب، ولكن لا نركن إليها، بل نتوكل على الله وحده كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

وعلينا ألا نغتر بأهل الكفر، ولا بما أعطوه من القوة والعدة، فإن المسلمين يقاتلون بأعمالهم، فإن أصلحوها وصلحت وعلم الله منهم الصدق والإخلاص أعانهم ونصرهم على عدوهم وأذل أعداءهم وخذلهم، فالخلق كلهم عبيده، ونواصيهم بيده، وهو القوي الذي لا يقهر، والعزيز الذي لا يغلب ينصر أولياءه، ويخذل أعداءه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

ومن كفر سلّط الله عليه العذاب الشقاء، وعذبه في دنياه بالأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾(٣).

والله عز وجل أمر المؤمنين أن يجاهدوا الكفار لا طمعًا في أرضهم وأموالهم، إنما يجاهدونهم لأجل إنقاذهم من النار إن أسلموا، ولأجل كف ظلمهم وإراحة المسلمين من شرهم وتطهير الأرض من شركهم وكفرهم كما قال سبحانه: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾(٤).

وقد شرع الله القتال في الإسلام وأذن به لتحقيق أهداف كثيرة:

---

(١) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٥.

(٤) سورة الأنفال، الآيتين: ٣٩ - ٤٠.

أحدها: الدفاع عن المؤمنين، وحفظهم من الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم أموالهم ودينهم.

الثاني: تقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة، فقد جاء الإسلام بهذا الخير ليهديه للبشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وقلوبها، ثم من شاء بعد البيان أن يؤمن أو يكفر.

فمن وقف في وجه من يقوم بذلك، ومنع الناس من الاستماع للدين والحق، أو صدهم عنه، فهذا يجب قتاله لأنه منع الناس من قول الحق، وسماع الحق، والعمل بالحق.

الثالث: إقامة خلافة الله في أرضه، ليعبد الله وحده لا شريك له، وتمتثل أوامره وحده، وتقرير ذلك وحمايته.

فالإسلام هو نظام الحياة المنزل من عند الله، وهو الذي يقرر حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان، فيقرر عبودية الله، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر، وهذا الدين لا يقوم إلا بجهد وجهاد، فلا بد له من أهل يبذلون جهدهم لتعريف الناس به، وتعليمهم إياه وردهم إليه.

لا بد من جهد بالحسنى حين يكون الضالون أفرادًا ضالين يحتاجون إلى الإرشاد والإنارة.

وبالقوة حين تكون القوة الباغية في طريق الناس هي التي تصدهم عن الهدى وتعطيل دين الله أن يوجد، وتعوق شريعة الله أن تقوم.

وعدة الإنسان في الحياة والجهاد والقتال هي الإيمان فالإيمان زاده وهو الذي يحركه، وهو الذي يحفظه، وبه يحصل له النصر والأمن، سواء كانت معه الأسباب أو لم تكن.

ولا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض، وأهم ما تصنعه هذه القوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يصدون عنها، ولا يفتنون بعد اعتناقها، وأن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون في الاعتداء على دار الإسلام، وأن

تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، وتظلم العباد، وتحكم الناس بغير ما أنزل الله وتصد عن سبيل الله"[(١)].

قال ابن عثيمين: "وفي الحديث الحث على جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان: بالمال أي أن يبذل الإنسان مالاً يساعد به المجاهدين، أو يشتري به سلاحًا أو غير ذلك. والنفس بأن يخرج بنفسه يقاتل واللسان: بأن يهجوهم بالقصائد والأشعار لأن هجو المشركين يؤثر فيهم ويكون ذكرى سيئة في حقهم إلى ما شاء الله ونحن نسمع إلى الآن هجاء حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وغيرهم للمشركين"[(٢)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أثر الجهاد في نشر الدعوة:

يتضح هذا من سياق الحديث، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالجهاد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[(٣)]، "والجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة والجهاد دليل واضح وقاطع على الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وفي الجهاد عزة وقوة للمسلمين وفخر لهم، والجهاد في مقدمة عوامل الاتحاد والائتلاف بين أمة الإسلام، لأن المسلمين يخرجون تحت راية واحدة ولهدف واحد والجهاد محصلته الفوز أو الشهادة[(٤)].

قال ابن القيم: "وأما جهاد الكفار والمنافقين فمراتبه أربعة: بالقلب، واللسان، والمال والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان. وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فعلى ثلاث مرات: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، وجهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم من أهل البدع فهو فرض كفاية قد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد،

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٣/٢٥٠٠ - ٢٥٠٣ بتصرف.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٥٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٣.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٢٤١ - ٢٤٢.

وأكمل الخلق عند الله تعالى من كمّل مراتب الجهاد كلها، وهم متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في هذه المراتب"(١).

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: "قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم. وقال العز بن عبدالسلام: إذا كانت مشقة الغبار عاصمة من عذاب النار فما الظن بمن بذل ماله، وغرّر بنفسه في قتال الكفار. وقال نقلاً عن بعض أهل العلم: إن أتم الشرائع وأكمل النواميس هوالشرع الذي يؤمر فيه بالجهاد"(٢).

(إن لفظ الجهاد له معنيان:

أحدهما: بمعنى بذل الجهد لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، بالدعوة إلى الله والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه في الآيات المكية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(٤).

فهذا كله وما في معناه كله بمعنى الدعوة إلى الله وبذل الجهد في نشر دينه.

الثاني: الجهاد بمعنى القتال كما هو غالب في الآيات المدنية كقوله سبحانه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٥).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/١١ - ١٢.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤/١٥٠٤.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٤) سورة الفرقان، الآيتان: ٥١ - ٥٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤١.

رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

فالجهاد بمعنى الدعوة حسن لذاته.. والجهاد بمعنى القتال حسن لغيره.

فالله خلق الخلق لعبادته وطاعته، وأرسل رسله لإبلاغ شرعه إلى عباده، وأنزل كتبه ليهتدي بها الناس إلى ربهم.

فمن استجاب فآمن بالله وعمل بشرعه فهو من المؤمنين.. ومن أبى الإسلام فعليه أن يدفع الجزية مقابل رعايته في المجتمع الإسلامي.. فإن أبى الإسلام وأبى دفع الجزية فهذا مستكبر معاند، مؤذ ظالم كافر غير شاكر، عاصٍ غير مطيع، يجب قتاله حتى يكون الدين كله لله.

فالقتال في سبيل الله له أسباب، وله أوامر وله أوقات وله أحوال.

والدعوة إلى الله مشروعة ومفتوحة كل وقت لكل مسلم ومسلمة، والإسلام جاء لهداية الناس ورحمتهم ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له.

فالدعوة إلى الله واجبة على المسلمين في جميع الأوقات والأحوال ليلاً ونهارًا. سرًا وجهارًا، حال الأمن وحال الخوف، حال الإقامة وحال السفر، والنبي ﷺ أعطاها أكثر الوقت، وهي مسؤولية الأمة بعده.

أما الجهاد في سبيل الله فيشرع عند اللزوم، بل هو واجب لدفع عدو عن المسلمين، وقتال معاند، ونصر مظلوم، وحماية المسلمين ورفع الظلم عنهم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

فنوح عليه السلام دعا إلى الله ولم يقاتل، وهود، وصالح، وإبراهيم ولوط، وإسماعيل، وإسحق، وموسى، وعيسى عليهم السلام، جميع هؤلاء الأنبياء دعوا إلى الله، ولم يؤمروا بقتال، وقاتل داود عليه السلام من أنبياء الله بني إسرائيل.

ثم منّ الله على هذه الأمة بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فدعا إلى الله، ولما أوذي والمؤمنون معه أذن الله لهم بالقتال بعد الهجرة إلى المدينة كما قال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾(١).

ولما أظهر الله دينه، وأعز أهله، وصارت لهم دار في المدينة، وقويت شوكتهم، عظم ذلك على الكفار، فزاد شرهم وظلمهم، وعظم كيدهم وطغيانهم، فحملوا سيوفهم وركبوا خيلهم للقضاء على الإسلام وأهله والدعاة إليه، واجتمع المشركون كافة لإبادة المسلمين كافة، فحيئذ شرع الله للمسلمين قتالهم كما قال سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

وكلما احتاج المسلمون في عهد النبي ﷺ إلى القتال بسبب ظلم الكفار لهم، وصدهم عن سبيل الله، شرعه الله لهم، وأمرهم به ورغبهم فيه لإعلاء كلمة الله كما قال سبحانه: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٣).

وقد جاهد المسلمون مع النبي ﷺ لرد كيد الكفار، وصد عدوانهم، ومنعهم من الصد عن سبيل الله كما حصل في بدر وأحد، والأحزاب، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة والطائف وغيرها كما قال سبحانه: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٤).

وقد فرض الله الجهاد في سبيل الله على المسلمين كافة كما فرض عليهم الصلاة والزكاة، فلا يحل لأحد أن يتخلف عنه إلا من عذر كما قال سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٤.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

والدعوة إلى الله كالمطر للنبات، فإذا لم يوجد مطر لا يوجد نبات ولا حيوان، وكذلك إذا لم توجد الدعوة لا يعرف الناس الإيمان، ولا العبادات كالصلاة والزكاة، والصيام والحج وغيرها، ولا يعرفون المعاملات والآداب والأخلاق والسنن والأحكام.

فالصلاة لها وقت، والصيام له وقت، والحج له وقت، والجهاد له وقت والدعوة إلى الله كل الوقت لأنها أم الأعمال، وهي من وظيفة كل فرد من الأمة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣)(٤).

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٤) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٣/٢٤٩٠ - ٢٤٩٣.

الحديث رقم (١٣٥٢)

١٣٥٢ - وعن أَبي عمرو -ويقالُ: أَبُو حكيمٍ- النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن ﷺ قَالَ: شَهِدْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ من أوَّلِ النَّهَارِ أخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

النعمان بن مُقَرِّن: وهو النعمان بن مُقَرِّن، وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن مِيْجَا بن هجير بن حُبْشِية بن كعب، المزني، الصحابي، الأمير، الشهيد، يكنى أبا عمر وقيل أبو حكيم، روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة، وقدم في وفد في قومه مزينة لمبايعة رسول الله ﷺ على الإسلام فروى عنه أنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربع مائة من مزينة...))[2] وذكره ابن سعد في الطبقات في وفد مزينة.

وروى ابن عبدالبر في الاستيعاب عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: ((إن للإيمان بيوتًا، وللنفاق بيوتًا، وإن بيت بني مُقرِّن من بيوت الإيمان)).

وأول مشاهد النعمان بن مقرن مع رسول الله ﷺ الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان، وكان معه لواء مُزَينة يوم فتح مكة.

سكن البصرة، وتحول عنها إلى الكوفة، فوجهه سعد إلى "كَسْكَر" فصالح أهل زندورد، وقدم المدينة بفتح القادسية، وورد حينئذ على عُمرَ بن الخطاب اجتماع أهل أصبهان وهمذان والرَّيّ وأذربيجان ونهاوند فأقلقه ذلك، وشاور أصحاب النبي ﷺ وكتب إلى أهل الكوفة والبصرة بأن يسير ثلثاهم، وقال لأستعملنَّ عليهم رجلاً يكون لها فخرج إلى المسجد فرأى النعمان بن مقرن يصلي، فلما فرغ من صلاته، قال له عمر: إني مُستعْمِلُك، فقال: أمّا جابيًا فلا، وأما غازيًا فنعم، قال: فإنك غاز،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٥٥)، والترمذي (١٦١٣). قلتُ: يستدرك على المؤلف بأنه أخرج البخاري (٣١٦٠) هذا الحديث عن النعمان بن مقرن، ولفظه: (ربَّما أشهدك الله مثلها مع رسول الله ﷺ، كان إذا لم يقاتل في أول النهار، انتظر حتّى تهب الأرواح، وتحضر الصلوات.

(٢) أخرجه أحمد ٤٤٥/٥، رقم ٢٣٧٤٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٥٥/٣٩.

فأمره بالمسير والتقدم على الجيش في قتال الفرس، وقال عمر: إن قتل النعمان فحذيفة والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس، وجرير وعبدالله بن عمر، وغيرهم تحت لوائه، ففتح الله عليهم "أصبهان" فلما أتى نهاوند، قال النعمان: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يُقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياحُ ويَنْزلَ النصر))[1] اللهم ارزق النعمان الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم، فأمَّن القوم، وقال: إذا هززتُ اللواءَ ثلاثًا فاحملوا مع الثالثة، وإن قُتِلتُ فلا يلوي أحد على أحد، فلما هزَّ اللواءَ الثالثة حمل الناس معه، فقُتِل، وكان أول شهيد، وأخذ الراية حذيفةُ ففتح الله عليهم، وكانت وقعة "نهاوند" يوم جمعة سنة (٢١)، ولما جاء نعيه إلى عمر خرج إلى الناس فنعاه إليهم على المنبر ووضع يده على رأسه يبكي[2].

غريب الألفاظ:

تزول الشمس: تميل عن منتصف السماء[3].

الشرح الأدبي

هذه شهادة صادقة من صحابي جليل له خبرة بفنون القتال وأوقاتها. . وقد استشهد بنهاوند سنة احدي وعشرين هـ، في عصر الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس والروم،

---

(١) الترمذي، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، ص (٣٨٠)، حديث رقم (١٦١٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي، المشكاة (٣٩٣٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٢٩١/١، ٢٩٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٧٢١، ٧٢٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٢٣/٥، ٣٢٤)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٣٣٣، ١٣٣٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤٠٣/١، ٤٠٤)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٤٨/٧، ٣٤٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٣٢/٤، ٢٣٣)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٢٢/٨)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٩٠٢/٣).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ز و ل).

ولذلك يقول: شهدت رسول الله ﷺ. . أي رأيت رأي العين وشاركت في ذلك ولم يقل علمت، ولا: كان رسول الله فاختيار الفعل شهدت له دلالة المشاركة. . والمشاهدة حيث يقال: فلان شهد المعارك كلها، وأسلوب الشرط يفيد التحقق حيث استخدم أداة الشرط إذا. . فرسول الله ﷺ يقاتل صباحا أو بعد وقت الزوال، واختيار وقت القتال ينبيء عن خبرة باستراتيجية الحرب. . والإعداد لها. . والتخطيط المحكم لها من كل الجوانب وقوله: أول النهار إشارة إلي وقت البكور حال برد الصبح وهبوب نسماته، وقوله حتى تزول الشمس: لا يعني: زوالها: أي فناءها: ولكن يدل علي وقت الزوال. . وهو حين تنتعل المطي ظلالها. . أو أن يصير ظل كل شيء مثله وقوله: وتهب الرياح: فيه إشارة إلي عنصر ملاءمة المكان والزمان لجو القتال: وقيل أن جواب الشرط في الحديث إفادته تسهيل لبس السلاح علي المقاتلة، وكذلك إتاحة الكر والفر في ميدان القتال للخيل التي يمتطيها الفرسان، واختيار الرياح "في صيغة الجمع أما الريح فهي كثيرا ما تأتي في سياق الإنذار والهلاك. وقال ابن رسلان وحريه ﷺ: عند هبوب الرياح استنصار بما نصره الله من الرياح حيث قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ن وقوله وينزل بالنصر إشارة إلي أن النصر من عند الله. . وإسناد النزول إلي النصر مجاز مرسل وفيه تشخيص للنصر وتجسيد له. . وكأنه كائنا مشاهدا ينعم به المؤمنون. . وما النصر إلا من عند الله، ولينصر الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

فقه الحديث

بوّب البخاري بابًا في كتاب الجهاد، بعنوان: باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس[١].

قال ابن حجر: (لأن الرياح تهب غالبًا بعد الزوال فيحصل بها تبريد حدة السلاح والحرب وزيادة في النشاط)[٢].

---

(١) وساق تحته حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه، برقمي ٢٩٦٥، ٢٩٦٦، وهو الحديث المتقدم في الرياض برقم ٥٣، ١٣٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧/١٢٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحين النبي ﷺ الأوقات المناسبة للقتال.

ثانيًا: من حكمة الداعية: تحري الأوقات والظروف المناسبة للدعوة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تحين النبي ﷺ الأوقات المناسبة للقتال:

إن من حكمة النبي ﷺ أنه كان يختار الوقت المناسب للقتال، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (شهدتُ رسولَ الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر)، قال الطيبي: "وفي ترك النبي ﷺ القتال في الأوقات المذكورة كان لاشتغالهم بالصلوات فيها اللهم إلا بعد العصر فإن هذا الوقت يستثنى فيها لحصول النصر فيه لبعض الأنبياء عليهم السلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((غَزا نبيٌّ منَ الأنبياءِ فدَنا منَ القَريةِ صلاةَ العصرِ أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنكِ مأمورةٌ وأنا مأمور، اللهمَّ احبِسْها علينا، فحُبِسَت حتّى فتحَ اللّهُ عليهم))[١]، ولعل لهذا السر كان الاجتهاد في القتال في هذا الوقت أشد وتحريه فيه أكمل"[٢].

وقال المباركفوري: "والحكمة في إمساك النبي ﷺ عن القتال إلى الزوال لأجل أن تجيء أو تهيج الريح ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلواتهم أي في أوقات فراغها أو في أثناءها بالقنوت عند النوازل"[٣].

وقال شرف الحق العظيم آبادي: "وقوله: (حتى تزول الشمس) ظاهر هذا أن التأخير ليدخل وقت الصلاة لكونه مَظِنَّة الإجابة، وهبوب الريح قد وقع النصر به في الأحزاب فصار مظنة ذلك"[٤].

وقال ابن علان: "وقوله: إذا لم يقاتل من أول النهار، أي حال برد الصبح وهبوب

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٢٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٥٧/٧ - ٣٥٨.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٢/١.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ص ١١٢٣.

نسماته أخر القتال حتى تزول الشمس من كبد السماء إلى جهة المغرب، وذلك ليبرد الوقت ويسهل لبس السلاح على المقاتلة، وعلى الخيل الكر والفر ويكون مع ذلك النصر بالتأييد الإلهي، قال ابن رسلان: وحريه عند هبوب الرياح استبشار بما نصره الله من الرياح وهذا مفهوم من قوله في الحديث: ((نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ))[١]، ويرجو أن يهلك الله أعاديه بالدبور كما أهلك عادًا بها ونصر بالصبا"[٢].

ثانيًا - من حكمة الداعية: تحري الأوقات والظروف المناسبة للدعوة:

إن الداعية الناجح يختار الوقت المناسب والظرف المناسب لإلقاء دعوته حتى تجد صدًى لدى نفوس المدعوين، ويتضح هذا من سياق الحديث، وإذا كان النبي ﷺ يتحرى الأوقات المناسبة للقتال والتي يرجو فيها النصر أيضًا فإنه من حكمة الداعية أن يتحرى الأوقات المناسبة لظروف المدعوين ليعرض دعوته، "وعلى الداعي أن يترقب الفرصة المناسبة لنشر الدعوة ترقب الفلاحين لنزول المطر، واعتدال الجو، ومواتاة الطقوس وإذا أتاح الله له فرصة ما تلائم عرض الدعوة فلا يجوز له أن يدعها تضيع هدرًا، بل يبادر في استعمالها في أكبر غاية وأعظم هدف"[٣].

إن الداعية الحصيف هو الذي يجتهد في اختيار الوقت المناسب والظرف المناسب لعرض دعوته "والمقصود بمراعاة الوقت تخير الوقت الملائم للدعوة من حيث فراغ المدعوين واستعدادهم للتلقي، وكذا المراعاة لأوقات المواعظ والدروس، ومناسبة طول وقتها لأحوال الناس، ويندرج تحت ذلك مراعاة استعداد المدعو وبلوغه المرحلة التي يكون فيها الوقت مناسبًا لتفاعله واستجابته.

ومن هنا نعلم أن تخير الأوقات ومراعاة مناسبتها للموضوعات في غاية الأهمية، والأوقات متفاضلة وتفاضلها متفاوت متغير، والاجتهاد من الداعية مطلوب ليصيب الهدف باختيار العمل المناسب للوقت المناسب.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٣٥، ومسلم ٩٠٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٣ - ١٤٣٤.

(٣) منهج الدعوة إلى الله، امين احسن إصلاحي ص٩٣.

وهكذا نرى أمر المراعاة متشعبًا ومهمًا، والحقيقة أن المراعاة ضرب من التدرج؛ لأن المراعاة كثيرًا ما تقتضي ترك أمر لعدم ملاءمته إما للطبع أو الفهم أو الحال أو غير ذلك ثم يفعل مكانه أمر غيره حتى يكون ممهدًا لعرض الأمر المتروك فيأتي في وقته المناسب"[١].

ومن التطبيقات النبوية في تحري النبي ﷺ الأوقات المناسبة للدعوة ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: ((كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموْعِظةِ في الأيامِ، كَراهةَ السَّآمةِ علينا))[٢]، قال ابن حجر: "ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط"[٣].

وقال البغوي: "قال منصور: عن أبي وائل قال كان عبدالله بن مسعود يذكرنا كل يوم خميس فقال له رجل يا أبا عبدالرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوَدِدْنا أنك حدثتنا كل يوم فقال ما يمنعني أن أحدثكم كل يوم إلا كراهية أن أُمِلَّكم، وذكر هذا الحديث.

قوله: (يتخولنا) أي: يتعهدنا بها في مظان القبول، لا يكلمنا في كل وقت لئلا نسأم، ومثله التخُّونُ، يقال: تخولت الرجل وتخونته، والخائل: المتعهد للشيء الحافظ له.

قال أبو عمرو بن العلاء: الصواب (يتحولهم) بالحاء، أي: يطلب أحوالهم التي ينشطون فيها للموعظة، فيعظهم فيها، ولا يُكْثِر عليهم فيملّوا.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم، وأقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك قلوبهم، فلا تحدثهم قيل: وما علامة ذلك؟ قال: إذا التفت

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٥١ – ١٥٣ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨، ومسلم ٢٨٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/١.

بعضهم إلى بعض، ورأيتهم يتثاءبون، فلا تحدثهم.

قوله: (حدجوك بأبصارهم) أي: رموك بها يريد: حدثهم ما داموا يشتهون حديثك، فإذا أعرضوا عنك فاسكت.

وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: حدِّثِ الناسَ كلَّ جُمعةٍ مرَّةً، فإن أَبَيتَ فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرات، ولا تُملَّ الناسَ هذا القرآنَ، ولا أُلفينَّك تأتي القومَ وهم في حديث من حديثهم فتَقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثهم فتُملُّهم، ولكنْ أنصتْ، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يَشتهونهُ. وانظرِ السجعَ من الدعاء فاجتنِبْه، فإني عهدتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَهُ لا يفعلون إلا ذلك.

وقالت عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير: ألم أحَدَّث أنك تجلس ويُجْلَس إليك؟ قال: بلى، يا أم المؤمنين قالت: فإياك وإملال الناس، وتقنيطهم.

وروي أنها قالت له: اقصص يومًا واترك يومًا، لا تُمِلّ الناس"[1].

---

(١) شرح السنة ٢١٣/١ - ٢١٤.

الحديث رقم (١٣٥٣)

١٣٥٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن نسق البلاغة النبوية وكما يقول الرافعي يمتاز في جملته أنه ليس في شئ أنت واجده في كلام الفصحاء وهو محدود من ضروب الفصاحة ومتعلقاتها إلا وجدته في هذا النسق علي مقدار من الاعتبار يفرده بالميزة، ويخصه بالفضيلة، وهذا الحديث يتسم بالإيجاز والقصد. . وذلك من دعائم البلاغة النبوية. . حيث الاقتصار علي ما هو من طبيعة المعني في ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها.

ويتكون الحديث من جملتين: الأولي: طلبية حيث أسلوب النهي. . حيث ينهي النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يكون لقاء العدو أمنية لدي المسلمين بدافع الاعتداء. . لأن الجهاد لنشر الإسلام وتخليص الناس من ظلمات الشرك وبرأ من الاستبداد والظلم والطغيان، وهذا هو الهدف الأسمى والعمل الجاد والتخطيط المتقن، فالتمني من اللغة هو طلب الأمر البعيد الحصول أو المستحيل وقوعه، والمسلم شجاع يقبل ولا يدبر، يقدم ولا يحجم، يكر ولا يفر، ولذلك جاءت الجملة الثانية في قالب الشرط والجواب. وأداة الشرط إذا الدالة علي التحقق فلابد من اللقاء، ولابد من المجاهدة: (﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة٢١٦]، وفعل الشرط: لقيتموهم "يوحي

---

(١) أخرج البخاري (٣٠٢٦) معلقاً، ومسلم (١٧٤١/١٩) ولفظهما سواء. وهذا الحديث قد ورد بنصّه في حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، المتقدم برقم ٥٣، ١٣٢٦ فيحال إليه.

بالمواجهة ".. والدفاع عن النفس والعرض والمال والدين، وجواب الشرط: فصابروا "يفيد المفاعلة والمصابرة ".. ولم يقل: فاصبروا، فقوله: فصابروا يوحي بالتواصي بالصبر. والمؤازرة والمعاضدة في يوم الوفاء، وفي مجال المفاخرة بالنبي ﷺ، وفي ظلال هذه الرؤية المجاهدة يقول حسان بن ثابت: شاعر الرسول ﷺ: دفاعا عن النبي ﷺ ونصرا له:

نصرنا وآوينا النبيَّ محمداً … على أنفِ راضٍ منْ عدوٍ وراغمِ
بحَيٍّ حريرٍ أصلُهُ وذمارُهُ … بجابيةِ الجولانِ وسطَ الأعاجمِ
نصرناهُ لمّا حلَّ وسطَ رحالنا … سيافنا من كلِّ باغٍ وظالِمِ
جعلنا بنينا دونَهُ وبناتنا … وطبنا لهُ نفساً بفيءِ المغانِمِ
ونحنُ ضربْنا الناسَ حتى تتابَعُوا … على دينهِ بالمرهفاتِ الصوارِمِ
ونحنُ ولدنا من قريشٍ عظيمَها … ولدنا نبيَّ الخيرِ منْ آل هاشِمِ

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٣، ١٣٢٦).

ملحوظة: الرواية في هذا الحديث (١٣٥٣) مختصرة عما ورد في الحديثين المشار إليهما.

الحديث رقم (١٣٥٤)

١٣٥٤- وعنه وعن جابرٍ رضي الله عنهما : أنَّ النبيَّ ﷺ ، قَالَ: ((الحَرْبُ خَدْعَةٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحرب خدعة: أي: من وسائلها الخداع أو هي تُخْدَع، وإذا خدع أحد الفريقين الآخر فيها فكأنما خُدِعتْ هي. يقال: خدع فلانًا خدعًا وخُدْعة وخديعة: أظهر له خلاف ما يخيفه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف من جومع كلمه ﷺ. . لأنه يتضمن أسرارا ودلالات كثيرة وهو يتكون من جملة واحدة: مبتدأ وخبر، وقيل: معناه الظفر مع المخادعة بغير خطر ، ولفظ "خدعة "له أكثر من ضبط في التشكيل الذي ينطق به ومن ذلك خدعة وخدعة بفتح الدال وضم الخاء، أو خدعة "بفتح الخاء والدال أو خدعة بفتح الخاء وسكون الدال: وقالوا: هذه لغة النبي ﷺ ولغته أفصح اللغات وقال أبو بكر بن طلحة كان رسول الله يختار هذه البنية ويستعملها كثيرا لأنها بلفظها الوجيز تعطي معنى البنيتين الأخريين وتعطي أيضا معناها: أي: استعمل الحيلة في الحرب ما أمكنك، فإذا أعيتك الحيل فقاتل، فكانت هذه اللغة علي ما ذكرنا مختصرة اللفظ كثيرة المعني، فلذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٧٣٩/١٧) ولفظهما سواء.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ د ع)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ د ع)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٣/٦.

كان ﷺ يختارها، وهذه القاعدة التي أرساها رسول الله ﷺ تصلح للتطبيق في كل العصور مهما اختلفت آلات الحرب، ووسائل القتال، وبواعث الحرب، وبيئات المواجهة.

وقد أصدر هذه القاعدة وهو يخوض معركة الأحزاب، وبعد أن نقضت قريظة عهدها، وبعد أن اقتحم بعض فوارس من قريش الخندق "عمرو بن ود"، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وقال رسول الله لنعيم بن مسعود، الحرب خدعة. . ولم يواجه نعيم بن مسعود الأعداء، وإنما قام بإشعال نار الوقيعة بين الأحزاب وقريظة "ونجحت الحيلة "ووقعت الفتنة بين المشركين واليهود. . وقال أبو سفيان بعد أن اقتنع بغدر اليهود، وبعد أن عصفت ريح شديدة، وهطل المطر غزيرا، وقصف الرعد، ولمع البرق، واشتدت العاصفة، فاقتلعت خيام الأحزاب: (يا معشر قريش: إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع، والخف، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا منهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما تروت، فارتحلوا فإني مرتحل ".

ويصور حسان بن ثابت هذا النص الرباني والتأييد الإلهي: فيقول:

بهبوب معصفة تفرق جمعهم ... وجنود ربك سيد الأرباب
وكفى الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم في الأجر خير ثواب
وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب

فقه الحديث

١ - قال النووي: (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحلّ. وقد صحّ في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء أحدها في الحرب[1]. قال الطبري: إنما يجوز من الكذب في

---

(١) أخرج البخاري ٢٦٩٢، ومسلم ٢٦٠٥ من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا" وزاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث تعني: الحرب والإصلاح بين الناس. وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب فإنه لا يحلّ، هذا كلامه، والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل، والله أعلم)[١].

٢ - قال ابن حجر: (وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الخداع في الحرب وأخذ الحذر.

أولاً - من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

حيث جاء في الحديث: (الحرب خدعة)، ولا شك أن هذا من جوامع كلمه ﷺ التي آتاه الله إياها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسل الله ﷺ قال: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[٣].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ))[٤].

قال ابن منظور: "وفواتح الكلم وفي رواية: أوتيت مفاتيح الكلم جمع مفتاح وهما في الأصل مما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون سهل عليه الوصول إليه"[٥].

قال ابن حجر: "وقوله: بعثت بجوامع الكلم، حاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٢/٦/ ٤٠ ، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي كذلك، ١٢٩/١٦/٨-١٣٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٨/٦ ، وانظر: المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤١/١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٨/١، رقم ٣٨٧٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٤٢٢/٦.

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (ف ت ح).

الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني"[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: "فجوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ نوعان أحدهما ما هو في القرآن، والثاني ما هو في كلامه ﷺ وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه قد جمع العلماء جموعًا من كلماته ﷺ الجامعة"[٢].

وقال القاضي عياض: "وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الخداع في الحرب وأخذ الحذر:

حيث جاء في الحديث: (الحرب خدعة)، قال النووي: "واتفق العلماء على جواز الخداع في الحرب للكفار وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء أحدها في الحرب والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل"[٤].

وقال القاضي عياض: "(الحرب خدعة)، قال أهل العلم: الخداع في الحرب جائز كيفما تمكن لهذا الحديث، إلا أن يكون بنقض عهود أمان فلا يحل. قال الطبري: وإنما يجوز من الكذب في الحرب ما لا يجوز في غيرها من المعاريض والكلام بما يحتمل الألغاز والقصد إلى الإخبار عن الشيء ما هو عليه يعني في ظاهره.

ولغة النبي ﷺ (خدعة) بالفتح، وهي أفصح اللغات. قال: ثعلب: قال بعضهم: ومعناه: أنها تخدع أهلها وصف الفاعل باسم المصدر، وقيل: ويحتمل أن يكون وصفًا للمفعول، كما قيل: درهم ضرب الأمير، أي مضروبه، وقيل: معناها المرة الواحدة، أي لا يقبل العثرة إذا اتفقت فيها الخدعة، قال: ومن قال: (خُدعة) بالضم والسكون، إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦١/١٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٥/١ - ٥٦.

(٣) الشفا ١٦١/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١١١٨.

أنها تخدع؛ لأن أحد الفريقين إذا خدع صاحبه فيها فكأنها خدعت فيها. ومن قالها بالضم وفتح الدال فهي تخدع أهلها، أو تمنيهم الظفر أبدًا، وقد تتقلب بهم الحال لغيرها"[1].

وقال ابن الأثير: "وقوله: (الحرب خَدْعة)، تروى بفتح الخاء وإسكان الدال ومعناها أن الحرب ينقضي أمرها بخَدْعة واحدة من الخداع أي: أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة وهي أفصح الروايات وأصحها، وتروى (خُدْعة)، بضم الخاء وإسكان الدال ومعناها الاسم من الخداع، وتروى (خُدعة) بضم الخاء وفتح الدال ومعناها: أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم"[2].

وقال ابن حجر: "والحكمة في الإتيان بالتاء (خدعة) للدلالة على الوحدة فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة، وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة، فلا ينبغي التهاون بهم لما ينشأ عنهم من المفسدة ولو قلّ، وأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه، وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وإن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه، قال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالسكين ونحو ذلك وفي الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة. قال ابن المنير: معنى الحرب خدعة أي: الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها، إنما هي المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر"[3].

قال القرطبي: "ومعنى قوله: (الحرب خدعة) أن الحرب تكون ذات خدعة فوضع المصدر موضع الاسم. أي: ينبغي أن يستعمل فيها الخداع ولو مرة واحدة. ويحتمل أن يكون معناه: أن الحرب تتراءى لأخفاء الناس بالصورة المستحسنة، ثم تتجلى عن صورة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٢/٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ د ع).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٣/٦.

مستقبحة كما قال الشاعر:

الـــحَرْبُ أَوَّلُ مـــا تكـــونُ فَتِـــيَّةً تَـــسْعَى بِبِزَّتِهـــا لكـــلِّ جَهُـــول[1]

وجاء في فتح الملهم: قوله: (الحرب خدعة) فيه ثلاث لغات مشهورة:

١/ خَدْعَة بفتح الخاء، وسكون الدال، وهي مرة من الخدع، والمراد على ذلك أن أمر الحرب ينقضي بمرة واحدة من الخداع، أي: أن المقاتل إذا خُدع مرة واحدة لم يكن لها إقالة.

٢/ خُدْعة بضم الخاء وسكون الدال، وهي اسم من الخداع والمراد حينئذ أن الحرب تشتمل على الخداع، فيخدع كل فريق مقابله، كأنها عبارة عن الخداع.

٣/ خُدَعة بضم الخاء، وفتح الدال، وهي مبالغة من الخداع مثل هُمزة، ولُمزة، وضُحكة، للذي يكثر الضحك، والمعنى على هذا: أن الحرب تكثر من الخداع، فتخدع الرجال، وتمنيهم، ولا تفي لهم.

هذه خلاصة ما حكاه ابن الأثير في جامع الأصول (٥٧٥/٢ - ٥٧٦) عن الخطابي، وزاد بعض العلماء لغتين سوى ما ذكر:

١/ خَدَعَة، بفتح الخاء والدال كلتيهما حكاه المنذري، وقال: وهو جمع (خادع)، أي: أن أهل الحرب خَدَعة، يخدعون خصومهم.

٢/ خِدْعة، بكسر الخاء، وسكون الدال، حكاه مكيّ، ومحمد بن عبدالواحد، ولعله اسم هيئة من الخداع، كأنه قال: الحرب هيئة مخصوصة من الخداع.

وهذان الوجهان ذكرهما الحافظ في فتح الباري (١٥٨/٦).

ورجح الخطابي، وابن الأثير، والنووي وأكثر العلماء الوجه الأول (وهو بفتح الخاء وسكون الدال)، ورجح الشيخ الأنور الوجه الثالث، فقال: الأبلغ فيه أن يكون صيغة

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٢٢/٣.

مبالغة من اسم الفاعل. والمراد أن الحرب لا تُدرى عاقبتها، ولا يتأتى فيها الاعتماد على الأسباب، فإنه قد تبدو النصرة في أول الأمر، ثم تنقلب هزيمة، وقد تنعكس"[1].

ورغم اختلاف الآراء حول تفسير قوله ﷺ في الحديث: (الحرب خدعة) إلا أن المتفق عليه أن الإسلام وضع للحرب آدابًا وشروطًا وضوابط وطالب أتباعه أن يتبعوها وكانوا أول من طبقوها.

قال الشيخ السيد سابق: "وإذا كان الإسلام أباح الحرب كضرورة من الضرورات، فإنه يجعلها مقدرة بقدرها. فلا يقتل إلا من يقاتل في المعركة. وأما من تجنب الحرب فلا يحل قتله أو التعرض له بحال.

وحرم الإسلام كذلك قتل النساء، والأطفال، والمرضى، والشيوخ، والرهبان، والعباد، والأجراء، وحرم المثلة؛ بل حرم قتل الحيوان، وإفساد الزروع والمياه، وتلويث الآبار وهدم البيوت، وحرم الإجهاز على الجريح، وتتبع الفار. وذلك أن الحرب كعملية جراحية لا يجب أن تتجاوز موضع المرض بمكان.

والإسلام يوجب العدل، ويحرم الظلم، وتعاليمه السامية، وقيمه الرفيعة، تتجه إلى المودة والرحمة، والتعاون والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات وغير ذلك، مما يرفه الحياة، ويعطف القلوب، ويؤاخي بين الإنسان وأخيه الإنسان. وهو بعد ذلك كله، يحترم العقل الإنساني، ويقدر الفكر البشري، ويجعل العقل والفكر وسيلتين من وسائل التفاهم والإقناع.

فهو لا يرغم أحدًا على عقيدة معينة، ولا يكره إنسانًا على نظرية خاصة بالكون، أو الطبيعة، أو الإنسان، وحتى في قضايا الدين، يقرر أنه لا إكراه فيه، وأن وسيلته هي استعمال العقل والفكر والنظر فيما خلق الله من أشياء.

يقل الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[2].

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ: محمد تقي العثماني ٩/٢٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

ورسول الله ﷺ لم تكن وظيفته إلا أنه مبلغ عن الله وداعية إليه.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2].

والإسلام يرى أن منع الحرب إنما يتم بمنع الظلم، الممثل في الاستعمار، وفي التفرقة العنصرية، وفي تجنب اعتقاد أن الجنس الأبيض ما خلق إلا ليسود، وأن غيره ما خلق إلا ليكون مسخرًا له، ودائرًا في فلكه.

وإما يتم ذلك ويتحقق في نظره، بنشر التعاليم الصحيحة، وتعميق جذورها في النفس الإنسانية؛ وتربية النشء على فضائل المحبة والمودة والإخاء والتعاون والتآزر، وتسخير جميع أدوات الإعلام في هذه السبيل حتى تصل الإنسانية إلى ما تنشده من أمان، وما تصبو إليه من سلام"[3].

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٩٩ – ١٠١.

(٢) سورة الأحزاب الآيتان: ٤٥ – ٤٦.

(٣) عناصر القوة في الإسلام ص ٢١٢ – ٢١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الجهادية:

إن الآيات والأحاديث التي أوردها المصنف في هذا الباب لترشد إلى وجوب تربية الناشئة وغيرهم على الجهاد والعمل بمقتضياته والأخذ بلوازمه. إن الجهاد تربية لا غنى عنها للأفراد والجماعات فحسب بل لا غنى للأمم والشعوب أيضًا عنها، بل لا غنى للبشرية عنها كذلك، إن التربية الجهادية هي التي تميز البشر في كونه بشرًا، فإذا تخلى عن ذلك فإنه سيكون في مراتب الحيوانات تأكل وتشرب وتنام وتخرج فضلاتها ثم تموت لا يحس بها أحد ولا يشعر بها إنسان، بل إنه إذا فعل ذلك انحط عن هذه الحيوانات درجات سفلى ومراتب دنيا، لذا فإن التربية الجهادية يجب أن يقوم بها كل المربين والواعظين والمرشدين والموجهين وكل من له شأن بالتربية من قريب أو بعيد، ولا يكون عملهم هكذا فرديًا كيفما اتفق، لا بل يكون مخططًا مدروسًا حق الدراسة معدًا له حق الإعداد والتجهيز حتى يتحقق الغرض النبيل والهدف السامي من وراء التربية الجهادية، ولكن السؤال هنا: ماذا نقصد بالتربية الجهادية؟

أنقصد بها التربية على رفع السلاح في وجوه المخالفين ليل نهار حتى يسلموا لنا ويخضعوا لحكمنا ويسلموا لقوتنا؟ أنقصد بها أن نكون في حرب ونزاع مع المخالفين حتى نقضي عليهم أو يقضوا علينا؟ أنقصد بها أن نعلن الحرب إعلانًا دائمًا لا ينزل ولا ينخفض أبد الآبدين؟ أنعني بها هدم الحضارات الأخرى ونسف إنجازاتها وإرجاعها إلى عصر البداوة والحياة المحدودة البسيطة؟ أنعني بها خروج المسلمين إلى بقاع الأرض المختلفة في سيل لا ينقطع ومدد لا ينفصم لمحاربة القاصي والداني في حرب لا هوادة فيها؟

إن الذين يبغضون الإسلام وكذلك الذين يسيئون فهم الجهاد وقيمه الحضارية، يرونه كذلك أو يودون أن يروه كذلك، ويروجون لذلك وينشرونه في أرجاء العالم وأنحاء الدنيا، يُخيفون العالم من الإسلام ومن المسلمين ويصورونهم الخطر المحدق بالعالم والذي يكون فناؤه وهلاكه على يديه. لكن الحقيقة خلاف ذلك وأشرف من هذا وأعظم من ذلك، إن الجهاد ما هو إلا وسيلة لنشر الإسلام للعالمين وتبيين فضائله

ومزاياه للناس ليدخل فيه من دخل عن بينة، فإن تحقق ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة قام ذلك مقام الجهاد والحرب، وإلا جاهد المسلمون أعداء الدعوة الإسلامية حتى ييسروا سبل وصولها للناس واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض ولا تحريف. وفي كلتا الحالتين كان على المربين أن يربوا أتباعهم التربية الجهادية التي هي شرف الأمة وعنوان عزها ومجدها وشعار فخرها، ونعني بالتربية الجهادية ما يلي:

أ - استعداد المسلمين في جميع الأحوال والأوقات والظروف لبذل الغالي والرخيص من أجل نصرة دين الله وسنة رسول الله ﷺ، إنهم يربون على أن يستسهلوا التضحية بالمال والنفس معًا في سبيل الله.

ب - تربيتهم على امتلاك كل ما يمكنهم من وسائل القوة والدفع، والتي تمكنهم من غلبة أعداء الله والانتصار عليهم، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ج - تربيتهم على الانشغال بمعالي الأمور وجلائلها وعظائمها، التي تيسر لهم سبل العلو في هذه الدنيا، وعدم الاهتمام بالصغائر والتوافه التي تجرهم إلى مستنقع الذل والهوان والخسّة.

د - التربية الجهادية تجعل المسلمين يعتزون بهذه الحياة الدنيا اعتزازًا كبيرًا جدًا، ويقدرونها حق قدرها لا لأنهم يستمتعون فيها بما لذّ وطاب، كما ينظر إليها كثير من الغربيين والشرقيين، بل لأنهم يرونها منحة إلهية عظيمة أعطاها الله لهم لكي يتركوها وهي أحسن وأفضل وأثمن وأقيم، لأن ذلك هو الذي يوصلهم إلى نعيم ربهم في الدار الآخرة، لذا يجعلهم الجهاد محافظين عليها تمام الحفظ، وهذا عكس ما يراه أهل الفكر من الغرب من أن الجهاد يجعل الحياة وحياة الناس كأنها لا قيمة لها، إذ بإمكان أحدهم أن يفجر نفسه في جموع من الناس فيخلف الكثير من القتلى والجرحى، نقول: هذا خطأ محض لتصور قيمة الجهاد، فالجهاد - كما أسلفنا - ليس توزيعًا للموت على سكان المعمورة كل يوم وكل ليلة، وإنما هو سبيل لتوفير الحياة الطيبة التي يتوارى فيها الظالمون والمستبدون والمعتدون والمتكبرون فيما وراء

الصفوف الخلفية، لا أن يبرزوا في مقدمة الصفوف كما هو الحال الآن.

لكننا يجب أن نفرق بين حياة وحياة، فهناك حياة تستحق أن تعاش وأن تحيا، هذه الحياة التي يحس فيها الإنسان بكرامته وعزته، ويكون آمنًا على نفسه وأهله وماله، ناظرًا إلى مستقبل مشرق لا يتسلط عليه أحد يظلمه أو يبخسه حقه أو يعتدي عليه، فهذه الحياة هي التي يحافظ عليها بكل طاقة وجهد، أما حياة تهان فيها المقدسات، ويعتدي على الأصول والثوابت ويستهان فيها بالكرامات وتداس فيها المشاعر المعتبرة، ويتسلط فيها المستبدون والطواغيت، فهذه حياة ما أتفهها وما أحقرها، وكل من يحاول أن يحافظ عليها فهو أحقر وأتفه وأذل.

ولذا شرع الجهاد لتغييرها إلى ما تستحق أن تكون به حياة.

هـ - التربية الجهادية تربية على العزة والكرامة، وتحطيم للذل والهوان والضعة، والإنسان الذي يبني، ويقدم الخير لنفسه وللآخرين وللأوطان والبشرية، هو الإنسان العزيز الكريم الذي يعتز بقيمه ومبادئه وأصوله وأهدافه، والتاريخ لا يعرف حضارة قامت على أكتاف العبيد والأذلاء، لأن الإبداع والابتكار يتنافيان تنافيًا كليًا مع الرق والعبودية والذل والهوان، ولماذا نذهب بعيدًا وتاريخنا شاهد صدق على ذلك؟ إن المسلمين الأوائل هم الذين شيدوا وأقاموا حضارة الإسلام ووضحوا معالمها وقدموا منجزاتها ونشروا الإسلام في أنحاء كثيرة من العالم القديم، على حين لم يكن خَلَفُهم على مستواهم الحضاري ومرتبتهم الإنجازية وسلمهم الابتكاري، والسبب في ذلك هو التربية الجهادية التي تشربها السلف وأعرض عنها الخلف.

ثانيًا- التربية على تقديم العمل المتعدّي نفعه على العمل القاصر نفعه:

الأعمال قسمان: قسم يقتصر نفعه على صاحبه، وقسم يتعدى ويشمل نفعه صاحبه وغيره، فكان فيه إفادة للغير وتحصيل النفع له، مثال الأول صلاة النوافل فإن صاحبها يحصّل بها التزكية والتهذيب والقرب من الله العليّ الجبار، ولا يتعدى نفعها إلى غيره بطريق مباشر، أما بالطريق غير المباشر فإن التزكية التي يتحصل عليها مصلّي النوافل لاشك تنعكس على معاملاته مع غيره من الناس، فنجده أحسن أخلاقًا وألين عريكة

وأكثر ألفة، أما مثال العمل المتعدي نفعه فكالجهاد في سبيل الله، أليس المجاهد بين سبيلين لا ثالث لهما: إما سبيل الفوز والانتصار، وإما سبيل الشهادة والقتل وهو في كلتا الحالتين تعدّى نفعه لغيره، فقد استفاد غيره الأمن والأمان الذي يحققه النصر والفوز، فضلاً عن الزهو والفخر و الاعتزاز، وإن كانت الشهادة فقد استفاد غيره الحياة التي بذلها هذا الشهيد رخيصة في سبيل الله، فضلاً عن كونه ضرب المثل الأعلى في بذل المهج والأنفس ابتغاء مرضاة الله، لذا أخبر رسول الله ﷺ عن فضل الجهاد وفضّله على غيره من النوافل غير المتعدية كالصيام وقيام الليل وغيره من الصلوات، فقال: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه" كما أخبر ﷺ أن ما يعادل الجهاد من الأعمال لا يستطاع ولا يقدر عليه ولا يحصل، فقد قيل له: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه" وأعاد ذلك بإعادة السؤال "فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: "لا تستطيعونه" وفي رواية أخرى قال: "لا أجده" ثم زاد الأمر وضوحًا وبيانًا عن طريق السؤال التقريري الذي يدفع المخاطب إلى الإقرار والتسليم: "هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ ثم قال نافيًا ذلك "ومن يستطيع ذلك؟" كما بين ﷺ بعض ما يقدم المجاهد من نفع للناس، فقال ﷺ: "من خير معاش الناس لهم: رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فَزْعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه".

وإذا كان المجاهد يحقق من المنافع الكثير للناس فإن الله يعامله ويجازيه على هذه الشاكلة وهذا النحو، فإنه سبحانه يزيد في عمله ويكثر من ثوابه إلى يوم القيامة، فيخبر عن ذلك ﷺ: "وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن الفتان" و"كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر". فإذا كان تخلّص من أسر البشرية وحبّ الذات والخوف عليها، وهذا لا يتخلص منه إلا الصفوة والنخبة من الخلق، وأراق دمه أنهارًا تجري في الأرض، وأصبح مثالاً حيًا يتناقل ذكره على مر الدهور والعصور وعلى مر

الأجيال، فلا عجب أن كان ثوابه متواصلاً وجزاؤه متجددًا، لذا نهى النبي ﷺ الصحابي الذي رغب في العزلة للتعبد ورغبه في الجهاد قائلاً: "إن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟".

لذا كان من الأهمية بمكان: تربية الناشئة وغيرهم على تقديم العمل المتعدِّي النفع على القاصر النفع، إن تعذر الجمع بينهما، وقد حصل التعارض أو التزاحم، لما في ذلك من فوائد جليلة تعودُ على الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم.

ثالثًا- من الصفات الواجب توافرها في المربي: مراعاة أحوال من يقوم بتربيتهم جميعًا:

إن الجهاد يحتاج إلى استطاعة بدنية واستطاعة مالية، وإذا كان من الصحابة من يجدهما فإن بعضًا منهم كان لا يجدهما معًا أو يفقد إحداهما ويجد الأخرى، كما أن الرسول ﷺ لا يجد عنده من المال الكافي ما يجهز به الصحابة كلهم للغزو والجهاد، فإن هو خرج مع الغزاة والمجاهدين ترك بعض الصحابة في المدينة ممن حبسهم العذر، وهؤلاء يشق عليهم ألا يكونوا مع رسول الله ﷺ وإنهم يرغبون أن يكونوا معه، يدهم قبل يده، وسيوفهم قبل سيفه، وخيولهم قبل فرسه، ورماحهم قبل رمحه، ونفوسهم دون نفسه.

وإن هو ﷺ أمرهم بالتجهز والإعداد للخروج شق عليهم ألا يجدوا ما يتجهزون به ويستعدون، لذا كان النبي ﷺ لا يخرج مع كل سرية تقاتل في سبيل الله، مع رغبته ﷺ في ذلك، وفي الاستشهاد في سبيل الله، ورغبتُه ﷺ رغبة عارمة صادقة أصيلة، فهو أصدق من نوى، وأخلص من عمل، و أشدّ من امتثل ﷺ.

إنه ﷺ كان بين موقفين: موقف أشد حبًا إلى نفسه، وهو الخروج في سبيل الله والقتال مع كل سرية وعدم القعود، وموقف يفرضه عليه حبّ الصحابة له وحب ملازمته والتعلم بين يديه وهذا لا يتاح لبعضهم إن هو خرج مع كل سرية، فآثر النبي ﷺ - لشفقته وحبه ورحمته - الموقف الآخر، فكان ﷺ في بعض الأحيان

يبعث السرايا والجيوش تقاتل في سبيل الله، وترفع راية الإسلام عالية خفاقة، وهو ﷺ في المدينة بين أصحابه يعلمهم ويرشدهم ويواسي فقيرهم ويعين محتاجهم ويعلم جاهلهم ويرشد حائرهم، ومن معه من الصحابة أشد حرصًا على التعلم منه، والاقتداء به ونقل أحواله وأخباره إلى غيرهم، حتى يستفيدوا كما استفادوا، ويهتدوا كما اهتدوا ويرشدوا كما رشدوا، ويصيبهم الخير كما أصابهم.

كما أن وجود النبي ﷺ في المدينة كان يسهل عليه استقبال المسلمين الجدد أو الراغبين في التعرف على دين الله الحق، ومراسلة الملوك والأمراء ودعوتهم إلى دين الإسلام، ونحو ذلك.

إننا نرى في قوله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ أَبَدًا. وَلَـٰكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))، إننا نرى في قوله ذلك دعوة للمربين جميعًا أن يكونوا على مستوى رسالتهم النبيلة التي لا تفرق بين غني وفقير ولا قوي وضعيف، وكريم وغيره، وشريف وسواه، فينبغي أن يكونوا على مستوى رسالتهم النبيلة فيراعوا أحوال من يقومون بتربيتهم جميعًا، لأن التربية للجميع، وليست لطائفة دون طائفة، ولا لشعب دون شعب، ولا لأمة دون أمة.

رابعًا - التربية على التعاون على فعل الطاعات:

إذا كان من المتعذر أن يخرج كل المسلمين إلى الجهاد، فإنه لا محالة سوف يظلّ بعضهم في أوطانهم يخلفون المجاهدين ويخلفونهم في أولادهم وأهليهم، وهؤلاء أمامهم طريقان لأن يعاونوا المجاهدين على أداء رسالتهم النبيلة في ساحات القتال ومنازل المعارك.

الطريق الأول: أن يقوموا بتجهيزهم أو تجهيز من لا عتاد له ولا سلاح ولا ركاب، فيسدون حاجتهم ويكفونهم مؤونتهم ويقومون بإعدادهم وتجهيزهم حتى يكونوا على أتم استعداد للقتال والاعتراك. وهذا ما تقوم به الدول الحديثة عن طريق فرض ضرائب

وتشتري ببعضها ما يلزم قواتها المسلحة من أسلحة وعتاد حديث يتناسب مع تطورات الأسلحة وتعقيداتها المتوالية التي لا تقف عند حدٍ، ولو التفتت هذه الدول إلى الأخذ بهذا الحديث لفتحت المجال واسعًا أمام التبرعات والمنح والهبات من الأفراد والهيئات للإسهام في هذا الهدف النبيل. وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الصدقات من أفضلها أو أفضلها فقال: "أفضل الصدقات ظلّ فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله" وقد قام النبي ﷺ بنفسه بإرشاد بعض الصحابة الذين ينقصهم ما يتجهزون به، أرشدهم إلى من يساعدهم على ذلك، فقال: "ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض" فرحب هذا الصحابي الأخير بذلك خير ترحيب ونادى: "يا فلانة أعطيه الذي كنت تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئًا فيبارك لك فيه".

الطريق الثاني: أن يكونوا عونًا لأهل المجاهدين ومساعدي خير لهم، فيقوموا بقضاء حوائجهم ومتطلباتهم حتى كأنهم يشعرون بأنهم ما فقدوا الكثير بغياب آبائهم وأوليائهم وإخوانهم، بل إن موقف هؤلاء يدفع هؤلاء الأبناء والأهل إلى أن يشعروا بمزيد من الاهتمام والعناية ربما لم يجدونهما من أوليائهم، ولا يقتصر موقف هؤلاء على ذلك فحسب، بل يمتد أيضًا إلى الدعم المعنوي، فيبعثون إليهم برسائل التشجيع والتأييد والتحفيز والمساندة، سواء بطريق مباشر أم بما يصل إلى المجاهدين وهم في مواقع القتال من أخبار وأنباء.

إن أشد ما يكون على المقاتلين وقد قدموا أرواحهم فداءً وتضحية، ما يعرف في عالم اليوم بالطابور الخامس، ذلك النفر الذين يخلفون المقاتلين في بلادهم وأوطانهم بأسوأ ما يكون من إشاعة روح الهزيمة والتخاذل والاستسلام بين جموع المواطنين، وهذه خيانة كبرى لأولئك المجاهدين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء وجه الله والدفاع عن الأديان والأوطان، لذا كان دور من يخلف المجاهدين لا يقل أهمية عن دور المجاهدين أنفسهم، فقال ﷺ: "من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا" وقال ﷺ: "أيكم خَلَفَ الخارجَ في أهله وماله بخير كان

له مثل نصف أجر الخارج".

هذا من ناحية تجهيز الغزاة والمجاهدين، أما من ناحية الأسلحة فحدّث عن التعاون في ذلك ولا حرج، فإن الأسلحة قديمًا كانت تصنع بسهولة ويسر، مما يجعل تعلم صنعها ميسورًا سهلاً، ومما لا يخفى أن الأسلحة لها دور كبير في القتال والنزال، فلا تتصور معركة بدون أسلحة سواء في القديم أم في الجديد، لذا كان دور صانعي الأسلحة من الأهمية بمكان، حتى إنه ليقارب دور المجاهد إذا ابتغى بصنعها وجه الله، وهذا هو التعاون المشروع لاشك في ذلك، فصانع يصنع السهم أو السيف يسلمه إلى المجاهد يقاتل به، فيساعده على أداء مهمته النبيلة ودوره الرائع، لذا قال النبي ﷺ: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله".

وفي عالم اليوم، نحن أحوج ما نكون، إلى أن يكون سلاحنا مصنوعًا في بلادنا وبأيد أبنائنا وسواعدهم الفتية، حتى لا يتحكم فينا غيرنا ويعطينا من السلاح ما يكون قديمًا أو غير مواكب لأحدث التطورات العسكرية، مما يحد من قدراتنا العسكرية بصورة كبيرة جدًا، فهل تتحقق صناعة السلاح في أرضنا ويكون للقائمين عليها أجر المجاهدين الصادقين أو نحوه؟

نخلص من ذلك كله إلى أنه ينبغي أن تكون التربية قائمة على التعاون على الخير لا على الشر والعدوان، وهذا ما ينبغي أن يستقر في أذهان الناشئة وأفئدتهم.

خامسًا - التربية على الترهيب من الدَّيْن:

أجر الشهيد لاشك في عَظَمه، وجزاؤه لا ريب في كثرته، وذلك لأنه قدّم أغلى ما يملك راضيًا طائعًا في سبيل الله، وابتغاء مرضاته سبحانه، لذا أعظم الله له الثواب وأجزل له العطاء، ووسّع له الفضل، وأكثر من إكرامه والإنعام عليه، فغفر له الذنوب ومحي عنه السيئات، وعفا عنه، وعن آثامه وخطاياه، إلا شيئًا واحدًا لم يغفره له تعالى على عظم فضله وكريم منّه، ألا وهو الدَّيْن، الذي هو حق للآخرين عليه كان يجب عليه أن يقوم بسداده لصاحبه إن استطاع ذلك. وهذا يستدعي سؤالاً ملحًا في الذهن:

أليس في هذا ترهيب من الاستدانة، والإقبال على الدَيْن، دون مسوغ مشروع من دفع حاجة أو القيام بواجب أو نحو ذلك؟ أليس في هذا تنبيهٌ للمربين وأتباعهم إلى أن يحذروا من الدَّين ومن تبعاته؟ أليس في هذا دفع لمن يستسهل الدين والاستدانة أن يكفّ عن ذلك وأن يحاول أن يسد هذا الباب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؟ إننا أمام توجيه نبوي كريم يؤخذ به في الترهيب من الاستدانة والإقبال عليها.

إن الناظر في الحياة الاقتصادية المعاصرة ليجد أن التربية على الترهيب من الاستدانة أمر مهم جدًّا يجب أن يفعّل في تربية الناشئة وتوجيههم وإرشادهم حتى يسلموا من المشاكل التي لا تكاد تنتهي مِن وراء الاستدانة، من ضياع المال والهيبة والتقدير والمكانة، ورغم ذلك يقع كثير في شَرَكِها وذلك لأن كثيرًا من التنظيمات الاقتصادية المعاصرة تدفع وتغري الناس إلى الاستدانة والاستمرار فيها ونستطيع أن نرصد بعض الصور المشهورة التي تقوم على الاستدانة والدين:

أ - ما تقوم به المصارف والبنوك من إغراء لعملائها في شراء سلع كمالية كثيرة هم في غنى عنها، وحياتهم لا تتضرر كثيرًا إذا لم يحصّلوها ويشتروها، فنجد هذه المصارف تغري عملاءها بشراء أحدث السيارات، وأحدث البيوت، وأرقى الملابس، ونحو ذلك عن طريق بيع التقسيط، وتقديم شروط ميسرة في ذلك، وهذا يساعد بدور كبير في تنامي الاقتصاد الاستهلاكي غير الإنتاجي الذي تزيد فيه النفقات كثيرًا عن مستوى الدخول والموارد.

ب - تقديم المصارف والبنوك التسهيلات والتيسيرات للمضاربين في الأسواق المالية "البورصة" عن طريق تقديم قروض بشروط ميسرة لهم فتزداد حمى المضاربة مع قلة المعروض من أسهم الشركات، فترتفع ارتفاعًا جنونيًا مما يزداد معها حمى المضاربة سُعارًا واشتعالاً فتظل هكذا، حتى تبلغ الذروة ثم تهبط هبوطًا لا قيام بعده. وقد ضاع كثير من الثروات والأموال، وتحول كثير من المضاربين إلى فقراء بعد أن كانوا قمة الأغنياء، وخربت بيوت ومات عائلها بعد أن كانت عامرة بالود والحب، وانطفأت شعلة الزواج بأن كثر عددُ المطلقين والمطلقات بعد أن كانت هناك بيوت زوجية واعدة،

وضاعت أصول مالية ممتازة باعها أصحابها ليستفيدوا بثمنها في المضاربة، وليأتوا بأحسن منها بعد ذلك، فضاعت عليهم سدىً وعضُّوا بنان الندم أن باعوها وفرطوا فيها.

ج - قيام النظام الاقتصادي العالمي على الفائدة التي تحتل فيه ركنًا أساسيًا لا يُتصور أن يستغني أو يتنازل عنها، والفائدة ما هي إلا زيادة للمال وتنمية له عن طريق الإقراض والإدانة، فيما يُعرف بالائتمان والقدرة الائتمانية، لا تنمية المال عن طريق العمل أو المشاركة، وكل ذلك قد استقرّ في أذهان الناس وشاع فيما بينهم، وأصبح من الثقافة الشائعة التي قلما تجد لها معارضًا أو ناقدًا أو مُعرضًا، مع أن ذلك هو عين الربا الذي حرّمه الله تعالى وآذن من يقترفه بحرب من الله ورسوله.

كل هذا يدفع المربّين دفعًا حثيثًا إلى أن يضربوا القدوة لمن يقومون بتربيتهم على الحذر من الاستدانة والخوف من الوقوع في تبعاتها المؤلمة، فضلاً عن أن يغرسوا ذلك في نفوسهم حتى يربوهم بالقول والعمل؛ نظرًا لخطورة هذا الأمر وشدة أثره.

سادسًا - من الأساليب التربوية: التبشير:

لقد كان النبي ﷺ في موقف الحرب أشجع الشجعان، وأثبت من الجبال، وأرسخ من الرواسي الراسخات، إنه مقدمة المسلمين تجاه العدّو وقبالته، يلوذ به المسلمون ويتقون به ﷺ من بأس العدو وقوته، وزاد على ذلك ﷺ بأنه كان يبشّر أتباعه وأصحابه المجاهدين الصابرين المحتسبين بالجنة ويخبرهم - وهو الصادق المصدوق - بأنهم من أهلها المنعمين بآلائها وظلالها الوارفة، فهذا صحابي كريم يقوله له: "أين أنا يا رسول الله إن قُتلت؟ قال: في الجنة، فاستبشر الرجل وطار من الفرح وترك دنياه ونسي لذته وشهوته فألقى تمرات تذكر بالدنيا وبأهل الدنيا وأقبل على القتال حتى قتل ففاز بجنة الخلد.

ولما كان يوم بدر يومًا له خطره وشأنه في حياة المسلمين، فهو أول اختبار عملي لقوتهم وبأسهم، وقبل ذلك هو اختبار لمدى صدقهم وإيمانهم بدينهم الجديد وبرسوله الكريم الذي يدعوهم إلى بذل الروح والمال رخيصين في سبيل الله، لذا كان يوم بدر بحق يوم الفرقان، لما كان الأمر كذلك استخدم النبي ﷺ التبشير العام، وذلك

ليقضي على ما قد يكون قد تبقى من خوف أو رهبة في نفوس بعض المسلمين لقتال أهل الشرك المعروفين بشدة بأسهم وكثرة عتادهم وعددهم، فقال ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض" إنه ﷺ يبشرهم بجنّة واسعة وسعًا لا يكاد تدركه عقول البشر، مع أن المسلمين وقتذاك كانوا في ضيقٍ في كل شيء تقريبًا، ضيق في المال وقد تركوا أموالهم وديارهم وهاجروا إلى الله ورسوله، وضيق في السلاح والعتاد، فليس في الجيش من الفرسان إلا واحد أو اثنان، وضيق في العدد: فعددهم ثلث عدد أعدائهم، وضيق وقلة في النصير والمعين، فإن الجزيرة العربية على وسعها تكاد تضيق على هؤلاء النفر المسلمين، فكلها أعلنت العداء والتنكر لهم، وهكذا كانت السمة العامة لحياة المسلمين الضيق، فبشرهم النبي ﷺ بالجنة الواسعة: فإذا كانوا هم في الدنيا في ضيق فإنهم سيكونون في سعةٍ في الآخرة، لذا أراد الصحابي عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه أن يطمأن قلبه فسأل النبي ﷺ: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. ففرح بذلك أشد الفرح وتمنى أن يكون من أهلها وعبر عن ذلك بقوله: بخ بخ.

فلما أخبره النبي ﷺ أنه من أهلها اشتاق إليها واشتاق إلى دخولها، فأعرض عن الطعام ولذته وأسرع نحو غايته: الجنة التي طريقها الاستشهاد في سبيل الله.

ولم يكتف النبي ﷺ بتبشير المجاهدين فحسب بل كان يبشر أهليهم وذويهم أيضًا، فقال لأم حارثة: "يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى".

إننا نجد أن التبشير النبوي قد حقق الغاية وأتى بالمرجو وحصّل المطلوب.

وبناء على ذلك فإن على المربين أن يبشروا من يقومون بتربيتهم حتى يدفعوهم إلى معالي الأمور وفضائل الأخلاق ومكارمها، ولا يكون تبشيرهم إلا حقًّا وصدقًا، ولاشك أن القرآن الكريم والسنة النبوية معين لا ينضب من التبشير عليهم أن يستخدموه ويفعلوه ويحققوه.

سابعًا – التربية على أن من تعلّم علمًا علّمه غيره:

لقد بعث النبي ﷺ إلى أمة أمية، فهدى الله به قلوبًا عميًا وفتح به آذانًا صمًا

وعلّم أفئدة كان الجهل فيها راسخًا، وربّى رجالاً يقيمون دولاً وحضارات بعد أن كانوا معول هدم للدول والحضارات، وهؤلاء علّموا غيرهم ما تعلموه وأنقذوهم من الجهل والضلال كما أنقذهم رسول الله ﷺ.

وهكذا ربّى النبي ﷺ معلمين أفذاذًا، ومربين متفردين، لم ير لهم التاريخ مثيلاً أو نظيرًا، وقد كان ﷺ يبعثهم إلى القبائل والأمصار، يعلمون غيرهم ويبصرونهم بأمور دينهم، ويصححون لهم أخطاءهم، ويقيمونهم على الملة الصحيحة، والصراط المستقيم والطريق الذي لا عوج فيه ولا أَمْتَى.

من ذلك ما أخبر به أنس بن مالك رضي الله عنه أنه "جاء ناس إلى النبي ﷺ أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرام، يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي رضي الله عنه...".

لقد كان هؤلاء القراء السبعون يداومون على التعلّم والمدارسة، تعلم القرآن ومدارسته وكذلك الأمر في تعلم السنة ومدارستها، لذا كانوا أنسب من يبعثهم النبي ﷺ ليعلموا غيرهم، إنهم نماذج حية للتعلم والتعليم المستمرين: تعلم ومدارسة بالليل، وتعليم وتربية بالنهار، وهذا مبدأ تربوي وتعليمي إسلامي أصيل: أن من تعلم شيئًا صحيحًا علّم غيره ونقله إليه، ولا يضن ولا يبخل به ولا يكتفي بإصلاح نفسه ويترك الآخرين نهبًا للجهل والجهالات. وبهذا انتقل العلم الإسلامي وضُمن له الاستمرار والحيوية وتحمل الأجيال المتعاقبة له، كل جيل ينقله إلى من يليه من أجيال وهكذا حتى شاع العلم وانتشر وعرفت الأمة الإسلامية بأنها أمة "اقرأ" وأمة العلم والعلماء.

ولذا كان من المهم جدًا تربية الناشئة وغيرهم على أن ينقلوا لغيرهم ما تعلموه وفهموه ودرسوه، وفيما يلي بعض الصور السلبية الناشئة عن عدم التربية على هذا:

أ - الأمة الإسلامية لها كثير من العلماء الكبار المنتشرين في المراكز البحثية المتقدمة في العالم الغربي، وبعضهم قد نال جوائز علمية قيمة في مجاله وكان من

المتوقع والمنتظر أن ينقل هؤلاء العلماء ما تعلموا إلى دولهم الإسلامية حتى تلحق بركب التقدم العلمي الذي يشهد تطورات هائلة كل يوم، لكن الصورة الواقعية تكشف عن قصور شديد في ذلك مع الاعتراف بأن هناك أسبابًا كثيرة تقف وراء ذلك، لكن لو صمم هؤلاء العلماء الأفذاذ على نقل خبرتهم إلى دولهم التي خرجوا وتعلموا فيها لربما كانت الصورة مغايرة وأصابها بعض التحريك الدافع إلى الأمام.

ب - كثير من أهل الطب الحاذقين يضنون بمهاراتهم وخبراتهم الثمينة ويحتفظون بها ولا ينقلونها إلا لأقل القليل من تلاميذهم الذين ربما كانوا أبناءهم أو أقاربهم. أما من عداهم فيضعون أمامهم الكثير من العراقيل والمعوقات التي لا تكاد تنتهي حتى يصرفوهم عن وجهتهم، ويظلوا هم محتفظين بالنجومية واللمعان في عالم الطب، فلا ينصرف عنهم المرضى بل يزدادون عامًا بعد عامٍ.

ج - عالم الإدارة بما فيه من خبرات ثمينة وتجارب قيمة يكتسبها المديرون من خلال عملهم الطويل والمتواصل، كثير منهم يحرص أشد الحرص على الاحتفاظ بهذه الخبرات وتلك التجارب ولا يكاد ينقلها إلى من تحته من المديرين الشباب وربما ظلّ محتفظًا بها حتى تدخل معه قبره.

مع أن الدول الحيوية ذات التجارب الحضارية والتقدمية تحرص بكل وسيلة ممكنة على إيجاد صفٍ ثانٍ وثالث من المديرين الأكفاء على مختلف المستويات حتى تظل الإدارة على درجة واحدة من الكفاءة لا تتغير ولا تتأثر بغياب فلان أو تقاعده.

ثامنًا - التربية على صدق النية:

يتمنّى المسلم أن يفعل الخير كله ويأتي العمل الصالح بأنواعه ومراتبه، ويرغب في إتيان أفضل الأعمال وأعلاها وأحسنها، إنه يتمنى أن يكون من المجاهدين - بحق - في سبيل الله، لكن ذلك قد لا يتيسر له ولا يتاح، فيحال بينه وبين هذا العمل النبيل بسبب قلة الزاد أو قلة ذات اليد، أو بسبب مرض من الأمراض المقعدة، أو بسبب عدم توافر الظروف الملائمة للجهاد في سبيل الله أو لأي سبب آخر، فماذا يفعل المسلم الصادق أمام هذا؟ أينسى الجهاد وفضله أم يتناساه ويتجاهله أم يلغي مصطلح الجهاد من قاموسه

اليومي ويشطبه كما يريد كثير من الناس في عالم اليوم أم يتباكى ويقيمها مبكاة على فقد الجهاد وانعدام سبله؟

إن المسلم لا يفعل هذا ولا ذاك، إن أمامه أن يشارك المجاهدين جهادهم ولو لم يحضر معهم، إن بإمكانه:

أ - أن يسأل الله الشهادة ويبالغ في ذلك ويكون في ذلك صادقًا مخلصًا، سواء تيسر أمامه الجهاد أم أغلق، إنه بنيته تلك يبلغ منازل الشهداء وإن لم يرفع سيفًا أو يطلق طلقة واحدة "من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" و"من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه".

ب - إن حبسه العذر أن يلحق بالمجاهدين ويكون في صفوفهم يقاتل معهم وينازل الأعداء، فإن صدق النية لا يحرمه من الأجر الذي يحصله المجاهدون في جهادهم سواء في سيرهم أو قطعهم المفازات وارتقائهم الجبال والتلال أو ما يصيبهم من تعب أو نصب في ذلك أو في قتالهم لعدوهم، كل ذلك ناله وحصّله بصدق نيته، مصداق ذلك ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه في غزوة من الغزوات "إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا ، إلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ. حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ" وفي رواية "حبسهم العذر" وفي رواية "إلا شركوكم في الأجر".

ج - أما المقاتل المجاهد في ميدان القتال والنزال فإن لابدّ أن تكون نيته خالصة لله رب العالمين، فلا يقاتل إلا لله، ولا تحركه عصبية ولا قبلية ولا حمية، إنما يحركه ويدفعه نصرة دين الله فحسب، فإن كانت نيته كذلك كان جهاده لله وفي الله وإلا كان جهاده لشيء آخر، فقد جاء أعرابي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليُذْكر، والرجل يقاتل ليُرَى مكانه؟ وفي رواية: يقاتل شجاعة ويقاتل حمية؟ وفي رواية: يقاتل غضبًا. فَمَنْ في سبيل الله؟ فأجاب النبي ﷺ مبينًا أن من كانت نيته لله فهو في سبيل الله، فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله".

ولم يكن إخلاص النية مطلوبًا في الجهاد فحسب، وإنما كان مطلوبًا أيضًا في

جميع العبادات والطاعات، لأن الله أغنى الأغنياء عن الشرك، والبشر يغضبون أشدّ الغضب، ويثورون ثورة شديدة، إذا أحسُّوا أن أحدهم قصد بالعمل الذي عمله له، أحدًا آخر فكيف بالله تعالى، ولله المثل الأعلى؟

إن على المربين أن يربوا من يقومون بتربيتهم على إخلاص النية لله رب العالمين في أعمالهم وطاعاتهم، لأن ذلك يعود عليهم بالفوائد الجمة، من ذلك:

أ - العمل على إتقان العمل وإجادته بأفضل ما يكون وأحسن ما يستطاع، لأنه مقصود به رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى.

ب - إحساسهم المليء بالثقة والاعتزاز اعتزازًا لا حدّ له بأعمالهم التي أخلصوا فيها، لأن الأعمال إنما تكتسب شرفها ونبلها وسموها من شرف الذي تتوجه إليه، فكيف بعمل يتوجه به إلى الله رب العالمين الذي عز عن النظير وجلّ عن المثل والشبيه ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾(١).

ج - تعويدهم على المثابرة، والجد والاجتهاد، والاستهانة بالصعاب والمعوقات مهما كانت، وكيف كانت، لأنها أعمال قصد بها وجه المولى جل في علاه، فلا يؤثر عليها صعب ولا مانع، ولا يعيقها معوق ولا ناقم، بل هي تتغلب على كل ما يقف في طريقها، لأن ما كان لله عز وجل دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

تاسعًا - التربية على الالتجاء إلى الله وطلب العون منه والمدد:

رسول الله ﷺ مؤيد من قبل ربه، أيده الله بالنصر والظفر على أعدائه، كما أيده بالتمكين في الأرض، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٢) و﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾(٣) وقال ﷺ مبينًا بعض فضل الله عليه "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ..."

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٥.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٢١.

(٣) سورة غافر، آية: ٥١.

الحديث[1]، ولمزيد عبوديته ﷺ جمع بين هذا التأييد والافتقار إلى الله رب العالمين وقت البأس والحرب والقتال والنزال، فكان يبتهل إلى الله مولاه ويتضرع إليه ويعلن خضوعه له سبحانه ويطلب منه - طلب الافتقار والحاجة والمسكنة - أن ينصره الله على أعدائه، تراه ﷺ وهو يستعد للعدو يقول: "اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" كما يحث أتباعه ويرغبهم في الالتجاء إلى الله وقت القتال والنزال، وهم أحوج ما يكونون إلى التأييد والإمداد، فيخبرهم ﷺ أن الدعاء -وهو أصدق مظاهر الالتجاء إلى الله- قلما يرد وقت الاقتتال ووقت الأذان، فقال ﷺ: "ثنتان لا تردان أو قلما تردَّان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا" فإذا كان الجيش الواحد يلتحم مع بعضه بعضًا ليتحد ويتقوى في مواجهة الأعداء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الجيش يلتحم مع جيش الأعداء لينال منه، وفي كلتا الحالتين: الجيش محتاج إلى المدد من الله ليزيد من التحامه بعضه ببعض من جهة، ومن جهة أخرى، من التحامه بالعدو، ليكون أكثر نَيْلاً من جهة أخرى.

وهذا النبي ﷺ يقول أمام أصحابه وهو يغزو "اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل" إنه ﷺ يستمد من ربه النصر والعون فهو العضد والنصير، وهو الذي يمن على عبده فيعطيه القوة والحول وييسر له الأسباب والأحوال ليقاتل وينازل ويكرّ ويهجم ويعاود الكرة بعد الكرة، أليس هذا اعترافًا بفضل الله وكرمه؟ أليس هذا استحضارًا لعون الله ونصره؟ أليس هذا إقرارًا بأن النصر إنما هو من عند الله؟ أليس هذا إعلانًا للبشر وللبشرية جمعاء أنه عبد الله يمن عليه بما شاء وكيف شاء وأنه لا يستغني عن نصره وعونه وظفره طرفة عين واحدة؟ أليس في هذا توكل على الله حق التوكل واعتماد عليه تمام الاعتماد فهو الناصر وهو المعين؟

ولذا كان ﷺ إذا خاف قومًا، أعلن التجاءه لرب العالمين، وأظهر تضرعه إليه ليقيه بأسهم ويأمنه شرهم، فيدعو: "اللهم إنا نجعلك في نحورهم، و نعوذ بك من شرورهم".

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢١.

إننا أمام أحاديث نبوية شريفة ترسم لوحة رائعة -إن جاز هذا التعبير- للتضرع لله رب العالمين، واللجوء إليه وقت البأس والالتحام والنزال، وهذا من أشرف الخلق وأكرمه على الله، فكيف بغيره من البشر؟

إن على المربين أن يبذلوا الوسع والطاقة في تعويد الناشئة وغيرهم على الالتجاء إلى الله رب العالمين وقت الشدة ووقت الرخاء، إنهم إن غُرِس ذلك في نفوسهم حققوا من المنافع ما لا يحصى، من ذلك:

أ - إنهم يلجأون إلى خير معين وخير ناصر وخير مجيب وخير معطي، فيتعودون أن يكون توجههم إلى الله الأعلى ولا يلتفتون إلى ما سواه سبحانه مما يلجأ إليه المشركون وغيرهُم، من حجر أو شجر أو قبر أو نحو ذلك.

ب - إنهم يزدادون إيمانًا وتصديقًا، فبالمناجاة والتضرع والالتجاء يصفو القلب ويخلو مما سوى الله، ويتوجه إلى الله رب العالمين بكليته وجمعيته، وهذا طريق من طرق زيادة الإيمان والرسوخ فيه، فكلما كان القلب أكثر تعلقًا بالله ازداد إيمانه وبناؤه ورسوخه.

ج - انتفاء الكِبْر والعُجْب والبطر عنهم وعن أعمالهم، ففي الالتجاء إلى الله رب العالمين، يرى الإنسان مدى ضعفه، ومدى قلة حيلته، ومدى هوانه على الناس، وعلى أنه وحيدا في هذا الكون الفسيح، ولولا أن الله معه بعلمه وتأييده وعونه لضاع كما ضاع غيره، وهلك كما هلك غيره، وفي هذا أقوى الطرق لإخراج عفن الكبر من نفسه وعطن العجب من قلبه ومستنقع البطر من فؤاده.

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة، أننا نجد كثيرًا من الطلاب والتلاميذ يقبلون على الصلوات والطاعات في أيام الامتحانات وأوقات الاختبارات، حتى لتجد بعض المساجد مليئة بهم بعد أن كانت تشكو من هجرانهم لها، ويلفت هذا المشهد نظر المصلين والمداومين على الصلاة والمحافظين عليها، وتجدهم ينقسمون إلى قسمين: قسم معجب بذلك يتمنى لو استمروا وأخذوا العبرة والعظة من ذلك، وفريق لائم ساخط عليهم مقرع لهم ولأفعالهم، يرون أنهم بالصلاة لاعبون وبالعبادات مستهزئون وأنهم

مجترئون على مقام العبودية، فهم لا يصلون إلا هذا الوقت القليل ولأجل مصلحة دنيوية فإذا تحققت لهم عادوا إلى سيرتهم الأولى من ترك الصلوات وهجران المساجد.

والحق أن كلا الفريقين له وجهة من النظر مقبولة، ولكننا نميل إلى الفريق الأول، الذي يحزنه بالطبع أن هؤلاء حرموا أنفسهم من خير كثير بابتعادهم عن الصلوات وعن المساجد فترات طويلة، وأنهم ما دخلوا المساجد وأقاموا الصلوات إلا هذه اللحيظات من حياتهم، لكن هذا الحزن لا يدفعهم إلى مقاطعتهم وإعلان الخصام واللوم لهم، بل إلى فتح قلوبهم وأذرعتهم لهم لاحتضانهم وبيان الواجب عليهم، فإذا كانوا قد لجأوا إلى الله وقت الشدة فإن الإنسان لا يخلو يوم من أيامه من شدائد وصعاب، فلماذا يحرمون أنفسهم من اللجوء إلى المعين والمناصر، وإذا كانوا لجأوا إليه سبحانه لقضاء حوائجهم ولو كانت دنيوية، فمن يقضي الحاجات غير الله، ومن منجزها غير الله تعالى؟ والإنسان لا تنقضي حاجاته ولا طلباته في هذه الدنيا، فهي مستمرة باستمرار حياته. فلماذا يحرم نفسه من طرق باب قاضي الحاجات ومحقق المرغوبات؟ وإذا كان لجأ إليه في حاجة دنيوية فقضاها عز وجل، فمن يقضي له الحاجات الأخروية في الدار الآخرة إلا الله تعالى؟ فضلاً عن أن الدنيا إذا قورنت بالآخرة فلا مجال للمقارنة ولا مجال للمناسبة بينهما، وآخرة الإنسان هي حياته التي يجب عليه أن يسعى لتكون في الجنة وليس ذلك بيد أحد إلا الله تعالى.

وإذا لِيمَ هؤلاء أنهم يلجؤون إلى الله من أجل مصلحة دنيوية ينقضي بانقضائها أجيب عليهم: ما المانع من الالتجاء إلى الله تعالى في قضاء الأمور الدنيوية فهو سبحانه الذي يقضي الحاجات في الدنيا والآخرة؟ فلا ضير على العبد إن لجأ إليه في قضاء حاجات الدنيا، فهو النافع والضار في الدنيا والآخرة سبحانه.

إننا إذا تعاملنا معهم من هذا المنطلق لجذبنا عددًا غير قليل منهم إلى حظيرة الاستمرار على الطاعة والمداومة عليها وعدم الانقطاع، وهذا أفضل من اللوم والتقريع الذي ربما لا يتأثر بهما إلا عدد قليل منهم.

عاشرًا - مشاركة الصبيان في استقبال الجيوش والغازين والمجاهدين:

تداعب الأماني والأحلام خيال الصبيان، وهم في هذه المرحلة الخصبة من العمر، فتجدهم يتعلقون بالبطولة والإقدام والشجاعة والتضحية، لذا يتمنى كثير منهم أن يكونوا في صفٍّ الجندية والعسكرية، فيحلمون بأن يلبسوا الملابس العسكرية تزيّنها النجوم والسيوف والأنواط، ولهذا نجد أكثر الهدايا التي تفرحهم ملابس الضباط وكذلك المدافع والبنادق والأسلحة، ولذا كان الصحابة الصغار - وطبائعهم طبائع الأطفال - يفرحون ويسعدون ويُسرون باستقبال المجاهدين الفاتحين المظفرين وفي مقدمتهم النبي ﷺ، عيونهم معلقة به ينظرون إليه نظرة الانبهار والإعجاب والتقدير، فهذا السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس، فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع. وفي رواية البخاري: ذهبنا نتلقّى رسول الله ﷺ مع الصبيان إلى ثنية الوداع.

إننا نرى في هذا الحديث توجيهًا إلى أهل التربية والتعليم، لأن يشركوا الناشئة في استقبال الجيوش المجاهدة، والسرايا المقاتلة، كلما أمكن ذلك، نظرًا لما في ذلك من فوائد تربوية مهمة، من ذلك:

أ - تعليق أنظارهم وأفئدتهم وقلوبهم بالمثل العليا في التضحية والفداء والنماذج الطيبة في البذل والعطاء، ودفعهم إلى الاقتداء بهم وتمثل أفعالهم أو على الأقل التحلي بسجاياهم الطيبة وخصالهم الحميدة.

ب - تقدير أهل البطولة والشجاعة والإقدام، وأصحاب البطولات العجيبة، وإعطاؤهم ما يستحقونه من منزلة ومكانة استحقوها بأعمالهم النبيلة وأفعالهم السامية.

ج - تربيتهم على الاهتمام بتاريخ أوطانهم وبطولاته وأمجاده وعلى الاعتزاز بها والفخر المحمود المرغوب فيه، ولاشك أن هذا يدفعهم إلى أن يزيدوا هذه الأمجاد أو على الأقل المحافظة عليها.

د - غرس حب الجهاد في نفوسهم وأفئدتهم. وبالجهاد تتحقق العزة والكرامة للأمّة، ويكون أفرادها من ذوي الهمم العالية والنفوس الكبيرة التي تتعلق بمعالي الأمور وأخطر الشؤون، وتطمع إلى أن تكون في مقدمة الصفوف في هذا العالم.

❁ ❁ ❁

٢٣٥- باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

الحديث رقم (١٣٥٥)

١٣٥٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المطعون: من مات بمرض الطاعون وهو داء ورمي وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان[2].

المبطون: الذي يموت بمرض بطنه كالاستسقاء ونحوه[3].

صاحب الهدم: الهدم: البناء المهدوم وصاحب الهدم أي من مات تحته[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف. . نجد أسلوبه دالا واضحا. . وهو أسلوب تقريري. . قدم للإخبار عن حقائق واقعية تحدث في بلاد الإسلام بل وفي العالم كله. ولكن وقوعها في الوسط الإسلامي له تصور خاص، وتفسير مرتبط بآفاق التفكير الإسلامي، والحديث يبدأ بالإجمال ثم التفصيل: والجملة الاسمية الدالة علي الثبات وعدم التغير من زمن إلي زمن هي الصيغة التي صبت في

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤/١٦٤) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١/٢٠٧٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ع ن).

(٣) المرجع السابق في (ب ط ن).

(٤) المرجع السابق في (هـ د م)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٣٥.

قالبها هذا الحديث: حيث يقول رسول الله الشهداء خمسة: ثم يفصل القول في بيان هذه الأنواع الخمسة، وتحديد العدد للتنويع وليس للتحديد، وقال العلماء: إن قوله: خمسة لا ينافي الزائد عليه الوارد في إخبار آخر، إما لعدم اعتبار مفهوم العدو أو أنه أُخْبر بالأقل فأخبر به، ثم زيد في عددهم فأخبر به ثانيا.

وقوله: الشهداء: جمع: الشهيد: ولفظ: شهيد من خصوصية اللغة في ظل الإسلام. . وسمي بذلك لعدة معايير وتأويلات: منها: أن الله ورسوله شهدا له بالجنة، ومنها أنه يبعث وله شاهد بقتله ودليل علي ذلك: فاللون لون الدم، والريح ريح المسك، ومنها أن ملائكة الرحمة يشهدون فيقبضون روحه، ومن أنواع هؤلاء الشهداء. ، والمطعون: وهو اسم مفعول: أي الذي أصابه الطاعون، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله، ما الطاعون، قال غدة كغدة الإبل: المقيم فيها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف، والمبطون: وهو الذي أصابه مرض البطن، وأمراض البطن متعددة. . ولكن كلها يتضمنها هذا التعبير البليغ الذي جاءت بصيغة اسم المفعول: "المبطون "أي الذي وقع عليه المرض فأصبح فريسة له، والإيقاع الصوتي والتشابه في الصياغة اللغوية بين: المطعون والمبطون، وكذلك التجانس بينهما في كثير من الحروف يقرب ما بينهما في الخطر والعذر المحيط بالمريض. . وهو ما يجعلهما في عداد الشهداء إذا صبرا واحتسبا أجرها عند الله عز وجل، وكذلك "الغريق "الذي جرفه الموج وغيبه في ظلمات البحار، وصاحب الهدم. .. أي من مات تحت الأنقاض وهو آمن في بيته أو كان يعمل في البناء. . وغير ذلك، ثم الشهيد في سبيل الله: وهو المقاتل إيمانا واحتسابا. . وخصه بلفظ الشهيد للتأكيد علي ثبات هذه الصفة في كل مجاهد صابر محتسب خاض القتال. . وقاتل وقتل في سبيل الله. ووعد رسول الله الشهداء المصابين بعيدا عن ميدان القتال بأنهم شهداء أعظم مواساة لهم علي ما أصابهم في حياتهم من كوارث وأمراض أو نهايات مفجعة وهم مؤمنون قلوبهم تنبض بالتصديق، ولسانهم يقر بالتوحيد وجوارحهم تقوم بالعمل الصالح النافع المفيد.

المضامين الدعوية(١)

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أصناف الشهداء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة المستقرة في أذهان المدعوين.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة)، ومن أولى مهام الداعية البيان والإيضاح حتى تقوم على المدعوين الحجة، وفي الحديث بيّن النبي ﷺ ووضح للمدعوين أصناف الشهداء وأنواعهم حتى يكون المدعو على دراية ومعرفة بأحكام الشريعة وأحكام الشهداء، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالبلاغ والبيان فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣).

قال ابن كثير: "وأنزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما نزل إليهم من ربهم لعلمك بما أنزل عليك وحرصك عليه، واتباعك له لعلمنا بأنك أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل لعلهم ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين"(٤).

قال د. عبدالكريم زيدان: "القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله ولذا فيجب أن يكون القول واضحًا بينًا لا غموض فيه ولا إبهام مفهومًا عند السامع لأن الغرض من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٥٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٥٦، ١٣٥٧).

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧٤/٤.

الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى من يكلمه الداعي فيجب أن يكون الكلام واضحًا غاية الوضوح، وقد جعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام التبليغ المبين الواضح لتقوم الحجة على المخاطبين"(١).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أصناف الشهداء:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)، وفي الحديث أيضًا: (من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد والغريق شهيد)، وهذا بيان لأصناف الشهداء.

وقال القرطبي: "وقوله: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله) قال مالك من حديث جابر بن عتيك: أن رسول الله ﷺ قال: ((الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ، والْقَتِيلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))(٢)، وذكر نحو ما تقدم، وزاد: (وصاحب ذات الجَنْب، والحريق، والمرأة تموت بجُمْعٍ) ولا يظن: أن بين قوله: (الشهداء خمسة) و(الشهداء سبعة) تناقضًا؛ لأنهما حديثان مختلفان، أخبر بهما في وقتين مختلفين. ففي وقت أوحي إليه أنهم خمسة، وفي وقت آخر أوحي إليه أنهم أكثر. والله تعالى أعلم.

فأما (المطعون) فهو الذي يموت بالطاعون، وهو: الوباء. وقد فسره في الحديث الآخر، إذ قال فيه: (الطاعون شهادة لكل مسلم) ولم يُرِدِ المطعونَ بالسِّنان، لأنه هو المقتول في سبيل الله، المذكور من جملة الخمسة.

و(المبطون): هو الذي يموت من علّة البطن، كالاستسقاء، والحَقْن -وهو: انتفاخ الجوف- والإسهال.

و(الغرق) يروى بغير ياء، كحَذِرٍ. ويروى بالياء - وهو للمبالغة - كعليم.

و(صاحب الهدم): هو الذي يموت تحت الهدم. و(الحريق): هو الذي يموت بحرق النار.

---

(١) أصول الدعوة ص ٤٧١.

(٢) أخرجه أبو داود ٣١١١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٦٦٨).

وهؤلاء الثلاثة إنما حصلت لهم مرتبة الشهادة لأجل تلك الأسباب؛ لأنهم لم يغرِّروا بنفوسهم، ولا فرّطوا في التّحرُّز، ولكن أصابتهم تلك الأسباب بقضاء الله وقدره. فأما من غرّر، أو فرّط في التحرُّز حتى أصابه شيء من ذلك، فمات، فهو عاصٍ، وأمره إلى الله؛ إن شاء عذب، وإن شاء عفا.

وأمَّا صاحبُ ذات الجَنْب: فهي قرحةٌ في الجَنْب، وورم شديد، وتسمى: الشّوصة.

وأما المرأة تموت بجُمْع: ويقال: بضم الجيم وكسرها - فهي المرأة تموت حاملاً، وقد جمعت ولدها في بطنها. وقيل: هي التي تموت في نفاسه وبسببه. وقيل: هي التي تموت بكرًا لم تفتضّ. وقيل: بكرًا لم تظهر لأحد. والأول أولى وأظهر. والله أعلم.

وقوله: (ومن مات في سبيل الله فهو شهيد) يعني: أنه يموت شهيدًا وإن لم يباشر الحرب، ولم يشاهده"[1].

قال النووي: "والمطعون هو من مات بالطاعون والمبطون هو صاحب داء البطن وهو الإسهال، قال القاضي: وقيل: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن وقيل: الذي يموت بداء بطنه مطلقًا، وأما الغرق فهو الذي يموت غريقًا في الماء وصاحب الهدم من يموت تحته والحريق الذي يموت بحريق النار"[2].

وقال ابن حجر: "ويتحصل مما ذكر في الأحاديث أن الشهداء قسمان: شهيد الدنيا، وشهيد الآخرة، وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلاً غير مدبر مخلصًا، وشهيد الآخرة وهو من ذكر، بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا"[3].

وقال ابن علان: "وهؤلاء المذكرون شهداء في الآخرة، أي: في الثواب المعد للشهيد ويغسلون ويصلى عليهم كغيرهم من أموات المسلمين بخلاف القتيل في حرب الكفار

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٥٦/٣ - ٧٥٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢/٦.

سواء كان بسلاح الكفار أو بسلاح نفسه أو سقط عن فرسه أو نحوه فلا يغسل ولا يصلى عليه ثم إن قصد بجهاده وجه الله تعالى ونصر دينه كان من شهداء الآخرة أيضًا، وإلا فهو شهيد الدنيا ولا ثواب له في الآخرة"(١).

وقال الطيبي: "ومن مات بالطاعون أو بوجع في البطن ملحق بمن قتل في سبيل الله لمشاركته إياه في بعض ما ينال من الكرامة بسبب ما كابد من الشدة لا في جملة الأحكام والفضائل"(٢).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة)، وقوله: (إن شهداء أمتي إذًا لقليل)، ولا شك أن هذا من فضل الله ورحمته بعباده حيث ألحق المطعون والمبطون والغريق والحريق والهدم بمن قتل في سبيل الله في الثواب، قال النووي: "والمراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم والشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا وهم هؤلاء المذكورون هنا وشهيد في الدنيا دون الآخرة وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبرًا"(٣)، والشهيد سمي شهيدًا لفضل كبير يلحق به ويناله.

هذا وقد ساق الإمام البدر العيني روايات كثيرة تبين أصناف الشهداء ومن يلحق بهم، وهذا يدل على فضل الله ورحمته بعباده، ولهذا علق الإمام البدر العيني على هذه الروايات فقال: "وهذا كما رأيت ترتقي الشهداء إلى قريب من أربعين. فإن قلت: كيف التوفيق بين الأحاديث التي فيها العدد المختلف صريحًا، والأحاديث الأخر أيضًا. قلت: أما ذكر العدد المختلف فليس على معنى التحديد، بل كل واحد من ذلك بحسب الحال وبحسب السؤال وبحسب ما تجدد العلم في ذلك من النبي ﷺ، على أن

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٤.

التنصيص على العدد المعين لا ينافي الزيادة، ومع هذا: الشهيد الحقيقي هو قتيل المعركة وبه أثر. أو قتله أهل الحرب أو أهل البغي أو قطاع الطريق، سواء كان القتل مباشرة أو تسببًا أو قتله المسلمون ظلمًا ولم يجب بقتله دية، فالحكم فيه أن يكفن ويصلى عليه، ولا يغسل ويدفن بدمه وثيابه إلاّ ما ليس من جنس الكفن: كالفرو والحشو والسلاح المعلق عليه، ويزاد وينقص، هذا كله عند أصحابنا الحنفية. وعند الشافعي: من مات في قتال أهل الحرب فهو شهيد، سواء كان به أثر أو لا، ومن قتل ظلمًا في غير قتال الكفار أو خرج في قتالهم ومات بعد انفصال القتال، وكان بحيث يقطع بموته ففيه قولان: في قول: لم يكن شهيدًا، وبه قال مالك وأحمد، وفي (المغنى): إذا مات في المعترك فإنه لا يغسل، رواية واحدة، وهو قول أكثر أهل العلم، ولا نعلم فيه خلافًا إلا عن الحسن وابن المسيب فإنهما قالا: يغسل الشهيد ولا يعمل به، وأما ما عدا ما ذكرناهم الآن فهم شهداء حكمًا لا حقيقة، وهذا فضل من الله تعالى لهذه الأمة بأن جعل ما جرى عليهم تمحيصًا لذنوبهم وزيادة في أجرهم بلغهم بها درجات الشهداء الحقيقية ومراتبهم، فلهذا يغسلون ويعمل بهم ما يعمل بسائر أموات المسلمين. وفي(التوضيح): الشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار بسبب من الأسباب، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم من ذكروا آنفًا. وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة ومن قتل مدبرًا أو ما في معناه"[1].

قال ابن حجر: "واختلف في تسمية الشهيد شهيدًا فقال النضر بن شميل: لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة، وقال ابن الأنباري: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة، وقيل: لأنه يشهد له بالأمان من النار، وقيل: لأن عليه شاهدًا بكونه شهيد، وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة، وقيل: لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل، وقيل: لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة، وقيل: لأن الأنبياء عليهم السلام تشهد له بحسن الاتباع،

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٤/١٢٧ - ١٢٨.

وقيل: لأن الله سبحانه وتعالى يشهد بحسن نيته وإخلاصه، وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره، وقيل: لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة، وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار، وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا، وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره، وبعضها قد ينازع فيه.

قال ابن التين: هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصًا لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء، قلت: والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء"(١).

وقال القاضي عياض: "وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضيل الله على أربابها لشدتها وعظيم الألم فيها، فجازاهم الله على ذلك، بأن جعل لهم أجر الشهداء، أو يحتمل أنهم سموا بذلك لمشاهدتهم فيما قاسوا من الألم عند الموت وشدته، ما أعد لهم كما أعد للشهداء، أو سموا بذلك على أحد التأويلات. وقد ألحق النبي ﷺ بذلك من مات في سبيل الله بغير القتل كما تقدم"(٢).

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة حيث تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتشجع المدعو على الاستفسار عما يجهل والداعية الحصيف هو الذي يجعل من أسلوب السؤال والجواب سبيلاً موصلاً لعرض دعوته وبيان ما يريد.

قال الطيبي: "قال التوربشتي: (ما) استفهامية ويسأل بكلمة (ما) عن جنس ذات الشيء ونوعه، وقد يسأل بها عن الاشخاص الناطقين، ولما كانت حقيقة الاستفهام هنا السؤال عن الحالة التي ينال بها المؤمن رتبة الشهادة استفهم عنها بكلمة (ما) لتكون أدل على وصفها وعلى المعنى المراد منها، ثم إنها مع ذلك تُسدّ مسد (من) ولهذا أجابوا عنها بقولهم: (من قتل في سبيل الله)، أقول - أي الطيبي -: (ما) هنا للسؤال عن وصف

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦/٥١ - ٥٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٤٤.

من له كرامة وقرب عند الله ولما لم يطابق جوابهم سؤاله ﷺ رد عليهم بقوله: (إن شهداء أمتي إذن لقليل)، وكان يكفي أن يقولوا: من قتل في سبيل الله"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٢]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٣].

خامسًا - من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم لخاطئة المستقرة في أذهان المدعوين:

حيث جاء في الحديث: (ما تعدون الشهداء فيكم؟ ...) ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات الداعي تصحيح المفاهيم لدى المدعوين، وبيان التصور الإسلامي الصحيح لها، وفي هذا الحديث بيّن لهم النبي ﷺ أن مفهوم الشهيد لا يقتصر على القتل في سبيل الله، وإنما يمتد ليشمل الأصناف المذكورين فالداعية الناجح هو الذي يبصر أحوال المجتمع وما فيه من مفاهيم خاطئة يصوبها ويصححها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ولقد كان تصحيح المفاهيم من هدي النبي ﷺ حيث كان يحرص على تغيير المعتقدات الخاطئة، وبيان التصور الإسلامي الصحيح لها ويتضح هذا مما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ليس المسكينُ الذي تَرُدُّهُ الأكلةُ والأكلتانِ، ولكنِ المسكينُ الذي ليس له غِنىً ويَستَحيي أو لا يَسألُ الناسَ إلحافًا))[٤].

ومن صور تصحيح المفاهيم أيضًا ما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟)) قَالَ قُلْنَا: الَّذي لاَ يُولَدُ لَهُ. قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ. وَلكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا)) قَالَ: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٦.

فِيكُمْ؟)) قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: ((لَيْسَ بِذَلِكَ. وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))(١).

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على تصحيح المفاهيم الخاطئة، وينبغي على الدعاة الهداة الاهتداء بهدي النبي ﷺ والاقتداء به في ذلك.

(١) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٨ واللفظ له.

الحديث رقم (١٣٥٦)

١٣٥٦- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ[١] فِيكُمْ؟)) قالوا: يَا رسولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبيلِ اللهِ فَهُوَ شَهيدٌ. قَالَ: ((إنَّ شهدَاءَ أُمَّتِي إذًا لَقَليلٌ!)) قالوا: فَمَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((مَنْ قُتِلَ فِي سَبيلِ الله فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبيلِ الله فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهيدٌ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا الحوار بين رسول الله والصحابة الأخيار. ومنبع الجمال يكمن في أن الحديث يحمل بشريات الشهادة: لكل من أصيب في بدنه أو وقع فريسة لوباء أو دهمه السيل أو جرفه الطوفان، أو تواري تحت الأنقاض، أو غيبته ظلمات البحار، أو تفجرت به طائرة في أجواء الفضاء، أو علي ظهر الأرض، فالمصطفي يواسي كل هؤلاء ويبشرهم بأجر الشهداء ولذلك يبدأ بالسؤال المثير للدهشة وطلب المعرفة: ما تعدون الشهداء فيكم؟، ويتصاعد الحوار الجميل حين يحدد الصحابة نوعية الشهيد، وقد صدروا إجابتهم بالنداء الذين يقرون فيه بالرسالة: يا رسول الله "وكأن هذا النداء إيذان بمعرفة الموقف الصحيح. وكلامهم مؤطر بحدود معرفتهم. ولدى رسول الله المعرفة الأوفى. لأنه علمه شديد القوي، وإجابتهم لم تكن شافية كافية، حيث حددوا الشهيد وحصروه بأنه من قتل في سبيل الله فهو شهيد.

ومن جمال أدب النبوة وبلاغة الرسول أنه لم يخطئهم، وإنما حفزهم لمواصلة الحوار

---

(١) لفظ مسلم: (الشهيد) بالإفراد، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٩١٥/١٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٧٣).

والتساؤل حيث قال مصدرا كلامه بالتأكيد: إن شهداء أمتي إذا لقليل، وتساءل الصحابة في فرح ودهشة وشعور بالبشريات التي سيتوهج بها كلام سيد المرسلين: وقالوا: فمن يا رسول الله؟، وتكرار النداء: يا رسول الله للإيحاء بأنهم يتشوقون إلي معرفة الرأي الصادق الصحيح، ومن غير رسول الله يتفوه بالصدق. . والحق واليقين؟ وحدد رسول الله آفاق الشهادة تحديدا لا يمنع غيرها من صور الاستشهاد، وجاءت الصياغة في الأنواع الأربع الأولي في قالب الشرط والجزاء للتدليل علي الثواب الذي يعده الله للشهداء، وتكرار الجواب بالصيغة نفسها أربع مرات، فهو شهيد لتأكيد ثواب الشهادة، وحصول الجزاء، وتكرر فعل الشرط مع أداة الشرط "من مات "ثلاث مرات: للإيحاء بأن الموت وإن تعددت صوره، . واختلفت مسبباته ومواقعه فإن دائرة الشهادة تجمع الجميع، وإن ثواب الشهيد المعد للكل لن يضيع، ولنتأمل قوله: من قتل في سبيل فهو شهيد "ولم يقل من مات "لأن قوله من قتل "بيان لتوضيح ظروف الاستشهاد وأسبابه. . ومنها لقاء العدو، والقتال في ساحة المعركة، وهذا ملحظ دقيق لأن من مات في سبيل الله بعيدا عن ميدان القتال: هو شهيد ولكنه لم يقتل وهو يصارع الأعداء وغنمها بسبب غير القتال: كأن يسقط عن فرسه أو مات حتف أنفه أو هو يقوم بإنجاز عمل فيه خدمة للإسلام، والتعبير "بفي "يدل علي الظرفية وتمكن المرض من الإنسان: وقيل في: سببية وهي للتعليل، والجملة الأخيرة خالية من الشرط، والغريق شهيد: لأن الغريق يلقي حتفه في الحال، والأمر لا يحتاج إلي أسلوب شرط فالغريق ليست لديه فرصة للاختيار أو الفرار حين يداهمه التيار وتحدق به الأخطار.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم المدافعة عن النفس: اتفق الفقهاء على جواز المدافعة عن النفس ولو بالقتل إذا كان طريقًا للدفع، ولا ضمان عليه بقصاص ولا دية ولا كفارة ولا قيمة، ولا إثم

عليه لأنه مأمور بدفعه، وفي الأمر بالقتال والضمان منافاة[١].

٢-حكم قتل القاصد لأخذ المال بغير حق: اتفق الفقهاء على جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق سواء أكان المال قليلاً أم كثيرًا إذا كان القتل طريقًا متعينًا لدفعه[٢].

٣-حكم المدافعة عن الحريم: لا خلاف بين الفقهاء في أن المدافعة عن الحريم واجبة[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) غمز عيون البصائر للحموي ٢٧٦/١، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين بن فرحون المالكي ٢٤٧/٢، القواعد لابن رجب ٣٧، القاعدة السابعة والعشرون، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٦/٥، ٥٢٧، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٧/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٦-١٥٥.

(٢) غمز عيون البصائر ٢٦٧/١، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين بن فرحون المالكي ٢٣٧/٢، شرح مختصر خليل للخرشي ١١٢/٨، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٦/٥-٥٢٧، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٧/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٦-١٥٥، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٥٧)

١٣٥٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قبس من توهجات الحديث السابق. فهذا النوع من الشهادة لم يرد في الحديثين السابقين ولكنه يعد شرياناً جارياً في دائرة الشهادة. فالدفاع عن النفس والعرض والدين والمال والوطن يعد استشهادا في سبيل الله، والحديث جملة واحدة صيغت في قالب الشرط والجواب وفعل الشرط "قتل "مبنى للمجهول. إشارة إلى أن أسباب القتل وبواعثه أثرها منكور وفعلها أمر محظور والإقدام عليه شر مستطير، ودائماً القاتل يتخفى وإن ظهرت ملامحه وذاع أمره وفشا خبره وقوله"دون ماله "يصور حرص صاحب المال على حمايته: لأن دون في دلالتها اللغوية ونوعيتها ظرف مكان بمعنى تحت، وتستعمل للتنبيه مجازا، ودقة الأسلوب المصور للحركة والحرص على المال تتمثل في أن الذي يقاتل عن ماله غالباً إنما يجعله خلفه أو تحته ثم يقاتل عليه: وهو حريص على أن يمنع سارق المال أو مغتصبه من الوصول إليه بشتى وسائل المقاومة وفى بعض الروايات: من قتل دون ماله مظلوماً فله الجنة "والشهيد صيغة لغوية تدل على المبالغة والحضور والشهيد لا يقضى حتى يبذل كل ما في وسعة في سبيل إعلاء كلمة الحق والعلاقة قوية بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فالشهيد في الإسلام هو الذي يقضى في سبيل الله. ويدافع عن حقه وممتلكاته بدافع من إيمانه وإقراره بشهادة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١/٢٢٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٣) وعزاه إلى البخاري والترمذي.

التوحيد، والقرآن عندما يسمى ذلك شهيداً وكذلك رسول الله ﷺ في ضوء التعاليم القرآنية فكأنه يقول: انظروا إلى رجل لم تغب عن قلبه شهادة أن لا إله إلا الله، عاش عمره في ظلالها يدافع عنها ويعلن عن وجودها (١). وحينما يدافع عن دينه وعرضه وماله ونفسه ويقتل يموت والشهادة في قلبه عالية، وهو يموت لتظل كلمة الله هي العليا. . وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٥٥).

الحديث رقم (١٣٥٨)

١٣٥٨- وعن أَبي الأعْوَر سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل، أحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بالجَنَّةِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهيدٌ**[١]**، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أهْلِهِ فَهُوَ شَهيدٌ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سعيد بن زيد بن عمرو: وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى العدوي، ولد بمكة صحابي مشهور، من فضلاء الصحابة، وعَلَم من أعلامهم، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره على أخته فاطمة بنت الخطاب، له في كتب الحديث ثمانية وأربعون حديثًا.

وكان إسلامهُ مبكرًا فأسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان من المهاجرين الأولين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بدءً من أحد، ولم يشهد بدرًا لأنه كان بالشام بعثه النبي ﷺ هو وطلحة بن عبيدالله يتحسّبان له أمر غير قريش قبل أن يخرج من المدينة فلم يحضر بدرًا، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما.

كما كان حريصًا على ملازمة رسول الله ﷺ فكان دائمًا ممن يكونون أمام رسول الله ﷺ في الجهاد، وخلفه في الصلاة، وكان رضي الله عنه له كثير من المناقب منها: أنه كان ممن نزل فيه قول الله تبارك وتعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾[٣] وكان مجاب الدعوة ومن بين الوقائع الدالة على ذلك أنه دعا على امرأة تسمى أروى بنت أويس ظلمته في أرض له فقال: اللهم إن كانت أروى

---

(١) لفظ الترمذي: بتقديم الدين على الدين. تبع المؤلف فيه المنذريَّ في ترغيبه، وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٢).

(٣) سورة الزمر، آية: ١٧.

ظلمتني فأعم بصرها، واجعل قبرها في بئرها، واستجاب الله دعائه فعميت، وذات يوم خرجت في بعض حاجتها فوقعت في بئر أرضها فماتت وكان ذلك بعد أن أظهر الله براءته.

طلب من النبي أن يستغفر لأبيه قائلاً: ((يا رسول الله إن أبي زيد بن عمرو بن نفيل كان كما رأيت وكما بلغك، ولو أدركك آمن بك فاستغفر له، قال: نعم فاستغفر له وقال أنه يجيء يوم القيامة أمة وحده))[1].

وكان أيضًا مما سطره له التاريخ ماروى عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري، وكان يحيى الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مهلاً لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها[2].

كما كان رضي الله عنه من ذوي الرأي والبسالة، شهد اليرموك وحصار دمشق، وولاه أبو عبيدة عليها.

توفي رضي الله عنه بالعقيق وحمل على رقاب الرجال فدفن بالمدينة، وقيل مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة بن شعبة، مات سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين.

عاش بضعًا وسبعين سنة، وذكر البعض عمره على وجه التحديد فقال ثلاثًا وسبعين سنة وقيل أربعًا وسبعين[3].

---

(١) المستدرك (٣/٤٣٩، ٤٤٠)، سيرة ابن هشام (٢/٢٤٤)، الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٣٨٠، ٣٨١).

(٢) المستدرك (٣/٤٤٠)، السيرة لابن هشام (١/٢٤٤)، الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٣٨٠، ٣٨١).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٣٧٩-٣٨٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٦٩-٢٧١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٤٧٦-٤٧٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٠٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١/١٢٤-١٤٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/١٦١-١٦٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٢٠)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٩٤)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١/٣٧٥-٤٧٩)، (٢/٩٠٥).

غريب الألفاظ:

من قتل دون ماله: أي من قاتل الصائل [أي المعتدي] على ماله حيوانًا كان أو غيره فقتل في المدافعة[١].

من قتل دون دمه: بأن صال عليه صائل فقاتله فقتل[٢].

من قتل دون دينه: من قتل في نصرة دين الله تعالى والذب عنه وفي قتال المرتدين عن الدين[٣].

دون أهله: في الدفع عن بُضْع حليلته أو قريبته[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف ندرك أنه يتصل اتصالاً وثيقاً بآفاق الصياغة والمضامين في الأحاديث السابقة في "باب بيان جماعة الشهداء "والراوي الأعلى لهذا الحديث. . نموذج للمجاهد الفارس المحتسب فقد شهد مع رسول الله المشاهد كلها - بدر - وشهد اليرموك - وحصار دمشق - وكان مجاب الدعوة والحديث يضيف إلى قافلة الشهداء نماذج جديدة والمكونات اللغوية للحديث تتضمن أربع جمل وكلها تتفق في الرؤية والشكل، حيث تتكون كلها من جمل شرطية وفعل الشرط والأداة فيها كلها متحدة في الصياغة والمعنى: حيث يتكرر قوله: من قتل أربع مرات ولم يقل من مات: للدلالة على الدفاع وخوض القتال في سبيل حماية الدين - والدم - والمال - والعرض - وجواب الشرط متحد في الجمل الأربع كلها وهو الحكم بالفوز بالشهادة لكل هؤلاء النماذج المدافعة عن كرامتها ووجودها "فهو شهيد

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٧١، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٤٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٣٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٧١.

(٤) المرجع السابق ٢٠٧١.

"وقوله: دون "كما في الحديث السابق يصور حركة كل من هؤلاء في حماية ما يدافع عنه حتى يجود بنفسه مرفوع الهامة موفور الكرامة وهو يفوه بكلمة التوحيد (أشهد لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) وقوله: دون دمه "كناية عن الدفاع عن نفسه حين يصول علية صائل فيقاتله فيقتل فيموت كريماً عزيزاً ولا يعيش مهاناً ذليلاً وقوله: دون دينه كناية عن حركة المدافع عن دينه حين يطلب منه في عصر الفتنة والقهر - الارتداد والنطق بالكفر أو السير في ركاب الملحدين فيأبى فيقتل "ودون أهلة "كناية عن حماية الرجل لزوجه وأهل بيته جميعاً حين يغير عليهم لص أو معتد على الأعراض أو خاطف للأطفال أو غير ذلك من أنواع الاعتداءات والبلاءات واتفاق جمل الحديث في الصياغة والدلالات يوحى بأن الأجر يتماثل في كل الحالات وبأن صفة الشهيد هي منحة إلهية وعطاء رباني: والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الضرورات الخمس.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الاعتداء على المال والنفس والدين والعرض.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سعيد بن زيد بن عمرو رضي الله عنه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أهداف الدعوة: الحفاظ على الضرورات الخمس:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث بيّن الحديث أن كل من يدافع عن هذه الضرورات الخمس وتشمل: (الدين والنفس والعرض والمال والعقل)، فهو شهيد ولا شك أن الحفاظ على هذه الأشياء هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية.

"إن الدعوة الإسلامية تهدف إلى خمسة مقاصد هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسب، وحفظ المال وكل ما جاء في الشريعة من مبادئ وأحكام وأوامر ونواهٍ وزواجر وعقوبات.. كلها تهدف إلى حفظ هذه المقاصد الخمسة، وإن هذه الأمور الخمسة هي الضرورات التي تتعلق بها مصالح الدنيا والآخرة وبالمحافظة

عليها تتحقق السعادة وينتشر السلام"[١].

قال الشاطبي: "ومجموع الضرورات خمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"[٢].

وإذا كانت هذه الضروريات الخمس قد أمر الشارع بالمحافظة عليها وذلك لأن قيام مصالح الدين والدنيا عليها.

فقد قال الشاطبي أيضًا: "والحفاظ عليها يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما أشبه ذلك.

والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود - أيضًا - كتناول المأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والمسكونات، وما أشبه ذلك.

والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل -أيضًا- لكن بواسطة العادات.

والجنايات ترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم.

وأما المعاملات: فما كان راجعًا إلى مصلحة الإنسان مع غيره كانتقال الأملاك بعوض أو بغير عوض، بالعقد على الرقاب أو المنافع أو الأبضاع.

والجنايات ما كان عائدًا على ما تقدم بالإبطال، فشرع فيها ما يدرأ ذلك الإبطال ويتلافى تلك المصالح كالقصاص والديات للنفس، والحد للعقل والنسل، والقطع

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ على صالح الراشد ص ٦٠.

(٢) الموافقات ٢/٨ - ١٠.

والتضمين للمال"(١).

جاء في الموسوعة الفقهية: "الضروريات أقوى مراتب المصلحة فقد قسم الغزالي المصلحة باعتبار قوتها في ذاتها إلى ثلاثة أقسام:

أ/ رتبة الضروريات.

ب/ رتبة الحاجيات.

ج/ رتب التحسينيات.

ثم قال: والمقصود بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة - وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم.

هذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضروريات فهي أقوى المراتب في المصالح.

ويلي الضروريات في الرتبة الحاجيات ثم التحسينات.

والمقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية. والتحسينية، فلو فرض اختلال الضروري بإطلاق لاختل الحاجي والتحسيني بإطلاق، ولا يلزم من اختلال الحاجي والتحسيني اختلال الضروري بإطلاق - ومع ذلك فقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه من الوجوه - فالحاجي يخدم الضروري، والضروري هو المطلوب لأنه الأصل.

وبيان ذلك أن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على الأمور الخمسة المعروفة، فإذا اعتبر قيام هذا الوجود الدنيوي مبنيًا عليها حتى إذا انخرمت لم يبق للدنيا وجود، (أي ما هو خاص بالمكلفين والتكليف).

وكذلك الأمور الأخروية لا قيام لها إلا بذلك، فلو عُدم الدين عُدم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش، فلو ارتفع ذلك لم يكن بقاء، وهذا كله معلوم لا يرتاب فيه من عرف ترتيب أحوال الدنيا وأنها زاد للآخرة"(٢).

---

(١) المرجع السابق نفسه، والجزء والصفحة نفسها.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ٢٨/٢٠٩ - ٢١١.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرمة الاعتداء على المال والنفس والدين والعرض:

يتضح هذا من الحديث: (ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)، ومما لا شك فيه أن الإسلام حرم الاعتداء على هذه الأمور، ومن أجل ذلك شرع العقوبات.

"إن العقوبات الشرعية هي جملة ما وضع من حدود وتعازير لمعالجة مشاكل الانحراف والاعتداء والجناية، والحدود هي جملة العقوبات التي نص عليها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ والعقوبات الشرعية في الإسلام ليست تشريعًا أصيلاً وابتدائيًا، إنما هي لاستبقاء سلامة الأمة ومعافاتها وأمنها في النفوس والعقول والأعراض والأموال وتمكين دينها وعقيدتها وتقرير فضائلها وأخلاقها وقيمها"[1].

قال شرف الحق العظيم آبادي: "من أريد أخذ ماله فقاتل في الدفع عنه فهو شهيد، أي: من شهداء الآخرة بمعنى أن له أجر شهيد، وقوله: (من قتل دون ماله)، أي: من قاتل الصائل على ماله حيوان كان أو غيره فقتل في المدافعة عنه فهو شهيد، ومن قتل في الدفع عن بُضع حليلته أو قريبته أو دون ماله أي في نصرة دين الله تعالى والذب عنه وفي قتال المرتدين عن الدين"[2].

فالإسلام يضع العقوبات الرادعة لصيانة النفس الإنسانية واعتبرت من يدافع عن نفسه شهيدًا عند الله تعالى، "إن الإسلام يحترم الحياة الإنسانية ويحترم حق الإنسان على الإطلاق في الحياة، وأنه قد وضع عقوبة القصاص لحماية هذه الحياة بقطع النظر عن جنس القتيل وسنه ومنزلته ودينه وتقرير الشريعة الإسلامية بجانب عقوبة القصاص في القتل العمد عقوبات دنيوية أخرى منها حرمان القاتل من ميراث القتيل ومن وصيته إن كان مستحقًا لأحدهما ولا يكتفي الإسلام بهذه العقوبات الدنيوية جميعها بل يتوعد كذلك القاتل بغضب من الله ولعنته وأشد عذاب مقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن

(١) المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي ص ٥٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٧١.

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[١]، ولم يتوعد القرآن في آية جريمة بمثل ما توعد به جريمة القتل في هذه الآية، فقد جعل عذابها في الآخرة مساويًا لعذاب الشرك بالله"[٢].

قال: السيد سابق: "إن الله سبحانه كرم الإنسان، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات والأرض جميعًا منه، وجعله خليفة عنه، وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض، وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي، وارتقاء روحي.

ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه ويبلغ غايته، إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو، وأخذ حقوقه كاملة.

وفي طليعة هذه الحقوق التي ضمنها الإسلام حق الحياة، وحق التملك، وحق صيانة العرض.

وهذه الحقوق واجبة للإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن لونه أو دينه، أو جنسه، أو وطنه"[٣].

وفي تكريم الإنسان وضمانه حقوقه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٤].

وجاء عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ، شَهْرُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ))، ثُمَّ قَالَ: (أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) حماية الإسلام للأنفس والأعراض، د. علي عبدالواحد وافي، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، دار الشعب، القاهرة، ص ٩ – ١٠.

(٣) إسلامنا ص ٢٦٧.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((فَأَيُّ بَلَدٍ هذَا؟)) قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ، سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ إسْمِهِ. قَالَ: ((أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَأَيُّ يَوْمٍ هذَا؟)) قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللّهِ.

قَالَ: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ (قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ) وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذَا، فِي بَلَدِكُمْ هذَا، فِي شَهْرِكُمْ هذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا أَوْ ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ))، ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟))[1].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: فضل سعيد بن زيد بن عمرو رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة)، ولا شك أن هذا يدل على فضله ومنزلته، قال ابن عبدالبر: "وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصهره يكنى أبا الأعور، وأمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية، وكان سعيد بن زيد من المهاجرين الأولين وكان إسلامه قديمًا قبل عمر وكان إسلام عمر بسبب زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وخبرهما في ذلك خبر حسن وهاجر هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب ولم يشهد بدرًا لأنه كان غائبًا بالشام قدم منها بعقبه غزوة بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره فقصته أشبه القصص بقصة طلحة ابن عبيد الله وهو أحد العشرة الذين يشهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة"[2].

وقال ابن حجر: "هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر وشهد أحدًا والمشاهد بعدها ولم يكن بالمدينة زمان بدر فلذلك لم يشهدها، وكان سعيد رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وروي عنه أنه قال: (لقد رأيتني، وإن عمر لموثقي على الإسلام)، قال الواقدي: توفي بالعقيق فحمل إلى المدينة

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٥، ومسلم ١٦٧٩ واللفظ له.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٢٦٩.

وذلك سنة خمسين وقيل: إحدى وخمسين وعاش بضعًا وسبعين سنة وكان طوالاً آدم أشعر"[١].

ومن مناقبه ﷺ أنه مستجاب الدعوة فعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أن أروى خاصمته في بعض داره، فقال: دعوها وإياها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا. قَالَ: فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ، تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا[٢].

وعن هشام بن عروة عن أبيه. أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ))، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ[٣].

قال النووي: "وفي حديث سعيد بن زيد ﷺ منقبة له وقبول دعائه وجواز الدعاء على الظالم ومستدل أهل الفضل والله أعلم"[٤].

ومما يدل على زهده وتقواه ﷺ ما جاء: "أن عمر ﷺ أرسل إلى أبي عبيدة ﷺ يقول له: أخبرني عن حال الناس وأخبرني عن حال خالد بن الوليد أي رجل هو؟ وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأخبرني عن سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٥٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٦١٠ (١٣٨)

(٣) أخرجه مسلم ١٦١٠ (١٣٩).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٢٢.

كيف حالهما؟ فكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه عن حال أصحابه وكان مما قال عن سعيد ومعاذ رضي الله عنهما: (كما عهدت إلا أن السواد زادهما في الدنيا زهدًا وفي الآخرة رغبة) وقد تولى سعيد ولاية دمشق ولما وجد أن ذلك شغله عن الجهاد كتب في ذلك إلى أبي عبيدة: (فإني ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يدنيني من مرضاة ربي فإذا أتاك كتابك هذا فابعث إلى عملك وهو أرغب إليه مني"[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث الترغيب في الشهادة لمن يقاتل عن دينه وماله عرضه وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في فعل الخير لأن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الثواب والأجر، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[٢].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[٤].

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة، الشيخ: محمد أحمد عيسى، ط١، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٩٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٣) سورة الحج، آية: ١٤.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

الحديث رقم (١٣٥٩)

١٣٥٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أرَأيتَ إنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أخْذَ مَالِي؟ قَالَ: ((فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: ((قَاتِلْهُ)) قَالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: ((فَأنْتَ شَهِيدٌ)) قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: ((هُوَ فِي النَّارِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الذي ختم به "النووي "باب بيان جماعة من الشهداء وقد صيغ في قالب حواري مقنع ممتع بين أحد الصحابة وهو رجل: لم يحدد الراوي شخصيته؛ لأن المقصود هو معرفة الحكم في مثل هذه المواقف التي سأل عنها ذلك السائل وهى يمكن أن تتكرر في كل زمان وكل مكان في البيئة الإسلامية وغيرها من البيئات المتعددة.

ويبدأ الحوار بالنداء والاستفهام: يا رسول الله أرأيت: أي أخبرني: لأن رأى هنا خبرية - علمية وليست رأى - البصرية: ومضمون السؤال صيغ في قالب الشرط والجواب ولكن حذف جواب الشرط. . حيث دل علية مضمون الشرط وسياق الموقف: يقول - إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ والمحذوف تقديره: فماذا أفعل وأداة الشرط "إن "وهى للشك لأن مثل هذا التعرض مشين ولا يليق من الإنسان وأخيه الإنسان فهو من المنكرات والمحرمات وقوله: يريد أخذ مالي. . أبلغ من قوله "أخذ مالي "لأنه لا يليق بالمسلم أن يترك ماله نهباً للضياع والسرقة والأخذ بدون مقاومة: فقوله "يريد "يعطى فرصة للدفاع والمقاومة والتصدي لحماية المال ولذلك قال رسول الله: فلا تعطه مالك "وهنا بلاغة

---

(١) برقم (٢٢٥/١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٥).

الحذف والتقدير إن جاء يريد أخذ مالك فلا تعطه "والأخذ "يوحى باستيلائه على المال بالقوة وهو غير الطلب أو القرض أو الهبة. ويتكرر السؤال مع تصاعد الحوار إلى أفق آخر وهو مرحلة -القتال- مع حذف الجواب لأنه معلوم ولابد منه: والتقدير: إن قاتلني فماذا أفعل: ويجيء جواب رسول الله في صيغة الأمر الحاسم الجازم "قاتله "ويبلغ الحوار ذروته حين يسأل الرجل: أرأيت إن قتلني: والجواب محذوف والتقدير فما مصيري. . فقال له رسول الله تكملة للجواب: فأنت شهيد، وعبر أسلوبي المقابلة والتضاد في المواقف يأتي السؤال الأخير في هذه المحاورة العميقة الدالة الدقيقة المتزنة: فيقول الرجل مستحضراً الواقع الذي يمكن أن يحدث لكليهما: أرأيت إن قتلته وتأتى إجابة المصطفى ﷺ مبشرة لهذا المؤمن العزيز القوى ومنذرة كل من يعتدي على حقوق المسلم وممتلكاته وحياته: قال: هو في النار وما أبشع هذا المصير الذي حدده البشير النذير محمد ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حق الإنسان في الدفاع عن ماله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على أموال الناس.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا شديدي الحرص على الرجوع إلى رسول الله ﷺ وسؤاله عما أشكل عليهم من أمور، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي) وهذا يدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم وبهذا أمرهم الله تعالى فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وتعلموا من القرآن أن

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

يردوا جميع أمورهم إلى الله والرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

ولتشجيع الصحابة رضي الله عنهم على السؤال كان الله سبحانه وتعالى يتولى الإجابة عن تساؤلاتهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2]، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

وقد استنكر النبي ﷺ على من لم يسأل فيما أشكل عليه حيث قال لما بلغه أمر المجروح الذي اغتسل بالماء فمات فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[4].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ ما جاء أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ)) قالتْ عائشةُ رضي الله عنها فقلتُ: أوَليسَ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا﴾[5] قالت: فقال: ((إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ))[6].

ومما يدل على ذلك أيضًا حديث المقداد بن عمرو الكندي وكان شهد بدرًا مع النبي ﷺ أنه قال: يارسولَ الله إنْ لقيتُ كافرًا فاقتَتَلْنا فضرَب يدي بالسيف فقطعَها ثم لاذَ بشجرةٍ وقال: أسلمتُ لله، آقتلهُ بعدَ أن قالها؟ قال رسولُ الله ﷺ: لا تقتُله. قال: يارسولَ الله فإنه طرَحَ إحدَى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ ما قطعها آقتلهُ؟ قال: ((لا تقتله فإن

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) سورة الانشقاق، آية: ٨.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٣.

قتلْتَه، فإنه بمنزلتكَ قبلَ أن تقتله، وأنتَ بمنزلتهِ قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال))[١].

ومن خلال هذه النصوص يتبين حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما أشكل عليهم من أمور.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهي:

١/ السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث: (أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة النافعة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وعلى الداعية أن يتميز بسعة الصدر ليشجع المدعو على السؤال ويستحثه عليه (ولقد كان ﷺ ينتهج الأسلوب الحواري الاستجوابي مع من يلتق بهم ويدعوهم ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم وسآمتهم ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى"[٢].

٢/ النهي: حيث جاء في الحديث: (فلا تعطه مالك)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المنهي عنه ضرورة اجتنابه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣].

وفي الحديث نهى النبي ﷺ عن إعطاء المال لمن جاء يريد أخذه جاء في البلاغة الواضحة: "النهي طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وللنهي صيغة واحدة هي المضارع مع لا الناهية، وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء والالتماس والتمني والإرشاد والتوبيخ والتيئيس والتهديد والتحقير"[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حق الإنسان في الدفاع عن ماله:

إن الإسلام أعطى الإنسان حق ملكية المال، وأعطاه حق المحافظة على هذا المال

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٦٥.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٩٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) البلاغة الواضحة، د. علي الجارم، أ. مصطفى أمين ص ٢٢٣.

وقتال من جاء ليأخذه ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد)، قال الشيخ ابن عثيمين: "وقد دلّ الحديث على أن الإنسان يدافع عن ماله إذا جاء أحد يريد أخذ المال، فإنك تدافع فإن لم يندفع إلا بالقتل فاقتله، وإن اندفع بدون ذلك فلا تقتله، يعني: لو أمكن أن تكون أنت أقوى منه وتشد يديه ورجليه وتأسره فلا تقتله، لأنه لا حاجة لقتله، وإذا كان لا يمكن فقاتلك فقاتله، ولو قتلته وإن خفت أن يبادرك بالقتل فاقتله، ولا حاجة للمقاتلة، يعني: لو جاء إليك يسعى ويشتد ومعه سلاح قد شهره فاقتله، لأنك إن لم تبادره قتلك فإذا قتلته فإنه في النار، وإن قتلك هو فأنت شهيد، ولهذا قال العلماء: إن دفع الصائل ولو أدى إلى قتله جائز لأنه إذا صال عليك فلا حرمة له لكن إذا اندفع بما دون القتل فلا تقتله"[(١)].

قال النووي: "قوله ﷺ: (فلا تعطه) فمعناه لا يلزمك أن تعطيه وليس المراد تحريم الإعطاء. وأما قوله ﷺ في الصائل إذا قتل هو في النار فمعناه أنه يستحق ذلك وقد يجازى وقد يعفى عنه، إلا أن يكون مستحلاً لذلك بغير تأويل فإنه يكفر ولا يعفى عنه، والله أعلم"[(٢)].

وقال القرطبي: "وقوله: (لا تعطه مالك وقاتله)، دليل على أن المحارب لا يجوز أن يُعطي شيئًا له بالٌ من المال إذا طلبه على وجه الحرابة ما أمكن، لا قليلاً ولا كثيرًا، وأن المحارب يجب قتاله، ولذلك قال مالك: قتال المحاربين جهاد. وقال ابن المنذر: عوام العلماء[(٣)] على قتال المحارب على كل وجه ومدافعته عن المال والأهل والنفس"[(٤)].

وقال القاضي عياض: "وفي الحديث دليل على أنه لا دية في قتل المحاربين ولا قود؛ لأنه إذا كان مقتوله شهيدًا وأمر بقتاله، وأخبر النبي ﷺ أنه إن قُتل في النار، فما

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٥٩/٢ - ١٤٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٨١.

(٣) المراد: جمهور وجماعة انظر: محققي كتاب المفهم: ٣٢٥/١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٢/١.

يأمر الشرع به لا يُعقّبُ على فاعله بعد ولا تباعة في دنيا ولا آخرة"(١).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على أموال الناس:

إن الشرع الحنيف وضع الضمانات اللازمة للحفاظ على المال، ولذا رهّب من الاعتداء على مال الغير، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث: (أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار)، لقد جاء الإسلام يحذر من الاعتداء على أموال الناس بالباطل، ولذا كان حد السرقة فيمن يعتدي ويأخذ مال غيره سرقة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾(٢).

وقد جاء في الحديث أن الذي يعتدي على مال الغير إن قتل فهو في النار، "إن الإسلام لا يقل حرصه على حماية مال الفرد وما يملكه عن حرصه على حماية نفسه، ذلك أن مال الفرد هو عماد حياته فلا تتحقق حماية الحياة على وجه كامل بدون حماية المال ويبدو حرص الإسلام على حماية المال أوضح ما يكون في تحريمه تحريمًا باتًا جميع أنواع الاعتداء على الملك والعقوبات الصارمة الدنيوية والأخروية التي يقررها في جميع هذه الأنواع(٣).

إن الإسلام يحفظ ملكية الإنسان، ويرهّب من الاعتداء عليها بأي صورة من الصور، وبأي وسيلة من الوسائل. "فمن قتل في الدفاع عن نفسه أو ماله أو أهله كان من الشهداء، وقدم المال لأن الطمع فيه أكثر، ولئلا يظن أحد أن التفريط فيه مطلوب أو الاعتداء عليه مباح، وفي الحديث تحريم الظلم واغتصاب الأموال بالإكراه والتهديد، والمنع من التفريط فيه، ولو أدى الأمر إلى قتل الإنسان في سبيلها، إلا أن يكون سلطانًا أو نحوه، وفي الحديث موقف الإسلام الحازم من الظلم، وتربية المسلمين على الشجاعة والاستهانة بالموت في سبيل تحقيق العدل والحق والسلام"(٤).

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٤٤٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٣) حماية الإسلام للأنفس الأعراض، د. علي عبدالواحد وافي ص ٣٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٥ - ٦٥٦.

قال الشيخ السيد سابق: "وكما أن الإسلام احترم حق الحياة، فإنه كذلك احترم حق الملكية، واعتبره حقًا مقدسًا، لا يحل لأحد أن يعتدي عليه بأي وجه من الوجوه.

ولهذا حرم السرقة، والغصب، والربا، والغش، وتطفيف الكيل والوزن، والرشوة، واعتبر كل مال أخذ بغير سبب مشروع أكلاً للمال بالباطل.

وقد قضى الإسلام بقطع يد السارق، التي من شأنها أن تباشر السرقة وفي ذلك حكمة بينة، إذ أن اليد الخائنة بمثابة عضو مريض يجب بتره ليسلم الجسم. والتضحية بالبعض من أجل الكل، مما اتفقت عليه الشرائع والعقول.

كما أن في قطع يد السارق عبرة لمن تحدثه نفسه بالسطو على أموال الناس فلا يجرؤ أن يمد يده إليها.

وبهذا تحفظ الأموال وتصان، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1].

فإذا تقوى اللصوص بقوة السلاح، وأفسدوا في الأرض، وأخافوا الآمنين، وخرجوا على النظام العام، وسطوا على أموال الناس وجبت مطاردتهم، والتنكيل بهم، سدًا لذرائع الفساد، ومنعًا للعدوان، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٞ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

كما حرّم الإسلام الرشوة، فالراشي والمرتشي لا حظ لهما من رحمة الله، إذ أن الرشوة من شأنها أن تفسد أداة الحكم، وتجعل الحكام يتلاعبون بالأحكام، وينقادون للهوى، ويميلون حيث يحلو لهم الميل، فيضلون عن الحق، ولا يعرفون السبيل

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

إليه. وإذا وصل الحكام إلى هذا الانحطاط ولم يجدوا من يقوم انحرافهم فعلى الأمة العفاء ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[١].

والله سبحانه وتعالى ينهى عن أكل أموال الناس بالباطل، وتقديمها إلى الحكام، للإستعانة بذلك على أكل فريق من أموال الناس بالإثم، أو أخذ ما ليس بحق، فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وكل هذا يؤكد حرص الإسلام على المحافظة على أموال الناس"[٣].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٣) إسلامنا ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تهدف التربية الإسلامية إلى بيان الحقائق وإيضاحها، حتى تكون مستقرة في النفوس، ليكون المسلم على معرفة بها، إن من أبرز المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- من الأساليب التربية: البيان والإيضاح:

إن البيان والإيضاح من أبرز أساليب التربية الإسلامية، حتى يكون المتربي على معرفة وعلم بالحقائق التي ينبغي له معرفتها، ومن هنا فقد عُني النبي ﷺ في تربيته لأصحابه بالبيان والإيضاح، وقد ورد ذلك في عدد من أحاديث هذا الباب، حيث قال النبي ﷺ: الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله". وقال ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد".

ثانيًا- من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الدفاع عن المال والنفس والدين والأهل:

إن من أبرز ما تهدف إليه التربية الإسلامية: إعلاء قيمة الدفاع عن المال والنفس والدين والأهل، حتى يعيش المسلم كريمًا عزيزًا شجاعًا، يدافع عن ماله من أن يعتدي عليه أحد، ويعلم قيمة الدفاع عن هذه الأمور، إنه في سبيل الدفاع عن هذه الأمور سالفة الذكر قد يُقتل، وتنتهي حياته، ولكنه يكون قد حاز فضل شرف الشهادة، حيث قُتِلَ شهيدًا، إنها المبادئ والقيم الإسلامية العظيمة التي بيَّنها النبي ﷺ، وربّى عليها أصحابه رضي الله عنهم حيث بيّن لهم أنّ من قتل في سبيل الدفاع عن ماله فهو شهيد، وكذلك من قتل في سبيل الدفاع عن نفسه أو دينه أو أهله فهو شهيد.

كل ذلك حتى يتربى المسلم على العزة والكرامة والشهامة، وعدم الخوف وعدم الجبن، حتى يعيش كريمًا، وإن قتل كان شهيدًا، إنها القيم التربوية التي تحقق العزة والكرامة، وتجعل المسلم مرفوع الرأس، كريمًا عزيزًا.



٢٣٦- باب فضل العتق

الحديث رقم (١٣٦٠)

١٣٦٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْوًا (مِنْهُ) [1] مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رَقبة: وهي في أصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه[3].

الشرح الأدبي

إن الحرية في الإسلام من دلائل عزة المسلم ومعالم كرامته فهو لا يدين بالعبودية إلا لله عز وجل وهو لا يحني رأسه ولا يسجد إلا للحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وفى ضوء هذه الحقيقة الباهرة والمزية السافرة تتحرك دلالات هذا الحديث الشريف من خلال نظمه الفريد ونسقه العجيب فالحديث يتكون في بنائه اللغوي من جمله واحدة - صيغت في قالب "الشرط والجواب "وهو يعد "قاعدة شرعية "وحكما نافذاً ووعداً صادقاً ببشرية رسول الله ﷺ تعتق كل من أعاد للمسلم عزته وأعطاه حريته وأعتق رقبته والعتق في مصطلح الفقهاء: هو إزالة الرق عن الآدمي، ومادة: عتق "في اللغة لها دلالات كثيرة وكلها تشع بأصداء القوة والأصل والسبق والتفرد، ولا تتحقق هذه

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وهي من المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥) واللفظ له، ومسلم (١٥٠٩/٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٢٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ب).

المعانى إلا لدى من يملك قراره ويعرف مصيره ومسيره فالعتق خلاف الرق وهو الحرية وعتاق الطير: الجوارح منها والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء والخيار من كل شيء، والعتق: الكرم، يقال: ما أبين العتق في وجه فلان: يعنى الكرم وقيل: العتق: الجمال، وسمي أبو بكر الصديق "عتيقاً "لأن الله تبارك وتعالى أعتقه من النار كما بشره بذلك رسول الله ﷺ - وقيل سمي عتيقاً: لجماله فالعتق من معانيه الجمال، وفى ضوء هذه الدلالات ندرك سر هذه البشرى العظيمة التي بشر بها رسول الله كل من أعتق رقبة مسلمة وهل مثل العتق من النار فوز وثواب ؟ وجواب الشرط "أعتق "جاء في صيغة الماضي للإيحاء بضرورة تحقق العتق في الواقع ولذلك كان الصحابة يستكثرون منه - وقيل: إن عبد الرحمن بن عوف أعتق "ثلاثين ألف نسمة "- والتكبير في قوله: رقبة. . للتعميم وللشمول: الذكر والأنثى - الكبير والصغير - العرب والعجم. . فالكل سواء والتخصيص بالوصف في قوله مسلمة "إيحاء وإشارة إلى أنه يجب أن لا يظل المسلم "مملوكاً مستعبداً "ولذلك كثرت المواقف التي يكون العتق فيها كفارة وسبيلاً من سبل التوبة والخلاص من الذنوب والآثام وجواب الشرط. . جاء في صيغة الماضي كذلك لتحقيق وقوع الجزاء لأنه وعد من الله والله لا يخلف الميعاد والتماثل في قوله (بكل عضو منه عضواً منه) يوحى بالمساواة التامة بين الخلق أجمعين.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- فضل العتق: اتفق الفقهاء على أن العتق من أفضل الأعمال، ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة(١).

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٥/٤، حاشية رد المحتار ٦٤٠/٣، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٥٩/٤، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٤٥/٦-٤٤٦، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٦٩١/٤-٦٩٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٧٨/١٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٠.

٢- ما يستحب اعتاقه: اتفق الفقهاء على استحباب عتق كامل الأعضاء، فلا يكون خصيًا ولا فاقد غيره من الأعضاء[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على عتق الرقاب المسلمة.

ثانيًا: من فقه الداعية: بيان الثواب المترتب على العمل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على عتق الرقاب المسلمة

حيث جاء في الحديث: (من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار)، ولا شك أن هذا يدل على فضل عتق الرقاب قال النووي: "وفي هذا الحديث بيان فضل العتق وأنه من أفضل الأعمال ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة، وفيه استحباب عتق كامل الأعضاء فلا يكون خصيًا ولا فاقد غيره من الأعضاء، وفي الخصى وغيره أيضًا الفضل العظيم لكن الكامل أولى وأفضله أعلاه ثمنًا وأنفسه وأما التقيد في الرقبة بكونها مؤمنة فيدل على أن هذا الفضل الخاص إنما هو في عتق المؤمنة وأما غير المؤمنة ففيه أيضًا فضل بلا خلاف ولكن دون فضل المؤمنة"[٣].

وقال ابن حجر: "وفي قوله: أعتق الله بكل عضو منه عضوًا)، إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون في الرقبة نقصان ليحصل الاستيعاب، وقال ابن المنير: وفي الحديث: إشارة إلى أنه ينبغي في الرقبة التي تكون للكفارة أن تكون مؤمنة لأن الكفارة منقذة

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٥، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٤٨/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٢/٥، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨/٨، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٩/٥-٥٢٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٦٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٦١).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٦١.

من النار فينبغي أن لا تقع إلا بمنقذة من النار"[١].

ومن الشواهد على الحث على عتق الرقاب المسلمة قوله ﷺ عندما سئل: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا.

ومما يدل على حث الإسلام على عتق الرقاب أنه:

١- أمر الله بعتق الرقاب وجعلها بابًا من أبواب التوبة لعباده وكفارة لذنوب عباده، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢].

وقال جل شأنه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤].

٢- كذلك أمر رسول الله ﷺ بالعتق كفارة عن بعض التصرفات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَينما نحنُ جُلوسٌ عندَ النبيِّ ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يارسولَ الله

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٦/٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٣.

هَلَكتُ، قال: ما لكَ؟ قال: وَقَعتُ على امرأتي وأنا صائمٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: ((هل تَجدُ رَقبةً تُعْتِقُها؟ قال: لا. قال: فهل تَستطيع أن تَصومَ شَهرَيْنِ مُتتابعَينِ؟ قال: لا. قال: فهل تَجدُ إطعام ستِينَ مِسْكِينًا؟)) قال: لا. قال: فمكَثَ النبيُّ ﷺ، فبَينا نحنُ على ذلكَ أُتِيَ النبيُّ ﷺ بعَرَقٍ فيها تَمرٌ - والعَرَقُ: المِكْتَل - قال: أينَ السَّائلُ؟ فقال أنا. قال: خُذ هذا فتصدَّقْ بهِ. فقال الرجلُ: أعَلَى أفقرَ مني يا رسولَ الله؟ فوالله مابَينَ لابَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَينِ - أهلُ بيتٍ أفقرُ من أهلِ بيتي. فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَتْ أنيابهُ ثم قال: ((أطْعِمْهُ أهلَكَ))[1].

٣/ فتح الإسلام باب تحرير العبد نفسه بالمكاتبة قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

٤/ جعل العتق هو العقبة التي من تجاوزها نجا: قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[3].

٥/ جعل الرسول ﷺ من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عتق الرقاب: فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: ((إيمانٌ باللهِ وجِهادٌ في سبيلهِ)). قلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ قال: ((أغلاها ثمنًا، وأنفَسُها عندَ أهلِها)). قلتُ: فإنْ لم أفعَلْ؟ قال: ((تُعِينُ صانعًا، أو تَصنَعُ لأخْرَقَ)). قال: فإن لم أفعلْ؟ قال: ((تَدَعُ الناسَ منَ الشرِّ، فإنَّها صدَقةٌ تَصَدَّقُ بها على نفسِك))[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٣٦.

(٢) سورة النور، آية: ٣٣.

(٣) سورة البلد، الآيات: ١١ - ١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥١٨.

٦/ وجعل الرسول ﷺ من ضرب عبده كفارته عتقه: فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إِنَّ هٰذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)).

((أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ[1]: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلاَمِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: فَلاَ تَأْتِهِمْ، قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ "قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ" قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ، قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدم، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: ائْتِنِي بِهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ))[2]. وكل هذا يدل على حث الإسلام على عتق الرقاب.

ثانيًا – من فقه الداعية: بيان الثواب المترتب على العمل:

حيث جاء في الحديث: (أعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار حتى فرجه بفرجه)، ولا شك أن من فقه الداعية أن يبين الثواب المترتب على الفعل ليحفز المدعو إلى الطاعة، قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب السنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة والدعاة

(١) القائل هو معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه راوي الحديث.

(٢) أخرجه مسلم ٥٣٧.

عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة"[١].

والإنسان دائمًا يتطلع إلى الثواب والأجر وتذكير الإنسان بثواب الله له على الفعل يمثل قوة دافعة على الاستجابة لأمر الله ورسوله، "إن ما وعد الله به عباده المؤمنين من أنواع النعيم المادي والمعنوي في دار الخلود إنما يمثل تلبية مكتملة لتطلعات الإنسان وأشواقه ولحاجاته وأمنياته وهو بهذا يستجيب استجابة شاملة وهذا يجعل بيان الثواب من أعظم الحوافز وأبلغها جذبًا وتأثيرًا في حياة المؤمنين"[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه)، وفي الحديث حث النبي ﷺ على عتق الرقاب، ورغّب في ذلك من خلال بيان أن من يعتق عبدًا يعتقه الله من النار ويعتق بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو إيجابًا وترغبه في الخير ولذا وجب على الداعي أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته، (والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول أحق والثبات عليه)[٣].

---

(١) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣١٢.

(٢) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز النغيمشي ص ١٥١ - ١٥٢.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣٦١)

١٣٦١- وعن أَبي ذرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ الأعمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((**الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ**)) قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((**أنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأكْثَرُهَا ثَمَنًا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الرِّقاب: جمع رقبة: وهي في الأصل العنق، فجُعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، تسمية للشيء ببعضه [٢].

أنفسُها: أعظمها قيمةً [٣].

الشرح الأدبي

هذا مشهد حواري من مشاهد تعليم النبي ﷺ لأصحابه الكرام الأخيار والحوار من أساليب ومعالم البيان النبوي. وهو من وسائل التعليم والإقناع وهو من أحدث الوسائل التربوية في العصر الحديث ويأتي الحوار في قالب - الحكاية والسرد - حيث يكرر "أبو ذر "قال: وقلت "وذلك لمزيد من التشويق ولمزيد من توصيل ما أخبر به رسول الله في إجابته من خلال وسيلة مشوقة، وهي -الحوار- عن طريق السؤال والجواب.

ويبدأ بالنداء والاستفهام: يا رسول الله: أي الأعمال أفضل، وقوله: أفضل يوحى بأن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (١٣٦/٨٤) واللفظ له، وتقدم برقم (١٢٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ب).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف س).

الأعمال الصالحة يجمع بينها الفضل. ولكن هناك عمل فاضل وهناك عمل أفضل وصيغة "الجمع "في قوله الأعمال "توحي بأن الفضل لا يقتصر على عمل واحد محدد. ولكن الأفضلية تشمل أعمالاً كثيرة متنوعة والتعريف "في قوله: الأعمال "للعهد ولم يقل: الصالحات "لأن وصفها بالأفضلية يغنى عن وصفها بالصالحات والجمع بين الإيمان والجهاد في كلام رسول الله. . إرشاد إلى قيمة الجهاد وفضله وحث لكل مسلم أن يكون نضاله وكفاحه وقتاله محصناً بقوة الإيمان والدفاع عن رايه الإسلام. وقيل "العطف للاشتراك في أصل الأفضلية وإن تفاوتا فيها.

والسؤال الثاني: أي الرقاب أفضل، فيه إشارة وتوجيه لكل مسلم حيث يختار أفضل ما عنده في مجال الصدقة، والعتق، والهبة وغير ذلك وحدد رسول الله ﷺ: معيار الأفضلية فقال "أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً: أي أجودها شكلاً. . وقوة. . وأعلاها ثمناً ومجيء هذين الوصافين في صيغة التفضيل يوحى بضرورة الانتقاء. . والاختيار بعد التأني والفحص وصولاً لمعرفة الأجود والأبهى والأحسن والأغلى كما قال سبحانه وتعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ".

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية[١].

٢- أجمع المسلمون على استحباب إطعام السيد مملوكه مما يطعم وإلباسه مما يلبس[٢].

٣-أجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يكلف السيد عبده من العمل ما لا يطيقه فإن كلفه لزمه إعانته بنفسه أو بغيره[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١/١٣٢-١٣٣.

(٢) المرجع السابق ١١/١٣٣.

(٣) المرجع السابق ١١/١٣٣.

٤- حكم نفقة المملوك على سيده: أجمع الفقهاء على أن نفقة المملوك تجب على سيده وكذا كسوته وأنها تكون من غالب قوت البلد، وأنها مقدرة بالكفاية لأن وجوبها للكفاية فتقد بقدر الكفاية كنفقة الأقارب[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) حاشية رد المحتار ٢٣٦/٣، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٩/٤، ٤٠، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٧٠/٢، حاشية الصاوي ٧٤٩/٢-٧٥٠، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠٣/٥، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٥٣/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨٨/٥، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٦٥٣/٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على إكرام الإنسان وتكريمه:

تتباهى الدول وتتفاخر الشعوب بما حققته وتحققه فيما يتعلق بإكرام الإنسان وتكريمه وتشريفه، وتجدها تدعو غيرها إلى أن تحترم الكرامة الإنسانية وتعامل الإنسان بما يليق به ويجدر أن يعامل به، وتجد بعض الكُتَّاب يقسم العالم حسب احترامه لهذه الكرامة وتقديرها، فيصف الدول التي تعتني بذلك بأنها دول حضارية مدنية راقية، على حين تنال الأخرى وصف البدائية الجافية غير الراقية والمتخلفة.

والحق الذي لا مراء فيه ولا جدال، أن الإسلام أولى إكرام الإنسان عناية فائقة واهتم بذلك اهتمامًا بالغًا، وسن من التشريعات ما يعمل على تحقيق ذلك على أرض الوجود، ويحفظه من كل صور الاعتداء والتعدي والمحو والإزالة، ومن أصدق الأدلة على ذلك ما رغّب الشرع فيه، من عتق العبيد والإماء وإعطائهم حريتهم وجعلهم أحرارًا يعيشون كما يعيش الأحرار ويحيون كما يحيون، ويكون أولادهم أحرارًا لا عبيدًا ملاكًا لا مملوكين متصرفين لا متصرفًا فيهم، حاكمين لا محكومين، يملكون إرادتهم لا يُملكون هم وإرادتهم، كما أن الشرع الحنيف ليُحَقِّق هذه الغاية النبيلة قد ضيق من طرق الاسترقاق ووسع من دائرة العتق، لأنه يتشوف ويتطلع إلى إعطاء الناس حرياتهم، ولذا فتح المجال واسعًا لعتق العبيد والإماء، فجعل الإمام والحاكم يتصرف في ذلك بحسب ما يراه من مصلحة ونفع، وجعل قسمًا من الكفارات يقوم على عتق الرقاب، فضلاً عن ترغيبه في العتق المطلق، ولم يكتف بذلك فحسب بل أنزل كذلك من أُعتق منزلته وأعطاه ما يستحقه من كرامة ومكانة، كأنه لم يكن قبل ذلك عبدًا ومملوكًا، إن بعض من كان مملوكًا أصبح له مكانة لا تخفى في تاريخ الإسلام، إن الصحابي الجليل بلالاً رضي الله عنه كان عبدًا لأمية بن خلف، فاشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه، وأبلى بلال رضي الله عنه في الإسلام بلاءً حسنًا وأنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة كبيرة فجعله مؤذنه، حتى عُرف بأنه مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك أنزله الصحابة منزلة عالية، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (أبو بكر سيدنا

وأعتق سيدنا يعني بلالاً)[1]، هذا على مستوى الأفراد، أما على مستوى الجماعات والدول فإن المماليك قد حكموا مصر والشام مدة طويلة من الزمن فيما يعرف بدولة المماليك، وأصبحوا هم يحكمون الأحرار والسادة، وقد أبلوا في الدفاع عن الإسلام والمسلمين بلاءً حسنًا.

إن دولة تكرم مماليكها، فتجعلهم حكامها وقادتها، لدولة حريصة على إكرام الإنسان والعمل على تكريمه.

والسؤال هنا: إذا كان الرِّق قد أُلْغِي الآن واتفقت دول العالم على منعه وإلغائه، فكيف نفعّل ما رغّب فيه الإسلام من العتق وإعطاء الحرية؟

لعلّ الجواب في ذلك يتمثل في أنه إذا كانت الدول المعاصرة اتفقت على إلغاء الرق ومنعه، إلا أن هناك صورًا قد ظهرت أشدّ وأقسى منه، بل لا يكاد يقارن بها في بشاعتها وإجرامها، من تلك الصور: المتاجرة بالفتيات الصغيرات والشابات، وإدخالهن إلى عالم المتعة الحرام، وإكراههن على امتهان البغاء وتسخيرهن في الترفيه الحرام، وجعل أجسادهن وشرفهن سلعة تدر بلايين الدولارات، وتدريبهن على فنون إغواء الرجال وإسقاطهن في حبائلهن، فيما يعرف ذلك كلّه بالرقيق الأبيض. والذي أصبح له مؤسساته الضخمة وشبكاته المعقدة التي تتعمد سرقة أعمار الصغيرات وسرقتهن أنفسهن، وقذفهن في دائرة هذه التجارة القذرة.

ومن الصور التي لا تقلّ بشاعة عن سابقتها: شراء الأطفال من الدول الفقيرة المدقعة الفقر، ونقلهم إلى الدول الغنية، لكي تؤخذ أعضاؤهم الجسدية وتزرع في أجساد المرضى الأغنياء بدون أدنى إحساس من شفقة ورحمة، فإنهم يميتون الزهور البريئة من أجل إحياء هؤلاء المرضى، وهم في الأغلب الأعم كبار من السن، من أجل إحيائهم بضع سنوات قليلات معدودات.

أليس في هاتين الصورتين من البشاعة والإجرام، ما لم يكن في الرق؟ من تقييد وحرمان للحرية؟

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٥٤.

إنا نظن أنه لا مجال للمقارنة والسؤال هنا: ما الذي نستفيده من تربية الناشئة وغيرهم على إكرام الإنسان وتكريمه أمام هاتين الصورتين البشعتين وغيرهما؟

إننا نستفيد ما يلي:

أ- أن ينفروا من ذلك أشد النفور ويَغْضَبُوا لله عز وجل، ويمنعوا ذلك أشد المنع بكل طريقة ووسيلة ممكنة، من سن التشريعات وملاحقة المجرمين وإلحاق الجزاء الذي يستحقونه بهم، وإنقاذ هذه الأزهار البريئة من هذا الوحل وهذا المستنقع الآسن.

ب- أن يكونوا نماذج حيّة لإكرام الإنسان وعمل ما يستطاع لإكرامه وتشريفه، وجعله يعيش الحياة الكريمة التي تليق بهذا المخلوق الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه.

جـ- أن يهتموا بالكرامة الإنسانية ويقدموها على غيرها وما سواها، ولا يفعلوا كما يفعل بعضُ أهل الغرب الذين يثورون ثورة عارمة على المسلمين بسبب أنهم يذبحون الأنعام من البقر والإبل والأغنام والماعز في عيدهم الأضحى، وتقربًا لله عز وجل، ويتهمون المسلمين بأنهم همجيون بربريون متخلفون لا يعرفون للحضارة معنىً ولا للمدنية مفهومًا، على حين أن هؤلاء الثائرين يسكتون سكوت المقبورين حينما يقتل الآلاف من المسلمين ظلمًا وعدوانًا وبدون وجه حق، بل تجد بعضهم يلتمس الأعذار لمن قام بهذه المذابح تحت دعوى حماية نفسه وقومه ووطنه.

إن هذا هو الخلل بعينه أن يقدم ما يتوهمه من مصلحة الحيوان على كرامة الإنسان وحياته، وعلاج هذا الخلل هو التربية على إكرام الإنسان وتكريمه.



٢٣٧- باب فضل الإحسان إلَى المملوك

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦].

الحديث رقم (١٣٦٢)

١٣٦٢- وعنِ المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأيْتُ أبَا ذَرٍ ﷺ، وَعَلَيهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهَا، فَسَألْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أنَّهُ قَدْ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ، فَعَيَّرَهُ بأُمِّهِ[١]، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((**إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أيديكُمْ، فَمَنْ كَانَ أخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأعِينُوهُمْ**[٢])) متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الحلة: واحدة الحُلَل، وهي برود اليمن، ولا تسمى حُلّة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد[٤].

خولكم: جمع خول وهو: حشم الرجل وأتباعه ويقع على العبد والأمة[٥].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يأتي في سياق حدث واقعي ومشهد حقيقي يترجم حرص الصحابة

---

(١) عند مسلم زيادة: (فأتى الرجل فذكر ذلك له).

(٢) عند مسلم زيادة: (عليه).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١/٤٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٦٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل ل).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ و ل).

على إعلان المساواة في الحقوق والواجبات والحياة الكريمة بين السيد والمملوك، ويبدأ الحديث بالفعل "رأى "وهى بصرية وذلك ليدلل: المعرور بن سويد على أن الحدث حقيقي وليس مشهداً افتراضياً أو من محض الخيال القصصي والمساواة بين أبى ذر وغلامه من آثار توجيه النبي ﷺ ولومه لأبى ذر حين سابَّ رجلاً وعيره بأمه السوداء، وتنكير قوله: رجلاً لعدم تحديد الشخص المقصود وهو معروف فهو "بلال - الصحابي الجليل "والتنكير هنا ليس للتقليل من مكانة بلال ولكنه مراعاة لمكانة هذا الصحابي الجليل وعدم إقحام اسمه في هذا الموقف "المشين "ولأن العبرة بعمومية الحكم وليس لخصوصية السبب والتأكيد في بداية كلام رسول الله ﷺ لشدة التقريع وشدة النكير على هذا الصنيع وكلمة: جاهلية "تخفى في طياتها معالم وأوصاف وتصورات عديدة كلها ترفض القيم الفاسدة في المجتمع الجاهلي، وقوله: "هم إخوانكم وخولكم "يتضمن الجناس والتشابه بين هاتين الصفتين في اللفظ. . وهذا التشابه اللفظي هو ترجمة للتشابه في الحقيقة فهم إخوة ينسبون لأب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء.

ومعنى قوله: خولكم: أي بيدهم إصلاح الأمر والقيام بالأعمال لأنهم يخولونهم في ذلك أي يكلفونهم به وهذا التجانس اللفظي: يتسق مع جو الحديث: فالناس كلهم سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وضمير الخطاب المتصل في الكلمتين "كم "فيه إيحاء كذلك بضرورة المساواة والتواصل وعدم الانفصال والتمايز بدافع من الإحساس بالتفوق القبلي أو اللوني أو الشعور بالسيادة والحرية في مقابل الملكية والعبودية، وقوله: جعلهم الله تحت أيديكم، فيه إشعار بأن هذا قدر الله في هذا المملوك وليس للسيد الحر أفضلية في هذا الفضل والواجب عليه أن يفوز بالفضل وأن يعتق أنفس ما عنده وأغلاها ثمناً من الرقاب: ابتغاء مرضاه الله عز وجل وتمم الحديث بثلاث جمل - تمثل توجيهات نبوية وتعاليم إسلامية لترشيد السلوك الأمثل في هذا الباب والجملة الأولى شرطية وجوابها جاء في صيغة الأمر الواجب تنفيذه وقوله: كان "أخوه" ولم يقل كان "غلامه أو مملوكه" إشارة إلى أن المؤمنين جميعاً إخوة متساوون

(فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس) ثم جاء النهي والتحذير في قوله "ولا تكلفوهم ما يغلبهم، للحث على الرحمة والشفقة والعطف على هؤلاء الذين جعلهم الله تحت أيدي سادتهم والشرط في قوله: فإن كلفتموهم فأعينوهم "للحث على الرفق بهؤلاء وإعانتهم، وأداة الشرط "إن "لتعطى مساحة للاختيار والتخفيف في التكليف من آن لآخر لأنها ليست لليقين، وصدق رسول الله حين قال: للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف و لا يكلف من العمل ما لا يطيق "رواة أبو هريرة.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضيلة ظاهرة للملوك المصلح وهو الناصح لسيده القائم بعبادة ربه المتوجهة عليه والقائم بحقوق سيده وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق[(١)].

٢- فضيلة من آمن من أهل الكتاب بنبينا ﷺ، وأن له أجرين لإيمانه بنبيه قبل النسخ، ولإيمانه بنبينا ﷺ[(٢)].

٣- فضيلة من أعتق مملوكه وتزوجها وليس هذا من الرجوع في الصدقة في شيء بل هو إحسان إليها بعد إحسان[(٣)].

٤- أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع[(٤)].

٥- حكم وجوب الحج على العبد: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الحج على المملوك، لأن من شروط وجوب الحج الاستطاعة ولا استطاعة بدون ملك الزاد والراحلة، ولا ملك للعبد لأنه مملوك[(٥)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨٩/٢، ١٣٥/٢-١٣٦.

(٢) المرجع السابق ١٨٩/٢.

(٣) المرجع السابق ١٨٩/٢.

(٤) المرجع السابق ١٣٦/١١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/٥.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٠/٢، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٥٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٤٤/١، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٦٧/٢.

٦- حكم وجوب الجهاد على المملوك: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الجهاد على المملوك لأنه مشغول بحق سيده، وحق السيد مقدم على حق الله تعالى[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي ذر رضي الله عنه.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان أخطاء المدعو وتوجيهه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي ذر رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها)، وأبو ذر رضي الله عنه له فضل عظيم، قال ابن عبدالبر: "وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه اختلف في اسمه والأكثر والأصح أنه جندب بن جنادة هو من كبار الصحابة رضي الله عنهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة فكان خامسًا ثم انصرف إلى بلاد قومه أقام بها حتى قدم على النبي ﷺ المدينة، قال علي رضي الله عنه: وعى أبو ذر علمًا عجز الناس عنه، ثم أوكأ عليه فلم يخرج شيئًا منه، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا"[٢].

قال الذهبي: "وأبو ذري الغفاري أحدُ السابقين الأولين، من نُجباء أصحاب محمد ﷺ. قيل: كان خامسَ خمسة في الإسلام. ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك، فلما أن هاجر النبيُّ ﷺ، هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه، ولازمه، وجاهد معه. وكان يُفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. وكان رأسًا في الزهد، والصدق، والعلم والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم، على حِدَّة

(١) حاشية رد المحتار ١٢٥/٤، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٦/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٠/٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٠٠.

فيه. وقد شهد فتحَ بيت المقدس مع عُمر. وعن أبي معشر السِّندي: كان أبو ذر يتألَّهُ في الجاهلية، ويوحِّدُ، ولا يعبدُ الأصنام. قال الواقدي: كان حاملَ راية غِفار يومَ حُنين أبوذر. وكان يقولُ: أبطأتُ في غزوة تبوك، من عَجَف بعيري. عن أبي سلمة، مرسلاً: أن النبيَّ ﷺ قال: ((اللهم اغْفِر لأبي ذَرَ وتُب عَلَيهِ)). وعن هانئ بن هانئ أنه سمع عليًا يقول: أبو ذر وعاء مُلئ علمًا أوكى عليه، فلم يخرج منه شيئ حتى قبض، ويروى عن النبي ﷺ: إنه لم يكن نبي إلا وقد أعطي سبعة رفقاء ووزراء وإني أعطيت أربعة عشر فسمى فيهم أبا ذر. وعن ثعلبة بن الحكم عن علي قال: لم يبق أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر ولا نفسي ثم ضرب بيده على صدره"[1].

وقال ابن حجر: "كان من السابقين إلى الإسلام، وكان طويلاً أسمر اللون نحيفًا، وقال أبو قلابة عن رجل من بني عامر: دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروق آدم عليه حلة قطري فعرفت أنه أبو ذر بالنعت وكانت وفاته بالريذة سنة إحدى وثلاثين وقيل: في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلى عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه"[2].

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان أخطاء المدعو وتوجيهه:

حيث جاء في الحديث: (فذكر أنه سابّ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه فقال النبي ﷺ إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم)، ولا شك أن من أهم واجبات الداعية تنبيه المدعو إلى أخطائه وبيانها له حتى لا يكررها ويوجهه إلى الأفضل والأحسن والأكمل، وهذا ما حدث من إمام الدعاة ﷺ.

قال النووي: "وقوله: (فيك جاهلية)، أي: هذا التعبير من أخلاق الجاهلية ففيك خلق من أخلاقهم وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم ففيه النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية"[3].

ولقد كان هذا هدي النبي ﷺ دائمًا ومما يدل على ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنووط ١٣٢٨/١ – ١٣٣٤ بتصرف.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٤٦٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٥٨.

قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فأصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أصْحَابَهُ، فقال: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فقالوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّه ألاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ - شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ))[1].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء عن أبي قلابة، عن رجل من بني عامر قال: دَخَلْتُ فِي الإِسْلاَمِ فَأَهَمَّنِي دِينِي، فَأَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: إِنِّي اجْتَوَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَ لِي رسولُ اللَّه ﷺ بِذَوْدٍ وَبِغَنَمٍ فقال لِي اشْرَبْ مِنْ أَلْبَانِهَا (قال حَمَّادٌ: وَأَشُكُّ فِي أَبْوَالِهَا هذا قول حماد) فقال أَبُو ذَرٍّ: فَكُنْتُ أَعْزُبُ[2] عن الْمَاءِ وَمَعِي أَهْلِي فَتُصِيبُنِي الْجَنَابَةُ فَأُصَلِّي بِغَيْرِ طُهُورٍ، فَأَتَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ بِنِصْفِ النَّهَارِ وَهُوَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْمَسْجِدِ، فقال ﷺ: أَبُو ذَرٍّ؟ فقلت: نَعَمْ هَلَكْتُ يا رسولَ اللَّه. قال: وَمَا أَهْلَكَكَ؟ قُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَعْزُبُ عن الْمَاءِ وَمَعِي أَهْلِي فَتُصِيبُنِي الْجَنَابَةُ فأُصَلِّي بِغَيْرِ طُهُورٍ، فَأَمَرَ لِي رسولُ اللَّه ﷺ بِمَاءٍ، فَجَاءَت بِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ بِعُسٍّ[3] يَتَخَضْخَضُ مَا هُوَ بِمَلآنٍ فَتَسَتَّرْتُ إِلَى بَعِيرِي فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورٌ وَإِنْ لَمْ تَجِدِ الْمَاءَ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدْتَ الْمَاءَ فَأَمِسَّهُ جِلْدَكَ))[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال:

حيث جاء في الحديث: (فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس)، وفي هذا حث على الإحسان، قال أبو البقاء الكفوي: "الإحسان هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع أو يصير الفاعل حسنًا

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) أعْزُبُ: أبعد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ز ب).

(٣) عس: المراد القدح الكبير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع س س).

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٢).

بنفسه"[١]، والإحسان من خلق النبي ﷺ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال في خطبة له: (إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيُشَيِّعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ)[٢]، قال ابن حجر: "وكان أبو ذر رضي الله عنه بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذًا بالأحوط وإن كان لفظ الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواة وقد أخرج الطبراني أنه كان لأبي ذر ثوب فشقه نصفين فأعطى الغلام نصفه فرآه النبي ﷺ فسأله، فقال: قلت يا رسول الله: أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، قال: نعم"[٣].

قال القاضي عياض: "وفي الحديث النهي عن التعيير بنقص الآباء، كما نهى عن الفخر بذلك وأن الكل من فعل الجاهلية، وقوله: (فأطعموهم مما تأكلون، ألبسوهم مما تلبسون) حمله أبو ذر على ظاهره فكان يلبس غلامه مثل لباسه كما جاء في الحديث وهذا على الاستحباب قال بعضهم: وليس إطعامه من طعامه، ولباسه من لباسه على الإيجاب عند أحد من أهل العلم، ولا أنه يلزمه أن يطعمه من كل ما يأكل على العموم من الأدم وطيبات العيش، بل إن أطعمه من الخبز وما يقتاته كان قد أطعمه مما يأكل، لأن (من) للتبعيض وإن كان مستحبًا أن يستأثر على عياله بشيء دونهم، ويفضل نفسه في العيش عليهم. وقوله: (ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتوهم فأعينوهم)، فيه الرفق بالمماليك، وألا يكلفوهم ما يفدحهم، فإن كلفوه أعينوا فيه حتى لا يفدح، قال الجمهور: هذا فرضه وحقه اللازم من طعام يكفيه، وكسوة تستره وتقيه الحر والبرد ولا يكلف ما يفدحه ويعنته"[٤].

وقال القرطبي: "وفي هذا الحديث حض على مكارم الأخلاق وإرشاد إلى الإحسان

---

(١) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

(٢) أخرجه أحمد ٧٠/١، رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ٥٣٢/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠٩/١.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٣٤/٥.

وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يرى لنفسه مزية على عبده إذ الكل عبيد الله، والمال مال الله، ولكن سخر بعضهم لبعض وملّك بعضهم بعضًا، إتمامًا للنعمة، وتقعيدًا للحكمة. وقوله: (فإن كلفتموهم فأعينوهم) أي إن أخطأتم فوقع ذلك منكم فارفعوا عنهم ذلك بأن تعينوهم على ذلك العمل، فإن لم يمكنكم ذلك فبيعوهم"(١).

وقوله ﷺ في الحديث: (ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم)، يدل على أهمية الرحمة والشفقة بالخدم والعمال، وقال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٣).

وأمر الله بالتواصي بالرحمة فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾(٤).

ومن الرحمة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ. فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ. فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلاَةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(٥)، وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ))(٦).

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٢/٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٤) سورة البلد، آية: ١٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٦١، ومسلم ٢٦٠١، واللفظ له.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

الحديث رقم (١٣٦٣)

١٣٦٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الأُكْلَةُ: اللُّقمة[2].

الشرح الأدبي

ما أعظم هذا التوجيه النبوي الإنساني الراشد وما أجل أثره في تقريب المسافات بين بنى البشر، فلا تمايز إلا بالعمل الصالح ولا تفاضل إلا بالتقوى، وحين نتأمل معالم الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد أسلوب الشرط ينتظم الحديث كله ما عدا الجملة الأخيرة ويبدأ الحديث بأداة الشرط إذا.. إعلانا عن تحقيق طاعة هذا الخادم (المملوك أو الأجير.) ففعل الإتيان متحقق وقدم المفعول هنا وهو "لفظ "أحدكم "على الفاعل وهو "خادمه "للإرشاد بأن "السيد "أو صاحب العمل أو صاحب الدار قد تحقق له ما يريد.. وعلية "حينئذ "أن يقوم بواجبه تجاه ذلك الخادم وإضافة لفظ "خادم "إلى "ضمير "الغيبة العائد إلى أحدكم "للإشعار بان هذا الخادم من رعية "المخدوم "فهو منتسب إليه. فلا بد أن يحسن رعايته ومعاملته وقوله: فإن لم يجلسه معه "جمله شرطية أخرى "وأداة الشرط فيها "إن "وهى تتسق مع دلالة الحديث والغرض منه لأنها احتمالية وكأن عدم جلوس الخادم مع "سيده "سلوك غير مرغوب، وخلق غير محمود، والأولى جلوسه معه لما فيه من التواضع وعدم الترفع على المسلم وحين نتأمل "جواب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٣/٤٢).

(٢) رياض الصالحين ٤٣٧.

الشرط "فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين. . نرى أنه مشترك بين الجملتين السابقتين حيث وردت أداة الشرط مرتين وورد فعل الشرط مرتين. . وذلك لتأكيد السلوك الذي يجب أن يُتَّبع أو أن التقدير في الحديث "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه. . فليجلسه معه، . . وحينئذ يكون جواب الشرط محذوفاً من باب بلاغة الحذف. . ولإعطاء الحرية للمخدوم في مزيد من العطاء والعطف على هذا الخادم، ولذلك يرد التأكيد الذي يعلل ذلك السلوك ويعطى للخادم قدره ودوره في إنجاز ما كلف به، حيث يقول: فإنه ولى علاجه: أي مزاوله العمل المكلف به بلا تقصير. وقيل: إن ابن عمر رضي الله عنهما كان يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت: فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه. والله اعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحض على التواضع وعدم التعالي.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال:

حيث جاء في الحديث: (إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين..)، ومما لا شك فيه أن هذا يدل على ضرورة الإحسان إلى الخدم والعمال.

قال ابن حجر: "وقوله: (فليناوله أكلة أو أكلتين)، أو للتقسيم بحسب حال الطعام وحال الخادم، ومقتضى ذلك أن الطعام إذا كان كثيرًا فإما أن يقعده مقعده وإما أن يجعل حظه منه كثيرًا.

وقوله: "فإنه ولي علاجه"، أي: عند تحصيل آلاته وقبل وضع القدر على النار ويؤخذ من هذا أن معنى الطباخ في حامل الطعام لوجود المعنى فيه وهو تعلق نفسه به بل يؤخذ منه الاستحباب في مطلق خَدَم المرء ممن يعاني ذلك، وفي هذا إشارة إلى أن للعين حظًا في المأكول فينبغي صرفها بإطعام صاحبها من ذلك الطعام لتسكن نفسه فيكون أكف لشره.

وقد نقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الخادم من غالب القوت الذي يأكل منه مثله في تلك البلد، وكذلك القول في الأدم والكسوة وأن للسيد أن يستأثر بالنفيس من ذلك وإن كان الأفضل أن يشرك معه الخادم في ذلك والله أعلم"[(١)].

وفي معنى الإحسان قال الإمام الراغب: "الإحسان فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان أحدهما: "الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا محمودًا، وعمل عملاً حسنًا ومنه قول علي رضي الله عنه: (الناس أبناء ما يحسنون). أي: منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون"[(٢)].

وقال الكفوي: "الإحسان هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع أو يصير الفاعل به حسنًا بنفسه"[(٣)].

قال محمد الغزالي: "ومن مواطن الرحمة أن نحسن معاملة الخدم، وأن نرفق معهم فيما نكلفهم من أعمال، وأن نتجاوز عن هفواتهم. وألا تُحَسَّ سطوة التصرف فيهم فنعبث بتسخيرهم فإن الله إذا ملّك أحدًا شيئًا فاستبد به وأساء، سلبه ما ملك وأعد له سوء المنقلب.

فعن أبي مسعود البدري: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا ((اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ! لَلّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)) فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللّهِ، فَقَالَ: ((أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ))[(٤)].

وجاءه ﷺ رجل يسأله: كَمْ أَعْفُو عن الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ عَنْهُ النبيُّ ﷺ، ثم قالَ: يا رسولَ الله كَمْ أَعْفُو عن الْخَادِمِ؟ قالَ: ((كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً))[(٥)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٩٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني في (ح س ن).

(٣) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، ابو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

(٤) اخرجه مسلم ١٦٥٩.

(٥) اخرجه أبو داود ٥١٦٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤٣٠١).

إن هناك رجالاً ونساءً ينتهزون فرصة ضعف الخدم فيوقعون بهم ألوان الأذى وقد رهب الإسلام من هذه الفظاظة وتوعد عليها[1].

إن الإسلام الحنيف جعل الخدم إخوان في الدين، ولذا حثّ على حسن معاملة الخدم والإحسان إليهم والرحمة بهم، "إن المدار في معاملة الخدم على المواساة والغرض أن تكون نفوسهم قانعة، وبحالهم راضية، وقد نهانا الرسول ﷺ أن نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم، ويَهدُّ من قوتهم، أو يستفرغ جهدهم، بل التكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسأمه الخادم، فإن كلفناهم بالشاق وجب علينا أن نعينهم بنفوسنا أو بخدم إلى خدمنا والحديث نصر للعمال، وأخذ بيد الخادم والغلمان؛ ورفع لمستواهم وتنبيه لهم إلى حقوقهم قبل ساداتهم؛ وإرشاد لأرباب البيوت أن يقفوا منهم موقف العدالة. ولا يتناسوا رابطة الأخوة. ولا تبادل المنافع، وفيه النهي عن سباب الخدم وعدم التعرض لآبائهم وأمهاتهم بما يسوؤهم. أو يحط من قدرهم.

وبالجملة فهذا موقف الإسلام تجاه الأرقاء. وهذا حرصه على مصلحة العمال. فهل بعد هذا رقيٌّ في دين"[2].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحض على التواضع وعدم التعالي:

حيث جاء في الحديث: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله).

قال القرطبي: "وفي الحديث أمر بتعليم التواضع، وترك الكبر على العبد، وهذا كان خلقه ﷺ فإنه كان يأكل مع العبد، ويطحن مع الخادم، ويشاركه في عمله ويقول: ((إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وأجلس كما يجلس العبد))[3]، وهذا كله أمر بمكارم الأخلاق، واستدراج للإيثار ونقيض ذلك: أخلاق البخلاء أهل

---

(١) خلق المسلم ٢١٠ - ٢١١.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٧٦.

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٤٨، وقال محققه: للحديث شاهد يتقوى به والهيثمي في المجمع ٩/١٩ وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن، وهو في الصحيحة للألباني برقم ٥٤٤.

النهم والجشع"[١].

والحث على التواضع هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية، وقد أمر الله بالتواضع وخفض الجناح، فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وكان التواضع من وصايا لقمان الحكيم لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[٤]، وجاء في الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((وَإِنَّ اللّهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ علىٰ أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ))[٥]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦]. وعن أنس رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال:كان النبي ﷺ يفعله)[٧].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة)، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة جواب الشرط وتبين له ارتباط الشرط بالجزاء، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٣/٤ - ٣٥٤.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٣٥٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩١٧).

(٧) أخرجه البخاري ٦٢٤٧ واللفظ له ومسلم ٢١٦٨.

ٱللَّهِ أَفْوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[1].

وفي الحديث اشترط النبي ﷺ أن الخادم إذا أتى بطعام لسيده فإما أن يجلسه معه، وإما أن يناوله لقمة.

---

(١) سورة النصر، الآيات: ١ - ٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تنفيذ ما جاء به الشرع:

لقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ ليطاع ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أسرع الناس طاعة لرسولهم وأخلص امتثالاً لذلك، بل إن بعضهم كان يزيد في الامتثال والطاعة، فهذا أبو ذر رضي الله عنه تأخذه الطبيعة البشرية ويسبّ رجلاً [2] فعيّره بأمه، فيلومه النبي ﷺ على ذلك ويقوم له: (إنك امرؤ فيك جاهلية) ثم يبين له كيف تكون معاملة الرقيق والخدم، فوصفهم ﷺ بأنهم إخوانكم وخولكم، ومنّ الله عليكم بأن جعلهم تحت أيديكم، لذا "فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".

فماذا فعل أبو ذر رضي الله عنه بعد هذا التوجيه النبوي الشريف؟ كان يُلبس رقيقه مثل ما يلبس، مع أن "المراد - كما يقول ابن حجر- المواساة من كل جهة، لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذر فعل المساواة وهو الأفضل[3]"، أي إن أبا ذر نفذ ما أرشده إليه النبي ﷺ وعمل به، بل عمل أفضل مما هو مراد ومطلوب، ليضرب المثل في حبّ التنفيذ والمسارعة إليه والطاعة وفعلها على الوجه الأفضل وعدم الاكتفاء بالوجه المطلوب والوقوف عنده، ويبدو أن هذه سمة أبي ذر رضي الله عنه فيما يتعلق بالرقيق، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أعطى أبا ذر قنا [أي عبداً] فقال: ((ما لِي أَرَى ثَوْبَكَ هَكَذَا؟» قال: يا رسول الله، قلت: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأكلونَ وَألبسوهم مما تلبَسُونَ» قال: «نَعَمْ» قلت: أعتقته، قال: آجَرَكَ الله يا أبا ذرٍ))[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري ٢٦٥٩/٣ : الرجل المذكور هو بلال المؤذن وكان اسمه حمامة.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٤/٢، شروح الحديث ٢٥٤٥.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨١٠٤/٨، وقال الهيثمي في المجمع ٢٣٧/٤: مداره على أبي غالب وهو ثقة وقد ضعّف.

إن أبا ذر ﵁ يقدّم صورة مشرّفة لتنفيذ ما جاء به النبي ﷺ وأرشد إليه، وعلى ذلك ينبغي أن يربَّى الناشئة وغيرهم، فإن الشرع ما نزل إلا ليعمل به، وما جاء إلا ليطبق في دنيا الناس، والإيمان تختلف درجته ورتبته حسب سرعة الامتثال ودرجتها، إنه يمكن القول: إن الإسلام ما هو إلا تربية عملية، فلا هو بالتربية المجردة التي تعيش في عقول أصحابها ومعتنقيها، ولا تكاد ترى النور في أرض الواقع، ولا هو بالتربية المتغيرة التي تتغير ثوابتها بتغير الزمان والمكان والأحوال، ولا بالتربية الوقتية التي تصلح لوقت دون وقت، بل هي تربية مستمرة ومتواصلة إلى قيام الساعة، والذي يميز هذه التربية عن غيرها من التربيات أنها تربية طبقت في أرض الواقع، وحملها أصحابها في قلوبهم وتترجمها أعمالهم وأفعالهم ومعاملاتهم، وما ذلك إلا لأن أصحابها كانوا مطبقين لها منفذين، أَفْعَالُهم تطابق أقوالَهم، إذا أمرهم الشارع بأمر سارعوا إلى تنفيذه وبادروا وإذا نهاهم كانوا أسرع ما يكون إلى الاجتناب والابتعاد.

إن في تربية الناشئة على تنفيذ ما جاء به الشرع فيه من الفوائد التربوية الكثير التي منها:

أ- تحقيق مصلحتهم في الدنيا والآخرة، فالشرع ما جاء إلا تحقيق مصلحتهم ورفع المفسدة والضرر عنهم، فما أمر به الشرع فهو المصلحة وما نهى عنه هو المفسدة.

إن العالم الغربي الآن يستنكف أن يرى في العلاقات غير المشروعة بين الرجل والمرأة خروجًا على الفطرة السليمة، وخروجًا على الأعراف الطبيعية، بل يرى أن ذلك لا إثم فيه ولا حرج، فالأمر يحدده كل رجل وكل امرأة وأنه لا يجوز أن يعاقبا على فعلهما هذا، وأن هذا هو السبيل للتخلص من الكبت الذي تعاني منه الدول التي تحرم شعوبها مثل هذه العلاقات، فكان ماذا بعد إطلاق المجال للشهوات دونما رادع: انتشرت الأمراض الفتاكة التي تقتل الآلاف كالايدز ونحوه، واختفت الأسرة بمفهومها الطبيعي أو كادت تختفي، وعانت أوروبا من قلة المواليد إلى رجة مخيفة، حتى قدروا أنهم إن استمروا على ذلك لن تكون هناك شعوب أوروبية أصيلة على المدى الطويل، وغير ذلك من المفاسد التي نشأت عن الخروج على المنهج الإلهي الذي ينبغي إصلاح

البشر في الدنيا والآخرة، وعلى ذلك مشيى بقية المآسي التي تعاني منها المدنية الغربية.

ب- خلق التنافس فيما بينهم -أي الناشئة- في المبادرة إلى الامتثال وتنفيذ ما جاء به الشرع وشغلهم بهذه المنافسة وجعلهم يعيشون فيها ومعها في مختلف أوقاتهم بالليل والنهار، إن مجتمعًا ثقافته المنافسة والمبادرة إلى الخيرات، يختلف قطعًا عن مجتمع المبادرة فيه إلى تحصيل الأموال، وتجميع أقصى ما تصل إليه يد الإنسان، وبكل وسيلة ممكنة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة. إن المجتمع الأول لمجتمع سعيد طيب على حين أن المجتمع الآخر لمجتمع شقي خبيث. والطيب لا ينتج إلا طيبًا أما الخبيث فلا ينتج إلا أخبث منه.

ثانياً- التربية بالتوبيخ:

إذا كان أبو ذر رضي الله عنه أساء إلى الرجل وعيّره بأمه، قال ابن حجر: (أي نسبه إلى العار، زاد [البخاري] في [كتاب الأدب]: وكانت أمه أعجمية فنِلْتُ منها[1]، وفي رواية: قلت له: يا ابن السوداء) [2]، فبين له النبي ﷺ أن ما قاله لا يجوز شرعًا، وأنه مذموم من قبل الشريعة فقال له: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، قال ابن حجر: (أي خصلة من خصال الجاهلية، ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخَصْلة من خِصَال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال -كما عند المؤلف [البخاري] في الأدب-: قلت: على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال نعم[3]، كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فبيّن له كون هذه الخصلة مذمومة شرعًا)[4].

وقال ابن حجر في موضع آخر: (والجاهلية ما كان قبل الإسلام، ويحتمل أن يراد بها هنا الجهل: أي أن فيك جهلاً)[5]. وايًا كان المعنى فإن فيه توبيخًا تربويًا من قبل النبي ﷺ - وهو المربي البصير- قصد به الإصلاح وعلاج الخطأ وتقويم السلوك لا

(١) صحيح البخاري الحديث ٦٠٥٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩١/١.

(٣) صحيح البخاري الحديث ٦٠٥٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩١/١.

(٥) المرجع السابق ٢٦٥٩/٢.

التشهير ولا الفضيحة، لذا أتى بثماره التربوية المبتغاة، وفهم أبو ذر رضي الله عنه الرسالة التربوية حق الفهم وغيّر من سلوكه وأفعاله إلى الأحسن والأفضل "فكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذًا بالأحوط، وإن كان لفظ الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواة"(١).

وفي هذا الحديث إرشاد لأهل التربية أن يستخدموا في تربيتهم التوبيخ إذا كان الموقف يتقضي ذلك وكان مناسبًا وملائمًا أن يُستخدم فيه، ولعل المربي يجني من وراء ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ- تقويم سلوك الناشئة وغيرهم وعلاج ما يظهر من أخطاء في الممارسة والتعامل.

ب- تربيتهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو صمام أمن المجتمع وحمايته من الانحرافات والزيغ والضلالات والابتداعات والخرافات.

ج- التربية على الرجوع إلى الحق مهما كان الأمر، والتزامه والقيام بتبعاته ولوازمه من إصلاح السلوك والاعتذار إلى من يستحق أن يعتذر إليه وردّ الحقوق إلى أهلها والمسارعة إلى ذلك.

ثالثًا- التربية على تذكر قدرة الله:

عندما حضّ النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه على التعامل الحسن مع الخدم والرقيق، ذكّره بقدرة الله ونعمته عليه، وأنه سبحانه - لحكم يعلمها - جعلهم تحت أيدي من يخدمونهم وذلك بقدرته لا بقدرة أحد سواه سبحانه، وهذا لا يمنع أن يبدل الله عز وجل الأدوار فيجعل الخادم مخدومًا والمخدوم خادمًا، فإنه سبحانه يقدر على كل شيء، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾(٢).

لذا كان على السادة والمخدومين أن يتذكروا فضل الله ونعمته عليهم أن سخر لهم من يكون تحت أيديهم ويخدمهم ويقضي لهم حاجاتهم ويقوم على شؤونهم من غير حول منهم ولا قوة، وإذا رسخ في أذهانهم ذلك عاملوا من كان تحت أيديهم من خدم وأعوان

---

(١) السابق ٢٩١/١.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٨.

بما يستحقونه من رحمة وشفقة وعطف وحسن أدب، فلا يتطاولون عليهم ولا يعتدون عليهم سواء بالقول أم بالفعل أم بالإيماءات والإيحاءات والإشارات، لأن كل واحد من هؤلاء نفس كرمها الله وفضلها، ولكنه سبحانه إن مما هو شائع الآن أن يسيء أرباب البيوت إلى الخدم إساءات كبيرة ومتكررة تصل في بعض الأحيان إلى إحداث عاهات مستديمة أو إزهاق الأرواح، ولا يكتفون بذلك فحسب بل يغرسون أيضاً في نفوس أولادهم النظرة الدونية إليهم حتى يعتقدوا أنهم لا يستحقون إلا هذا من سوء معاملة وامتهان واحتقار.

وهذه صورة -وإن كانت شائعة- إلا أنها صورة سيئة جدًّا لا يرضى عنها الله ولا رسوله، "فقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، وينتفع الوضيع النسب بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]"[2].

إن مما يجدى في التربية التذكير بقدرة الله على العبد وإن من العبارات ذات التأثير الكبير في الارتداع عن الظلم والطغيان العبارة المشهورة: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك، وتخطت هذه العبارة نطاق القول إلى الكتابة، فتجدها مكتوبة على كثير من سيارات النقل.

وهكذا يكون الإنسان: إذا كان صاحب مال فلا يضنّ به ويبخل على الفقراء لأن الله يقدر أن يسلبه منه ويعطيه إلى من يضن به عليهم، فيذوق مرارة الحاجة والفقر والعوز وذل السؤال والطلب.

ومن أعطاه الله قوة أو سلطانًا فلا يتجبر على الضعفاء والمساكين ويذيقهم الظلم والعدوان، لأنه سبحانه قادر على أن يجعله أضعف منهم وأقل شأنًا.

وقُلْ مثل ذلك في سائر النعم، لذا كان على الإنسان أن يحافظ عليها، وأول طريق لذلك هو تذكر فضل الله عليه وقدرته سبحانه في الإعطاء والمنع والإعزاز والإذلال ثم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٦٥٩/٣..

يتلوه القيام بواجب الشكر، وهو استعمال هذه النعم فيما يرضي الله ولا يستعملها فيما يغضبه. وعلى ذلك ينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم.



٢٣٨- باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

الحديث رقم (١٣٦٤)

١٣٦٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((إنَّ العَبْدَ إذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أجْرُهُ مَرَّتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

في ظلال هذا الحديث تتحرك أشعة المسؤولية وشهب التكليف وأطياف الأمانة والعبد هنا هو صاحب المسؤولية، وهو الذي يحمل الأمانة فإذا قام بواجبة وهو يحسن العبادة ويطيع ربة. . فله الأجر مضاعفاً، ونظم الحديث وبعض كلماته وأسلوبه. . كل هذه المعالم تفيض بالمعاني المتسقة مع الأداء الأسلوبي فالحديث يبدأ بالتأكيد بإن "للإشعار بأهمية الأمر – واللام "في قوله: العبد "للجنس وللتعميم: فأي مملوك: كان ذكراً أو أنثى يصدق عليه ذلك – وأسلوب الشرط إذا نصح لسيده. .. الخ. يفيد أن الجزاء من جنس العمل والجزاء مؤكد محقق لأن هذا الوعد صادق من رسول الله، ولأن الذي يعطى الأجر ويضاعفه هو الله عز وجل – والله يضاعف لمن يشاء والعطف بالواو "في قوله: وأحسن عبادة الله.. لا يعنى ترتيب الأولويات ولكن يفيد مطلق الجمع -فالجمع بين إحسان العبادة والنصح للسيد هو المنهج الصحيح الذي يحكم العلاقة بين المملوك وسيده في الإسلام. وللألفاظ في اللغة العربية دلالتها وإشعاعها والفعل نصح "يتضمن الدلالة العميقة التي يرشد إليها الحديث الشريف "فالناصح في اللغة: هو الخالص من العلل وغيره– وكل شيء خلص فقد نصح، والنصح كذلك: نقيض الغش

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (١٦٦٤/٤٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٧)..

ويقولون: رجل ناصح الجيب أي نقى الصدر ناصح القلب لا غش فيه، والأرض المنصوحة: الأرض المتصلة النبات بعضه ببعض، وقيل: نصح الغيث البلاد نصحاً: إذا اتصل نبتها فلم يكن فيه فضاء ولا خلل، وهذه الدلالات كلها تشع في أجواء الحديث ومقاصده: فقوله: نصح لسيده: أي قام منه قدر طاقته وحسب استطاعته وكان مخلصاً وصادقاً في المشورة والعمل وهذا السلوك ثماره كالعسل الصافي الخالص حيث يعم الخير - وينتشر الرخاء.. كالسحاب الذي يجود بالمطر. فتصبح الأرض مخضرة وينعم بخيراته البلاد والعباد. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من حكمة المدعو: الموازنة بين الأعمال.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي هريرة رضي الله عنه.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث: (إن العبد إذا نصح لسيده)، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو ببيان مدى صدق الداعي فيما يقول وتأكيده لكلامه، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[2]. وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه:

حيث جاء في الحديث: (فله أجره مرتين)، (للعبد المملوك المصلح أجران)، (المملوك

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٦٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٦٥، ١٣٦٦).

(٢) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي إلى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران)، ولا شك أن هذا يدل على فضل العبد المملوك الذي يؤدي حق الله تعالى وحق مواليه.

قال القاضي عياض: "وقوله: (العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين)، وذلك أن جميع تصرف العبد غالبًا في امتثال الأوامر، إما لله وإما لمالكه، بخلاف الحر الذي يتصرف باختياره، فالعبد طائع لمولاه بما ملكه الله من منافعه، وطاعته له طاعة لله، فأجره أبدًا متصل، فإما أن يكون التضعيف المراد به كثرة الأجور وزيادتها على أجر الحر، أو يكون على وجه التضعيف المعروف في أجر العمل الواحد من طاعة الله تعالى، بما امتحن به من الرق وربقة العبودية، تفضلاً من الله تعالى عليه كما ضعف ذلك لأسباب أخر من المرض، والمقام بالمدينة وغير ذلك.

وقول أبي هريرة ﷺ في هذا الحديث: (لولا الجهاد في سبيل الله وبر أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك) ودليل على أنه لا يلزم العبد جهاد ولا حج حال عبوديته؛ لأنه غير مالك لنفسه، ولا له خروج عن مصالح سيده وهو غير مستطيع بالملك الذي لزمه ولا للجهاد، إلا أن ينزل العدو ببلد فيتعين الجهاد على كل من فيه بقدر طاقته من عبد وحر.

وقوله: (وبر أمي): فيه حجة أنه لا يلزم العبد النفقة على والديه ولا شيء من مؤنتهما لاستحقاق سيده رقبته وماله، وأما ما يلزمه لها من البر بالقول والملاطفة وخفض الجناح فيستوي فيه الحر والعبد، فأبو هريرة -والله أعلم- أراد ما يلزمه من السعي عليها والإلطاف لها والإحسان الذي لا يتفق مع العبودية.

وقد يكون مراد أبي هريرة بهذا كله تعظيم أجر الحج والجهاد وبر الوالدين وأن الأجر فيها ذلك أعظم من أجر العبودية، وأن بالعبودية لا يصل إلى شيء من ذلك، لمنعه من الحج والجهاد، وتغريبه عن والدته، فلا يصل إلى شيء من برها، ألا تراه كيف قال في الحديث: (وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها)؛ لأن بر الأم، وصحبتها والقيام بها فرض متعين، وأبو هريرة قد كان قضى حجة، وحجه بعد ذلك إنما كان نافلة، فقدم الفرض من بر أمه على فضل الحج، وقد قال مالك: (لا يحج

أحد إلا بإذن أبويه إلا الفريضة فيخرج ويدعهما. وقال أيضًا لا يعجل عليهما في غير الفريضة وليستأذنهما العام والعامين.

وقول كعب في هذا الحديث: (ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد)، قال الإمام: يعني بالمزهد: القليل المال، يقال: أزهد الرجل يزهد إزهادًا: إذا قل ماله، قال الأعشى:

فلن يطلبوا سرها للغنى ولن يسلموها لإزهادها

فالإزهاد قلة المال. والسر في هذا البيت يعنى به النكاح، والشيء الزهيد هو القليل.

معنى قول كعب: (ليس عليه حساب): أي ليس على عبد أدى حق الله وحق سيده حساب؛ لكثرة أجره، فإما أن يقولها كعب عن توقيف عنده، وأن هذا مما خص بذلك كما خص به السبعون ألفًا المذكورون في الحديث ومن خص بذلك من غيرهم، أو يكون اجتهادًا منه لتخفيف حسابه، فكان كمن لم يحاسب لغلبة حسناته وكثرتها، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[١][٢].

هذا وقد مدح النبي ﷺ العبد الذي يتمكن من أداء حق الله وحق سيده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((نِعِمَّا لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يُتَوَفَّى، يُحْسِنُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَصَحَابَةَ سَيِّدِهِ، نِعِمَّا لَهُ))[٣].

وقال القرطبي: "وقول أبي هريرة: (لولا الجهاد، والحج، وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك) تصريح: بأن العبد لا يجب عليه جهاد، ولا حج. وهو المعلوم من الشرع؛ لأن الحج، والجهاد لا يخاطب بهما إلا المستطيع لهما. والعبد غير مستطيع. إذ لا استقلال له بنفسه، ولا مال؛ إذ لا يملك عند كثير من العلماء، وإن ملك عندنا فليس مستقلاً بالتصرف فيه. ويظهر من تمني أبي هريرة رضي الله عنه كونه مملوكًا: أنه فضَّل العبودية على

(١) سورة الانشقاق الآيات: ٧ – ٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٣٦/٥ – ٤٣٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٦٧.

الحرية. وكأنه فهم هذا من مضاعفة أجر العبد الصالح. وهذا لا يصح مطلقًا؛ فإن المعلوم من الشرع خلافه، إذ الاستقلال بأمور الدين والدنيا إنما حصل بالأحرار. والعبد كالمفقود لعدم استقلاله، وكالآلة المصرّفة بالقهر، والبهيمة المسخّرة بالجبر. ولذلك سُلب مناصب الشهادات، ومعظم الولايات، ونقصت حدوده عن حدود الأحرار، إشعارًا بخسة المقدار.

وكونه: له أجره مرتين؛ إنما ذلك لتعدد الجهتين، لأنه مطالب من جهة الله تعالى بعبادته، ومن جهة سيده بطاعته، ومع ذلك فالحر وإن طولب من جهة واحدة؛ فوظائفه فيها أكثر، وغناؤه أعظم، فثوابه أكثر. وقد أشار إلى هذا أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: (لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت أن أموت عبدًا). أي: لولا النقص الذي يلحق العبد لفوات هذه الأمور"(١).

قال النووي: "وفيه فضيلة ظاهرة للمملوك المصلح وهو الناصح لسيده والقائم بعبادة ربه المتوجهة عليه، وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق هذا وقد قال كعب رضي الله عنه: ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد والمراد بهذا الكلام: أن العبد إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه فليس عليه حساب لكثرة أجره وعدم معصيته، وهذا الذي قاله كعب رضي الله عنه يحتمل أنه أخذه بتوقيف ويحتمل أنه بالاجتهاد لأن من رجحت حسناته وأوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورًا"(٢).

وقال ابن حجر: "والذي يظهر أن مزيد الفضل للعبد الموصوف بالصفة لما يدخل عليه من مشقة الرق، وإلا فلو كان التضعيف بسبب اختلاف جهة العمل لم يختص العبد بذلك، وقال ابن التين: المراد أن كل عمل يعمله يضاعف له، قال: وقيل: سبب التضعيف أنه زاد لسيده نصحًا وفي عبادة ربه إحسانًا فكان له أجر الواجبين وأجر الزيادة عليهما ولا يلزم من ذلك أن يكون أجر المماليك ضعف أجر السادات، وقد أجاب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٣٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٠.

الكرماني عن ذلك فقال: لا محذور في ذلك فقد يكون أجره مضاعفًا من هذه الجهة وقد يكون للسيد جهات أخرى يستحق بها أضعاف أجر العبد أو المراد ترجيح العبد المؤدي للحقين على العبد المؤدي لأحدهما"[١].

إن الإسلام دين العدالة ولذا فهو يَعِد العبد المملوك بالأجر مرتين لقيامه بحق الله سبحانه، وحق سيده، (وهذا التكرار في الأجر للعبد لقيامه بعبادة ربه وخدمة سيده ولقيامه بواجب العبادة مع مشقات الرق ومتطلباته، وفي الحديث مواساة للعبيد وأصحاب المهن الحقيرة والخدم وغيرهم ممن يضيقون بأعمالهم وتبشيرهم بحسن الجزاء وتضعيف الأجر إن قاموا بواجبهم ولم ينحرفوا عما يجب أن يكونوا عليه، وفي هذه الأحاديث ما يدل على أن الإسلام لا يعرف الطبقية والتفريق بين الناس، وقد عالج الأوضاع السائدة في العالم حين وجد منها الرق، فحث على العتق وأزال من الرق مضمونه من التسخير والتحقير)[٢].

وقال ابن عثيمين: "إن المملوك إذا قام بحق الله وحق سيده كان له الأجر مرتين، الأجر الأول: لقيامه بحق الله، والثاني: لقيامه بحق سيده، لأن لله عليه حقًا كالصلوات والصيام وغيرهما من العبادات التي ليست مبنية على أمر مالي، وللسيد عليه حق وهو القيام بخدمته، وما إلى ذلك، فإذا قام بالحقين صار له أجران"[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (فله أجره مرتين)، (له أجران)، للعبد المملوك المصلح أجران)، وأسلوب الترغيب من الأساليب النافعة في حث المدعوين على الطاعة، وترغيبهم في الخير، "والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور أو ترك خلافه، والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر، أو اجتناب نهي، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم، والإنسان مفطور

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٧ - ٦٥٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٦٣/٢.

على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب"[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[3].

رابعًا- من حكمة المدعو: الموازنة بين الأعمال:

حيث جاء في الحديث: (إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله)، وقوله: (لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك)، وهذا يدل على فضل الموازنة بين الأعمال ومراعاة الفروض والتطوع.

قال النووي: "وفي الحديث أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع، وأراد ببر أمه القيام بمصلحتها في النفقة والمؤن والخدمة ونحو ذلك مما لا يمكن فعله من الرقيق، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها، والمراد به حج التطوع لأنه قد كان حج حجة الإسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقدم بر الأم على حج التطوع لأن برها فرض فقدم على التطوع"[4].

وفي بيان فضل الموازنة بين الأعمال قال ابن حجر: "قال ابن عبدالبر: ومعنى الحديث: أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان طاعة ربه في العبادات، وطاعة سيده في المعروف فقام بهما جميعًا كان له ضعف أجر الحر المطيع لطاعته، لأنه قد ساواه في طاعة الله وفضل عليه بطاعة من أمره الله بطاعته، قال: ومن هنا أقول: إن من اجتمع

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٣.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٠.

عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس عليه إلا فرض واحد فأداه، كمن وجب عليه صلاة وزكاة فقام بهما فهو أفضل ممن وجبت عليه صلاة فقط، ومقتضاه أن من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد منها شيئًا كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها"(١).

جاء في فتح الملهم: "قوله: (فله أجره مرتين) قال ابن عبدالبر: معنى هذا الحديث عندي أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان طاعة ربه في العبادات وطاعة سيده في المعروف فقام بهما جميعا كان له ضعف أجر الحر المطيع لطاعته، لأنه قد ساواه في طاعة الله وفضل عليه بطاعة من أمره الله لطاعته... ومن هنا أقول: إن من اجتمع عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس له عليه إلا فرض واحد فأداه كمن وجب عليه صلاة وزكاة فقام بهما فهو أفضل ممن وجبت عليه صلاة فقط، ومقتضاه أن من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد منها شيئا كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها.

قوله: (للعبد المملوك المصلح) بضم الميم، اسم فاعل من الإصلاح، ووقع في رواية البخاري: (للعبد المملوك الصالح) وكأنه تفسير لهذا، والمراد العبد الذي يصلح عمله بالنصح لسيده، والقيام بعبادة ربه.

قوله: (والذي نفس أبي هريرة بيده) هذا صريح في أن هذه القطعة من الحديث مدرجة من أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري من طريق بشر بن محمد، فلم يميز المرفوع من المدرج، فزعمها الخطابي مرفوعة، وقال: (لله أن يمتحن أنبيائه، وأصفيائه بالرق، كما امتحن يوسف)، والحق أنها ليست مرفوعة، كما دلت رواية مسلم هذه، وقد جاء الحافظ في الفتح بعدة روايات أخرى قد صرح فيها بأنها مدرجة.

قوله: (لولا الجهاد في سبيل الله) إلخ: وإنما استثنى أبو هريرة رضي الله عنه هذه الأشياء لأن الجهاد والحج يشترط فيهما إذن السيد، وكذلك بر الأم، فقد يحتاج فيه إلى إذن السيد في بعض وجوهه، بخلاف بقية العبادات البدنية، ولم يتعرض للعبادات المالية إما

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/٥.

لكونه إذ ذاك لم يكن له ما يزيد على قدر حاجياته، فيمكنه صرفه في القربات بدون إذن السيد، وإما لأنه كان يرى أن للعبد أن يتصرف في ماله بغير إذن السيد، كذا في فتح الباري.

ودل الحديث على أن المملوك لا تجب عليه هذه الأشياء الثلاثة، أما الأولان فلعدم الاستطاعة، لأن منافعه مملوكة لسيده، وأما الثالث فلأن المال الذي ينفق منه عليها للسيد، وإنما يريد أبو هريرة رضي الله عنه ببرها النفقة عليها، وأما البر الذي يرجع إلى خفض الجناح والملاطفة فيستوي في الحر والعبد. كذا في شرح الأبي حكاية عن القاضي عياض -رحمهما الله تعالى-.

قوله: (وبر أمي) اسمها أميمة، أو ميمونة، وهي صحابية.

قوله: (لأحببت أن أموت وأنا مملوك) لما له من الأجر المضاعف. وإن قول أبي هريرة هذا يترقرق منه مدى سماحة المجتمع الإسلامي للعبيد والمماليك، وحسن معاملته بهم، ومعرفة فضلهم في الأجر، حتى إنهم يغتبطهم الأحرار، وهذا من أدل دليل على ما أسلفنا في أول كتاب العتق من أن الإسلام جعل الرق إخاء، ولم يترك على العبد إلا اسم الرقيق.

قوله: (لم يكن يحج حتى ماتت أمه) يعني: حج التطوع، وإلا فقد ثبتت حجته المفروضة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ودل عمله هذا على أن بر الأم فرض، فلا يترك للعبادات النافلة، ومن هنا أجمع العلماء على أن حج التطوع لا يجوز بغير إذن الوالدين، وفي الحج المفروض خلاف، فقال مالك والشافعي -رحمهما الله-: ولا يجوز للوالدين المنع منه، ولا يمتنع الولد منه إن منعا، وقيل: لا يجوز الحج، حتى يأذن له الوالدان.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: مذهب الحنفية في الحج المفروض أنه إن كان أحد الوالدين بحال يحتاج فيه إلى خدمة الولد، ولا يطيق القيام بمصالحه لكبر أو مرض، وليس عنده خادم يقوم بأمره، فحينئذ لا يجب الحج على ابنه، حتى يجد من يقوم بأمره"[1].

ومن هذا يتبين أن من حكمة المدعو أن يوازن بين الأعمال ويقدم الفروض على النوافل والواجبات على المستحبات.

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ: محمد تقي العثماني ٢٠٩/٨ - ٢١١.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل أبي هريرة رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك)، ولا شك أن هذا يدل على فضل أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن عبدالبر: "هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن نفسه: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس، فسميت في الإسلام عبدالرحمن وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كُمي فقيل لي: ما هذه؟ قلت: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة أسلم أبو هريرة عام الخيبر، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيًا بشبع بطنه فكانت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيث دار وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

وقال ابن الجوزي: "وقدم أبو هريرة رضي الله عنه المدينة سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، جاء عنه أنه قال: نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا وكنت أجيرًا لبرّة بنت غزوان بطعام بطني وعُقبة رحلي فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدوا إذا ركبوا فزوجنيها الله عز وجل فالحمد لله الذي جعل الدين قوامًا وجعل أبا هريرة رضي الله عنه إمامًا وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة رضي الله عنها فيقول الناس: إنه لمجنون، وما بي جنون، ما بي إلا الجوع وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثًا، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا، وعن ابن شوذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: بعد المفازة وقلة الزاد وعقبة كؤود المهبط منها إلى الجنة أو النار"(٢).

وقال ابن حجر: "قال أبو نعيم: كان أحفظ الصحابة رضي الله عنهم لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بأن يحببه إلى المؤمنين، وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجرًا

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٦٢ - ٨٦٣.

(٢) صفة الصفوة ١/٣٠٤ - ٣٠٥.

وسكن الصفة، ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقى بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة ﷺ حديثًا، وعاش أبو هريرة ﷺ ثمانيًا وسبعين سنة وكانت وفاته بقصره بالعقيق فحمل إلى المدينة وتوفي سنة سبعة وخمسين هجرية"[١].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٥٧٠- ١٥٧١.

الحديث رقم (١٣٦٥)

١٣٦٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أجْرَانِ))، وَالَّذِي نَفْسُ أَبـي هُرَيْـرَةَ بِيَـدِهِ لَـوْلاَ الجِهَـادُ فِي سَبيلِ اللهِ وَالحَـجُّ، وَبِـرُّ أُمِّـي، لأَحْبَبْتُ أنْ أَمُوتَ وَأنَا مَمْلُوكٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المصلح: من الصلاح وهو إحسان العبادة والنصح للسيد، ونصيحة السيد تشمل أداء حقه من الخدمة وغيرها[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه وعد صادق للمملوك بمضاعفة الأجر كما جاء في الحديث السابق، ولكن هذا الحديث فيه ما يلفت النظر ويستحق التأمل وهو أن أبا هريرة أحب أن يموت وهو مملوك ليفوز بالأجر المضاعف. . وجعل هذه الأمنية متعلقة بالشرط. . حيث العوائق والمسؤوليات الشرعية التي تحول دون تحقيق هذه الرغبة المحببة، ومن أسرار الحديث البلاغية: التقديم والتأخير في الجملة الأولى حيث قدم الخبر على المبتدأ وقال للعبد المملوك أجران، وهذا التقديم يعطى الأهمية والقيمة للمملوك. . ولكن صفه هذا المملوك هي التي تؤهله لهذه القيمة وذلك الأجر وهى صفة "المصلح "اسم فاعل: أي أن العبد يقوم بالإصلاح، وكلمة "مصلح "من الكلمات الموجزة التي تشع بما ورد في الحديث السابق من سلوكيات يقوم بها العبد في ظل طاعة سيده وخدمته: قال الحافظ: اسم الصلاح يشمل ما نقدم من إحسان العبادة والنصح للسيد يشمل أداء حقه من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (٤٤/١٦٦٥) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨١٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٨/٥.

الخدمة وغيرها. والقسم في كلام أبى هريرة "والذي نفس أبى هريرة بيده "يرشد إلى أهمية الرغبة التي يتمناها أبو هريرة وقيل أن هذا القسم ورد على لسان رسول الله ﷺ "حيث لفظ "أبى هريرة عند البخاري "- وأسلوب الشرط : في الحديث ينبيء عن التضاد الموجود بين المأمول والواقع: فالمأمول هو جواب الشرط الممتنع وهو "الموت مملوكاً وذلك لوجود ما يحول دون ذلك وهو "الجهاد - والحج - وبر الأم "ولولا "أداة امتناع لوجود - حيث امتنع وقوع الجواب لوجود الشرط وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى "فالمصدر المؤول "أن أموت "تقديره "الموت "ولكن صياغته في الحديث تبتعد بالمتحدث عن تمنى الموت "الصريح "وقوله "وأنا مملوك "لأن ضمير الرفع المنفصل للمتكلم "أنا "يفيد الاختصاص بهذه الصفة وليس سواه والجملة "حالية "ترصد حال المتحدث ورغبته في أن يموت وهو في حالة "الرق "ليس طلباً للرق - ولكن طلباً للأجر المضاعف.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٦٦)

١٣٦٦- عن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالطَّاعَةِ، لَهُ أجْرَانِ**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث ينوه بفضل المملوك الذي يؤدى حق الله تعالى وحق مواليه وهو هاله في قلب مجموعة من الأحاديث يتضوأ بها باب "فضل المملوك "وأحاديث الباب كلها تقر بأن له أجرين ولكن تختلف الصياغة من حديث لآخر وهذا الحديث كله جمله اسمية واحدة تتكون من مبتدأ - والمملوك وما يتبعه من متعلقات وصفات ثم الخبر وهو قوله: له أجران فالحديث كتلة أسلوبية ومعنوية متماسكة ويتسم بوحدة عضوية وموضوعية على الرغم من إيجازه وصفات المملوك التي تؤهله للفوز بأجرين "تبدأ باسم الموصول "الذي "وهو لتمييز المسند إليه أكمل تمييز، واسم الموصول من أنواع المعارف التي لها أثرها في تحسين الكلام وترابطه وتماسكه والتعبير بالمضارع في قوله: يحسن ويؤدى - يصور نشاط هذا المملوك وتجدد حركته وعدم إنشغاله عن ربه، وعدم تقصيره في حق سيده، ولكنه يحسن العبادة ويؤدى إلى سيده الذي عليه من الحق والطاعة والنصيحة، وفى قوله: الذي عليه "إشارة إلى أن العبد لا بد أن يلتزم بذلك فهي حقوق عليه لسيده، و"من "للبيان وتوضيح الإبهام الذي يتضمنه اسم الموصول: الذي - وتكرار اسم الموصول يوحى بأهمية المملوك، وبأهمية ما علية من حقوق، حتى يفوز بما وعده به رسول الله ﷺ حيث ختم الحديث الشريف بقوله: له أجران " ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٥٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٦٤).

الحديث رقم (١٣٦٧)

١٣٦٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لَهُمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أدَّى حَقَّ الله، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ[1] أمَةٌ فَأدَّبَهَا فَأحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أجْرَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

مواليه: جمع مولى وهو اسم يقع على جماعة كثيرة منها المالك والسيد[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد المباني متلبسة فيه بالمعاني وهذه ميزة البيان النبوي حيث يتسم بالقصد والخلوص والاستيفاء ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث "التفصيل بعد الأجمال "حيث أجمل أولاً في قوله: ثلاثة لهم أجران، ثم فصل بعد ذلك في بيان معالم هؤلاء الثلاثة وفى مفتتح الحديث مظهران من مظاهر الأسلوب الفني. . هما: التقديم، والتأخير في قوله: لهم أجران فتقديم "الجار والمجرور لإشعارهم بأن حقهم لا يضيع واللام للملكية لزيادة الاطمئنان والترغيب في الجودة والإتقان وفى قوله: ثلاثة "حذف "وهو من سمات البلاغة الأسلوبية والتقدير: ثلاثة أشخاص أو طوائف والمفهوم يغنى عن المنطوق والحذف أبلغ وأولى حين يكون الذكر إسهاباً وزيادة لفظية، وقوله: رجل للتغليب والمراد: الرجل

---

(١) عند البخاري بدل: (له)، (عنده أمة يطؤها). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤/٢٤١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

والمرأة - والذكر والأنثى، وتكرار الفعل آمن. لتأكيد الإيمان بالأنبياء السابقين والنبي محمد ﷺ ويوحي هذا التكرار بتعدد الأجر لأنه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم وأسلوب الشرط في قوله "إذا أدى حق الله وحق مواليه. يشير إلى أن تحقق فعل الشرط - يمهد ويفتح الطريق لتحقيق جواب الشرط وهو هنا محذوف للعلم به سابقاً وتقديره "فله أجران "وحين نتأمل دلالة أدوات الربط في الحديث وخاصة حروف العطف نجد أنها تتسق مع مراعى الحديث ومقاصده فالواو لمطلق الجمع في قوله: آمن بنبيه وآمن بمحمد، والمراد الجمع بينهما بلا أي تسويف والعطف بالفاء في قوله: فأدبها فأحسن تأديبها يناسب المقام: لأن تعليم الآداب الشرعية أولاً ثم التأديب والتعليم وهو "ما تحتاجه الأمة من توجيهات وإرشادات في معاشها ومعادها وطرق خدمتها وفى مجال العتق يأتي العطف بثم "لأن ذلك يكون بعد التأديب والتعليم والإعداد الجيد وثم تفيد التراخي ولكن بعد العتق يكون الزواج على الفور ولذلك جاء العطف بالفاء وهى تفيد الترتيب والتعقيب والإسراع (ثم اعتقها فتزوجها) وتكرار "فله أجران "في ختام الحديث: لتذكير هؤلاء الذين ضوعف لهم الأجر. ولكي يزيدوا اطمئناناً بأن حقهم لن يضيع مصداقاً لقول الله عز وجل "إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا "سورة الكهف ٣٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: أهل الكتاب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبمحمد ﷺ والعبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه والمحسن إلى أمته.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

حيث جاء في الحديث: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب..)، وأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تثبت المعلومة لدى المدعو وتدل على بلاغة الداعية وتمكنه مما يقول، وتشد انتباه المدعو إلى معرفة التفصيل بعد الإجمال، ومن

صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الإجمال والتفصيل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[1].

وفي الحديث أجمل النبي ﷺ عدد الثلاثة الذين لهم أجران ثم فصل ذكرهم واحدًا بعد الآخر والواجب على الداعية استعمال هذا الأسلوب لزيادة إفهام السامع.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: أهل الكتاب::

يتضح هذا من الحديث: (رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ)، "ولما كان الإسلام دين الله تعالى إلى الناس جميعًا وليس مقصورًا على العرب وحدهم توجه الرسول ﷺ بدعوته إلى أهل الكتاب لإقامة الحجة عليهم من خلال تنبيههم إلى ما يجدونه في كتبهم من صفة النبي ﷺ وأن علماءهم يعرفون أمره معرفة تامة، وقد أقام الرسول ﷺ الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بمؤمني أهل الكتاب وتصديقهم ما جاء به الرسول ﷺ وشهاداتهم أن ما أنزل عليه هو الحق"[2]، والحكمة في جعل أهل الكتاب صنفًا خاصًا من أصناف المدعوين: "أن أهل الكتاب وإن كانوا يشتركون مع غيرهم من المشركين في الكفر والشرك إلا أنهم يتميزون عنهم بأنهم أهل كتاب سماوي ولذلك جاءت آيات القرآن تخاطبهم باسمهم وتبين لهم طريقًا في الدعوة يختص بهم دون غيرهم"[3].

وإذا كان من أصناف المدعوين أهل الكتاب فإن الواجب على الدعاة إلى الله التزام منهج القرآن في خطاب أهل الكتاب، وطريقة دعوته لهم.

"إن الخطاب القرآني لغير المسلمين اتسم بالحكمة التي من أبرز معانيها: وضع

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله اللحيدان ص ٤٥.

الشيء في موضعه، ففي مواطن الحسم والحزم يكون الخطاب حاسمًا، لكن السمة الغالبة على الخطاب هي عدم تجريح أو إيذاء مشاعر غير المسلمين، وهذا لا يمنع بالطبع من إقامة الحجة والبرهان عليهم وكشف أفعالهم ومواقفهم فتلك حقائق ينبغي أن تكون واضحة، فليس هناك مجال للمداهنة ولا التملق أو النفاق، أو ما يتردد الآن من دعاوى غربية تطالب المسلمين بضرورة "تغيير الخطاب الديني"، هذه العبارة مطاطة والمعاني المقصودة منها أو التي يقصدها الغرب غير المعاني التي نطالب بها.

فالمراد من تغيير الخطاب الديني من وجهة نظر الغرب، هو عملية مسخ على الطريقة الغربية إسلام غربي، يغيب المسلم عن واقعه، تضيع فيه الهوية الإسلامية للمجتمعات لا يتحدث عن الآيات القرآنية التي وردت في شأن اليهود، كما يراد في مناهج التعليم في العالم الإسلامي، إنهم يريدون خطابًا يكرس التبعية للغرب.

ويا للأسف فقد استنبتوا نابتة لهم في العالم الإسلامي من أبنائه، ممن ينادون بضرورة تغيير الخطاب الديني، إنها دعوة ماكرة فاسدة ترمي إلى تضييع معالم الخطاب الديني وسلخ الأمة من تاريخها وحضارتها، وتغييب وعي الأمة الإسلامية.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن الخطاب الديني الذي يحتاج إلى تطوير وتغيير لا يتعلق بأصول الخطاب ومادته المستمدة من الكتاب والسنة.

وإنما يتعلق بتطوير الأفكار في عرض موضوعات الخطاب، وتطوير الأساليب، ودراسة عقلية وفكر من نخاطب من غير المسلمين، إنه لا بد أن يصدر الخطاب الديني لغير المسلمين عن فهم ودراسة وفقه للواقع وللجغرافيا بأنواعها، وفهم للزمان والمكان.

إننا بحاجة إلى مراجعة مستمرة لتقويم وسائلنا وأساليبنا في الخطاب، إنه لا بد من إعادة النظر باستمرار في لغة الخطاب سواء من ناحية اللهجة التي تحتاج إلى إتقان، أم من ناحية الأسلوب، فالخطاب مع غير المسلمين لا بد وأن يكون راقيًا وليس مستهجنًا، لا بد وأن يكون لائقًا بعيدًا عن الاستفزاز.

إنه لا بد من إبراز الجوانب الفكرية في الخطاب الديني، وكيف أن الإسلام احترم العقل، لأنه من مصادر المعرفة بعد الوحي، ومن ثمّ حث الإسلام على إعمال العقل، وذم التقليد.

إن الخطاب الإسلامي بحاجة إلى إبراز التكامل بين الروح والمادة، والعلاقة الوثيقة بين عمل الإنسان في الدنيا، وجزائه في الآخرة"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبمحمد ﷺ والعبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه والمحسن إلى أمته:

يتضح هذا من الحديث: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ... إلخ الحديث)، وهذا يدل على فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبالرسول ﷺ وكذلك العبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه، والمحسن لجاريته "أمته" وأنهم يأخذوا حر أجرهم مرتين وقد نص الله على هذا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال علماؤنا: لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبًا بأمرين من جهتين استحق كل واحد منهم أجرين؛ فالكتابي كان مخاطبًا من جهة نبيِّه، ثم إنه خوطب من جهة نبيِّنا فأجابه واتبعه فله أجر الملتين، وكذلك العبد هو مأمور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده، ورب الأمة لما قام بما خوطب به من تربيته أمته وأدبها فقد أحياها إحياء التربية، ثم إنه لما أعتقها وتزوّجها أحياها إحياء الحرّية التي ألحقها فيه بمنصبه، فقد قام بما أمر فيها، فأجر كل واحد منهما أجرين. ثم إن كل واحد من الأجرين مضاعف في نفسه، الحسنة بعشر أمثالها فتتضاعف الأجور. ولذلك قيل: إن العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى أفضل من الحرّ)[٣].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي فلما

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين د. محيي الدين عفيفي أحمد ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٥/١٦.

قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم: ﴿يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾(١)، حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا وقوله تعالى: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)، أي: هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني يؤتون أجرهم مرتين بإيمانهم بالرسول الأول ثم بالثاني ولهذا قال: (بما صبروا)، أي: على اتباع الحق، فإن تجشم مثل هذا شديد على النفوس"(٢)، وعن أبي أمامة قال: إني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح،فقال قولاً حسنًا جميلاً وكان فيما قال: ((مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَهُ أَجْرُهُ، وَلَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا))(٣).

جاء في فتح الملهم: "قوله: (يؤتون أجرهم مرتين) إلخ: قلت الذي يظهر لي -والله أعلم- أن كل واحد من هذه الأمور الثلاثة مركب من جزئين متزاحمين، يمنع الاشتغال بأحدهما توفية حق الآخر.

فمن آمن بنبي هو مسلم الصدق عند نبينا ﷺ صحيحًا كان هذا الإيمان عند الشرع أم لا، ثم لم يستغن بما عنده عن الإيمان بنبينا ﷺ، فلا ريب أنه أشد مجاهدة لنفسه في ترك حظوظها، ودفع شهواتها، وإيثار ما عند الله تعالى على ما يحكم به هواه، فهو أعظم درجة عند الله من هذه الجهة بالنسبة إلى سائر المؤمنين الذي ليسوا بهذه المثابة، فلا بعد في تضعيف أجره. وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾(٤)، إيماء إلى أن تضعيف أجورهم إنما هو بالصبر على مكاره النفس، والحاصل: أن من عمل حسنة مع وجود ما يقاومها ويزاحمها، أو ما يمنع من استيفاء حقها أحق بإعطاء الأجر مرتين، ونظيره قوله ﷺ عند الشيخين: ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ

(١) سورة يس، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٤/٦.

(٣) اخرجه أحمد في مسنده ٢٥٩/٥، رقم ٢٢٢٣٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٥٧٠/٣٦.

(٤) سورة القصص، آية: ٥٤.

السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))[١].

وقس على هذا: العبد الذي يؤدي حق الله سبحانه وتعالى مع أداء حق سيده، فإن الجمع بينهما متعذر غاية التعذر، فالمحبوس في الرق إذا وفق للجمع بين الأمرين، ولم ينقص من حق أحدهما شيئًا، فهو حقيق بأن يضاعف أجره، وهكذا الرجل الذي غذا جاريته، فأحسن غذاءها، وأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها ثم تزوجها، فإن تزويجه الأمة المملوكة التي شأنها كذا موجب لتعيير الناس عرفًا كما يفهم من تشبيهه بالراكب بدنته في قول الخراساني للشعبي، وأصرح منه ما نقلنا عن أنس وغيره من السلف.

فحديث الباب دلّ على أن للمتزوج أمته بعد إعتاقها أجرين، وليس هذا من باب العود في الصدقة في شيء بل هو إحسان عظيم إليها بعد إحسان عظيم، لأن في الإعتاق تخليصًا من قهر الرق وأسره، والتزوج فيه الترقي إلى إلحاق المقهور بقاهره، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢].

وقوله: (رجل من أهل الكتاب)، قال الحافظ: لفظ الكتاب عام ومعناه خاص أي: المنزل من عند الله، والمراد به التوراة والإنجيل - كما تظاهرت به نصوص الكتاب والسنة - حيث يطلق أهل الكتاب. وقيل: المراد به هنا الإنجيل خاصة، إن قلنا: إن النصرانية ناسخة لليهودية، كذا قرره جماعة، ولا يحتاج إلى اشتراط النسخ، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام كان قد أرسل إلى بني إسرائيل بلا خلاف، فمن أجابه منهم نسب إليه، ومن كذبه منهم واستمر على يهوديته لم يكن مؤمنًا، فلا يتناوله الخبر، لأن شرطه أن يكون مؤمنًا بنبيه، نعم! من دخل في اليهودية من غير بني إسرائيل، أو لم يكن بحضرة عيسى عليه السلام فلم تبلغه دعوته يصدق عليه أنه يهودي مؤمن، إذ هو مؤمن بنبيه موسى عليه السلام، ولم يكذب نبيًا آخر بعده، فمن أدرك بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ممن كان بهذه المثابة وآمن به: لا يشكل أنه يدخل في الخبر المذكور.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

ومن هذا القبيل العرب الذين كانوا باليمن وغيرها ممن دخل منهم في اليهودية، ولم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام، لكونه أرسل إلى بني إسرائيل خاصة. نعم! الإشكال في اليهود الذين كانوا بحضرة النبي ﷺ، وقد ثبت أن الآية الموافقة لهذا الحديث - وهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[1]، نزلت في طائفة آمنوا منهم كعبدالله بن سلام وغيره، ففي الطبراني من حديث رفاعة القرظي قال: (نزلت هذه الآية في وفيمن آمن معي)، وروى الطبراني بإسناد صحيح عن علي بن رفاعة القرظي، قال: (خرج عشرة من أهل الكتاب، منهم أبو رفاعة إلى النبي ﷺ، فآمنوا به فأوذوا فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[2][3]، فهؤلاء من بني إسرائيل، ولم يؤمنوا بعيسى، بل استمروا على اليهودية، إلى أن آمنوا بمحمد ﷺ، وقد ثبت أنهم يؤتون أجرهم مرتين.

قال الطيبي[4]: "فيحتمل إجراء الحديث على عمومه، إذ لا يبعد أن يكون طريان الإيمان بمحمد ﷺ سببًا لقبول تلك الأديان، وإن كانت منسوخة" انتهى.

ويمكن أن يقال في حق هؤلاء الذين كانوا بالمدينة إنه لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام، لأنها لم تنتشر في أكثر البلاد فاستمروا على يهوديتهم، مؤمنين بنبيهم موسى عليه السلام إلى أن جاء الإسلام، فآمنوا بمحمد ﷺ فبهذا يرتفع الإشكال إن شاء الله تعالى. كذا في الفتح. وقد سبق منا ما يزيل هذا الإشكال.

قوله: (آمن بنبيه) إلخ: فيه إشعار بعلية الأجر، أي: أن سبب الأجرين الإيمان بالنبيين، والكفار ليسوا كذلك، ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن أهل الكتاب يعرفون محمدًا ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ

---

(١) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٢.

(٣) انظر: ما أخرجه الطبراني ٥/٥٣، رقم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/١٢٦.

﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1]، فمن آمن به واتبعه منهم كان له فضل على غيره، وكذا من كذبه منهم كان وزره أشد من وزر غيره، وقد ورد مثل ذلك في حق نساء النبي ﷺ، لكون الوحي كان ينزل في بيوتهن. فإن قيل فلم لم يذكرن في هذا الحديث، فيكون العدد أربعة، فأجاب شيخنا شيخ الإسلام بأن قضيتهن خاصة بهن، مقصورة عليهن، والثلاثة المذكورة في الحديث مستمرة إلى يوم القيامة، قاله الحافظ.

قوله: (فآمن به واتبعه وصدقه) إلخ: قال ابن المنير: مؤمن أهل الكتاب لا بد أن يكون مؤمنًا بنبينا ﷺ، لما أخذ عليهم من العهد والميثاق، فإذا بعث فإيمانه مستمر، فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أجره؟ ثم أجاب بأن إيمانه الأول بأن الموصوف بكذا رسول، والثاني بأن محمدًا هو الموصوف، فظهر التغاير فثبت التعدد. انتهى.

ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم فحصل له الأجر الثاني بمجاهدته نفسه، وعلى مخالفة نظرائه، كذا قيل.

والحق أن الكتابي قد آمن بكل من النبيين مرتين، مرة بنبيه السابق تفصيلاً، وبمحمد ﷺ إجمالاً، وأخرى بمحمد ﷺ مفصلاً وبالأنبياء السابقين مجملاً، فإن محمدًا ﷺ مصدق لسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وهم قد بشروا به وأخذ منهم العهد والميثاق على الإيمان به ونصره، فانطوى الإيمان بنبي سابق على الإيمان بنبي لاحق، وبالعكس، ولعل لهذه النكتة قال في القرآن: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[2]، دون (يؤتون أجرين) والله أعلم"[3].

قال القرطبي: "وفيه دليل على أن من لم تبلغه دعوة رسول الله ﷺ ولا أمره لا عقاب عليه، ولا مؤاخذة، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4]،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٣) فتح الملهم، الشيخ: شبير أحمد العثماني ١٩٧/٢ – ٢٠٠ بتصرف.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٥.

ومن لم تبلغه دعوة الرسول ولا معجزته فكأنه لم يُبعث إليه رسول. وهذا الكتابي الذي يُضاعف أجره هو الذي كان على الحق في شرعه عقدًا وفعلاً، ثم لم يزل مُتمسكًا بذلك إلى أن جاء نبينا ﷺ فآمن به، واتبع شريعته، فهذا هو الذي يؤجر على اتباع الحق الأول والحق الثاني، وأما من اعتقد الإلهية لغير الله تعالى كما تعتقده النصارى اليوم، أو من لم يكن على حق في ذلك الشرع الذي ينتمي إليه، فإذا أسلم جبّ الإسلام ما كان عليه من الفساد والغلط، ولم يكن له حق يؤجر عليه إلا الإسلام خاصة، والله أعلم[1].

وأما فضل العبد المملوك فقد جاء في الحديث: (العبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه)، وهذا يدل على فضله لأنه يأخذ أجره مرتين.

قال النووي: "وفي الحديث فضيلة العبد المملوك القائم بحقوق الله تعالى وحقوق سيده"[2].

وأما فضل من أعتق جارية فتزوجها فقد قال ابن حجر: "وفي الحديث دليل على فضل من أعتق أمته ثم تزوجها سواءً أعتقها ابتداء لله أو لسبب وقد بين الحديث أن من يحصل لهم تضعيف الأجر مرتين ثلاثة أصناف: متزوج الأمة بعد عتقها، ومؤمن أهل الكتاب، والمملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه"[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: "شُرع العتق بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[4]، وقوله جل شأنه: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾[5]، وقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[6].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٩٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٣٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٥) سورة المجادلة، آية: ٣.

(٦) سورة البلد، آية: ١٣.

وأما السنة فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من أعتَقَ رقَبةً مُسلمةً أَعتقَ اللّهُ بكل عُضو منه عضوًا من النار حتَّى فَرجَهُ بفَرجهِ))[1]، وقد أعتق النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الرقاب، وأعتق ابو بكر وعمر رضي الله عنهما الكثير من الرقاب.

وقد أجمعت الأمة على صحة العتق وحصول القربة به.

وأما حكمة مشروعية العتق فإن العتق من أفضل القرب إلى الله تعالى، فقد جعله كفارة لجنايات كثيرة منها: القتل، والظهار، والوطء في شهر الصيام، والحنث في الأيمان، وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم فكاكًا لمعتقه من النار - لأن فيه تخليصًا للآدمي المعصوم من ضرر الرق وملك نفسه ومنافعه وتكميل أحكامه وتمكنه من التصرف في نفسه على حسب إرادته واختياره.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٥١، ومسلم ١٥٠٩ واللفظ له.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الجمع بين أداء الحقوق:

العبدُ المملوك يعمل طوع أمر سيده فيقضي حاجاته، ويقوم على شؤونه، ويكون وقته وجهده لسيده، فهو واجب عليه أن يطيعه فيما هو حق ومباح، ولا يجوز له أن يتخلف عن ذلك، فهذا هو واجبه الذي عليه أن يؤديه ويقوم به، ولذا كان في شغل من أمره، وهو من ناحية أخرى عبد لله رب العالمين، يجب أن يعبد رب بما طلبه، من صلاة وصيام ونحو ذلك ويكون في ذلك محسنًا في عبادته لا يكتفي بمجرد الأداء والصورة فحسب بل يجمع إلى ذلك، حضور قلبه وخشوعه وخضوعه لله رب العالمين أيضًا.

إذن اجتمع على العبد واجبان: أحدهما ديني والآخر دنيوي وهذا التفصيل من أجل بيان الجهة التي يتوجه بها إلى عمله، وإلا فإنه في الإسلام ليس هناك فصل بين الديني والدنيوي، فالدنيوي ديني بالنية والإخلاص لله عز وجل، إذن اجتمع على هذا العبد حقان ديني ودنيوي، وقد يكون في أدائه الحق الدنيوي متعبًا منهكمًا نظرًا لكثرة العمل، فيدفعه هذا إلى التقصير في عبادته والإحسان فيها.

ومن ناحية أخرى ربما يدفعه رغبته في إحسان عبادته وتجميلها إلى التقصير في حق سيده، فيقوم بأعماله بوجه فيه قصور أو إهمال أو تسيب قد لا يلحظه سيده، ولا يكون ناصحًا له فلا يؤدي إليه حقه الذي له عليه كما ينبغي.

إذن ربما أدى هذا أو ذاك إلى التقصير في أحد الواجبين أو كليهما معًا، لذا كان للعبد فضل كبير وثواب جزيل إذا أدّى هذين الواجبين على خير ما ينبغي: فعبد ربه وأحسن عبادته ونصح لسيده فخدمه وأحسن خدمته وأطاعه، لذا أشاد النبي ﷺ بهذا العبد الذي قام بما يجب عليه خير قيام وأداه خير أداء وأحسن في ذلك وأجاد، فقال: (إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين)، وقد تكرر هذا المعنى في أحاديث الباب الأخرى.

قال ابن حجر: (اسم الصلاح يشمل شرفين، وهما إحسان العبادة والنصح للسيد،

ونصيحة السيد تشمل أداء حقه من الخدمة وغيرها)[١].

إذن هذه الاحاديث صورة من صور الحض والترغيب في أداء الحقوق جميعها وعدم الاهتمام بجانب وترك جانب آخر، لكننا في حياتنا المعاصرة نرى صورًا من الإخلال في أداء الحقوق جميعها، من ذلك:

أ- تجد بعض الأزواج يقدمون واجبات على أخرى، فيهتمون بالأولى ويهملون الأخرى، تجدهم إما أن يؤدوا حقوق الأم والأب والأخوة ولا يلتفتون إلى حقوق الزوجة إلا نادرًا، وإما أن يؤدوا حقوق الزوجة كاملة، ولا يؤدون حقوق الآباء والأمهات إلا في الأعياد والمناسبات على قلتها وندرتها.

ب- تجد بعض الموظفين والعاملين يهمل في أداء واجبات وظيفته الحكومية، فتجده كثير الغياب وإذا حضر سخر وقته وجهده لعمله الخاص وإلا أخلد إلى الراحة والكسل وأهمل أداء ما يجب عليه، أما في عمله الخاص به فتجده شعلة نشاط لا يكاد يهدأ ولا يكاد ينال قسطًا كافيًا من النوم، وتجده شديد اللوم لمن يعملون معه إذا قصروا أو أهملوا إهمالاً بسيطًا غير مقصود.

ج- تجد بعض المكثرين من الحج والعمرة مقصرين في أداء الواجبات أو المندوبات المالية، فربما يكون بعضهم لا يخرج زكاة ماله، وكثير منهم قد يخرج إلى الحج والعمرة وقد ترك له جيرانًا لا يجدون ما يسدون جوعهم ولا ما يسترون به أبدانهم، ولا ما يقيهم حرّ الصيف وبرد الشتاء.

وغير ذلك من مظاهر الخلل في الجمع بين الواجبات جميعها، وعلى ذلك تكون أهمية التربية على عدم الإخلال بالواجبات قدر الجهد والطاقة، وتأدية كل واحد ما يجب عليه.

ثانيًا- التربية على الموازنة بين الأمور:

لما عرف أبو هريرة ﵁ فضل العبد المملوك الصالح وما له من أجر كبير، لما عَرَف ذلك أحب أن يكون مملوكًا يعيش مملوكًا ويموت مملوكًا، لكنه قلّب الأمر

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٥/٢.

على وجوهه المختلفة فوجد أن كونه مملوكًا -على فضله وأجره- يمنعه من فعل أشياء أفضل وأعظم، إنه يمنعه من أن يجاهد في سبيل الله، ويمنعه من أن يؤدي الحج، فضلاً عن أنه يمنعه من بر أمه البرّ التام، قال ابن حجر: (إنما استثنى أبو هريرة ﷺ هذه الأشياء لأن الجهاد والحج يشترك فيهما إذن السيد، وكذلك بر الأم، فقد يحتاج فيه إلى إذن السيد في بعض الوجوه، بخلاف بقية العبادات البدنية، ولم يتعرض للعبادات المالية إما لكونه كان إذ ذاك لم يكن له مال يزيد على قدر حاجته فيمكنه صرفه في القربات بدون إذن سيده، وإما لأنه كان يرى أن للعبد أن يتصرف في ماله بغير إذن سيده) [١].

إننا أمام موازنة أقامها أبو هريرة ﷺ بين فضل كونه مملوكًا وفضل الأعمال التي قد لا يستطيع أن يفعلها إن هو أصبح مملوكًا، فقارن ووازن بين الفضلين والثوابين فاختار أعلاهما، وأحسنهما وأفضلهما، وترك أدناهما وأقلهما.

وفي ذلك تربية على الموازنة بين الأمور واختيار أفضلها وأحسنها، ونحن أحوج ما نكون إلى هذه التربية الموازنة، نظرًا لشيوع بعض مظاهر الخلل في حياتنا المعاصرة، والتي ظهرت بسبب غياب الموازنة والترجيح بين الأمور المتعارضة أو المتزاحمة، ونستطيع أن نرصد بعض هذه المظاهر:

أ - ترك ذوي التعليم المهني المتاز أعمالهم وطلبهم للعلم الشرعي والرغبة في التفوق فيه والبروز، فتجد الطبيب والمهندس والصيدلي ونحوهم ممن قطعوا شوطًا كبيرًا في التعليم التخصصي وممارسة العمل والتفوق فيه، تجد بعضهم يترك عمله هذا أو يتوقف عن الإطلاع على المزيد ومواصلة التطور والتعمق فيه، ويكتفي بما حصّله، ويتجه بكليته إلى طلب العلم الشرعي التخصصي من فقه وحديث وتفسير وعلوم قرآن، ويجد في ذلك ويجتهد.

وهو في هذا صاحب نية صادقة وتوجه مشكور، ولكن لنوازن بين ما هو فيه وما يريد أن يكون: إنه قد ترك مهنته التي يعرفها ويتقنها أو توقف عن مواصلة التعلم فيها،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٥/٢.

ومهنته هذه يحتاجها الناس أشد الاحتياج، ويبحثون عن كل أمين صادق قنوع في هذه المهن الخطيرة، فإذا ترك مهنته فربما أحوج الناس إلى الذهاب إلى غيره ممن لا يُعرف بصدق وأمانة أو قناعة، كما أنه إذا ترك الصادقون المخلصون الأمناء هذه المهن الخطيرة فإلى أين يذهب الناس وبمن يثقون؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مجال العلم الشرعي التخصصي فيه علماء مبرزون صادقون مخلصون ربانيون، يمكن أن يسألهم ويثق بعلمهم.

إننا نرى أن أصحاب هذه المهن الحيوية التي يحتاجها الناس عندهم من الفرص الثمينة ما يستطيعون أن يخدموا به الإسلام خير خدمة، دون أن يتركوا مهنهم تلك، إن عملهم يقوم على الاحتكاك بالناس ومخالطتهم ومعرفة الكثير عنهم، وهم إذا أخلصوا النية لله، وعاملوهم بصدق وأمانة وقناعة، كما هي آداب الإسلام وأخلاقه، لضربوا أمامهم أمثلة رائعة على كيف يكون الالتزام بالإسلام مفيدًا للناس قبل الملتزم، كما أنهم بسلوكهم هذا معهم يدعونهم بالممارسة والعمل إلى التحلي بآداب الإسلام وأخلاقه، ولا شك أن الدعوة بالممارسة والفعل أقوى من الدعوة بالقول.

ب - انشغال كثير من الناس ببناء المساجد وتعميرها، دون أن يلتفتوا إلى أهمية توفير مكتبة إسلامية تحتوي على أمهات الكتب الإسلامية في القديم والحديث، وتحتوي كذلك على النافع من العلوم، إنه من النادر أن تجد المكتبات الأهلية، وإذا وجدتها كانت قليلة الكتب محدودة المصادر، أما المساجد فتجدها كثيرة جدًّا، لا يكاد يخلو شارع أو عدة شوارع من مسجد، بل قد تجد في بعض المدن أن الشارع الواحد فيه بضعة مساجد، لكن قد تخلو مدينة كبيرة من وجود مكتبة أهلية ذات وزن مقبول، ألَيْست هذه المساجد تحتاج إلى من يعمرها ويرشد الناس فيها إلى الحق ويبصرهم بأمر دينهم ووجود مكتبة شرعية كثيرة المراجع والمصادر تسهل هذه المهمة تسهيلاً كبيرًا؟.

إن الإكثار من بناء المساجد عمل مشكور وجهد طيب لكن في نفس الوقت إهمال السبل لتيسير العلم والتعلم والاطلاع ومعرفة الصحيح والخطأ -أي التفقه في دين الله-

إهمال ذلك فيه إخلال كبير وخلل في الموازنة، لذا كان الأمر يحتاج إلى علاج هذا الخلل بالموازنة بين بناء المساجد وإقامة المكتبات الإسلامية الأهلية الكبرى حتى نجمع بين مكان العبادة وتصحيح العبادة التي تقام في المساجد وغيرها.

ثالثًا- من أهداف التربية الإسلامية: تعليم البنات:

حضّ النبي ﷺ على تأديب الإماء وإحسان تعليمهن ثم عتقهن وتزويجهن، أي الإحسان إليهن بكل ما تحمله كلمة الإحسان من معانٍ ودلالات، حضّ على ذلك بأن ذكر أن من فعل ذلك كان له أجران، قال النووي: (وليس هذا من الرجوع في الصدقة في شيء، بل هو إحسان إليها بعد إحسان) [١].

والذي يلفت نظرنا في هذا الحديث الشريف أنه ﷺ حضّ على تعليم الإماء في بيئة كانت لا تقيم لهن ولا للحرائر كبير وزن أو مزيد اهتمام أو كثير عناية، بل كانت بعض القبائل تنظر إلى المرأة أنها من سقط المتاع فلا تستحق تعليمًا أو تأديبًا أو إحسانًا أو مراعاة، ولم يكن المجتمع العالمي وقت البعثة بأحسن حالاً في نظرته الإجمالية إلى المرأة، فكون النبي ﷺ يحضّ على تعليم الإماء -وهن أقل من الحرائر بكثير- دليل واضح وجلي على أن التربية الإسلامية من أهدافها الأصيلة تعليم البنات حرائر وإماء كما كان من أهدافها تعليم البنين والرجال، إنها باختصار تهدف إلى تعليم المجتمع كله بجميع فئاته وأعماره، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب العلم من صحيحه: باب: تعليم الرجل أَمتَه وأهله[٢].

قال ابن حجر: (باب تعليم الرجل أَمَتَه وأهله مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص وفي الأهل بالقياس، إذا الاعتناء بالأهل الحرائر في تعلم فرائض الله وسنن رسوله ﷺ آكد من الاعتناء بالأمة)[٣].

إننا أمام توجيه نبوي شريف لتعليم البنات والنساء وتيسير السبل والطرق لذلك، لأن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/١٩٠.

(٢) الحديث ٩٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٣٦.

الاهتمام بتعليم البنات تعليم لأمهات المستقبل، ولا يخفى أن تأثير الأم على أولادها قد يعادل أو يفوق تأثير الأب عليهم، نظرًا لتفرغها ومعايشتها لأولادها في كل صغيرة وكبيرة، فتعليمها يتعدى إلى غيرها يتعدى إلى أولادها وأهلها فتساهم بدور فعال في إصلاح المجتمع والعمل على ترقيته وصدق حافظ إبراهيم إذ قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبًا طيب الأعراق

ولكي يأتي تعليم البنات بآثاره المرجوة من ورائه، نرى أنه لا بد أن يقوم على مبادئ وركائز هي:

أ - لا بدّ من تعليم البنات أن دورهن في الحياة لا يكون التصارع مع الرجال واعتبارهم مغتصبين لفرصهن ومناصبهن وحقوقهن، وإنما يكون التكامل مع الرجال والتعاون، فلا شك أن للرجال دورًا لا تستطيع النساء أن يقمن به، كما أن للنساء دورًا لا يستطيع الرجال أن يقوموا به.

ب - لا بدّ من غرس في نفوس البنات وأفئدتهن أن مهمتهن الأولى في هذه الحياة هي الحفاظ على بيوتهن وجعلها حدائق للتربية والتوجيه، ومساعدة الزوج، فكل عمل يتعارض مع هذه المهمة الجليلة يجب تجنبه وعدم الاشتغال به.

ج - لا بدّ من بيان أن الحضارة الإسلامية حضارة أصيلة، لا هي شرقية ولا غربية، هي فكر مستقل عن غيره من الأفكار، وهي حضارة لها من الأسس المتينة والمبادئ الراسخة ما يحفظ عليها خصائصها ومقوماتها، ولا يجعلها تذوب في غيرها وعلى ذلك يجب أن يكون للمرأة موقف مما هو حادث في عالم المرأة على مستوى العالم، فلا تتبع كل ناعق أو ناعقة، ولا تميل مع كل دعوى زائفة أو كل فكرة براقة، بل ترد ذلك إلى دينها فما أقرّه تمسكت به وعضت عليه بالنواجذ، وما رفضه رفضته ولم تنشغل به، بل كانت على حذر وحيطة منه.



٢٣٩- باب فضل العبادة في الهرج

وَهُوَ: الاختلاط والفتن ونحوها

الحديث رقم (١٣٦٨)

١٣٦٨- عن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**العبَادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إليَّ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

معقل بن يسار: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٥٤).

غريب الألفاظ:

الهرج: الفتنة واختلاط أمور الناس، والقتال. وأصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتساع[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل آفاق المعنى في هذا الحديث الذي اتسم بالدقة والإيجاز نجد الحديث مؤطرا بصورة تشبيهية تجمع بين طرفي الحديث، والجملة الأولى تمثل الطرف الأول من هذا التشبيه "وهو حال المسلم في عبادته التي يقوم بها في أجواء غير مناسبة حيث الاختلاط والفتن وهوشات الأسواق وحركة الناس في مثل هذه التجمعات التي تعج بالضجيج والصخب والأغاني واللعب، وغير ذلك من مظاهر اللهو والفن والتعبير بفي يدل على الظرفية والتمكن من الشيء وعلى الرغم من ذلك ينتصر العابد على هذه المغريات وتلك الإرجافات ويخلص العبادة لله والطرف الثاني من الصورة التشبيهية هو هذه العبادة المحاطه بالفتن تشبه في قوة الإرادة وصدق النوايا وصمود الإيمان في وجه مغريات الشيطان تشبه: الهجرة والفرار بالدين من دار الشرك إلى دار الإيمان، يقول

---

(١) برقم (١٣٠/٢٩٤٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ ر ج).

القرطبي في تفسير هذه الصورة في ذلك (والمنقطع إليها المنعزل عن الناس أجره كأجر المهاجر إلى النبي ﷺ، وللهجرة دلالات متعددة وموحية تفجرها هذه الدلالات ومن ذلك: الدلالات اللغوية والدلالة الإصلاحية فالدلالة اللغوية تقودنا إلى عدة منابع تتجمع كلها لتعطى معنى الشدة والقوة والطول والعظيم والجيد من كل شيء، والفائق الفاضل على غيره ومادة "هجره "في القاموس المحيط: تتدرج تحتها هذه المعاني الإيجابية فالهجرة في ظل هذه الدلالات تعنى المكابدة والقوة. . والتضحية - وكل هذه الصفات لانتصار الإرادة وانتصار العقيدة والعبادة في، "الهرج"وقلب الفتن هي المظهر الأسمى للقابض على دينه وهو مثل من يقبض على الجمر. .. وفى مقدمه هؤلاء القابضين على الجمر الفارون بدينهم إلى ربهم، والمهاجرون إلى رسول الله ﷺ وفى تصوير "هجرة الحبيب المصطفى ﷺ يقول: صاحب هذه السطور

الله يعلم كم كابدت من كمد ... وأنت ترحل عن أهل وعن ولد
فكم خطرت حبيبا في مرا بعها ... والكف تجهل كم تحوى من العدد
وكم سجدت مع الإلهام منفرداً ... وفى حراء تلاشت حيرة الخلد
ما كنت تقرأ شيئاً من ضلالتهم ... وعدت تقرأ باسم البارىء الصمد
أشرقت في يثرب بدراً ومرحمة ... فأنقذ الكون من تيه ومن بدد

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل العبادة في الهرج.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على التمسك بالكتاب والسنة والابتعاد عن الفتن.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (العبادة في الهرج كهجرة إليَّ)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في عبادة الله وقت الفتن وانشغال الناس، بأن ثواب هذه العبادة كهجرة إليه ﷺ، وهذا ترغيب عظيم خاصة مع معرفة فضل الهجرة إليه، وثوابها العظيم عند الله تعالى.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي توجه المدعو وتحببه في الطاعة، قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المفروضة العلل الباعثة"(١)، ومما لا شك فيه أن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"(٢).

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا﴾(٣).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل العبادة في الهرج:

حيث جاء في الحديث: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ)، قال النووي: "والمراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد"(٤)، هذا وقد جاء في مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: ((العِبَادَةُ فِي الفِتْنَةِ كَالهِجْرَةِ إِلَيَّ))(٥)، قال ابن رجب: "والعبادة في غفلة الناس أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات، وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المتيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها"(٦).

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ص ٢١٢.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٣) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٠٥.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧/٥، رقم ٢٠٣١١ وقال محققو المسند: حديث صحيح، ٤٢٤/٣٣.

(٦) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٥٣.

والسر في التعبير عن العابد في الهرج بالمهاجر إلى رسول الله ﷺ، قال ابن رجب الحنبلي أيضًا: "وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به متبعًا لأوامره مجتنبًا لنواهيه"(١).

قال القاضي عياض: "وقوله: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ) أي في احتدام الفتنة، واختلاط أمر الناس، فيحمل أنه في آخر الزمان الذي أنذر به في الحديث: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ)) قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: ((الْقَتْلُ. الْقَتْلُ))(٢)، ويحتمل أنه عمومًا في كل وقت وفضل الانعزال حينئذ لعبادة الله"(٣).

وقال القرطبي: "والهرْج: الاختلاط والارتباك، ويراد به هنا الفتن والقتل، واختلاط الناس بعضهم في بعض فالمتمسك بالعبادة في ذلك الوقت والمنقطع إليها المعتزل عن الناس أجره كأجر المهاجرة إلى النبي ﷺ لأنه يناسبه من حيث إن المهاجر قد فرّ بدينه عمن يصده عنه إلى الاعتصام بالنبي ﷺ وكذلك هو المنقطع للعبادة فرّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو على التحقيق قد هاجر إلى ربه، وفرّ من جميع خلقه"(٤).

وقال محمد تقي العثماني: "وقوله: (العبادة في الهرج) أصله الاختلاط والقتل والمراد منه هنا: الفتنة وقوله: (كهجرة إلي) والهجرة إلى رسول الله ﷺ من أعظم القربات وإنما عظم أجر العبادة في الفتنة لكثرة الشواغل والذواهل وقلة الفراغ فيها"(٥).

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٢٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٨٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٩/٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٩/٧.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٢٩/١٢.

وتظهر أهمية وفضل العبادة في الهرج لشدة الفتن التي تأخذ بالألباب، فيما ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُم وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُم وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُم بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ - يَعني عَلَى أحَدٍ مِنْكُم فليَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ))[1]. وهذا الحديث يبين شدة الفتن في آخر الزمان.

(والمراد بالفتن هنا: (المصائب والنكبات) والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبهم في أنفسهم أو في أموالهم أو في أولادهم أو في عقائدهم، قال الشاعر العربي:

إن للّـه عبـادًا فُطَنَـا طلقـوا الـدنيا وخـافوا الفتنـا
نَظَـرُوا فِيهَـا فَلَمَّـا عَلِمُـوا أَنَهـا لَيسـتْ لحَـيٍّ سـكنا
جعَلُوهَـا لُجَّـةً وَاتَّخَـذوا صَـالِحَ الأعمـالِ فيهَـا سُـفُنَا

وقوله: (كقطع الليل) المراد أن الفتن تأتي متلاحقة متتالية كما يأتي الليل متلاحق الأجزاء، وكلما تقدم الليل اشتد الظلام، والحديث يصور صورة الفتن تتلاحق كتلاحق الجيوش يطارد بعضها بعضًا وتشتد هذه الفتن العصيبة فتحدث انقلابًا في نفوس البشر من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال ومن النور إلى الظلام، فيصاب الإنسان بأعظم نكسة وأفدح مصيبة!! وهل هنالك من مصيبة تعدل المصيبة في الدين والإيمان، وهل هناك من خسارة توازي هذه الخسارة؟"[2].

ومما يدل أيضًا على خطورة الفتن وفضل العبادة فيها ما جاء عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: ((لاَ إِلهَ إلاَّ اللّهُ. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرَ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هـذِهِ)) وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ))[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٢٥٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٥٨٢).

(٢) من كنوز السنة، الشيخ: محمد علي الصابوني ص ٢٩ - ٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٨٠.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على التمسك بالكتاب والسنة والابتعاد عن الفتن:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن مطلوب المسلم الأول أن يتمسك بالكتاب والسنة في كل وقت، وخاصة عند الفتن والهرج الاختلاط، ولما وعظ رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قالوا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))(١).

إن المسلم عند الفتن لا منجي له إلا التمسك بالكتاب والسنة وأن يبتعد عن الفتن قدر ما يستطيع "إن من آثار الفتنة أنها تُنسي الواقعين فيها حقائق يعرفونها وحدودًا كانوا يلتزمونها، وإن الواقع في الفتنة تخف تقواه، ويرق دينه، ولذلك حين يُبعد أناس عن الحوض كان يظنهم رسول الله ﷺ من أمته يُجاب: (لا تدري مشوا على القهقري)، قال راوي الحديث ابن أبي مليكة: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ أَنْ نُفْتَنَ))(٢).

ومن أخطر آثار الوقوع في الفتن انعدام التأثر بالموعظة، روى أحمد: أن أخًا لأبي موسى كان يتسرع في الفتنة فجعل ينهاه ولا ينتهي فقال: إن كنتُ أرى أنه سيكفيك مني اليسير -أو قال من الموعظة- دون ما أرى...، بل ويستصغر الناس المعاصي. يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: في الفتنة لا ترون القتل شيئًا، فما سبيل النجاة من الفتن؟

ومن المنجيات من الفتن: أن تتنازل عن حقك في الدنيا وإن كان الصبر على ذلك شاقًا على النفس، كما جاء في سنن أبي داود: ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا))(٣)، ومن كانت الفتنة تحيط به ولا مُنْجِيَ له منها فليفر بدينه من الفتن أو ليكثر من العبادة

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١)، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٤٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٢٦٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٥٨٥)، واهًا: ما أطيب الصبر على البلاء.

كما في الحديث: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))[١]، والتزود بالأعمال الصالحة مطلوب للوقاية من الفتنة قبل وقوعها، قال ﷺ: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا))[٢].

قال النووي في شرح الحديث: "معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتراكمة المتكاثرة"[٣].

ومن كان يملك أسباب الفتنة فليتخلص منها حتى إن كعب بن مالك رضي الله عنه يذكر في قصة الثلاثة الذين خُلفوا؛ كيف جاءه كتاب من ملك غسان وفيه: (...قد بلغني أنَّ صاحبَك قد جَفَاك، ولم يَجعلْك اللَّهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيَعَة، فالْحَقْ بنا نُواسِكَ. يقول كعب: فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضًا مِنَ البَلاءِ. فتيمَّمْتُ بها التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بها)[٤].

والدعاء بالحماية من شرور الفتن سبب من أسباب النجاة، وينجيك عند الله أن تنكر الفتنة، ولا ترضى بها، ولا تعين عليها، وأهم المنجيات أن يفقه المرء دينه، وأن يميز حدود الشرع - دون التباس - فقد نقل ابن حجر عن ابن أبي شيبة حديثًا عن حذيفة رضي الله عنه يقول فيه: (لا تضرّك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل)[٥].

ورغم كل هذه الأسباب المنجية وغيرها، لا بد للقلب من أن يبقى معلقًا بالله، وحقًا: إن السعيد لمن جنب الفتن، فاجتناب الفتن حفظ رباني، أكثر من كونه كسبًا بشريًا.

والخلاصة: أن من أسباب الوقوع في الفتنة:

- استعداد القلب لقبولها.
- الخوض بالألسنة واعتقاد الأوهام.
- تقديم الرأي على حكم الشرع.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٤٨.

(٢) أخرجه مسلم ١١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٩٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩/١٣.

- استلام إمارة لا يعان عليها.
- الانشغال بالقول عن العمل

ومن آثار الفتنة أنها:

- تُنسي الناس حقائق يعرفونها.
- تُرقق الدين.
- تُذهب العقل.
- تعدم التأثر بالموعظة.

ومن المنجيات من الفتن:

- التنازل عن حقك في الدنيا.
- الفقه في الدين.
- التخلص من وسائل الفتنة وأسبابها.
- عدم تولي إمرة في الفتنة.
- الدعاء بالحماية من شرها.
- إنكار القلب للفتنة.
- التزود بالعمل الصالح.
- اجتناب الفتن حفظ رباني أكثر من كونه كسبًا بشريًا"[١].

وقال ابن الجوزي: "ما رأيت فتنة أعظم من مقاربة الفتنة. وقلّ أن يقاربها إلا من يقع فيها، قال بعض المعتبرين: قدرت مرة على لذة ظاهرها التحريم، وتحتمل الإباحة، إذ الأمر فيها مردد، فجاهدت النفس، فقالت: أنت ما تقدر فلهذا تترك، فقارب المقدور عليه، فإذا تمكنت فتركت كنت تاركًا حقيقة. ففعلت وتركت، ثم عاودت مرة أخرى في تأويل، أرتني فيه الجواز، وإن كان الأمر يحتمل. فلما وافقتها أثر ذلك ظلمة في قلبي، لخوف أن يكون الأمر محرمًا. فرأيت أنها تارة تقوى بالترخص والتأويل، وتارة

---

(١) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار ص ٣٧٦ - ٣٧٩ بتصرف.

أقوى عليها بالمجاهدة والامتناع. فإذا ترخصت لم آمن أن يكون ذلك الأمر محظورًا، ثم أرى عاجلاً تأثير ذلك الفعل في القلب.

فلما لم آمن عليها بالتأويل تفكرت في قطع طمعها من ذلك الأمر المؤثر، فلم أر ذلك إلا بأن قلت لها: قدري أن هذا الأمر مباح قطعًا، فوالله الذي لا إله إلا هو لا عُدت إليه. فانقطع طمعها باليمين والمعاهدة. وهذا ابلغ دواء وجدته في امتناعها؛ لأن تأويلها لا يبلغ إلى أن تأمر بالحنث والتكفير.

فأجود الأشياء قطع أسباب الفتن، وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملاً ومؤديًا إلى ما لا يجوز[1].

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٨٨ - ٢٨٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الثبات على مبادئ الإسلام كل وقت وكل حين وفي كل مكان:

إذا كانت الهجرة في أول ظهور الإسلام من الأعمال التي تدل على صدق الإيمان وعلى حبّ الله ورسوله وحب شرعه، فإن المهاجر ترك كل شيء دنيوي من أجل الهجرة إلى النبي ﷺ، فقد ترك ماله وأهله وولده وزوجته وقبيلته وعزّه ومجده وحَسَبه ومكانته وما شابه ذلك، ابتغاء مرضاة الله ونيل رضاه، لذا كان المهاجر له من المكانة ما ليس لغيره ومن الفضل ما ليس لأحد سواه، فقد هاجر والخوف يحيط بالمسلمين من كل مكان يخافون أن يتخطفهم الناس، والجزيرة كلها أو معظمها تعلن العداء لدولة الإسلام الناشئة في المدينة المنورة، ومن أقدم على الهجرة نبذه أهله وأولاده وعادات قومه وقبيلته وربما تبرأوا منه ومن هجرته، لذلك كان أمر الهجرة إلى رسول الله ﷺ أمرًا عظيمًا وشأنًا خطيرًا، يتمنى المسلمون في كل زمان وعصر لو نالوا هذا الشرف العظيم والخير الوفير.

لكن النبي ﷺ قد بيّن أن هناك من الأفعال ما إن فعلت كانت تعادل الهجرة إليه ﷺ، فكأنها هجرة إليه.

إن ذلك يتحقق بالعبادة في الهرج وقت الفتن واختلاط أمور الناس، فهذا وقت الثبات، ووقت الإمساك بمبادئ الشرع وعدم التزحزح عنها والالتزام بها وعدم الحيد عنها مهما كانت المغريات والمؤثرات والضغوط، ومهما قلّ المتمسكون والملتزمون، ومهما كثر السقوط والتخلي عن الأصول والمبادئ والأساسيات، إنه رغم كل ذلك متمسك بالعبادة وملازمتها والقيام بها خير قيام حتى يأتيه اليقين، إن من فعل ذلك استحق أن يكون كمن هاجر إلى النبي ﷺ وقت ظهور الإسلام وبدايته.

ولنا أن نسأل: لماذا كان هذا التشبيه بوجه خاص؟ لماذا ذكرت الهجرة مع العبادة وقت الهرج؟

إننا نستطيع أن نجيب بما يلي:

أ- الهجرة في أصلها هجرة ما يغضب الله تعالى، والعبادة من لوازمها ومقتضياتها هجر ما يغضبه سبحانه وتعالى، فلا يتصور صاحب عبادة حقة يعبد الله وهو مصرٌ على ارتكاب الفواحش والكبائر والذنوب والسيئات، إنه بعبادته يلازم طريق الاستقامة فلا يفعل إلا طيبًا، ولا يهجر إلا خبيثًا.

ب- كانت الهجرة في أول الإسلام لا يفعلها إلا الأقوياء في الإيمان الأشداء في العقيدة، وكذلك العبادة وقت الهرج لا يفعلها إلا المؤمنون الأقوياء المخلصون العابدون العاملون، وهؤلاء أفراد قلة وقت الهرج.

ج- الهجرة إلى رسول الله ﷺ هجرة إلى أحب محبوب وأشرف مخلوق، كذلك الالتزام بالعبادة وقت الهرج هجرة لما عليه الناس إلى أحب الأعمال وأشرفها، فهل هناك أحب أو أشرف من عبادة الله وحده؟

د- كان المهاجرون الأوائل شامات بين الناس وعلامات مضيئة، وكذلك العابدون وقت الهرج أعلام بين الناس ونجوم لامعة في سماء الناس، وذلك لقلتهم كما أن أعمالهم الطيبة إلى أعمال الناس الآخرين كالنقطة البيضاء في سواد قاتم بغيض.

والسؤال الذي يطرح نفسه: أليس للالتزام بالعبادة وقت الهرج ضريبة تدفع إن صح هذا التعبير؟

لا شك أن هذا مقرر وواقع ومعروف لا يحتاج إلى دليل، لكن على صاحب المبدأ أن يظلّ على مبدئه لا يحيد عنه ولا يميل، "فلقد كانت دعوة النبي ﷺ واضحة جلية منذ أيامها الأولى، فحينما رأى المشركون قوة دعوة النبي ﷺ والتفاف الناس حوله، أرادوا أن يجروه إلى التفاوض على المبدأ وسياسة الترقيع والقبول بالحلول الوسط والمنافع المشتركة، أنزل الله تعالى قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[1]، ولهذا فمن مبادئ الدخول في دين الإسلام: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦.

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[١].

ويتربى الصحابة رضي الله عنهم على هذه الحقيقة أعزة شامخين بإيمانهم فها هم أولاء يخرجون من غزوة أحد وقد ثقلتهم الجراح، وفقدوا جمعًا كريماً من جلّة الصحابة، ومع ذلك يتنزل عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢].

صحيح أن ذلك قد يجرّ مزيدًا من التسلط والتضييق والملاحقة لأولياء الله الصالحين، ولكن هذه هي طبيعة هذا الدين، فما من نبي من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام إلا وقد تسلط عليه قومه بالسخرية والإيذاء، بل بالضرب والقتل أحيانًا، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٣]، ولما سمع ورقة ابن نوفل ما حصل للنبي ﷺ في غار حراء قال له: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله ﷺ: ((أوَ مُخرِجيَّ هُمْ؟ قال: نعم، لمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ ماجئتَ بهِ إلا عُودِي))[٤].

وقال قيصر الروم في حواره مع أبي سفيان بن حرب: (سألتُكَ كيفَ كان قتالُكم إيّاهُ، فزَعمتَ أنَّ الحربَ سِجالٌ ودُوَلٌ، فكذلك الرُّسُلُ تُبْتَلى ثمَّ تكونُ لهمُ العاقبةُ)[٥][٦].



---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣١.

(٤) أخرجه البخاري ٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري ٧ من حديث ابن عباس عن أبي سفيان رضي الله عنهم.

(٦) لكم دينكم ولي دين: دعوة إلى الثبات على المبادئ الصحيحة. افتتاحية مجلة البيان العدد ١٠٦، ص ٥ – ٦.

٢٤٠- باب فضل السماحة في البيع والشراء

والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المُعْسِرَ والوضع عَنْهُ

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُم﴾[هود: ٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[المطففين: ١ - ٦].

الحديث رقم (١٣٦٩)

١٣٦٩ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَقَاضَاهُ فَأغْلَظَ لَهُ[١]، فَهَمَّ بِهِ أصْحَابُهُ، فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((**دَعُوهُ، فَإنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً**)) ثُمَّ قَالَ: ((**أعْطُوهُ سِنّاً مِثْلَ سِنِّهِ**)) قالوا: يَا رسولَ اللهِ، لا نَجِدُ إلاَّ أمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: ((**أعْطُوهُ، فإنَّ خَيْرَكُمْ أحْسَنُكُمْ قَضَاءً**)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتقاضاه: يطلب منه قضاء الدين[٣].

---

(١) (له) لا توجد عند البخاري، وهو لفظ مسلم، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٢٠/١٦٠١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦١١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩/٥.

فهمَّ بـه أصـحابه: أرادوا أن يـؤذوه بـالقول أو الفعـل لكـن لم يفعلـوا أدبًـا مـع النبي ﷺ[١].

مقالاً: المقال: صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع[٢].

سنا: جملاً ذا سن[٣].

أمثل: أعلى[٤].

الشرح الأدبي

هـذا مـشهد مـضيء بالقـدوة الحـسنة مـن مـشاهد الـسيرة النبويـة.. يؤكـد عدالـة الإسلام، وسماحة نبي الإسـلام ﷺ والتعامل بالفضل والحسنى ويموج هـذا الحـديث الحواري بعدة ظواهر فنية وأسلوبية تشع بدقة البيان النبوي وروعته، وجماله، ونصاعته منها: التأكيد بأن في بداية الحديث.. يرشد إلى أهمية الواقعة وإلى ضرورة اتخاذها نموذجاً للتعامل بالحسنى التعبير بقوله: يتقاضاه: ومعناه: يطلب منه قضاء ماله عنده والصيغة تدل على التفاعل، والمفاعلة: فالمال بين الاثنين: صاحب الدين وهو له حق الملكية ورسول الله وهو له حق الانتفاع إلى حين قضاء الدين، ثم العطف بالفاء الذي ينبيء عن تتابع الحدث وسرعة الحركة.. والأفعال تصور المشهد كأنه وقع أمامنا على هذا النسق المتوالي (فأغلظ له) فهم به أصحابه، فقال رسول الله.. والأفعال كلها ماضية لأنها تسرد مشهدا وقع.. ويساق للعبرة والقدوة والموعظة وقد شارك في صنع هذا الحدث ثلاثة أطراف، صاحب الدين وقيل هو "زيد بن شعبة الكناني "وكان حينئذ مشركاً وأسلم بعد، والطرف الثاني يتمثل في صحابه رسول الله الذين ساءهم ما عليه الرجل من غلظه وجفوه والطرف الثالث رسول الله ﷺ، ثم الأمر في قوله ﷺ "دعوه "يدل على سماحة رسول الله وعلى خلقه العالي لأنه بحكمته وسماحته راعى العامل

---

(١) المرجع السابق ٥/٦٩.

(٢) المرجع السابق ٥/٦٩.

(٣) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٣٨٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٤٨.

النفسي والاجتماعي في تصرفات الرجل وأعقب الأمر بتعليل وتفسير هذا التعريف وجاء التعليل مقروناً بالتوكيد ليبرر غلظة الرجل وسوء طبعه.. فقال إن لصاحب الحق مقالاً: أي طريقة في القول تخالف المألوف المعهود، وتكرار الأمر في قوله علية الصلاة والسلام (أعطوه سناً مثل سنه) يدل على إصرار الرسول ﷺ على أن يأخذ الرجل حقه متماثلاً وأسلوب القصر في قول الصحابة "لا نجد إلا أمثل من سنه "يؤكد على وجود الأفضل وهو مستحسن في أداء الحقوق "ثم إن التأكيد في ختام الحديث يتناسب مع التأكيد في بدايته - حيث ختم الحديث بقاعدة إسلامية يجب أن يتحلى بها كل مسلم وهي قاعدة شرعية عامة وليست خاصة بشخص ولا بحادثة محددة ولا زمن معين "فإن خيركم أحسنكم قضاء"والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم الاقتراض والاستدانة: أجمع الفقهاء على جواز الاقتراض والاستدانة[(١)].

٢ - حكم اقتراض الحيوان: ذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة، وجماهير أهل العلم من السلف والخلف إلى جواز قرض جميع الحيوانات إلا الجارية لمن يملك وطأها فإنه لا يجوز ويجوز إقراضها لمن لا يملك وطأها كمحارمها[(٢)]. واستدلوا على ذلك بما

(١) الإجماع ٩٤/١٤، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٧٠/٧ - ٧١، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٢/٣، ٢٢٣، حاشية الصاوي ٢٩٢/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٩/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٧/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٣٧/٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٣/٥، حاشية الصاوي ٢٩٢/٣ - ٢٩٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١/٣، المغني ٢٠٩/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٣٩/٣ - ٢٣٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣١/٥.

روي عن النبي ﷺ "أنه استسلف بكرًا" ولأن ما ثبت سلمًا يملك بالبيع ويضبط بالوصف فجاز قرضه كالمكيل والموزون[١].

وذهب المزني، وابن جرير، وداود إلى جواز قرض الجارية وسائر الحيوان لكل واحد[٢].

وذهب الحنفية، والكوفيون، والثوري إلى عدم جواز قرض شيء من الحيوان[٣]. واستدلوا على ذلك بأن الحيوان لا مثل له أشبه الجواهر[٤].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن الحديث يرد على مخالفيهم.

٣ - ما الحكم لو رد القرض أجود مما أخذ بدون شرط؟ اتفق الفقهاء على أنه يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذي عليه، وأن هذا من السنة ومكارم الأخلاق، وليس هو من قرض جر منفعة فإنه منهي عنه، لأن المنهي عنه ما كان مشروطًا في عقد القرض[٥].

٤ - حكم المطالبة بالدين إذا حل: تجوز المطالبة بالدين إذا حل[٦].

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٩/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٢/٥، حاشية رد المحتار ٢٧/٥، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٩/٤.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٦٥/٧، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٢٩٦/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٤٠/٣، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٤٥/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٢/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

٥ - أن الاقتراض في البر والطاعة وكذا الأمور المباحة لا يعاب[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ ونصرته.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: السماحة مع الناس.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حسن قضاء الدين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ ونصرته:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهم به أصحابه).

قال القاضي عياض: "يحتمل أن إغلاظه إياه كان في طلب حقه وتشدده فيه لا في كلام مؤذٍ يسمعه إياه، فإن ذلك يُعدُّ مَغْبَة مع النبي ﷺ وقد يكون الفاعل على هذا غير مسلم من اليهود أو غيرهم"[٢].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أغير الناس على رسول الله ﷺ، (فها هو ذا زيد بن الدَّثنة يقول له أبو سفيان بن حرب حين قُدِّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي)[٣].

وعن عبدالله بن أوفى رضي الله عنه قال: (لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غِلمانِ المشركينَ ومنهم، أن يُؤذُوا رسولَ اللهِ ﷺ)[٤].

وليس أدلّ على غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ من أن الرجل يقتل أم ولده من أجل سبها للنبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٠٠/٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١٧١/٢ - ١٧٢، البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥٠٥/٥ - ٥٠٦.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٤٢٥٥.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ قَالَ فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَتَشْتِمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ فَلَطَخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: ((أَنْشُدُ اللهَ رَجُلاً فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلاَّ قَامَ)) قَالَ: فَقَامَ الأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ تَشْتِمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتِمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ))[1].

فإن الغيرة من لوازم الحب، وكلما كان الشيء محبوبًا، لاصقًا بخاصة نفس المرء، عظمت حرمته لديه، وقامت الغيرة تحرس حماه، وتصون محارمه أن تستباح[2].

وصحابة رسول اله ﷺ كان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم يدركهم من بعدهم وأوضح ما يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: (أيْ قَومِ، والله لقد وفَدْتُ على الملوكِ، ووَفدتُ على قيصرَ وكِسرَى والنَّجاشيِّ، واللهِ إنْ رأيتُ مَلِكًا قطُّ يُعظِّمهُ أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا، واللهِ إنْ يَتنَخَّمُ نُخامةً إلاَّ وَقَعَت في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وَجهَه وجِلدَه، وإذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه، وإذا تَوَضَّأَ كادوا يَقتَتِلونَ على وَضوئِه، وإذا تكلموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيمًا له)[3].

فقد أحبَّ الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ، وكانوا يغيرون عليه أكثر من

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٣٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٦٥).

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٣٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

أنفسهم وأهليهم، وكانوا في أتم استعداد لنصرته والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم، وكل ما هو عزيز عليهم.

فينبغي على كل مسلم أن يغار على رسول الله ﷺ ويحبه أكثر من نفسه وأهله وماله، وأن يعمل على نصرته ونصرة سنته ﷺ.

"فقد أمر الحق تبارك وتعالى بنصرة نبيه ﷺ وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه"[١]، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

قال الطبري: "ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[٤].

"ومن تعظيمه ﷺ نصرته والذب عنه، وقد أوجب الله تعالى على الأمة تعزير نبيه ﷺ وتوقيره...، ومن نصر الرسول ﷺ نصر سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته، برد شبههم ودحض مفترياتهم، وإظهار ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق"[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ (دعوه) والأمر من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وإرشاده إلى فعل الأمر المدعو إليه وذلك لتحصيل كامل الخير له في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: مجموعة الفتاوى ابن تيمية ٢١٦/١.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٨ - ٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٥/٢٦.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٨٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: السماحة مع الناس:

لقد حفل الإسلام بالدعوة إلى التسامح من بزغ فجره، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة في تجسيد التسامح وبيانه للناس قولاً وعملاً، فهو ﷺ القائل: ((اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ))[١]، والقائل: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، وَبِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ))[٢].

أما عمله ﷺ فقد طابق قوله فكان تسامحه أروع مثالاً للبشرية، وأعظم نبراسًا يهتدى به في ذلك، وهذا ما بينه نص الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: (دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً)، وقد جسدت سيرة النبي ﷺ السماحة كمثال تطبيقي يراه كل مسلم فيقتدى به.

فعن البراء رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ ﷺ لما أراد أن يَعتَمِرَ أرسلَ إلى أهلِ مكةَ يَستأذنهم ليَدخُلَ مكةَ، فاشتَرَطوا عليهِ أن لا يُقيم بها إلا ثَلاثَ ليالٍ، ولا يَدْخُلها إلا بجُلُبَّانِ السلاح[٣]، ولا يَدْعُوَ منهم أحَدًا. قال: فأخَذَ يكتب الشرطَ بينهم عليُّ بن أبي طالبٍ، فكتَبَ: هذا ما قاضى عليهِ محمدٌ رسولُ اللهِ. فقالوا: لو علمنا أنكَ رسولُ اللهِ لم نمنَعْكَ ولتابَعْناك، ولكنِ اكتُبْ: هذا ما قاضى عليهِ محمدُ بن عبدِ الله. فقال: أنا واللهِ محمدُ بن عبد الله، وأنا واللهِ رسولُ الله. قال وكان لا يكتُبُ، قال فقال لعليّ امحُ رسولَ الله. فقال عليٌّ: واللهِ لا أمحاهُ أبدًا. قال: فأرِنيهِ، قال: فأراه إياهُ، فمحاه النبيُّ ﷺ بيده. فلما دخَلَ ومَضَتِ الأيامُ أتَوْا عليًا فقالوا: مُرْ صاحبَكَ فليَرْتَحِلْ. فذكرَ ذلكَ عليٌّ رضي الله عنه لرسولِ اللهِ ﷺ، فقال: نعم. ثم ارتحَل))[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤٨/١، رقم ٢٢٣٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٠٣/٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٢).

(٣) جلبان السلاح هو ألطف من الجراب يكون من الأدم، يوضع فيه السيف مغمدًا، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويعلقه في الرّحل، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٥٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣١٨٤ واللفظ له، ومسلم ١٧٨٣.

وفي غزوة بدر، أرسى النبي ﷺ قواعد السماحة في معاملة الأسرى معاملة حسنة، فقد أمر أصحابه رضي الله عنهم بذلك قائلاً: ((اسْتَوْصُوا بِالأُسَارَى خَيْرًا))[(١)]، ولما أظهر الله دينه ونصر نبيه ﷺ في فتح مكة قال ﷺ لقريش: ((مَا تَرَوْنَ أَنِّي صانعٌ بكُمْ))، قالُوا: خيرًا، أَخٌ كريمٌ وابنُ أَخٍ كريمٍ، قالَ: ((اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ، لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ، يَغْفِرُ اللهُ لي ولَكُمْ))[(٢)].

وقد كانت السماحة في التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى تجلب لهم الطمأنينة والأمن فيؤدي ذلك إلى حبهم للمتسامحين معهم ومعاونتهم ثم الدخول في هذا الدين الذي يقر مبدأ التسامح مع الآخرين وقد حدث ذلك عقب الفتوح الإسلامية"[(٣)].

وهذا ما بينه الشيخ محمد الصادق عرجون تحت عنوان (سماحة المعاملة في تصرفات القادة والأمراء في فتوح الشام) فقال: "والناظر في تصرفات قادة الفتوحات الإسلامية من أصحاب رسول الله ﷺ وأمرائه وولاته وتلاميذهم من التابعين وتابعيهم يرى أنهم كانوا أحرص على الرفق والسماحة في تنفيذ العهود والمصالحات مما جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين في صدق وإخلاص، نتيجة لما رأوه من العدالة الرحيمة في معاملة المسلمين لهم.

وقال الشيخ: تطبيق سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره. وفي هذه السياسة الحكيمة الرحيمة أوضح إجابة عن تساؤل المتسائلين عن أسباب السرعة الهائلة التي طوى فيها الإسلام أكثر المعمور من الأرض تحت ظله الظليل.

ويتجلى إبراز هذه المبادئ في أمور:

أولاً: أن هذه المبادئ السمحة الراشدة تنقض الفكرة المتعنتة الجاحدة التي يرددها أعداء الإنسانية، بتصوير فتوحاته غزوًا ماديًا لنهب ثروات الأمم، واغتصاب خيراتها وحرمانها من نعم الله عليها فيما أنعم به من مصادر الثروة الاقتصادية.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية ٢/٢٨٧، تاريخ الطبري، الطبري ٢/٤٦٠.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤/٣٠٠ - ٣٠١.

(٣) نضرة النعيم ٦/٢٣٠٠.

وتصوير هذه الفتوحات بأنها إكراه للناس بقوة السلاح على الدخول في دين الإسلام. لأن النظرة العابرة، بل الناقدة الفاحصة، في فتوحات الإسلام، ترد ذلك وتدفع في صدر زاعميه؛ لأن هذه الفتوحات كما دونها التاريخ الصادق بأقلام جهابذته من أبناء الإسلام، أو غيرهم من طلاب الحقائق الذين ينشدونها في مقارها من واقع الأحداث، مهما كلفهم ذلك من تعب ومشقة، أصدق شاهد على عدالة الإسلام وسامحته.

فها هوذا أبو عبيد بن الجراح رضي الله عنه أمين هذه الأمة الإسلامية، وعظيم فتوح المصالحات. نقرأ في مصالحاته لأهل الشام أنه صالحهم على الإبقاء على معابدهم من البيع والكنائس داخل المدن وخارجها مصونة، لا يهدم منها شيء، ولا يغير من معالمها شيء. وصالحهم على حقن دمائهم وحفظ حياتهم. وصالحهم على الدفاع عنهم وحمايتهم من اعتداء من يهم بالاعتداء عليهم. وصالحهم على أن من قاتلهم أو ناوأهم وجب على المسلمين أن يقاتلوه دونهم، ويدفعوه عنهم بقوة السلاح. فهل هذه المبادئ التي تلزم المسلمين أن يحافظوا على معابد أهل الذمة والمعاهدين داخل المدن وخارجها، وتلزمهم بحماية دمائهم أن تسفك والدفاع عنهم. يمكن أن يُشتمَّ منها رائحة غزو مادي لنهب ثروات أو جمع أموال؟ أو يتصور فيها اعتداء على حرية الأديان؟

ثانيًا: إن هذه المصالحات التي تعتمد على العدل والرحمة. والتي قامت على الرفق بأهل الذمة كان لها أثرها الخطير الذي استهدفه الإسلام من فتوحاته.

فقد رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم بشروطهم، وشاهدوا حسن سيرتهم فيهم، وجربوا معاملتهم، فوقفوا معهم مخلصين، وصاروا عونًا للمسلمين على أعدائهم، فكانوا يخبرونهم بأحوال أعدائهم، ليكونوا منهم على حذر واستعداد لملاقاتهم.

بهذه المعاملة السمحة، وبهذه السماحة في المعاملة فتحت بلاد الشام، ولم تكن هذه السياسة الحكيمة الرحيمة في معاملة أهل الذمة هي منهج أبي عبيدة وحده، بل كانت المنهج الذي أقام الإسلام دعائمه، وثبت في شريعته أعلامه. وأعلى في آفاقها منائره، فهو ليس منهجًا خاصًا لأمير فتح المصالحة أبي عبيدة توصل إليه باجتهاده، وفرضه على

ولاته الذين عملوا تحت إمرته؛ وإنما هو منهج عام في شريعة الإسلام؛ ينبع من مصدريها الأصليين: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة"[١].

ولكن سماحة الإسلام لا تعني غض الطرف عن الانتهاكات الدينية، وإهدار القيم الإسلامية، فكم من جريمة ترتكب باسم التسامح في الدين، فأي تسامح يُبتغى عند الإساءة إلى أكرم خلق الله محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام!!، وأي تسامح يكون عند إهدار قيم الإسلام وفرائضه كالصلاة والحجاب!!، بل الواجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تنتفض لنصرة دين ربها إذا انتهكت محارمه، مقتدية في ذلك بنبيها محمد ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. ومَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللّهِ لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٢]، وفي رواية: ((إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٣].

فعلى الأمة الإسلامية أفرادًا وشعوبا وحكامًا أن تضع التسامح مع الآخرين في موضعه الذي يتفق والشرع، لا الذي يخل بفروض الإسلام وأحكامه.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حسن قضاء الدين:

هذا ما اشار إليه الحديث في قوله ﷺ: (أعطوه سنًا مثل سنه، قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه، قال: أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاءً) قال النووي: "وفي الحديث أنه يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذي عليه وهذا من السنة ومكارم الأخلاق"[٤]، فعن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل بكرًا، فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره،

---

(١) الموسوعة في سماحة الإسلامية، محمد الصادق عرجون ٤٢٥/١ - ٤٤٢ باختصار، ولقد استفدناه من موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٢٨٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٧.

فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خيارًا رباعيًا فقال ﷺ: ((أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً))[1].

قال النووي: "أما البكر من الإبل فبفتح الباء وهو الصغيرة كالغلام من الآدميين والأنثى بكرة..، فإذا استكمل ست سنين ودخل في السابعة وألقى رباعية بتخفيف الياء فهو رباع والأنثى رباعية...، والمعنى أنه ﷺ اقترض لنفسه فلما جاءت إبل الصدقة اشترى منها بعيرًا رباعيًا ممن استحقه فملكه النبي ﷺ بثمنه وأوفاه متبرعًا بالزيادة من ماله"[2]، وفي ذلك قال ابن عثيمين: "فينبغي للإنسان أن يقتدي برسول الله ﷺ في حسن القضاء"[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٠٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٦٧/٢.

الحديث رقم (١٣٧٠)

١٣٧٠- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

سمحًا: أي سهلاً جَوادًا سخيًا[٢].

اقتضى: طلب سداد دين له عند غيره[٣].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف الذي يتسم بالدقة والإيجاز - نجده يبدأ بقوله: رحم الله رجلاً سمحاً "وهذه الجملة تحمل في طياتها معنى في احتمالين لنوعين من الأساليب: الأسلوب الخبري إذا كان المقصود الإخبار عن رجل بعينة كان سمحاً. والأسلوب الإنشائى "الطلبي "حيث قيل أن الجملة خبرية لفظاً دعائية معنى كما جزم به ابن حبيب المالكي وابن بطال، ورجحه الداوري، وصيغة الدعاء هي الأقرب لأنها تتسق مع دلالة أسلوب الشرط بعد ذلك. . حيث وردت أداة الشرط "إذا "وهى للاستقبال والتحقق فهي عند النحاة ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطة منصوب بجوابه "والدعاء هنا عام وهو توجيه نبوي لكل مسلم بأن يكون سمحاً في البيع والشراء وطلب الحاجة. والتعبير بقوله: سمحاً يشع بدلالات متعددة وكلها تكون مجموعة من صفات المسلم الذي يدعو له الرسول ﷺ بالرحمة

(١) برقم (٢٠٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س م ح).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ض ى).

في كل زمان وكل مكان: فالفعل سمح: معناه جاد وأعطى، فالسمح: هو الجواد المعطاء الذي يفيض بأخلاقه ومعاملاته الحسنة على كل من يعامله ومن أمارات السماح أنه يوافقه على ما يريد في إطار تعاليم الشرع الحنيف والمسامحة: المساهلة وتسامحوا: أي تساهلوا ومن الدلالات التي تشع بالمساهلة الأثر الوارد "السماح رباح "أى المساهلة في الأشياء تريح صاحبها ومن الدلالات التي توحي بذلك وتعضده: قولهم: عود سمح بين السماحة: أي لا عقده فيه، والسمح: هو المستوى الذي لا عرج فيه "فكل ما استوت بنيته حتى يكون ما بين طرفيه منه ليس بأدق من طرفيه أو أحدهما، فهو من السمح، وهذه الدلالات يمكن أن نستضيء بها في رصد ما يجب أن يكون عليه المسلم في بيعه وشرائه وطلبه حاجته وفى كل معاملاته وتكرار إذا. . في الجمل الثلاث يرشد إلى ضرورة تحقق هذه الصفات في كل الحالات: وحذف الجواب في الجمل الثلاث من أمارات بلاغة النبوة فالإيحاء والإيجاز من معالم البلاغة والحذف حين يقتضيه المقام والسياق من دلائل البلاغة والفصاحة، وقوله: سمحاً: قيل ذلك يوحى بأن السماحة والمساهلة لا بد أن تكون طبعاً راسخاً في النفوس يسبق حركة البيع والشراء ولذلك لم يذكر جواب الشرط وظل كامناً إشارة إلى أنه معلوم من طبائع النفس السوية التي نشأت في ظل القيم الإسلامية واقتدت بالشمائل المحمدية. والله أعلم.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - الحث على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم[١].

٢ - فضل إنظار المعسر، وفضل الوضع من الدين، وأنه لا يُحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والبركة[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٦/٤، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

٣- أن الكثير من الحسنات إذا كان خالصًا لله كفر كثيرًا من السيئات[1].

٤- أن الأجر يحصل لمن يأمر به وإن لم يتول ذلك بنفسه[2].

٥- حكم توكيل العبيد: اتفق الفقهاء على جواز توكيل العبيد والإذن لهم في التصرف[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: السماحة في المعاملات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في المعاملات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: السماحة في المعاملات:

المعاملات هي ما يجري بين الناس من أمور الدنيا، وتتشكل في صور مختلفة كالبيع والشراء ونحوهما، وهي قائمة على أساس من المشاحة والمشادة، ذلك أن القصد منها الوصول إلى مطمع دنيوي، أو ربح مادي، ومن أجل ذلك تجد المتبايعين يحرص كل واحد منهما على مماكسة صاحبه كي يظفر منه بالتنازل على شيء قد يحصل له، وحينما يتم العقد بينهما تأتي مشكلة أخرى، وهي ما قد يحصل من مماطلة أحدهما للآخر وعدم تسليمه لصاحبه ما يستحق...، وكل ذلك شح في النفوس، وبخل ضارب بجذوره في سويداء القلوب، وهذا من شأنه أن يورث الشحناء بين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٨/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٨/٤.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٠/٦، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٢٩/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣٢/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٦٣/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١/٥ - ٥٢، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

الطرفين، والحقد الذي يستمر مدة، الله أعلم بوقت انتهائها، بل قد يتعدى ذلك إلى الأسرة نفسها، فينتج عن ذلك تفكك بين الأسر، وتنازع بين القبائل، وكل ذلك ينتهي في آخر المطاف إلى المجتمع بالتفكك والاضطراب والضعف والهوان، لذلك حثّ الشارع الحكيم على التسامح في البيع والشراء، ورغب في حسن الاقتضاء، والتسامح فيه"[١].

وهذا ما اشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى) قال ابن عثيمين: "وهذا خبر بمعنى الدعاء، يعني: يدعو له - أي النبي ﷺ - بالرحمة إذ كان سمحًا في هذه المواضع"[٢]، وقال ابن حجر: "وسمحًا، أي: سهلاً...، والسمح هو الجواد والمراد هنا المساهلة، وقوله: (وإذا اقتضى)، أي: طلب قضاء حقه بسهولة وعدم إلحاف، وفي الحديث الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"[٣].

"أما المشاحة في البيع والشرى أمارة على البخل، ودليل على الشح ولا سيما مع الإخوان من المسلمين؛ الذين ينبغي إيثارهم بالشيء، وتقتضي المروءة إعطاءهم بلا ثمن، فإذا باعهم بثمن فلا أيسر من أن يقف على أنه سيكون سمحًا بائعًا، وسمحًا مشتريًا، وسمحًا مقتضيًا، فإنه إذا استبدل السماحة العسر في كل ذلك دالاً من شيمه على أنه ليس تناله دعوة الرسول ﷺ"[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في المعاملات:

لقد دعا الإسلام إلى المسامحة في المعاملات، ورغّب في القيام بها أشد الترغيب، لما في ذلك من تحقيق معنى الأخوة الإسلامية وتقوية أواصر المحبة بين المسلمين، وكان من الترغيب في ذلك ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا.. إلخ).

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن علي ربيعة ص ٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٤٦٧/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٩/٤.

(٤) المرجع السابق ١٢٨١/٨.

فالسماحة في المعاملات سبب لنيل دعوة النبي ﷺ بالرحمة، وقد استفاضت النصوص النبوية في بيان فضل المسامحة في المعاملات والترغيب فيها وذلك بجعلها سببًا لحب الله ومغفرته ودخول جنته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ الْقَضَاءِ))[1]، قال المباركفوري: "قوله ﷺ: (إن الله يحب سمح البيع) بفتح السين وسكون الميم، أي: سهلاً في البيع وجوادًا يتجاوز عن بعض حقه إذا باع. قال الحافظ: السمح الجواد، يقال: سمح بكذا إذا جاد والمراد هنا المساهلة (سمح الشراء سمح القضاء) أي: التقاضي لشرف نفسه وحسن خلقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال"[2]. فكان ذلك سببًا لحب الله له.

وكان من فضل المسامحة في المعاملات أنها سبب في غفران الذنوب وإقالة العثرات يوم القيامة؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كان قَبْلَكُمْ. كانَ سَهْلاً إذَا بَاعَ. سَهْلاً إذَا اشْتَرَى. سَهْلاً إذَا اقْتَضَى))[3]، قال المباركفوري: "قال المناوي: فيه حث لنا على التأسي بذلك لعل الله أن يغفر لنا"[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ))[5].

قال صاحب عون المعبود: (وقوله ﷺ "من أقال مسلمًا" أي بيعه (أقاله الله عثرته) أي غفر زلته وخطيئته. قال في إنجاح الحاجة: صورة إقالة البيع إذا اشترى أحد شيئًا من رجل ثم ندم على اشترائه إما لظهور الغبن فيه أو لزوال حاجته إليه أو لانعدام الثمن فرد المبيع على البائع وقبل البائع رده أزال الله مشقته وعثرته يوم القيامة لأنه إحسان منه

---

(١) أخرجه الترمذي ١٣١٩، صححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٠٦٤).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٢٨١.

(٣) أخرجه الترمذي ١٣٢٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٠٦٥)..

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٢٨.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

على المشتري، لأن البيع كان قد بت فلا يستطيع المشتري فسخه. انتهى"[١].

وقد عظم الحق تبارك وتعالى أجر المسامحة في المعاملات، بأن جعلها سببًا لدخول الجنة، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ. إلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ. تَجَاوَزُوا عَنْهُ))[٢]، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((كان رجل سمحًا بائعًا ومبتاعًا، وقاضيًا ومقتضيًا، فدخل الجنة))[٣]، وفي ذلك بيان على فضل المسامحة في المعاملات.

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

"الترغيب من أهم الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد الناس، وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"[٤]، وقد رغّب الحق تبارك وتعالى في جنس الطاعات فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٦]، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في أن يكون المرء سمحًا في المعاملات حتى ينال رحمة الله، وذلك في قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا).

(١) عون المعبود، محمد شرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ١٤٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٦١.

(٣) أخرجه أحمد ٥٨/١، رقم ٤١٤، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٤٧٣/١ – ٤٧٤.

(٤) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ ص ١٩٢.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٠.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٧.

الحديث رقم (١٣٧١)

١٣٧١- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

الكرب: كرب جمع كُربةٍ، وهي غمٌّ يأخذ بالنفس لشدته[٢].

فلينفس عن معسر: أي يمد ويؤخر في المطالبة، وقيل معناه: يفرج عنه[٣].

المعسِرُ: المفتقر ضيِّق الحال[٤].

يضع عنه: يحط عنه شيئًا من أصل الدين[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقدم له الراوي الأعلى بما يفيد أنه سمع هذا الحديث منه. . وهذا تمهيد لأهمية مضمون الحديث وصدقة وفى ذلك استجابة لدعوة رسول الله ﷺ ودعائه حيث يقول فيما معناه "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، والحديث الشريف يبشر الذين يتعاملون بالحسنى في البيع والشراء والاستدانة ، وبناء الحديث اللغوي يتسق مع دلالته ومقصده، فهو يتكون من جمله واحده صيغت في قالب الشرط والجواب، وهذا القالب يتوافق مع وعد الرسول بالثواب والنجاة لكل من ينفس عن معسر أو يضع عنه، وفعل الشرط "سره "أى فرَّحه. . والتعبير بما يتضمن مادة

---

(١) برقم (١٥٦٣/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر ب).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٦٤.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع س ر).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ض ع).

"السرور والفرح "يوحى بأن الذي يقدم على تفريج الكربة عن معسر أو يسقط الدين عن المدين لا يقوم بذلك وهو ضيق الصدر ولكن لابد أن يكون فعله متلبساً بمشاعر الرضا والسرور وصيغة "الجمع "في قوله "كرب "يوم القيامة: تشير إلى شدة العذاب والكربة: غم يأخذ بالنفس لشدته، وإنها ليست كربة واحدة ولكنها كرب وهى ليست من كرب الدنيا ولكنها كرب "يوم القارعة - والطامة - والصاخة - والحاقة - ويوم الفصل - يوم القيامة، وجواب الشرط جاء مقترناً بلام الأمر. التي تقتضى وجوب تنفيذ الشرط لأنه أمر صادر من رسول الله حتى يستحق ذلك المحسن النجاة يوم القيامة، والتعبير بقوله "نفس "فيه تصوير لحالة الفقير المعسر، فهو "مختنق "يكاد لا يجد هواء الحياة ولا نسمات السعادة ومشاركة الغنى له في محنته تنقذه من قبضة الفقر، وذل الإعسار، وصيغة النكرة في "معسر "تصبغ الصفة بصبغة العموم، والمراد أي معسر وليس معسراً معيناً، أو معسراً واحداً، وقوله: (أو يضع عنه) معطوف على جواب الشرط، وهو مرحلة أخرى من مراحل التكافل والتضامن مع "المعسر "فهو إما أن يؤخر مطالبة الدين عن المدين، أو يحط عنه الدين، ويتنازل عنه أو يجد له. حسب الاتفاق الذي يريح الطرفين، وهذا هو السلوك الإسلامي الأمثل - حيث التعاطف والتراحم. والمناصرة والمؤازرة في كل الأحوال.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين وبيان فضل ذلك.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين.

خامسًا: من أهداف الدعوة: نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى وعفوه عن عباده.

---

(١) تم دمج المضامين لدعوية لهذا الحديث -١٣٧١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٢، ١٣٧٣).

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين وبيان فضل ذلك:

لقد راعى التشريع الإسلامي حاجة البشر بعضهم إلى بعض ولم يتوقف عند حدّ الحث على السماحة في المعاملات، بل وجه المسلمين وحضّهم على مراعاة ما يكون بهم من كروب وشدائد، فرغّب في التنفيس عنهم، وأجزل الثواب في ذلك.

وهذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك قال ابن علان في قوله ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه، أي: من أفرحه (أن ينجيه الله)، أي: يجعله ذا نجاة (من كرب يوم القيامة)، وهو غم يأخذ بالنفس لشدته (فلينفس عن معسر)[١].

قال القاضي عياض: "أي يؤخر ويملي له في الأجل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[٢]، أي إذا امتد حتى يصير نهارًا بينًا، ومنه، نفس الله في أجله، وقد يكون معنى (ينفس عن معسر)، أي: يُفَرِّج"[٣].

وقوله ﷺ: (كان رجلا يداين الناس وكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه)، قال القاضي عياض: "والتجاوز والتجوز: المسامحة في الاقتضاء..،وأن الله قد تجوز عنه بذلك، وغفر ذنوبه،وأنه لا يُستحقر شيء من فعل الخير، أو لأمرهم بالحض عليه، وأن الله قد يفسح لعبده ويتجاوز عنه، وينجيه من عذابه بالقليل من عمل الخير، كمثل هذا الذي قد اعترف أنه لم يعمل من الخير شيئًا إلا هذه المسامحة"[٤].

قال ابن عثيمين: "وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، فقد جازاه الله بمثل ما يجازي به الناس، يعني بمثل ما يفعل هذا الرجل في الناس عامله الله عز وجل فتجاوز عنه؛

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ص ١٤٤٩.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٢٩/٥.

(٤) المرجع السابق.

وذلك لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[١].

قال القرطبي: "وقوله: (حوسب ممن كان قبلكم فلم يوجد له شيء من الخير)، هذا العموم مخصص قطعًا بأنه كان مؤمنًا، ولولا ذلك لما تجاوز عنه فـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٢]، وهل كان قائمًا بفرائض دينه من الصلاة، والزكاة، وما أشبهها؟ هذا هو الأليقُ بحاله. فإن هذا الحديث يشهد بأنه كان ممن وقى شح نفسه، وعلى هذا: فيكون معنى هذا العموم: أنه لم يوجد له شيء من النوافل إلا هذا. ويحتمل أن يكون له نوافل أخر، غير أن هذا كان الأغلب عليه، فنودي به، وجوزي عليه، ولم يذكر غيره اكتفاء بهذا. والله تعالى أعلم. ويحتمل أن يكون المراد بالخير: المال، فيكون معناه: أنه لم يوجد له فعل بر في المال إلا ما ذكر من إنظار المعسر. والله تعالى أعلم. والتنفيس عن المعسر: تأخيره إلى الإمكان. والوضع: الإسقاط"[٣].

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل تنفيس الكروب عن المعسرين فقال: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[٤].

قال ابن حجر: "والكرب - بفتح الكاف وسكون الراء بعدها موحدة - هو ما يدْهَمُ المرء مما يأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه"[٥]، وقال النووي: "في معنى من نفس كربة: أي: أزالها وفي الحديث فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال...،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٤٦٨.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٤٣٧.

(٤) أخرجه مسلم٢٦٩٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٥٠

وفضل الستر على المسلمين وفضل إنظار المعسر..."[١].

وقال الماوردي في فضل المسامحة والتجاوز والتنفيس عن المعسر: "وأما المسامحة في الأموال، فتتنوع ثلاثة أنواع: مسامحة إسقاط لعدم، ومسامحة تخفيف لعجز، ومسامحة إنكار لعسرة، وهي مع اختلاف أسبابها تفضُّلٌ مأثور، وتألف مشكور.

وإذا كان الكريم قد يجود بما تحويه يده، وينفذ فيه تصرفه، كان أولى أن يجود بما خرج عن يده، فطاب نفسًا بفراقه، وقد تصل المسامحة في الحقوق إلى من لا يقبل البر، ويأبى الصلة، فيكون أحسن موقعًا، وأزكى محلاً، وربما كانت المسامحة فيها آمن من ردّ السائل، ومنع المجتدى، لأن السائل كما اجترأ على سؤالك، فيستجرئ على سؤال غيرك إن رددته، وليس كل من صار أسير حقك، ورهين دينك، يجدُ بدًا من مسامحتك ومياسرتك ثم لك مع ذلك حسن الثناء، وجزيل الأجر وقال محمود الوراق:

المرء بعد الموت أُحدوثةٌ يفنى وتبقى منه آثارهُ

فأحسنُ الحالات امرئ تطيب بعد الموت أخبارهُ [٢]

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة)، وأيضًا في قوله ﷺ: (فلقي الله فتجاوز عنه)، وقوله ﷺ: (قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه)، "والترغيب بالوعد بالخير في العاجل والآجل من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو عل القيام بما رغب فيه على الوجه المطلوب والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٣]، وهذا ما ورد في الأحاديث من ترغيبه ﷺ وحثه على التجاوز والتنفيس عن المعسرين.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩١.

(٢) ادب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٢.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٥١٣، وأصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الأحاديث الثلاثة من إخباره ﷺ عن فضل من تجاوز عن المعسر وذلك في قوله ﷺ: "من سره أن ينجيه الله.. إلخ الحديث"، وفي قوله ﷺ: (كان رجل يداين الناس... إلخ)، وقوله ﷺ: (حوسب رجل ممن كان قبلكم... إلخ)، والإخبار من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية في تبليغ دعوته للمدعوين بما يحقق إرشادهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة لهم.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين:

وفي بيان الحكمة من ذلك فضل عظيم لما فيه من حمل المدعوين على الامتثال لحث النبي ﷺ في التجاوز عن المعسرين والتنفيس عن المكروبين.

وفي بيان الحكمة من التنفيس عن المعسر قال د. عبدالعزيز علي الربيعة: "إن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده، كما لا يستطيع أن يقوم على شؤون نفسه ومتطلبات حياته، دون مد اليد إلى غيره من بني البشر لمساعدته على تحقيقها له، والإنسان في غالب أحواله لا يعطي غيره شيئًا إلا بمقابل يكون عوضًا عما قدمه له، وقد لا يكون عند ذلك المحتاج ما يعطيه مقابلاً له، ومن هنا نشأت فكرة البيع إلى أجل يأخذ المشتري بموجبه السلعة، ويكون ثمنها دينًا في ذمته تحت قيود يلتزم بها الطرفان وإلى مدة يتفقان على تحديدها.

وقد يكون ذلك المدين حال حلول الدين عليه غير مستطيع للوفاء بما عليه، وحينئذ ينتابه الهم، ويدخل عليه الضيق والحرج، لانتهائه إلى ذلك الواقع المرير، وكيف لا يكون مريرًا وهو يخاف في كل لحظة من تطاول غريمه عليه، وإلحاحه في طلب دينه، ورفع أمره إلى السلطة الحاكمة، والتشهير بحاله، فيعرف الناس فيه ذلك فيظنونه مماطلاً، وغير كفؤ للتعامل معه، أو إنهم يعرفون أن ذلك ناشيء عن عجزه عن تسديد ما وجب عليه وإعساره، وهذه كأختها في جلب الضيق والحرج، إذ أن الناس حينئذ يتباعدون عنه، ويجتنبون التعامل معه، وإهماله حتى في أحقر الأشياء وأقلها قيمة، فيصل إليه من الضرر بذلك الشيء الكثير.

وقد كان موقف شريعة الغاب أيام الجاهلية الوثنية التي لا تعرف من الأهداف سوى الطمع في الدنيا موقفًا يجعل من المدين فريسة سهلة تأكل لحمه وعظامه وتشرب دمه وعروقه وذلك بما كان متعارفًا لديها بأن من حل عليه دين فإنه لا بد له من أحد أمرين لا ثالث لهما، إما أن يقضيه أو يزيد صاحب الدين مقابل تأجيله له مدة من الزمن في وضع لا يسمح له بذلك، وإما أن يزيد صاحب الدين مقابل تأجيله له مدة من الزمن، وهذا معروف عندهم في نظامهم الاقتصادي الجشع بمبدأ (إما أن تقضي وإما أن تربي).

ثم جاء الإسلام يحمل السماحة الندية للبشرية، ويضع الظل الظليل الذي تأوي إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار، جاء يحمل الرحمة للدائن والمدين وللمجتمع الذي يظل الجميع، فمنع مطاردة المعسر من صاحب الدين ومن المحاكم، وشرع أن ينظر حتى يوسر، وبالغ في الرحمة به والشفقة عليه، فحث على التصدق عليه ووضع ذلك الدين عنه، ورغب في ذلك، فوصفه بأنه خير، وبأنه سبب لتفريج الكربة يوم القيامة، وسبب لانشراح الصدر في ذلك اليوم الهائل جزاء ما نفّس عن مدينه من كربة، وما أدخل عليه من فرح وسرور، كما بيّن الإسلام أن ذلك سببًا لتجاوز الذنوب عن الدائن والفوز بالجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]"[2].

خامسًا- من أهداف الدعوة: نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين:

إن التعاون بين المسلمين والتكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، والجماعة المسلمة مكلفة أن تراعي مصالح الضعفاء فيها، والمعسرين، ومن أجل ذلك حثت نصوص الشريعة الإسلامية على نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين باعتباره هدف من أهداف الدعوة، وهذا ما يستفاد من نص الأحاديث.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٢) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن علي الربيعة ص ٨٢ - ٨٤.

وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير في قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة): "يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك"[٤]، وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[٥]، وقال ﷺ: ((الْمُؤْمِنَ للمؤْمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا))[٦]، قال النووي: "هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"[٧].

"وقد رفع الإسلام هذا اللون من التكافل ليجعله تعاملاً مع الله"[٨]، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٧٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٧٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

(٦) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٨) التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية ودوره في حماية المال العام والخاص، د. محمد أحمد الصالح ص ١١٨.

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبُّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))[1]، وفي ذلك بيان على أهمية نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين كهدف من أهداف الدعوة وذلك بالحث على التجاوز عن المعسرين وتنفيس كرب المكروبين.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى وعفوه عن عباده:

(إن من كرم الله سبحانه وتعالى أنه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء)[2]، فكرم الله تعالى وعفوه عن عباده أمر عظيم، فهو الرحمن الرحيم الذي يجازي عن الحسنات إحسانًا، وعن السيئات عفوًا وغفرانًا.

ومن كرمه تعالى وعفوه عن عباده أنه يجازي من يتجاوز عن المعسر؛ بأن يعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته إكرامًا له على حسن فعله، وعظيم كرمه، وهو العلام القدير الذي لا تضيع عنده حسنة... أو عمل صالح فإنه يجازي عنه بأفضل منه.

وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ: (حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه؛ تجاوزوا عنه) وأيضًا في قوله ﷺ: (... فلقي الله فتجاوز عنه).

قال ابن حجر: "وفي الحديث أن اليسير من الحسنات إذا كان خالصًا لله كفر كثيرًا من السيئات"[3].

(١) أخرجه البخاري ٧٥٠٧.

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، ١٠١/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٢/٤.

وما ذلك إلا لكرم الله تعالى وعفوه على عباده، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ فيما يبلغه عن ربه عز وجل قال: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ))(١)، وعن أبي موسى ﵁، عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))(٢).

قال النووي: "وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة على قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقط ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جمعها صحت توبته"(٣)، وفي ذلك بيان لعظم كرم الله تعالى وعفوه عن عباده.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٥٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٥.

الحديث رقم (١٣٧٢)

١٣٧٢ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يداين: يعطي ويقرض من استقرضه[٢].

لفتاه: وهو الخادم حرًا كان أو مملوكًا[٣].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده قد صيغ في قالب "الحكاية "حيث بدأ بالفعل كان ورسول الله يسرد موقفاً من مواقف السابقين حتى يكون عبره يقتدي بها اللاحقون ولذلك: قال: كان رجل "ولم يحدد من هو "لأن العبرة بالموقف والسلوك وليس بتحديد الشخص، وقوله: يداين الناس "صفة للرجل "والتعبير يدل على أن الرجل كان لديه مال كثير فهو كثيراً ما يعطي الناس على سبيل الدين "وصيغة "الفاعل وهي "المداينة "للمبالغة أي أنه كثير المداينة للناس وهي ليست للمغالية أو للجاج والعناد لأن الرجل من طبيعته السماحة والمساهلة، وتكرار الفعل كان "يومىء إلى الكثرة. . وإلى أنه كان لديه من يقوم بتحصيل الديون وكان يأمرهم بالرفق في المطالبة، وأسلوب الشرط في قوله: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه يفسر سلوك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٠)، ومسلم (١٥٦٢/٣١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ي ن).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/٤.

الرجل وصدقة في حط الدين عن المدين أو تخفيف المطالبة لأن أداة الشرط "إذا "توحي بذلك فهي للتحقيق ولم يقل الرسول على لسان الرجل "إن "وإنما قال: إذا "للإشعار بصدق النية، وتحقق الفعل، وقوله: فتجاوز عنه "يحمل دلالات سلوكية كثيرة: حيث قال العلماء يدخل في التجاوز "الإنظار، والوصية وحسن التقاضي وأسلوب الرجاء في قوله: لعل الله: إيماء بأن الدافع إلى التجاوز عن المعسر هو "ابتغاء رضوان الله عز وجل وليس بدافع من الرياء وطلب السمعة أو تخفيض الضرائب أو اكتساب الوجاهة الاجتماعية أو التمهيد للدعاية الانتخابية أو التغطية على مصادر هذه الأموال غير المشروعة كما يحدث في المجتمعات المعاصرة "فالله طيب لا يقبل إلا طيباً "والنتيجة المبشرة في الحديث الشريف تأتى في إطار الأسلوب الخبري. ومقترنة بحرف العطف "الفاء "مرتين لمزيد من البشرى وصدق الوعد بالثواب، وصيغة الفعل الماضي إشارة إلى تحقق الوقوع ولنتأمل هذا الختام لذلك المشهد القصصي وهو ختام يريح النفس ويطمئن القلوب ويفتح الباب على مصراعيه للتكافل الاجتماعي والتراحم بين الناس والوقوف مع المعسرين في محنهم وأزماتهم، "فلقي الله فتجاوز عنه" والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٧٣)

١٣٧٣- وعن أَبي مسعود البدريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إلاَّ أنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ. قَالَ اللهُ عز وجل: نَحْنُ أحَقُّ بذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

يخالط الناس: يعاملهم بالبيوع والمداينة[2].

موسرًا: غنيًّا[3].

غلمانه: جمع غلام، ومعناه هنا: الخادم حرًّا كان أو مملوكًا[4].

المعسر: الذي عجز عن قضاء ما عليه من الدّين في الحال[5].

الشرح الأدبي

الحديث يضرب في عمق الماضي ليستخرج منه عبرة يقرر بها معنى عن طريق القصة، وللقصة في البيان النبوي دور مهم في مجال التقويم، والتربية، وغرس المفاهيم، وتأصيل مكارم الأخلاق، وإيجاد المثل العليا للنماذج البشرية المؤثرة، ولما لها من أثر يواكب فطرتها في مدارج الحياة فقد كثرت في البيان النبوي، وتعتمد قصة هذا

---

(١) برقم (١٥٦١/٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٤٩.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي س ر).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/٤.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤١٠.

الحديث أسلوب القص الخبري بذكر بطل القصة صاحب الموقف مرتبطا بالموقف الذي تدور فيه الأحداث (حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) وتنكير الرجل لعدم تعلق غرض بتعريفه ؛لأن المقصود التعريف بعمله، والتعبير بالحساب يوحي بالشدة، والتضييق، وبناؤه للمفعول ليذهب العقل في تخيل المحاسب كل مذهب لأن كل إنسان يتخيل محاسبه من الملائكة بحسب عمله، وإلا فحساب الله عليه أشد إن كان عاصيا، ويكون عتاب حبيب لحبيب إن كان طائعا، وقوله (فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ) يمثل عقدة القصة التي تشير إلى تأزم موقفه بنفي كل خير يمكن أن يكون سببا لنجاته من هول الموقف، وتنكير كلمة (شيء) يفيد التعميم الذي يشمل قليله، وكثيره، وقوله (إلاَّ أنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِراً، وَكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ) استثناء يشير إلى بارقة أمل تجاه الحل، وقَولَ اللهُ - عز وجل -: (نَحْنُ أَحَقُّ بذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ) يشير إلى الحل، ترتب على تجاوزه عن الناس، والدرس الذي تنقله القصة بطريقة عملية يتمثل في بيان أثر التجاوز عن المعسرين في الموقف العظيم، وجزائه بتجاوز الله عنه، وهو من جنس عمله.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٧١).

الحديث رقم (١٣٧٤)

١٣٧٤- وعن حذيفة رضي الله عنه قَالَ: أُتِي اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ((وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا)) قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((أَنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي)) فَقَالَ عُقْبَةُ بن عامِرٍ، وأبو مسعودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهما: هكَذا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رسولِ اللهِ ﷺ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الجواز: أي: الصبر على المعسر وقبول ما جاء به الموسر[2].

أتيسر على الموسر: آخذ ما تيسر بأن أقبل ما قد يتوقف من نقص يسير أو عيب في المأتي به[3].

أنظر: أمهل من الإنظار وهو التأخير والإمهال[4].

المعسر: الذي عجز عن قضاء ما عليه من الدّين في الحال[5]. وفي النهاية: من ضاق حاله واشتد[6].

الشرح الأدبي

الحديث عن مواقف الآخرة حديث مشوق يسيطر على سمع المخاطب، وعقله،

---

(١) برقم (١٥٦٠/٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٥) من لفظ متفق عليه. أخرجه البخاري (٣٤٥١)، ومسلم (١٥٦٠/٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ظ ر)، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٧٣.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤١٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤.

والتعبير بالإتيان يشير إلى اصطحاب شيء، ونسبة الفعل لله تعطيه أبعادا إيحائية لارتباط الأثر بالمؤثر، وبين عبد، وعباده جناس يؤكد المعنى ويشير إلى لازم تلك العبودية من الطاعة، وتنكير (مالا) للتعظيم وسؤال الله له (مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟) استفهام للتقرير بغرض إحراج المخاطب، والتضييق عليه، والآية المذكورة تؤكد مسبقا فقدانهم القدرة على تبديل الحقائق أو كتمانها كما كانوا يفعلون في الدنيا، وقول الرجل: (وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ) التعبير بكان يشير إلى أنها كانت عادته في معاملة المعسرين، ويؤكد ذلك التعبير بالخلق، وإضافته إليه يشير إلى ذلك، وأنه طبع فيه، والطباق في قوله الموسر، والمعسر يشير إلى حسن معاملته للجميع بحسب ظروفهم، والجناس بين (أتيسَّر، وموسر) يشير إلى مراعاته حال الناس، وغلبة اليسر، والسماحة على معاملته في قوله: (فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ) وقول الله تعالى: (أنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي) التعبير بالضمير أنا، وأفعل التفضيل (أحق)، والإشارة المقربة للعمل الفاضل مع تقريره لعظيم فضل الله تعالى يشير إلى أن الجزاء من جنس العمل، ويشيد بعبد تخلق بخلق كريم كان مردُّه عليه في اليوم العصيب.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال العبد عن عمله يوم القيامة، وتقرير الله تعالى له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على إنظار المعسرين أو الوضع عنهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: سؤال العبد عن عمله يوم القيامة، وتقرير الله تعالى له:

هذا ما أشار إليه الحديث الأول في قوله ﷺ: "أتى الله تعالى بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا ؟ قال: ولا يكتمون الله حديثًا"، قال القرطبي: (وقوله: ولا يكتمون الله حديثًا، أي: لا يستطيع أحد أن يكتم يوم القيامة شيئًا من

---

(١) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٣٧٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٥).

أعماله. فإن كتم شهدت عليه جوارحه)[١]، وقد بين الحق تبارك وتعالى سؤاله للعبد عن عمله يوم القيامة فقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[٣]، وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٤]، أي: قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا)[٥].

وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسب، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه))[٦]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم))[٧].

وفي بيان ذلك قال المباركفوري في قوله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، أي: عن مدة أجله فيما صرفه)[٨]، وقال الطيبي في قوله ﷺ: ("وعن شبابه فيما أبلاه"، أي: المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن فيه على أقوى العبادة)[٩] و (قوله ﷺ: "وعن ماله من أين اكتسبه" قال المباركفوري، أي: من حرام أم حلال؟ "وفيما أنفقه" أي: طاعة أو معصية)[١٠]، وقوله: "عن علمه ماذا

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٣٦/٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٨.

(٤) سورة الصافات، آية: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩/٧.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤١٧، صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٧٠).

(٧) أخرجه الترمذي ٢٤١٩، صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٦٩).

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٨٩/٢.

(٩) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٤/٩.

(١٠) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٨٩/٢.

عمل به" قال الطيبي: (إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل:وعن عمله ماذا عمل به، لأنها أهم شيء وأولاه. وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل)[١] فإن سؤال العبد عن عمله يوم القيامة وتقرير الله تعالى له أمر معلوم وهو ثابت بالقرآن والسنة كما سبق، فعلى المرء أن يعد الإجابة لذلك بعمل صالح وصدق يبتغى به وجه الله.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على إنظار المعسرين أو الوضع عنهم:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين في قوله ﷺ: ((يارب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله تعالى: "أنا أحق بذا منك تجاوزا عن عبدي"، وأيضًا في قوله ﷺ: "من أنظر معسرًا أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قال القرطبي: (الإنظار: التأخير. والمعسر هنا: هو الذي يتعذَّر عليه الأداء في الوقت دون وقت. فندب الشرع إلى تأخيره إلى الوقت الذي يمكن له ما يؤدي. وأما المعسر بالإفلاس: فتحرم مطالبته إلى أن يتبين يساره. والمال: يساره. والمال: كل ما يتمول، أو يتملك من عين، وعرض، وحيوان، وغير ذلك. ثم قد يخصه أهل كل مال بما يكون غالب أموالهم. فيقول أصحاب الإبل: المال: الإبل. وأصحاب النخل: النخل. وهكذا.

و(قوله: وكان من خلقي الجواز) أي: التجاوز عن حقوقه، فأما من حلول الأجل فيؤخره، وأما من استيفاء الحق فيسقط بعضه، أو يسامح في الزيف.

و(قول الله تعالى: أنا أحق بذلك) صدق، وحق؛ لأنه تعالى متفضل ببذل ما لا يستحق عليه، ومسقط بعفوه عن عبده ما يجب له من الحقوق عليه. ثم يتلافاه برحمته، فيكرمه، ويقربه منه، وإليه. فله الحمد كفاء إنعامه، وله الشكر على إحسانه)[٢].

وقوله ﷺ: "أظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لاظل إلا ظله"، قال ابن القيم:

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٤/٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٣٦/٤.

((لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر، ونجاة من حر المطالبة، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه، نجاه الله من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش))[١].

وقال النووي: (وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين وإما بعضه من كثير أو قليل، وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء، سواء استوفى من موسر أو معسر، وفضل الوضع من الدين وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والرحمة)[٢]، وقد أمر تعالى: بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[٣]. أي: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينة إذا حل عليه الدين: إما أن تقض وإما أن تربى. ثم يندب إلى الوضع عنه، ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل، فقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]، أي: وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين[٥]، (وقد استثنى الفقهاء من أصل أفضلية الفرض على النفل أمورًا، وذكروا صورًا للنوافل التي فضلها الشرع على الواجبات منها إبراء المعسر فإنه أفضل من إنظاره، وإنظاره واجب، وإبراؤه مستحب)[٦].

وقال ابن عثيمين: (ولاشك إن الإبراء أفضل، لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائيًا، والإنظار تبقى الذمة مشغولة لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع المطلوب أن يوفي)[٧] وفي ذلك دليل على فضل إنظار المعسر أو الوضع عنه والحث على ذلك.

---

(١) نقلاً عن: جامع الفقه، موسوعة الأعمال الكاملة، ابن القيم، جمع: يسري السيد محمد ١٢/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧١٧.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٣/٤١.

(٧) شرح رياض الصالحين، ١٤٦٨/٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(مما لاشك فيه أن النفس البشرية مطبوعة على حب الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها، ذكرًا كان أو أنثى صغيرًا كان أم كبيرًا، يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات كبيان جنس الطاعات...، وأن من قام بما أوجبه جل وعلا، سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة)[1]. وهذا ما ورد في الحديثين من ترغيبه ﷺ في إنظار المعسر أو الوضع عنه وذلك بقوله ﷺ: فقال الله: "أنا أحق بذا منك تجاوزا عن عبدي"، وقوله ﷺ: "أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله".

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، شريف الهجاري، ٤٤١.

الحديث رقم (١٣٧٥)

١٣٧٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أظَلَّهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ**)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أنظر: أمهل وأخَّر[٢].

وَضَعَ لهُ: حط عنه من أصل الدَّيْن شيئًا[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى جانب من الجوانب الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام يرغب في سلوك اجتماعي يحقق مزيد تكافل بين المسلمين، ومحبة، والمعنى يقوم على أسلوب الشرط الذي يرغب في العمل عن طريق ربط الجزاء العظيم بالفعل المتاح حتى يسعى كل من تيسر له إلى تحصيله فقد ربط إنظار المعسر بالكون في ظل عرش الله، وإضافة الظل لله إضافة تشريف، وملك، والمراد أنه في ظله من الحر ووهج الموقف، أو كناية عن الراحة، والنعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب، والتعبير بالإعسار يشير إلى لون من العجز في الوفاء يستلزم مزيدا من التساهل معه، ، وتقييد الظل بيوم القيامة يزيد الرغبة فيه لما هو مستقر في وجدان الناس من هول اليوم، والجناس بين أظله، وظله يؤكد حقيقة هذا الظل الأوحد، وتكرار لفظ الظل لتقرير معناه في قلب

---

(١) برقم (١٣٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٣٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ظ ر).

(٣) المرجع السابق في (و ض ع).

المخاطب، وسمعه ترغيباً في حسن المعاملة بين المؤمنين في الدنيا، والتي يجمعهم الله بها في الآخرة، وقد صعَّد الترغيب الذي أثاره الشرط بجملة القصر التي تقرر أنه الظل الأوحد في يوم تدنوا فيه الشمس من الرؤوس (يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٧٦)

١٣٧٦- وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، اشْتَرَى مِنْهُ بَعِيرًا ، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أرجح:أعطاه أكثر من حقّه[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى جانب اجتماعي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض لصورة من صور تعاملاته في البيع، والشراء، ويقرر كرمه، وتسامحه، فهو يعرض لسنن فعلية بنقل فعل الرسول صلى الله عليه وسلم لها ترغيبا فيها، والخبر مؤكد من راويه جابر رضي الله عنه بعدة مؤكدات منها التوكيد بإن مع اسمية الجملة، والتعبير بالفعل الماضي الدال على التحقق (اشترى)، وقد زاد الخبر توكيدا كونه طرفا في هذه المعاملة دل على ذلك الضمير العائد على جابر في قوله (منه)، وقوله (فوزن) يشير استخدام الفاء إلى سرعة القضاء، وقوله (فأرجح) يشير إلى التفضل بالزيادة على المستحق، وهو من كرم النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الناس الوفاء، والزيادة.

فقه الحديث

يشير الحديثان[٣] إلى عدة أحكام منها:

١ - جواز أخذ الأجرة على الوزن والكيل وما في معناها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٠٤)، ومسلم (٧١٥/١١٥).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ج ح).

(٣) حديث (١٣٧٦ ، ١٣٧٧).

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩٠، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤/٤.

٢ - استحباب إرجاح الميزان[١].

٣ - أن أجرة وزن الثمن على البائع[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: التجارة وفضلها في نشر الإسلام.

ثانيًا: من آداب الداعية: الاقتداء بهدى النبي ﷺ في السماحة وحسن القضاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في البيع والشراء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التجارة وفضلها في نشر الإسلام:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين، "والتجارة هى محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيًا ما كانت السلعة"[٤]، "وللتجارة عادة يغلب عليها حب الكسب إلى حد الشجع حينًا، والخيانة والظلم أحيانًا فإذا غلب الإيمان هان المال في سبيل المثل الأعلى ومكارم الأخلاق"[٥]، وقد كان للإسلام توجيهات خاصة في مجال التجارة أصلحت من تنظيمها وشجعتها وأبعدت الظلم عن البائع والمشتري...، فقد كان لتحريم الربا دور كبير في منع الظلم عن كثير من الناس، وكان للأمر بالتسامح في البيع والشراء دور كبير في صفاء قلوب الناس وتحابهم وهكذا وضع الإسلام الأسس العامة للتجارة وحث عليها مما دفع المسلمين، إلى أن يجوبوا أقطار الأرض تجارًا ودعاة للإسلام في سياق واحد، بل يجعلون التجارة وسيلة لنشر الإسلام"[٦].

وفي ذلك قال الإمام أبو زهرة: "كان التجار المؤمنين في اليمن وحضرموت، يسيرون

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦/١١.

(٢) العناية على شرح الهداية ٢٩٥/٦، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦/١١، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤/٤.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٧).

(٤) تاريخ ابن خلدون، المقدمة، ابن خلدون ص ١٩٩.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ٢٠٤.

(٦) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د.عبدالعزيز العمري، ١٤٥ - ١٥١.

بمتاجرهم منبعثين من شطر البلاد العربية ميممين شرقى البلاد وغربها، ومع تجارتهم الدعوة المحمدية يعطون بضائع المال، ويأخذون مثلها، ومعها بضائع هي النور وهو الإسلام، وقد جابوا الآفاق على البضاعة المادية والهدى المحمدي، وكان يسهل الطريق أن الوثنية كانت مسيطرة على الشعوب التي يعاملونها فيهدونها، ثم يتعاملون معها بنور الهداية، فكانت بضاعة النور رائجة، وبضاعة المادة رائجة أيضًا، وبالتجارة الحضارمة آمن أكثر شرق أفريقيا، ولا تزال آثارهم باقية في شرق أفريقيا، فعلى أيديهم أسلمت الحبشة إلا قليلا، وإن كان المسلمون فيها مضطهدين تحت عين المسلمين وبصرهم. وكذلك الصومال، وسائر شرق أفريقيا، والتجار المسلمون هم الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا، وغيرها من بلاد الشرق الأقصى"[١]، فعلى التجار أن يقتدوا بسلفهم الصالح في إظهار حسن وجمال الإسلام، في أمره بالسماحة، وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف، وأن يدللوا على ذلك باتباعهم لتعاليم الإسلام وامتثالهم لها، فيكون ذلك أبلغ في نشر الدعوة ونفاذها في قلوب المدعوين.

ثانيًا - من آداب الداعية: الاقتداء بهدى النبي ﷺ في السماحة وحسن القضاء:

هذا ما أشار إليه نص الحديثان الأول في قول جابر رضي الله عنه: "إن النبي ﷺ اشترى منه بعيرًا، فوزن له فأرجح"، ووالثاني في قول أبي صفوان سويد بن قيس رضي الله عنه "... فقال النبي ﷺ للوزان "زن وأرجح" وفي بيان ذلك قال النووي: "وفيه استحباب إرجاح الميزان في وفاء الثمن وقضاء الديون"[٢].

وقال ابن عثيمين: "في قوله ﷺ: "زن وأرجح" أى زاده أكثر مما يستحق وهكذا ينبغي للإنسان عند الوفاء أن يوفي كاملاً بدون نقص وإذا زاد فهو أفضل"[٣]، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في انتهاج الخلق الكريم والسلوك القويم، - ومن ذلك السماحة في البيع والشراء وحسن القضاء - ، فالدعوة أمانة عظيمة ولا تؤدى

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون طبعة، ٩١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٢٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٧٠/٢.

على أتم وجهها إلا بعد أن تمرِّس النفس على الانضباط بأخلاق الدعاة الصادقين، وصفات المصلحين المخلصين، ويتبوأ إمام الدعاة قدوتنا رسول الله ﷺ مكان الذروة من ذلك، فهو ذو الخلق الكريم، والخلق العظيم بشهادة رب العالمين القائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا"(٢)،(٣).

"فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره، لأن الدعاة يدعون بالأقوال والأفعال بالبيان والقدوة، والناس يرون في أفعال الدعاة وسيرتهم تطبيقًا حيًا لما يدعون إليه، فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ متتبعين منهجه، مقتدين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا"(٤).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في البيع والشراء:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين، وفي بيان عظم فضل السماحة في البيع والشراء، قال ﷺ: "رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"(٥)، وقال ﷺ "غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا اقتضى"(٦)، وقال ﷺ: "إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء"(٧).

قال المباركفوري: "في قوله ﷺ: إن الله يحب سمح البيع"، أي: سهلاً في البيع جوادًا يتجاوز عن بعض حقه إذا باع"(٨)، وقال ابن حجر: "السمح الجواد يقال: سمح

---

(١) سورة القلم، آية : ٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٦٦، مسلم ٢٣٢١.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ٧٠ - ٧١.

(٤) المرجع السابق ٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٧٦.

(٦) الترمذي ١٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٠٦٥).

(٧) الترمذي ١٣١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٠٦٥).

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٢٨١.

بكذا إذا جاد والمراد هنا المساهلة...، وفيه الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"[١].

وقد بين ابن هبيرة في ذلك معنًى بديعًا قال فيه: (إن الله سبحانه وتعالى مكن عبده في حياته الدنيا من أشياء تشابه ما تنتهي إليها أحواله في الآخرة؛ ليكون إذا وجد ما يسوءه من قصور عن مدى لم يبلغه لم يلم غير نفسه؛ فإن أراد أن يتجاوز الله له عن كل شيء تجاوز هو لعباد الله المؤمنين عن كل شيء، وإن أراد أن يجود الله له بكل شيء جاد هو لعباد الله سبحانه بكل شيء في الله سبحانه، وإن أراد أن يؤثره الله على كل مخلوق في وقته آثر هو الله سبحانه على كل مخلوق في وقته، وكذلك إذا أحب ألا يأتيه من الله ما يكرهه لم يأت هو في أمر الله ما يكرهه، ولذلك إذا أراد أن يكون أكرم خلق الله على الله فليكن أشد خلق الله اتقاء لله، وكذلك إذا أراد أن يكون أحب خلق الله إلى الله فليكن ممن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، وهي العروة الوثقى؛ الحب في الله والبغض في الله.

وإن مما أخافه على أهل الخير عند هذه العقبة من عقاب النيات أنه إذا رأى الرجل المسلم الرجل المسلم وقد أعجبته خلاله وثبت عنده صلاح علانيته، وهو يشير إليه ضميره فاستحق حبه وأن يمحضه وده، فنظر إلى أنه ليس من قومه؛ أو ليس على مذهبه، أو ليس آخذاً في طريقه المشوبة، فقصر في إمحاضه الود لذلك المعنى الذي ليس بصالح؛ لأنه قد تعرض بذلك لأن يمقته الله عز وجل في أدنى خلة يستحق بها المقت، وإن كان هو لم يمقته في خلة يستحق بها المقت؛ ولكن عدل الله عز وجل يقتضي ألا يكون إلا كذلك)[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٩/٤.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٠/٦.

الحديث رقم (١٣٧٧)

١٣٧٧- وعن أَبي صَفْوَان سُوَيْدِ بنِ قيسٍ ﷺ قَالَ: جَلَبْتُ أنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءنا النبيُّ ﷺ، فَسَاوَمَنَا بسَرَاوِيلَ، وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بالأجْرِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: ((زِنْ وَأرْجِحْ)) رواه أَبُو داود، والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سُوَيْد بن قيس: هو سويد بن قيس العبدي، يكنى، أبو مرحب له صحبة، غير أنه لم يرو إلا حديثًا واحدًا وهو قال سويد بن قيس جلبت أنا ومَخْرفَة العبديُّ ثيابًا من هجر، قال: فأتانا رسول الله ﷺ فساومنا بسراويل، وعندي وزَّان يزن بالأجر، فقال للوازن: ((زن وأرجح)). وفي رواية ((جلبت أنا ومخرفة العبدي بزًا من هجر أبو البحرين، فلما كان بمنى أتانا رسول الله ﷺ فاشترى منا سراويل وقباء، ووزّانٌ يزن بالأجرة، فدفع إليه رسول الله ﷺ الثمن، فقال: زن وأرجح)) وهو حديث الباب. وكان ﷺ ممن سكن الكوفة[٢].

غريب الألفاظ:

جلبت: جلب يجلبه جلْبًا وجلَبا واجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر[٣].

بزًا: البز: الثياب، أو متاع البيت من الثياب ونحوها[٤].

هجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين -قديمًا- وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وهي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٣٦)، والترمذي (١٣٠٥) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥١٤٧)، وقال الحاكم (٣٠/٢): حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣١٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٩٩، ٦٠٠)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٦١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٤١/٣)، السندي (٤٤٤/٣١ - ٤٤٦).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ج ل ب).

(٤) المرجع السابق في (ب ز ز).

اليوم "الإحساء" والبحرين قديمًا كانت تطلق على ساحل الخليج العربي من عمان جنوبًا حتى الكويت والبصرة شمالاً، أما البحرين حاليًا فكانت تسمى دِلمون(١).

فساومنا: من المساومة وهي المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة، وفصل ثمنها(٢).

سراويل: جمع سروال: لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما(٣).

وزَّان يزن بالأجر: يأخذ على وزنه أجرة(٤).

وأرجح: رجح الميزان يرجح أي مال له ورجح وأرجح أي أعطاه راجحًا(٥).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الدلالة على تعاملات النبي ﷺ في البيوع من جهة، وعلى وفائه مع الزيادة كرما منه، وحسن معاملة، قال ابن القيم: قد باع النبي صلى الله عليه و سلم واشترى وشراؤه أكثر، وآجر، واستأجر وإيجاره أكثر، وضارب، وشارك ووكل وتوكل، وتوكيله أكثر، وأهدى، وأهدي له، ووهب، واتهب، واستدان، واستعار، وضمن عاما، وخاصا، ووقف، وشفع، فقبل تارة، ورد أخرى فلم يغضب، ولا حلف واستحلف، ومضى في يمينه تارة، وكفر أخرى، ومازح، وورى، ولم يقل إلا حقا، وهو القدوة والأسوة)، وقول أَبي صَفْوَان سُوَيْدِ بنِ قيسٍ - رضي الله عنه (جلبت) يشير إلى عناء، ومشقة في الإتيان بالثياب كعادتهم في رحلات التجارة من الشام، أو اليمن، و (هجر) اسم مدينة يمنية مما يؤكد دلالة الفعل (جلبت) والبز نوع من أنواع الثياب، وقوله (فَجَاءنا النبيُّ ﷺ) يشير إلى أنه هو الذي قصدهم للشراء منهم، وقوله

---

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٢، ٣٦٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و م).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢١٧.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٧٣/١.

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ر ج ح).

(فساومنا) يشير إلى أعلى مستويات التواضع، والعدل، وترك المحاباة، وإن كان التعامل مع رأس الناس، وهو نوع من العدالة، والإنصاف لم تعرفه أكثر المجتمعات عدالة، واستقامة في أي عصر بعد عصر النبوة، وقول الرسول ﷺ (زِنْ وَأَرْجِحْ) الأمر الأول يمثل العدالة في أسمى صورها لأهم شخصية في المجتمع بله على وجه الأرض تشتري، وتبيع وتعدل، والأمر الثاني (وأرجح) يشير إلى الكرم في القضاء كما أشار ما قبله إلى العدل في الوفاء.

فقه الحديث

قال ابن قدامة في المغني: (ويجوز استئجار كيال ووزان لعمل معلوم أو في مدة معلومة، وبهذا قال مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي، ولا نعلم فيه مخالفًا، وذلك لحديث الباب)[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤١/٨ بتصرف.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالممارسة:

تكون المواقف ذات تأثير كبير على نفوس البشر والناس، وتكون أبلغ في توصيل الرسالة المراد توصيلها إليهم، لأن المواقف هي المحك الفعلي لصدق القول وإخلاص القائل وإيمانه بما يقول، فكم من المواقف كشف زيف القائل وفضحه وكشف عن الهوّة البعيدة بين قوله وبين فعله، فزَهَده الناسُ وانفضوا من حوله، بل كانوا فتنة لبعضهم، فمنعوهم من الاستجابة لما يقولون مع أنه الصدق والحق، فكانوا أشبه بقطاع الطرق، وفي ذلك يقول ابن القيم: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى التأسي بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا. قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم. فلو كان ما دَعَوْا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق)[1].

لذا كانت المواقف التي تقع للمربي ومنه ذات تأثير لا يخفى على أتباعه ومن يقوم بتربيتهم، فعيونهم معلقة به وقلوبهم متجهة إليه، وأفئدتهم مفتوحة لما يفعل وما يقول، إن رأت فعله يصدق قوله ازدادت استجابة له وطاعة وامتثالاً، وإلا نفرت عنه، ولم تلتفت إلى قوله ولم تلق بالاً إلى فعله.

ونبينا محمد ﷺ كان أصدق الناس وأصدق الخلق في قوله وفعله، ففعله مصدق لقوله، وقوله معبر عن فعله، فلا يأمر أصحابه بفعل إلا وكان أول الفاعلين ولا ينهاهم عن فعل إلا كان أسرع المنتهين، إنه ﷺ أفضل من شهدته البشرية مربيًا ومعلمًا وموجهًا وقائدًا وواعظًا، وليس هذا من الكلام الإنشائي أو الكلام الذي يحمل عليه الحب والتوقير له ﷺ، ليس هذا من الكلام الإنشائي في شيء، ولكنه كلام صدر عن كل قلب محبٍ مبجل له ﷺ مؤمن به، كما أنه كلام يصدقه الواقع ويشهد له التاريخ، فلم يشهد التاريخ رجلاً نجح في تكوين دولة تقوم على ما كان يدعو إليه من

---

(١) الفوائد ص ٩٤.

توحيد وعدل وتسامح ومحبة، وفي تربية أصحاب يحملون ويؤمنون بما يدعو إليه إلاّ محمدًا ﷺ.

وبهذا شهد المنصفون قبل المحبين، فهذا مايكل هارت يؤلف كتابه (العظماء مائة) ويختار مائة شخصية يجمع بينها أنها أكثر الشخصيات تأثيرًا في تاريخ العالم، وبدراسته لسير هؤلاء العظماء يخرج إلى أن أعظم هذه الشخصيات محمد ﷺ، فيجعله الشخصية الأولى، ويكون عنوان الكتاب - مترجمًا - (العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ).

ولا شكّ أن من أسباب نجاح النبي ﷺ تصديق فعله لقوله، وهذا من أهم الشروط الواجب توافرها في كل مصلح ومربٍ وداعية، وبعض أحاديث الباب تشهد بذلك، إنه كان ﷺ يحث أصحابه ويرغبهم في محاسن الأخلاق ومكارم الصفات، منها التسامح والعفو وحسن القضاء، وجاءت المواقف العملية لتبين أن رسول الله ﷺ أكثر المتسامحين وأصدق العافين، وأحسن الناس قضاءً.

فهذا النبي ﷺ يكون عليه دينٌ فيأتيه صاحب الدين يتقاضاه ويغلظ في المطالبة بدينه إغلاظًا، يدفع أصحاب النبي الكرام إلى أن يهموا به ليعاقبوه على إغلاظه هذا، لكن النبي ﷺ يأمر أصحابه بأن يكظموا غيظهم ولا يعاملوه بما يستحق، بل إنه ﷺ ليزيد في أمرهم بالكظم بأن يدعوهم بأن يلتمسوا له عذرًا، فيقول (دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً) وينقل أصحابه من الثورة على هذا الرجل الغليظ إلى الانشغال بأداء دينه، والعمل على قضائه، وهو في هذا نقلَ تفكيرهم واهتمامهم بمعاقبة هذا الرجل وتأديبه إلى مجال آخر وهو تأدية دينه إليه، وهو بذلك خَفّض ثورتهم إلى أدنى حد ممكن بل يدعوهم إلى محوها وعدم الالتفات إلى تبعاتها ولوازمها، إلى ما يعبّر عن التسامح والعفو، إنه يقول لهم: (أعطوه سنًّا مثل سنه) فينشغل الصحابة بهذا الأمر النبوي الكريم ويبحثون عن مثل سنّه فلا يجدون، فيخبرون النبي ﷺ وقد هدأت ثورتهم لما رأوا من عفو صاحب الحق وهو النبي ﷺ عن الرجل وإغلاظه وسوء أدبه فيخبرونه ﷺ: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل [أي أعلى] من سنه. فيضرب لهم رسول

الله ﷺ القدوة في حسن القضاء، فيقول لهم (أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء).

إنه ﷺ لم ينسب حسن القضاء لنفسه، ولم يشر لذلك مع أنه لو فعل لم يكن هناك حرج ولا بأس بذلك، لكنه ﷺ استفاد من الموقف ليغرس في أصحابه هذا الدرس البليغ في العفو وحسن القضاء فجاء بصيغة العموم (فإن خيركم أحسنكم قضاء)، لكي يدفع أصحابه وأتباعه إلى المبادرة إلى القضاء وحسن القضاء.

وإذا كان هذا الموقف بحضرة الناس، فإنه ﷺ كان مع أفراد الناس كذلك، لم يكن يختلف فعله أمام الناس وبحضرتهم عن فعله مع أفرادهم وآحادهم، بل فعله معهم كفعله مع أحدهم، لا يختلف ولا يتباين فهذا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يخبر أن النبي ﷺ اشترى منه بعيرًا، فوزن له الثمن وأعطاه أكثر منه، ليضرب المثل ﷺ في التسامح في أداء ثمن المبيع بالزيادة فيه.

إننا في عالم اليوم أحوج ما نكون إلى هذه الدروس العملية وتفعيلها في أرض الواقع، وخاصة مع موجات الغلاء المعيشية المتصاعدة التي لا تكاد تتوقف عند حد معين، حتى إنها لتأكل معظم الدخول، ولا تجعل لها قيمة كبيرة، فالسلع في ارتفاع وازدياد، والنقود في هبوط وتدنٍ مستمرين، إننا نعاني اليوم من أن بعض التجار قد يرفع الأسعار بدون سبب مبرر ولا سبب مقنع، فإذا أعلنوا أن سبب الارتفاع هو ارتفاع العملات الصعبة أمام العملات المحلية، فتجد أن السلع في ازدياد رغم أن هذه العملات الصعبة قد انخفضت إلى أدنى مستوياتها بعد أن كانت مرتفعة.

كما نعاني أيضًا من بعض صور الاحتكار في بعض السلع الضرورية التي لا يكاد يستغني عنها الناس، وتجد تعاون بعض المؤسسات والتجار على عدم فك هذا الاحتكار وضرب كل محاولة جادة لكسره، وما ذلك إلا ليظلوا هم المحتكرين لهذه السلع فيتحكمون في رفع أسعارها ويحققون من وراء ذلك المكاسب الطائلة.

إننا نستطيع أن نفسر هاتين الصورتين ونحوهما بغياب روح المسامحة في البيع والشراء والمعاملات بوجه عام، مما يجعل مهمة التربويين ملحة وضرورية لتربية الناشئة وغيرهم على هذا التسامح، ذلك الخلق النبيل.

ثانيًا- التربية بالدعاء:

وهذا مستمد من حديث رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)) ، قال ابن حجر: (قوله: "رحم الله رجلاً" يحتمل الدعاء ويحتمل الخبر، وبالأول جزم ابن حبيب المالكي وابن بطال ورجحه الداودي، ويؤيد الثاني ما رواه الترمذي(١) في هذا الحديث بلفظ "غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع" الحديث، وهذا يشعر بأنه قصد رجلاً بعينه في حديث الباب، قال الكرماني: ظاهره الإخبار لكن قرينة الاستقبال المستفادة من "إذا" تجعله دعاء تقديره: رحم الله رجلاً يكون كذلك، وقد يستفاد العموم من تقييده بالشرط) (٢).

وبناء على ذلك فإن النبي ﷺ استخدم الدعاء وسيلة تربوية لحض المخاطبين على التخلق بخلق السماحة في البيع والشراء والاقتضاء، وينسحب هذا على بقية المعاملات الأخرى، وإنما خصّ البيع والشراء واقتضاء الدين والحقوق بالذكر نظرًا لكونها مظنة مواطن النزاع والاختلاف، فرغب في السماحة فيها سدًا لذلك.

والخلاصة أن الدعاء استخدم هنا وسيلة تربوية فعالة، فمن منا لا يرغب أن يرحمه الله ويمنّ عليه بعفوه وفضله؟

لذا كان على أهل التربية أن يستخدموا الدعاء مع من يربونهم ويقومون على رعايتهم، وذلك ترغيبًا لهم وحضًا على إتيان الأعمال الطيبة والتحلي بمكارم الأخلاق والشمائل السامية، وكذلك على النفور من الأعمال السيئة واجتنابها والابتعاد عنها.

لنقرأ هذا الحديث التالي: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((احْضُرُوا الْمِنْبَرَ»، فَحَضَرْنَا، فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: «آمِينَ »، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ؟ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ لِي، فَقَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ

(١) سنن الترمذي ١٣٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٣٥/١.

ذُكِرْتَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ الْكِبَرُ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ: آمِينَ))[1].

إن هذا الحديث الشريف يقوم على الدعاء والتأمين عليه، للتنفير من هذه الأفعال الثلاثة الذميمة، وقد كان هذا التنفير عجيبًا، فقد كان الداعي هو أمين الوحي جبريل عليه السلام، والمؤمن على دعائه أفضل الخلق وخليل الرحمن محمد ﷺ، كما أن مكان الدعاء كان يزيد الأمر رهبة وإجلالاً، فإن النبي ﷺ كان يصعد المنبر، وهو موطن تنزل الرحمات الإلهية، حيث يُذكر الله عليه ويتضرع إليه ويدعى إلى الإيمان به وتقواه ويُحبب إلى خلقه ونحو ذلك من مقاصد خطبة الجمعة، كل ذلك يجعل المخاطبين منتبهين أشد الانتباه إلى تلقي الرسالة التربوية والعمل بمقتضاها.

إننا نستعمل الدعاء في حياتنا اليومية وفي معاملاتنا المعتادة بصورة كبيرة، من ذلك:

أ - جزاك الله خيرًا. لمن أسدى إلينا معروفًا وفي ذلك تربية على الشكر، وحضٌ على فعل المزيد من المعروف.

ب - نفع الله بك. لمن يرجى منه الخير والنفع، وفي ذلك تربية على أن يكون الإنسان مفيدًا لنفسه ولغيره ولمجتمعه.

ج - الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها. في التحذير من بعث الفتن من مرقدها والعمل على إشعالها. وفي ذلك تربية على الاتحاد وعدم الاختلاف وجمع كلمة المسلمين.

ونحو ذلك كثير يشيع في حياتنا اليومية، مما يؤكد الدور التربوي للدعاء.

ثالثًا- التربية على أن الجزاء من جنس العمل:

من الحقائق المذكورة في الأفهام والعقول لكل عمل جزاء، وأن هذا الجزاء يكون من جنس العمل، فمن عمل صالحًا كان جزاؤه صالحًا، ومن عمل طالحًا كان جزاؤه

---

(١) أخرجه الحاكم ١٥٣/٤، وقال: صحيح الإسناد، وانظر: كتاب: الترغيب والترهيب، آخر باب الترغيب في إكثار الصلاة على النبي ﷺ والترهيب من تركها عند ذكره ﷺ كثيرًا دائمًا، من كتاب الذكر والدعاء، الأحاديث ٢٦٠٥ - ٢٦١٣.

طالحًا، إن الأرض خير شاهد على ذلك، فمن رعاها وأحسن رعايتها بالبذر والسقى والحرث أتت بما تشتهي النفوس من نبات طيب وثمرة طيبة، فيحصد جزاء عمله، ومن أهملها وتركها كانت جرداء قبيحة المنظر، لا يحصد منها إلا كل قبح وكل كآبة، وهذه من السنن الإلهية التي قررها الله في كتابه وأكدها رسول الله ﷺ في سننه: قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾(٢).

وبعض أحاديث الباب تؤكد هذا، من ذلك: (كان الرجلُ يُداينُ الناس، فكان يقولُ لفتاهُ: إذا أتيتَ مُعسِرًا فتجاوَز عنه، لعلَّ اللّهَ أن يَتجاوَزَ عنا. فلَقِيَ اللّهَ فَتجاوَزَ عنه) إنه تجاوز عن الناس وأبرأهم من ديونه التي له عليهم وأسقطها من على كاهلهم، فأسقط الله عنه ذنوبه وسيئاته وتجاوز عنها ولم يحاسبه عليها.

إنه تجاوز بشري، قابله المولى بفضله وكرمه بتجاوز إلهي، وهو إن كان تماثلاً في الصورة إلا أن الفرق كبير بينهما، ولله المثل الأعلى، فهذا قد تجاوز عن بعض أمواله، وهي إن بلغت حد الكثرة إلا أنها قليلة لما ناله بسببها، إنه سبحانه تجاوز عن السيئات والذنوب والآثام والأعمال غير الصالحة، وما أكثرها وما أثقلها، لكنها رحمة الله وفضله وكرمه، إنه سبحانه يقول له: "نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه" وفي رواية: "أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي".

وحث النبي ﷺ على هذا بأسلوب الشرط كما حث عليه بالإخبار عن هذا الرجل المتجاوز عن المعسرين، فقال ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه). وهذا أيضًا من قبيل مقابلة العمل بمثله من الجزاء، فإنّه لا شك أن المعسر في كربة شديدة، فالدين -كما يقولون- ذل بالنهار وهمٌ بالليل، إنه كربة تلازم صاحبها بالليل والنهار يقظة ومنامًا، فإذا أنظره صاحب

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ – ٨.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

الدين المعسر أو وضع عنه فإنه قد أزال عنه هذه الكربة الشديدة والمحنة الصعبة، فكافأه الله يوم القيامة بأن أزال عنه ونجاه من كرب يوم القيامة وما أشدها! وما أصعبها وما أقساها!

فيكون في ظل عرش الله إكرامًا له ومعاملة له بما كان يعامل به الناس من التسامح والتجاوز: "من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله".

وفي هذا الحديث إضاءة قوية وإرشاد مؤكد لأهل التربية أن يربوا من يقومون بتربيتهم على أن جزاءهم يكون من جنس عملهم، فلا يتوقعون الخير والإكرام، وما قدموا إلا الشر والسوء، ولا ينتظرون إحسان الجزاء وما أحسنوا أعمالهم وأتقنوها وأخلصوها لله رب العالمين.

إننا نرى في هذا مبدأ تربويًا مهمًا جدًا ينبغي أن تربى عليه الأجيال، لأن ذلك يفيدهم في مسيرتهم الحياتية أكبر فائدة، وذلك على النحو التالي:

أ - إتاحة الفرصة للمتفوقين والنابهين والمتميزين لأن يحتلوا مكان الصدارة والقيادة والتوجيه، ولا يتسلقها الضعفاء الخاملون الفاقدون لكل صفة نبيلة ومعنى شريف، الجامعون لأسوأ ما في النفس البشرية من التملق والنفاق وانتهاز الفرص ومحاربة الناجحين وإزاحتهم من طريقهم بكل ما استطاعوا من جهد.

ب - تربيتهم على إحسان العمل وإتقانه وإجادته، لأن هذا هو السبيل الطبيعي للإنجاز ونيل ما يستحقون من جزاء وإكرام وفضل، وليس هناك طريق آخر لذلك، فإذا وقع وحدث خلاف ذلك كان علامة خطيرة على مرض المجتمع وعلى اختلال موازينه وإعوجاجها مما يستدعي الخوف عليه وعلى قيمه ومبادئه وعلى مسيرته نحو التقدم والتحضر، فإنه حينئذٍ يكون مشكوكًا في ذلك.

إن ما تعاني منه الدول النامية -أو دول العالم الثالث- انتشار الفساد والرشوة، وانعدام الكفاءة عند كثير ممن يشغلون المناصب العليا والمراكز القيادية، وسبب ذلك ناتج في جزء كبير منه عن الإخلال بمبدأ الجزاء من جنس العمل، ويظهر ذلك جليًا في

أن يفقد الناس المصداقية في العبارة التي يسمعونها ليل نهار: الرجل المناسب في المكان المناسب، ومكان صادف أهله.

ج - إيجاد التنافس بين أفراد المجتمع نحو المبادرة إلى معالي الأمور وأفضلها، وإيجاد ثقافة شائعة تنتشر بين أفراده تحض وتمجد وتعظم من شأن الابتكار والإبداع والإنجاز والمثابرة، والمواصلة والاستمرار في ذلك..

إن مما يحزن أشد الحزن أن قطاعًا كبيرًا من الناشئة الآن إذا سألتهم عما يرغبون أن يكونوا في المستقبل كانت إجاباتهم تتراوح بين أن يكونوا لاعبي كرة أو ممثلين أو ممثلات ومغنين أو مغنيات، ونادرًا منهم من يود أن يكون عالمًا أو ممتهنًا لمهنة من المهن التي تفيد المجتمع إفادة كبيرة، وتحتاج إلى بذل كثير من الجهد ومزيد عناية للقيام بها.

إنه قد شاع بينهم ثقافة الاستسهال، وثقافة النَفَس القصير، وثقافة الإنجاز السريع الهش مع بذل القليل من الجهد، مع أن الأمة الإسلامية تحتاج أشد الاحتياج إلى علماء بارزين ومفكرين مبدعين ومهنيين متفوقين لسدّ كثير من احتياجاتها ومطالبها.

رابعًا- التربية على العمل مع تشجيع العاملين:

خلق الله الخلق ليعملوا وينتجوا فيفيدوا أنفسهم ويفيدوا غيرهم، فإن العامل النافع لا يقتصر نفعه على نفسه وأهله فحسب بل يمتد نفعه كذلك إلى مجتمعه وشعبه ودولته.

إن أصحاب رؤوس الأموال ليستطيعون بما أعطاهم الله من أموال طائلة أن يقيموا المشاريع الحيوية التي تدّر عليهم الربح الوفير والخير العميم ويلزم عن ذلك أنهم يتيحون فرص عمل لغيرهم، الذين يكتسبون من المال -لقاء عملهم- ما يمكنهم من توفير متطلبات الحياة فضلاً عما قد يوفرونه من مال، ليصبحوا بدورهم هم أنفسهم أصحاب مشاريع مهمة، وهكذا يدب في أوصال المجتمع الحيوية والنشاط والحركة، ويقل عدد العاطلين عن العمل إلى درجات دنيا، إن لم يقض على البطالة، فضلاً عن توفير متطلبات المجتمع واحتياجاته التي لا يستغني عنها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وتعليم وعلاج ونحو ذلك.

لذا حثّ الإسلام على العمل وشجّع العاملين وأصحاب الأعمال، ونكتفي في هذا المقام بهذ الحديث الذي رواه كعب بن عجرة ﷺ قال: ((مَرَّ على النبي ﷺ رجل فرأى أصحابُ النبي ﷺ مِنْ جَلَدِهِ ونشاطِهِ، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعى على وُلْدِهِ صِغَارًا فَهُوَ في سبيلِ الله وإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعى على أَبَوينِ شَيْخَيْنِ كَبِيْرَيْنِ فهوَ في سَبيلِ الله وإنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعى على نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ في سَبِيلِ الله. وإنْ كانَ خرجَ يَسعى رِياءً ومُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سبيلِ الشَّيْطَانِ))[1].

فليس هناك أدل على احترام العمل الشريف والاكتساب من ورائه، من هذا الحديث الذي جعل ذلك في سبيل الله.

ومن لوازم العمل النافع -كما ذكر سابقًا- بث الرواج في المجتمع ونفي الكساد الاقتصادي الذي له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، وبخاصة العمل التجاري الذي يعتمد على جلب السلع من أصحابها ومنتجيها وتيسيرها للمستهلكين والمشترين، وما يلزم عن ذلك من إتاحة كثير من فرص العمل سواء في إنتاج السلع في خدمات البيع والاستهلاك وما بعد البيع، والحديث الذي معنا من هذا القبيل، فعن أبي صفوان سويد ابن قيس ﷺ قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزًا [أي ثيابًا] من هجر، فجاءنا النبي ﷺ فساومنا سراويل، وعندي وزّان يزن بالأجر، فقال النبي ﷺ للوزّان: زن وأرجح.

إن الرجلين كانا تاجرين أو اشتغلا بالتجارة فجلبا ثيابًا إلى مكة[2]، وذلك تيسيرًا على المشترين والراغبين في الشراء، كما أن هذين الرجلين جعلا معهما وزّانًا يزن الثمن من الدنانير والدراهم، ويأخذ أجرًا على ذلك، فأوجدا معهما فرصة عمل له يتكسب

---

(١) قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. والملاحظ أنه قد أورده في موضعين من كتابه: في أول كتاب البيوع وغيرها: الترغيب في الاكتساب بالبيع وغيره، الحديث ٢٦٢٩، وفي كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال والترهيب من إضاعتهم وما جاء في النفقة على البنات وتأديبهن ٣٠٣٩.

(٢) كما في الرواية التي عند أبي داود ٣٣٣٦.

من ورائها، وهذان التاجران الغالب على الظن أنهما ربحا، لأنهما عاملا النبي ﷺ فاشترى منهما وأمر الوزّان أن يرجح في ميزانه للثمن الذي دفعه النبي ﷺ للسراويل التي اشتراها.

والمقصود أن الحديث هدي نبوي للمربين أن يريوا أتباعهم على حب العمل النافع وتشجيع أصحاب الأعمال النافعة، ولا شكّ أن هذا الهدي يفيد في علاج ما ظهر على الساحة المعاصرة من انحرافات يمكن ذكر بعضها فيما يلي:

أ - تسخير رؤوس أموال ضخمة في إنشاء قنوات فضائية ذات توجيه ماجنٍ داعر، فلا تقدم من الفن إلا أفشحه، ولا من البرامج إلا أشدها سقوطًا ولا من الأغاني إلا أكثرها فجورًا لفظًا وصورة، واستغلال كل ذلك في إلهاء شباب الأمة عن قضاياها الحيوية والخطيرة، والتي أصبحت الأمة تهددها في وجودها وكيانها، ولا تهدد في مصالحها فحسب.

ب - توجيه كثير من الأموال إلى ما يعرف بالصناعة الترفيهية، كالإكثار من إنشاء الملاهي وأماكن الترويح، كثرة لا نعتقد أن أمة جادة تريد العزة واسترجاع مجدها بحاجة إلى هذا العدد الضخم منها، إن أمة يغلب لَهْوُها على جدها وترويحها على عملها لأمة لا ينتظر منها خيرٌ كثير ولا تقدم كبير، وخير شاهد على ما نقول انتشار ملاعب الجولف ذات المساحات الشاسعة والتي تحتاج إلى مياه عذبة كثيرة جدًا، مع أن الذين يلعبون هذه اللعبة الغربية في وطننا العربي قليل جدًّا لكنهم من ذوي الثراء العريض.

ج - شغل الناس بكثرة المسابقات الهاتفية التي تجريها القنوات الفضائية والشركات الإعلامية وغيرها، والتي تقوم على الاتصال برقم معين يكون فيه ثمن الدقيقة أغلى من ثمنها المعتاد بكثير، وذلك لنيل جائزة نقدية أو عينية، ولا تكون هذه الجائزة إلا فتات ما تجمع لدى الشركة أو القناة من مبالغ حصدتها من اتصال المتصلين والتي تدخل جيوب أناس قليلة حصدوا من المال الكثير دون جهد يذكر أو عمل يشكر.

إن من العجيب أن ينادي بعض رجال السياسة والاقتصاد بقفل هذا الباب الذي يُستولي بسببه على ما في جيوب الناس دون أدنى تعب أو جهد، ويذهب بعض أهل الفتوى المعاصرين إلى حلّ هذه المعاملات مع ما فيها من قمار وميسر واضحين لا شك فيهما!!

والخلاصة أنه من الأهمية بمكانٍ التربية على حب العمل النافع المفيد للفرد والمجتمع والشعوب والدول، وما يلزم عن ذلك من بغض العمل التافه غير المفيد إلا لقلة من البشر تقتات على جهود الآخرين وتستولي على ما بأيديهم من أموال، بطرق ظاهرها القبول والرضا وحقيقتها الغش والتغرير والخداع والميسر والقمار.

